

دار الكتب المصرية

---

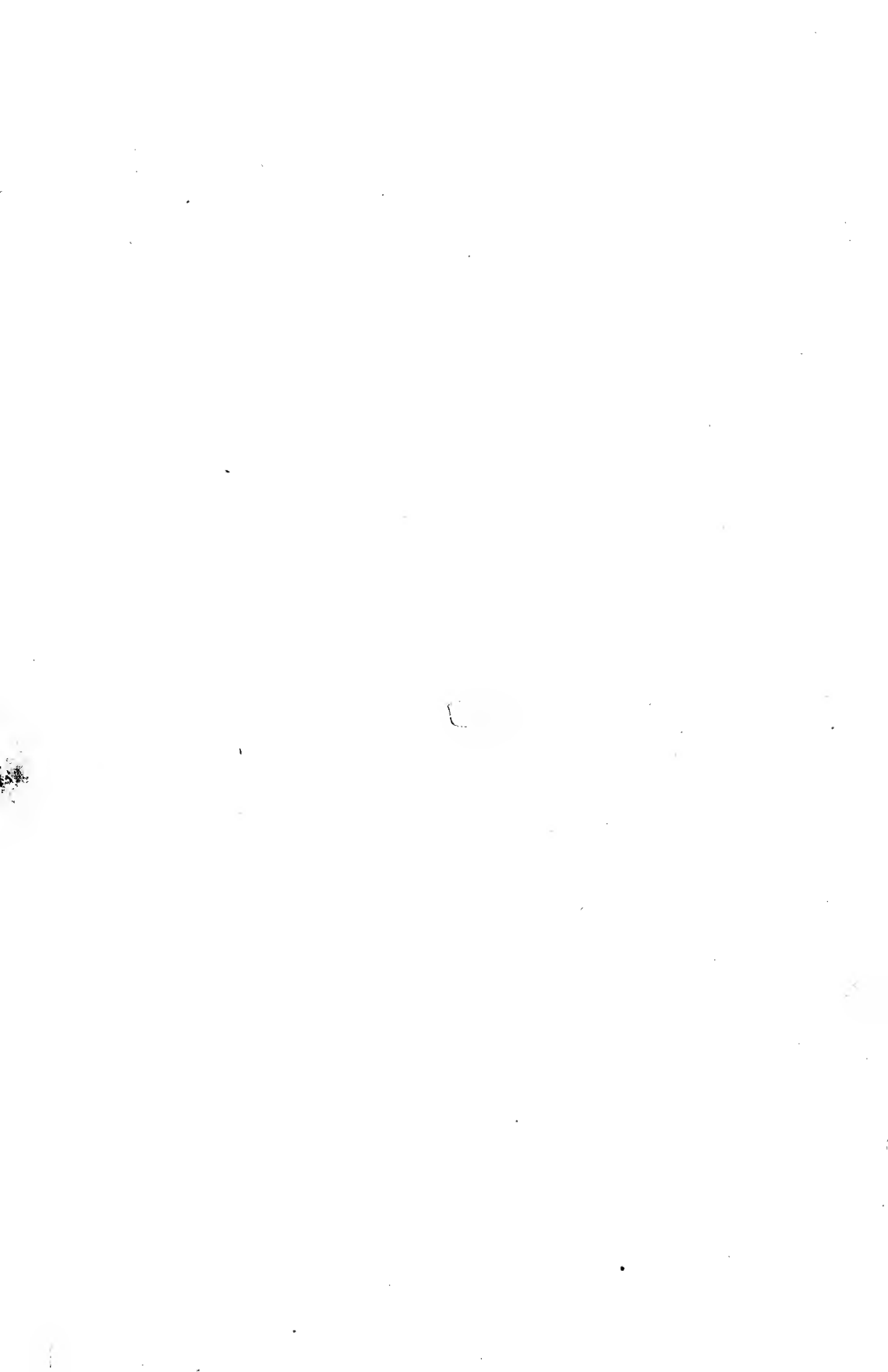
صباح الاسبعة

---

الجزء الأول

---

طبع  
بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة  
١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م



كِتَابُ  
صِيحِ الْأَسَدِ  
تَالِيفُ  
الْشَّيْخِ أَبِي الْغُبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلَقَشَنْدِ

---

الجزء الأول

---

(حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب المصرية)

---

طبع  
بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة  
١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله جاعل المرء بأصغريه ، قلبه ولسانه . والمتكلم بأجمليه ، فصاحته وبيانه .  
راقم حقائق المعاني بأقلام الإلهام على صفحات الأفكار . جامع اللسان والقلم على  
ترجمة ما في الضمائر ، ذاك للأسماع وهذا للأبصار . الذي حفظ برسوم الخطوط ما تكل  
الأذهان السليمة عن حفظه . وتبلغ بوسائطها على البعد ما يعسر على المتحمل تأديته  
بصورة معناه ولفظه .

أحمدته على أن وهب من بنات الأفكار ما يربو في الفخر على ذكور الصوارم .  
ومنح من جواهر الخواطر ما يزكو مع الإنفاق ولا ينقص بالمكارم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يُوقَّع لصاحبها بالنجاة من النار .  
ويُكْتَبَ قائلها في ديوان الأبرار . وأن محمدا عبده ورسوله الذي آهتت لهيبته  
الأسيرة وشرفت بذكره المنابر . وضائق عن درك وصفه الطروس ونفدت دون  
إحصاء فضله المحابر . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قلدوا أمور الدين فقاموا  
بواجبها . وحملوا أعباء الشريعة فانتشرت بهم في مشارق الأرض ومغاربها . صلاة  
تُسَطَّر في الصحف . وتفوق بهجتها الروض الأنف .

وبعد فلما كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها . وأريج البضائع وأنفعها . وأفضل المآثر وأعلاها . وآثر الفضائل وأعلاها . لاسيما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها . وإنسان عينها بل عين إنسانها . لا تلتفت الملوك إلا إليها . ولا تعول في المهمات إلا عليها . يعظمون أصحابها ويقربون كتابها . خليفها أبدا خليق بالتقديم . جدير بالتبجيل والتكريم .

تَسْرَجَانِيهَا إِذَا مَا جَنَى الظَّمَا \* وَتُرَوَّى مَجَارِيهَا إِذَا بَحَلَ القَطَرُ

وكانت الديار المصرية . والمملكة اليوسفيه . أعز الله تعالى حماها ! . وضاعف علّاه ! قد تعلقّت من الثرى بأقراطها . وربحت سائر الأقاليم بغيراطها . بشر بفتحها الصادق الأمين ، فكانت أعظم بشرى . وأخبر سيد المرسلين أن لأهلها نسا وصهرا . فتوجهت إليها عزائم الصحابة زمن الفاروق فحاسوا خلال الديار وعمرها وسهلها . وأقتطعت أيدى المسلمين من الكفار (وكانوا أحق بها وأهلها) .

ثم لم يزل يعلو قدرها . ويسمو ذكرها . إلى أن صارت دار الخلافة العباسيه . وقرار المملكة الإسلامية . ونفرت مملكتها بخدمة الحرمين . وخدمها سائر الملوك والأئم لحيازة القبلتين .

تَنَاهَتْ عِلَاءَ والشَّابَابُ رِدَاؤُهَا \* فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْفَضْلِ والرَّأْسِ أَشَيْبُ؟

وحظيت من فضلاء الكُتّاب بما لم تحظ مملكة من الممالك ، ولا مصر من الأمصار . وحوّت من أهل الفضل والأدب ما لم يحو قطر من الأقطار . فما برحت متوجهة بأهل الأدب في الحديث والقديم . مطوّزة من فضلاء الكُتّاب بكل مكين أمين ، وحفيظ عليم .

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبٌ \* بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ

هذا . والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف . وتباينت  
مواردهم في الجمع والتأليف . ففرقة أخذت في بيان أصول الصنعة وذكر شواهدا .  
وأخرى جنت إلى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها . وطائفة آهتت بتدوين  
الرسائل ليقتبس من معانيها ويتمسك بأذيالها . وتكون أنموذجا لمن بعدهم يسلك  
سبيلها ، من أراد أن ينسج على منوالها . ولم يكن فيها تصنيف ، جامع لمقاصدها .  
ولا تأليف ، كافل بمصادرها الجلية ومواردها . بل أكثر الكتب المصنفة في بابها .  
والتأليف الدائرة بين أربابها . لا يخرج عن علم البلاغة المرجوع فيها إليه . أو الألفاظ  
الرائقة مما وقع اختيار الكُتّاب عليه . أو طرّف من اصطلاح قد رُفِض . وتغير  
أنموذجه ونُقِض . فلا يغني النظر فيه المقلد من كُتّاب الزمان . ولا يكتفي به القاصر  
في أوانٍ بعد أوان . على أن معرفة المصطلح هي اللازم المحتم . والمهم المقدم .  
لعموم الحاجة إليه . واقتصار القاصر عليه .

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً \* حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمُصْنَعِ

وكان الدُّسْتُور الموسوم "بالتعريف . بالمصطلح الشريف" . صنعة الفاضل  
الألمعي . والمصنّع اللودعي . ملك الكتابة وإمامها . وسلطان البلاغة ومالك زمامها .  
المقر الشهابي "أحمد بن فضل الله العدوي العمري" سقى الله تعالى عهده العهاد ! .  
وألبسه سوانح الرحمة والرضوان يوم المَعَاد ! . هو أنفَس الكتب المصنفة في هذا الباب  
عقدا . وأعدّها طريقا وأعذبها ورّدا . قد أحاط من المحاسن بجوانبها . وأعقمت  
الأفكار عن مثله ففاز من الصنعة بأحمد مذهبها . فكان حقيقا بقوله في خطبته :

"يَا طَالِبَ الْإِنْشَاءِ خُذْ عِلْمَهُ \* عَنِّي فَعِلْمِي غَيْرَ مَنْكُورٍ !"

"وَلَا تَقِفْ فِي بَابٍ غَيْرِي فَمَا \* تَدْخُلْهُ (إِلَّا بِدُسْتُورِي)"

إلا أنه قد أهمل من مقاصد المصطلح أمورا لا يسوغ تركها . ولا ينبغي بالفدية لدى القوات نُسكها . كالبطاق ، والملطقات ، والمطلقات . المكبرة في جملة كثيرة من المكاتب . فلم يقع الغنى به عما سواه . ولا الاكتفاء بالنظر فيه عما عداه .

ثم تلاه المقر التقوى ابن ناظر الجيش (رحمه الله!) بوضع دستور المسعى "بتتقيف التعريف" مقتنيا أثره في الوضع ، وجاريا على سَنَه في التأليف . مع إيراد ما أهمله في تعريفه . وذِكْر ما فاته من مصطلح ما يُكْتَب أو حَدَثَ بعد تأليفه . فاشتهر ذكره وعز وجوده . ووقع الضنُّ به حتَّى بخل بإعارته من عُرف كرمه وجوده . وكان مع ذلك قد ترك مما تضمنه التعريف مقاصد لا غنى بالكاتب عنها . ولا بُدَّ للتلبس بهذه الصناعة منها . كالوصايا والأوصاف ، التي هي عمدة الكاتب . ومراكر البريد وأبراج الحمام ، وغير ذلك من ممتات الواجب ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . فصار كلُّ من الدستورين منفرداً عن الآخر بقدر زائد . ولم تقع الغنية بأحدهما عن الآخر ، وإن كانا في معنى واحد .

وكيفما كان فالآقتصار على معرفة المصطلح قصور . والإضراب عن تعرف أصول الصنعة ضَعْف همة وفُتُور . والمقلد لا يوصف بالاجتهاد . وشتان بين من يعرف الحكم عن دليل ومن جمد على التقليد مع جزم الاعتقاد .  
ولم أر في عيوب الناس شيئا \* كتنقص القادرين على التمام

وقد ثبت في العُقُول أن البناء لا يقوم على غير أساس . والفرع لا ينبت إلا على أصل ، والثمر لا يُحْتَنَى من غير غراس .

وكننت في حدود سنة إحدى وتسعين وسبعائة عند استقرارى في كتابة الإنشاء بالأبواب الشريفة السلطانية ، عظم الله تعالى شأنها ! . ورفع قدرها ! وأعز سلطانها !

أنشأت مقامة بنيتها على أنه لا بد للإنسان من حرفة يتعلق بها . ومعيشة يتسكك بسببها .  
وأن الكتابة هي الصناعة التي لا يليق بطالب العلم من المكاسب سواها . ولا يجوز له  
العدول عنها إلى ما عداها . وجنحت فيها إلى تفضيل كتابة الإنشاء وترجيحها .  
وتقديمها على كتابة الأموال وترشيحها . ونهت فيها على ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء  
من المواد . وما ينبغي أن يسلكه من الجواد . وضمنتها من أصول الصنعة ما أُرِبت به  
على المطولات وزادت . وأودعناها من قوانين الكتابة ما استولت به على جميع مصادرها  
أو كادت . وأشرت فيها إلى وجه تعلّق بحال هذه الصنعة وإن لم أكن بمطلوبها ملياً .  
وأنسابي إلى أهلها وإن كنت في النسبة إليها دعيّاً .

وَأَيْسَرَ دَعَى الْقَوْمِ فِي الْقَوْمِ كَالَّذِي \* حَوَى نَسَبًا فِي الْأَكْرَمِينَ عَرِيقًا

إلا أنها قد وقعت موقع الوسخ والإشارة . ومالت إلى الإيجاز فاكثفت بالتلويح  
عن واسع العبارة . فعزّ بذلك مطلبها . وفات على المجتني بُعد التناول أطيبها . فأشار من  
رأيه مقرون بالصواب . ومشورته عريّة عن الارتياب . أن أتبعها بمصنّف مبسوط  
يشتمل على أصولها وقواعدها . ويتكفل بحل رموزها وذكر شواهدِها . ليكون  
كالشرح عليها . والبيان لما أجملته والتتمة لما لم يسقّه الفكر إليها . فامتثلت أمره  
بالسمع والطاعة . ولم أتلكأ وإن لم أكن من أهل هذه الصناعة . غير أن القرينة  
بذلك لم تسمح . وصار المقتضى يضعف والمنازع يترجّح . لأعذار قد تشابه محكمها .  
وضرورات ، إن لم يعلمها الخلق فانه يعلمها . إلى أن لاحت لي بوارق الفتح . وظهرت  
ولله الحمد آثار المنح . فعند ذلك بلغت النفس أمَلها . وأضفت مواهب الامتنان  
حلّها . وتلا لسان العناية على الغبي الحاسد ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ  
لَهَا ﴾ .

فشرعت في ذلك بعد أن استخرت الله تعالى (وما خاب من استخار) .  
 وراجعت أهل المشورة (وما ندِم من استشار) . مستوعبا من المصطلح ما أشتمل عليه  
 "التعريف" و"التثقيف" . موضعا لما أبهماه بتبيين الأمثلة مع قُرب المأخذ وحُسن  
 التأليف . متبرعا بأمور زائدة على المصطلح الشريف لايَسع الكاتب جهلها . مُتَنَقِّلاً  
 من توجيه المقاصد ، وتبيين الشواهد ، بما يُعرف به فرع كل قضية وأصلها . آتياً من  
 معالم الكتابة بكل معنى غريب . ناقلاً الناظر في هذا المصنّف عن رتبة أن يسأل فلا  
 يجاب إلى رتبة أن يُسأل فيجيب . منها على ما يحتاج إليه الكاتب من الفنون ، التي  
 يخرج بمعرفة عن عهدة الكتابة ودرّكها <sup>(١)</sup> . ذاكراً من أحوال الممالك المكتّبة عن هذه  
 المملكة ما يُعرف به قدر كل مملكة ومليكتها . مبيناً جهة قاعدتها ، التي هي محل الملك  
 شرقاً أو غرباً ، أو جنوباً أو شمالاً . معرّفا الطريق الموصل إليها ، براً وبحراً ، وأقطعا  
 واتصالاً . ذاكراً مع كل قاعدة مشاهير بلدانها ، إكمالاً للتعريف . ضابطاً لأسمائها .  
 بالحروف كي لا يدخلها التبديل والتحريف .

وسمّيته (صبح الأعشى في كتابة الإنشأ) راجياً من الله تعالى أن يكون  
 بالمقصود وافيًا . وللغليل شافياً .

وليعذر الواقف عليه ، فتأنيذ الأفكار على اختلاف القرائح لا تنتهي . وإنما ينفق  
 كل أحد على قدر سعته ﴿لَا يُكْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ . ورحم الله من وقف فيه  
 على سهو أو خطأ فأصلحه عاذراً لا عاذلاً . ومُنِيلاً لا نائلاً . فليس المبرأ من الخطأ  
 إلا من وقى الله وعظم . وقد قيل : الكتاب كالمكلف لا يسلم من المؤاخذه ولا يرتفع  
 عنه القلم ، والله تعالى يقرئه بالتوفيق ! . ويرشده فيه إلى أوضح طريق ! . ﴿وما توفيق  
 إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ .

وقد رتبته على مقدمة ، وعشر مقالات ، وخاتمة .

## المقدمة

في مبادي يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء ؛ وفيها خمسة أبواب

## الباب الأول

في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حَقَّاقهم ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في فضل الكتابة .

الفصل الثاني — في مدح فضلاء الكُتَّاب وذم حَقَّاقهم .

## الباب الثاني

في ذكر مدلول الكتابة لغةً وأصطلاحاً، وبيان معنى الإنشاء، وإضافة الكتابة إليه، ومرادفة لفظ التوقيع لكتابة الإنشاء في عُرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسُّل، وتفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة، وترجيح النثر على الشعر . وفيه ثلاثة فصول .

الفصل الأول — في ذكر مدلولها، وبيان معنى الإنشاء وإضافتها إليه . ومرادفة التوقيع لكتابة الإنشاء في عرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسُّل .

الفصل الثاني — في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة .

الفصل الثالث — في ترجيح النثر على الشعر .

## الباب الثالث

في صفات الكُتَّاب وآدابهم ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في صفاتهم الواجبة والعرفية .

الفصل الثاني — في آدابهم .

## الباب الرابع

في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الإسلام

وتفرقه بعد ذلك في الممالك ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في التعريف بحقيقته .

الفصل الثاني — في أصل وضعه في الإسلام وتفرقه بعد ذلك في الممالك بالديار

المصرية وغيرها .

## الباب الخامس

في قوانين ديوان الإنشاء، وترتيب أحواله ، وآداب أهله ؛ وفيه أربعة فصول

الفصل الأول — في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله

ولقبه الجارى عليه في القديم والحديث .

الفصل الثاني — في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه .

الفصل الثالث — فيما يتصرف فيه متولى هذا الديوان ويديره ويصرفه بقلمه .

الفصل الرابع — في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، وما يلزم رب

كل وظيفة منهم ، وما كان عليه الأمر في الزمن القديم ، وما آستقر عليه الحال

بعد ذلك ✕

## المقالة الأولى

فيما يحتاج إليه الكاتب ؛ وفيها بابان

## الباب الأول

في الأمور العلمية ؛ وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول — فيما يحتاج إليه الكاتب في الجملة .



الفصل الثاني — فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء ، من معرفة اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع ، وحفظ كتاب الله تعالى ، والكثير من الأحاديث النبوية ، وخطب البلغاء ورسائلهم ومكاتبتهم ومحاوراتهم ومراوضاتهم ، (وأشعار العرب) والمولدين والمحدثين ، (وأمثال العرب) ومن جرى مجراهم ؛ والمعرفة بالتاريخ (وأنساب العرب) ، ومفانيرهم ، ومنافراتهم ، وحروبهم ، وأوابدهم في الجاهلية ، وأحوال الأمم والأحكام السلطانية ، وأصناف العلوم ، ومن برع في كل علم منها ، والكتب الفائقة في كل فن من فنونها وما يجري مجرى ذلك ؛ والمعرفة بصناعة الكلام وكيفية إنشائه ونظمه ، وتأليفه ، وترصيفه ، وما يحمد من ذلك وما يذم .

الفصل الثالث — في معرفة الأزمنة والأوقات : من الأيام والشهور والسنين على اختلاف الأمم فيها وتفاصيل أجزائها ، وما ينخرط في سلك ذلك من الفصول الأربعة وأعياد الأمم .

## الباب الثاني

فما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العملية ، من الخط وتوابعه ولواحقه ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في ذكر آلات الخط من الدوى وما تُتخذ منه ومقاديرها وكيفياتها ، ومعرفة أصناف الأقلام وصناعة برآيتها : فتحا ونحنا وشقاً وقطاً ؛ ومقادير أطوالها وعدد ما يكون في الدواة منها ، وكيفية عمل الحبر ، وحل الذهب ، وإذابة اللازورد والمغرة العراقية ، وغير ذلك مما يُحتاج إليه في كتابة الديوان .

الفصل الثاني — في الكلام على نفس الخط وأصل وضعه واختلاف الأمم فيه ، وما يخص من ذلك بالخط العربي من تنويع أقلامه التي أحدثها أئمة الكتابة وتباين

أشكالها واختلاف أوضاعها؛ وما يستعمل منها في ديوان الإنشاء، وما يلتحق بذلك من النقط والشكل والهجاء .

## المقالة الثانية

في المسالك والممالك؛ وفيها أربعة أبواب

### الباب الأول

في ذكر الأرض على سبيل الإجمال؛ وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول — في معرفة شكل الأرض وإحاطة البحر بها، وبينان جهاتها الأربع، وما آسملت عليه من الأقاليم السبعة الطبيعية؛ وبينان موقع الأقاليم العرفية كمصر والشام من الأقاليم الطبيعية، وذكر حدودها الجامعة لها .

الفصل الثاني — في ذكر البحار التي يتكرر ذكرها بذكر البلدان في التعريف بها والسفر إليها من البحر المحيط والبحار المنبئة في أقطار الأرض ونواحي الممالك مما هو متصل به ومنقطع عنه وما بها من الجزائر المشهورة .

الفصل الثالث — في استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها .

### الباب الثاني

في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء ومقراتهم في القديم وما أنطوت عليه

ممالكهم من الأقطار؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في ذكر الخلافة ومن وليها من الخلفاء الراشدين من الصحابة (رضوان الله عليهم)، وخلفاء بني أمية بالشام، وخلفاء بني العباس بالعراق، ثم بالديار

المصرية، وخلفاء الفاطميين بمصر، وخلفاء بني أمية بالأندلس، والمدعين الخلافة من بقايا الموحدين بأفريقية .

الفصل الثانى — فيما أنطوت عليه الخلافة العباسية فى الزمن القديم وما كانت عليه من الترتيب وما هى عليه الآن .

### الباب الثالث

فى ذكر الديار المصرية ومضافاتها من البلاد الشامية وما يتصل بها،

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول — فى الديار المصرية وذكر فضائلها ومحاسنها ، وخواصها وعجائبها وما بها من الآثار القديمة ، وذكر نبيلها ومبدئه ونهايته ، وزيادته ونقصه ، ومقاييسه ، وما ينتهى اليه فى الزيادة وما يصل اليه فى النقص ، والخلجان المتفرعة عنه ، وجسورها الحابسة لمياه النيل على أرضها ، وبحيرات الديار المصرية ، وجبالها وزروعها ورياحينها وفواكهها ، ومواشيتها ووحوشها وطيورها ، وذكر حدودها وأبتداء عمارتها وتسميتها مصر، وتفرع الأقاليم التى حولها عنها ، وذكر أعمالها وقواعدها القديمة، والمباني العظيمة الباقية على مر الأزمان ، وقواعدها المستقرة وما آشملت عليه من محاسن الأبنية ، وذكر من ملكها جاهليةً وإسلاماً قبل الطوفان وبعده ، وترتيب أحوالها ، وذكر معاملاتها ونقودها ، وترتيب مملكتها فى القديم والحديث ، وبيان وظائف دولها القديمة والمستقرة لأرباب السيوف والأفلام .

الفصل الثانى — فى البلاد الشامية وما يتصل بها من بلاد الجزيرة الفراتية وبلاد الثغور والعواصم المعبر عنها الآن — ببلاد الأرمن — وبلاد الدربندات المعروفة الآن ببلاد الروم — مما هو مضاف الى مملكة الديار المصرية ، وفضل الشام وخواصه

وعجائبه وحدوده وأبتداء عمارته وتسميته شاما ، وذكر أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة ، وذكر زروعه وفواكهه ومواشيه ووحوشه وطيوره ، وذكر أعماله وجهاته وأجناده وكوره القديمة والمستقرة وقواعده العظام وما كانت عليه في الزمن السابق ومن ملكها جاهلية وإسلاما وما آستقرت عليه الآن من الثيابات ، وترتيب أحوالها ، وذكر معاملاتها وتقودها ، وترتيب ثياباتها وما بها من وظائف أرباب السيوف والأقلام وما آشملت عليه من العربان .

الفصل الثالث — في البلاد المجازية وما يخطر في سلكها ، وذكر فضل الحجاز وخواصه وعجائبه وأبتداء عمارته وتسميته حجازا ، وذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وقواعده وأعماله ونواحيه ومعاملاته وتقوده وملوكه جاهلية وإسلاما .

## الباب الرابع

في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية من الجهات الأربع

والطرق الموصلة إليها ؛ وفيه أربعة فصول

الفصل الأول — في الممالك والبلدان الشرقية عن الديار المصرية ، وما سامت ذلك ووالاه من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية ، وما آشملت عليه هذه الجهة من مملكة إيران التي هي مملكة الفرس قديما ، وما آنطوت عليه من بلاد الجزيرة الفراتية وبلاد العراق وبلاد خوزستان وبلاد الأهواز وبلاد فارس وبلاد كرمان وبلاد سيستان وبلاد أرمينية وأذربيجان وبلاد الجبال المعبر عنها بعراق العجم وبلاد الديلم وبلاد الجبل المعبر عنها بكيلان وبلاد مازندران وبلاد قومس وبلاد زابلستان وبلاد الغور

(١) اشتهر هذا الجمع على الألسنة ولم نعر عليه في معاجم اللغة التي بأيدينا وإن كان القياس لا يباه .

وغيرها ، ومملكة تُوران المعروفة بمملكة الترك قديما ، وما آشملت عليه من قسم ماوراء  
النهر من بخارى وسمرقند ومضافتهما وبلاد تركستان وما مع ذلك ، وقسم خوارزم  
ودشت القبچاق المشتمل على خوارزم والدشت وأعمال السراى وبلاد القرم وبلاد  
الأزق وما ينضم إلى ذلك من بلاد السرب والبغار وبلاد الأولاق وبلاد الآص  
وبلاد الروس وغيرها ، وقسم ما بيد صاحب التخت المعبر عنه (بالقان الكبير) المشتمل  
على بلاد الخطا وبلاد الصين ، وما اتصل بهاتين المملكتين مما يلي الجنوب من بلاد  
البحرين ومملكة الين وما منها بيد أولاد رسول وما منها بيد إمام الزيدية ، وممالك  
الهند المتصلة ببلاد الصين والواقعة في جزائر البحر الهندى .

الفصل الثانى — فى الممالك والبلدان الغربية عن مملكة الديار المصرية ، من  
مملكة تونس المشتملة على بلاد أفريقية ، ومملكة تلمسان المشتملة على بلاد الغرب  
الأوسط ، ومملكة فاس المشتملة على بلاد الغرب الأقصى إلى البحر المحيط وما إلى  
ذلك من ممالك جزيرة الأندلس وما بقى منها بيد المسلمين وما استعاده منها ملوك الكفر .

الفصل الثالث — فى الممالك والبلدان الجنوبية عن مملكة الديار المصرية  
وما آشملت عليه من بلاد السودان من مملكة البرنو ومملكة الكانم ومملكة مالى  
ومملكة الحبشة ، وبيان ما من ذلك بيد ملوك المسلمين وما منه بيد ملوك الكفر .

الفصل الرابع — فى الممالك والبلدان الشمالية عن مملكة الديار المصرية مما  
بيد المسلمين من البلاد المعروفة الآن ببلاد الروم وما بيد ملوك النصارى من جزائر  
بحر الروم بجزيرة قبرس وجزيرة رودس وجزيرة أفریطش وجزيرة المصطكى وجزيرة  
صقلية وغيرها وما إلى ذلك مما شمالى بحر الروم من مملكة القسطنطينية ومملكة البندقية  
ومملكة جنوه ومملكة رومية ومملكة فرنسة وغير ذلك .

## المقالة الثالثة

في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتبات والولايات وغيرها من ذكر الأسماء والكنى والألقاب، وكيفية تعيين صاحب ديوان الإنشاء القصص والمربعات ونحوها على كُتَّاب الإنشاء، ومقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام، ومقادير البياض في أول الدَّرج وخاشيته وبعده ما بين السطور في الكتابات، وبيان المستندات التي يصدر عنها ما يكتب من ديوان الإنشاء من المكاتبات والولايات وغيرها، وكتابة الملخصات، وبيان الفواتح والخواتم؛ وفيها أربعة أبواب .

## الباب الأول

في الأسماء والكنى والألقاب؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في الأسماء والكنى ومواضع ذكرهما في المكاتبات والولايات وما يجري مجراهما .

الفصل الثاني — في ذكر الألقاب وأصل وضعها وما استعمله الكُتَّاب منها وما كان يلقَّب به أهل كل دولة وما حدث من الزيادة بعد ذلك حتى صار الأمر إلى ما عليه الحال في زماننا، والألقاب التي أصطِّلح عليها لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم وما وُضع منها لأهل الكفر، وبيان معنى كل لقب في اللغة ومن يقع عليه في الاصطلاح، وكيفية ترتيب بعضها على بعض .

## الباب الثاني

في بيان مقادير قطع الورق وما يناسب كل مقدار منها من الأقلام، ومقادير

البياض الذي يراعيه الكاتب في كتابته؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في مقادير قطع الورق المستعملة بدواوين الإنشاء في القديم والحديث

الفصل الثانى — فى بيان ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر من الأقلام ، ومقادير البياض الذى يراعىه الكاتب فى أعلى الدّرج وحاشيته وبعدها بين السطور فى الكتابة .

### الباب الثالث

فى بيان المستندات وكتابة الملخصات ، وكيفية التعيين ، ومقادير قطع الورق وما يناسبها من الأقلام ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — فى بيان المستندات التى يصدر عنها كتابة ما يكتب من تلقى كاتب السر الأمر فى ذلك عن السلطان أو تلقيه وتلقى كتاب الدست بدار العدل ، أو شمول القصة بالخط الشريف ، أو كونه برسالة الدوادار أو بإشارة النائب الكافل أو إشارة أستاذ الدار أو إشارة الوزير أو بقائمة من ديوان الخصاص وغيره ، وكتابة الملخصات التى تكتب من الكتب المطولات الواردة على الديوان ، وترجمة الكتب الواردة بغير العربية إلى العربية .

الفصل الثانى — فى بيان كيفية تعيين صاحب ديوان الإنشاء القصص والمربعات وما فى معناها ، وبيان مقادير قطع الورق المستعمل فى دواوين الإنشاء من الكامل والثلثين والنصف والثلث والعادة وما يناسب كل مقدار منها من مختصر الطومار وثقليل الثلث وخفيفه والتوقيعات والرقاع ومقادير البياض المرعية فى الكتابة فى أعلى الدّرج وحاشيته وبعدها بين السطور .

## الباب الرابع

في الفواتح والخواتم واللواحق ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في الفواتح من البسملة والحمدلة والتصلية والسلام في أول الكتب والبعديّة التي يقع بها فصل الكلام، وبيان أصول ذلك وأصل مشروعيتها.

الفصل الثاني — في الخواتم واللواحق من كتابة إن شاء الله في آخر المكتوب وكتابة التاريخ ومعرفة معناه ومعرفة التواريخ القديمة وأصل وضع التاريخ في الإسلام والتاريخ بالهجرة والوقت الذي يؤرخ فيه ؛ وبيان بناء التاريخ العربي على الليالي دون الأيام، واختلاف مذاهب النحاة والكتّاب في التعبير عن ذلك، وبناء تاريخ العجم على الأيام دون الليالي، ومعرفة استخراج كل تاريخ من تواريخ الأمم من الآخر، وكتابة المستند والحمدلة في آخر الكتب والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم بعدها، والاختتام بالحسبة، وبيان مواضع ذلك جميعه من الورق وكيفية وضعه .

## المقالة الرابعة

في المكاتبات ؛ وفيها بابان

## الباب الأول

في أمور كلية : تتعلق بالمكاتبات ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في مقدمات المكاتبات من أصول يعتمدها الكتّاب فيها من حسن الافتتاح وبراعة الاستهلال وتقديم مقدمة تناسب المكتوب فيه في أول المكتبة، ومعرفة الفرق بين الألفاظ الجارية في الخطاب ونحوه في المكاتبات وما يناسب المكتوب إليه منها، ومواقع الدعاء فيها، والإتيان لكل مقصد من مقاصد المكاتبات بما يناسبه، ومخاطبة كل أحد من المكتوب اليهم على قدر طبقته



من اللغة العربية، ومراعاة الفصاحة والبلاغة في الكتابة إلى مَنْ يَتَمَنَّاها، ومراعاة رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه، ومواقع الشعر من المكتبات وحسن الاختتام وما يجري مجرى ذلك، وبيان مقادير المكتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز وما يلائمها من المعاني، ومعرفة ما يختص من ذلك بالأجوبة وبيان ترتيبها .

الفصل الثاني — في بيان أصول المكتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ومذاهب الكُتَّاب فيما تُفْتَح به المكتبات في القديم والحديث، وما يخاطب به أهل الإسلام وأهل الكفر في المكتبات، وبيان كيفية طي الكتاب وختمه وحمله وتأديته وفضه وقراءته وحفظه في الإضبارة .

## الباب الثاني

في مُصْطَلَح المكتبات الدائرة بين كُتَّاب الإسلام في كل زمن من الصدر

الأول وإلى زماننا؛ وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول — في الكُتُب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام وملوك الكفر، واختلاف آفتاحها بحسب المقاصد .

الفصل الثاني — في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وخلفاء الفاطميين، وخلفاء بني أمية بالأندلس وبقايا الموحدين بأفريقية : آبتداء وجوابا .

الفصل الثالث — في الكتب الصادرة عن الملوك ومن في معانهم مما كُتِب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين من الصحابة رضوان الله عليهم، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس، وخلفاء الفاطميين بالديار المصرية، وخلفاء

بنى أمية بالأندلس ، وبقايا الموحدين بأفريقية ؛ وما كتب به عن الملوك ومن في معانهم إلى الملوك ومن في معانهم من المكاتب الدائرة بين ملوك الديار المصرية وملوك الشرق والغرب ، ووزراء الخلفاء ومنقذى أمر الخلافة اللاحقين بشأو الملوك ، وما يَلْتَحِقُ بذلك من المكاتب الصادرة إلى ملوك الكفر واختلاف الافتتاح في ذلك .

الفصل الرابع — في الكتب الصادرة عن ملوك الديار المصرية على ما استقر عليه الحال من ابتداء الدولة التركية وإلى زماننا على رأس الثمانمائة مما أكثره مأخوذ من ترتيب الدولة الأيوبية ، التي هي أصل الدولة التركية مما هو صادر عنهم إلى خلفاء بنى العباس ، وإلى أهل المملكة بمصر والشام والحجاز ، وإلى عطاء القانات بمالك الشرق كقان مملكة إيران الجامع لحدودها على ما كان الأمر عليه إلى آخر أيام أبي سعيد ثم من بعده من يبلغ شأوه من القانات الصغار كالشيخ واويس ومن تلاه إلى زماننا ، ومن بهذه المملكة من صغار الملوك والحكام ، وقانات مملكة توران من صاحب ما وراء النهر من بخارى وسمرقند وما معها ، وصاحب خوارزم والدشت والقان الكبير صاحب التخت ، وصاحب الهند ، وصاحب اليمن وإمام الزيدية بها . وملوك بلاد المغرب كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وملوك بلاد السودان كملك البرنو وملك الكانم ، وصاحب مالى ، وملوك الأتراك بالبلاد المعروفة ببلاد الروم من الجهة الشمالية ، وملوك الكفر كملك الحبشة من البلاد الجنوبية وملك القسطنطينية وسائر ملوك الفرنج وحكامهم بجزائر الروم وغيرها من تقدم ذكره في الكلام على المسالك والممالك .

الفصل الخامس — في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية بالديار المصرية من ملوك الممالك المتقدمة الذكر وحكامها من أهل الإسلام والكفر من ترد مكاتبته على هذه المملكة .

الفصل السادس — في المكتبات الإخوانيات مما كان عليه مُصطَلَح السلف  
فمن بعدهم في كل زمن وما استقرّ عليه الحال في زماننا .

الفصل السابع — في مقاصد المكتبات من الأمور الخاصة بالملوك والخلفاء .  
كالكتب بالإشارة بولاية الخلافة، والجلوس على تخت السلطنة، والدعاية إلى الدين،  
والحث على الجهاد، والإخبار عن الفتوحات، والأمر بلزوم الطاعة، والتنبيه على مَوَاسِم  
العبادة، والمَوَاعِظ عند حدوث الآيات السماوية، والأوامر والنواهي، والنهي عن  
التنازع في الدين، والكتب إلى مَنْ نكث العهد أو خلع الطاعة، والتضييق على أهل  
الجرائم، والإشارة بالمواسم، والأعياد، ووفاء النيل، وركوب الميادين، والعود من الغزو،  
والكتب بالتلقيب على ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم، وبالإحسان والإحسان،  
والكتب قرين الإنعام السلطاني من الخيل والجوارح، وسائر أصناف الإنعام،  
والاعتذار عن السلطان في الهزيمة ونحوها، والأجوبة عن ذلك، وما يشترك فيه الملوك  
ومن عدّاهم من التهانى كالتهنئة بالوظائف، وتكرمة السلطان، وتجدد الأولاد،  
والمساكن، والعود من الحج، والقُدوم من السفر، والإبلاغ من المرض، ورضا السلطان  
وغُزّة السنة، وشهر رمضان، وعيد الفطر، وعيد الأضحي، والنّيروز، والمهرجان،  
والدخول في دين الإسلام، والصّرف عن الخدمة في سلامة؛ ومن التعازي كالتعزية  
بالأب والأم والولد والقريب والصديق، والتشوّقات، والشّفاعات، والتهادى،  
والاستراحة، واستراحة الحوائج، واختطاب المودّة، وخطبة الترويح، والشكر،  
والشكوى، والاعتذار، والغتاب، والمداعبة، وغير ذلك .

الفصل الثامن — في معرفة إخفاء ما في الكتب من السرّ إمّا بطريق المترجم،  
وإمّا بالكتابة بما يظهر بالمعالجة من عرضه على النار، أو جعل دواء عليه وما أشبه ذلك .

## المقالة الخامسة

في الولايات ؛ وفيها أربعة أبواب

## الباب الأول

في بيان طبقاتها وما يقع به التفاوت ؛ وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول — في بيان طبقات الولايات وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها مما يكتب في ولاية الخلافة والسلطنة والولايات الصادرة عن الخلفاء والملوك ، وما يكتب عن السلطان بالديار المصرية والشام والحجاز لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وأرباب الوظائف الديوانية والوظائف الدينية ، وغير ذلك .

الفصل الثاني — في بيان ما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة الولايات على سبيل الإجمال .

الفصل الثالث — في بيان ما يقع به التفاوت في رتب الولايات .

## الباب الثاني

في البيعات ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في معنى البيعات .

الفصل الثاني — في ذكر تنويع البيعات مما يكتب للخلفاء ، وأصل مشروعيتها ؛ وبيان أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية ، وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابة البيعة ؛ وبيان صورة ما يكتب فيها ، واختلاف مذاهب الكُتّاب في ذلك ؛ وذكر نسخ من بيعات الخلفاء مما كان يُكتب به في الخلافة العباسية بالعراق ، وخلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، وخلفاء بني أمية بالأندلس وما يلحق بذلك مما يكتب به لخلفاء بني العباس الآن بالديار المصرية ، وما يكتب من البيعات للملوك على ما أستخدم عليه كُتّاب بلاد الغرب والأندلس .

## الباب الثالث

في العهود؛ وفيه فصلات

الفصل الأول — في معنى العهد .

الفصل الثاني — في بيان أنواع العهود مما يكتب به للخلفاء عن الخلفاء، وما يكتب به للملوك عن الخلفاء، وما يكتب به عن الملوك لولاء العهد بالسلطنة والملوك المنفردين بصغار البلدان، ومذاهب الكُتّاب في ذلك، وذكر نسخ من ذلك بجميعه مما كتب به ببلاد المشرق والمغرب والديار المصرية .

## الباب الرابع

في الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب، من أصحاب السيوف

والأقلام وغيرهم؛ وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول — فيما كان يكتب من ذلك عن الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم، وخلفاء بني أمية بالشام، وخلفاء بني العباس بالعراق، وخلفاء بني أمية بالأندلس، وخلفاء الفاطميين بمصر، ومدعين الخلافة من بقايا الموحدين ببلاد المغرب، ومذاهب كُتّاب الدول في ذلك .

الفصل الثاني — فيما يكتب من الولايات عن الملوك لأرباب السيوف والأقلام وغيرهم من مصطلح كُتّاب المشرق بعد انقراض الخلافة العباسية من العراق، ومصطلح كُتّاب المغرب والاندلس في القديم والحديث، ومصطلح كُتّاب الديار المصرية في الدولة الطولونية وماولياها من الدولة الإخشيدية، والدولة الأيوبية وماولياها من الدولة التركية، وما استقرّ عليه الحال فيها الى زماننا، مما يكتب لأرباب السيوف

والأفلام وغيرهم عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية من التقاليد والتفاوض والمراسيم والتواقيع على اختلاف مراتبها .

الفصل الثالث — فيما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك الشامية لأرباب السيف والأفلام وغيرهم، وذكر نسخ من ذلك .

### المقالة السادسة

في الوصايا الدينية، والمساحات، والإطلاقات، والطرخانيات، وتحويل السنين، والتذاكر؛ وذكر نسخ من ذلك؛ وفيها أربعة أبواب

### الباب الأول

في الوصايا الدينية؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — فيما لقُدماء الكُتّاب من ذلك .

الفصل الثاني — فيما يكتب من ذلك، في زماننا .

### الباب الثاني

في المساحات، والإطلاقات؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — فيما يكتب في المساحات .

الفصل الثاني — فيما يكتب في الإطلاقات .

### الباب الثالث

في طرخانيات ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في طرخانيات أرباب السيوف .

الفصل الثاني — في طرخانيات أرباب الأقاليم .

### الباب الرابع

في تحويل السنين ، وما يكتب في التوفيق بين السنين القمرية والشمسية ،

وما يكتب في التذاكر ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في تحويل السنين والتوفيق بين السنين الشمسية والقمرية .

الفصل الثاني — في التذاكر .

### المقالة السابعة

في الإقطاعات والمقاطعات ، وذكر نسخ من ذلك ؛ وفيها بابان

### الباب الأول

في ذكر مقدمات الإقطاعات ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في ذكر أمور تتعلق بالإقطاعات : من بيان معناها ، وأصل

وضعها في الشرع ، وأول من وضع ديوان الجيش في الإسلام ، ومن يستحق إثباته في الديوان ، وكيفية ترتيبهم فيه .

الفصل الثاني — في بيان حكم الإقطاع وانقسامه إلى إقطاع تملك واستغلال .

## الباب الثاني

فما يكتب في الإقطاعات في القديم والحديث ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في أصل ذلك في الشرع ، وبيان ما أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم من البلاد والأرضين .

الفصل الثاني — في صورة ما كان يكتب في الإقطاعات في الزمن القديم عن خلفاء بني العباس بالعراق ، وخلفاء الفاطميين بمصر ، وعن الملوك القائمين على الخلفاء بالعراق ، وملوك بني أيوب بالديار المصرية ، وما يكتب في الإقطاعات في زماننا مما استقر عليه الحال ، وما يكتب في ذلك من ديوان الحيش من المربعات وما هي مرتبة عليه ، وما يكتب في ذلك من ديوان الإنشاء من المناشير ، وبيان مراتبها ؛ وذكر قطع الورق الذي يكتب فيه ؛ وما يكتب في طرر المناشير وما يلحق بذلك من الطغراوات المستعملة على الألقاب السلطانية التي كانت تُلصق بأعلى المناشير بين الطرة والبسملة ؛ وما يختص من ذلك بالزيادات والتجديدات .

## المقالة الثامنة

في الإيمان ؛ وفيها بابان

## الباب الأول

في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض في الإيمان ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — فيما يقع به القسم من الأقسام التي أقسم الله تعالى بها ، والأقسام التي يُقسم بها الخلق من أقسام العرب في الجاهلية ، والأقسام الشرعية التي يحلف بها



الفصل الثانى — فى بيان اليمين الغموس ولغو اليمين ، والتحذير من احنث والوقوع فى يمين الغموس .

## الباب الثانى

فى نسخ الأيمان الملوكة ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — فى نسخ الأيمان المتعلقة بالخلفاء .

الفصل الثانى — فى الأيمان المتعلقة بالملوك مما يحلف به المسامون من أهل السنة وأرباب البدع وأهل الملل من اليهود والنصارى ، والمجوس وما يحلف به الحكماء .

## المقالة التاسعة

فى عقود الصلح والفُسُوخ الواردة على ذلك ؛ وفيه خمسة أبواب

## الباب الأول

فى الأمانات ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — فى عقد الأمان لأهل الكفر .

الفصل الثانى — فى كتابة الأمانات لأهل الإسلام ، وذكر أصل ذلك من السنة ، وإيراد نسخ من ذلك .

## الباب الثانى

فى الدفن ؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — فى أصله وكونه مأخوذاً عن العرب .

الفصل الثانى — فيما يكتب فى الدفن عن الملوكة .

### الباب الثالث

فيما يكتب في عقد الذمة وما يتفرع على ذلك؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد .

الفصل الثاني — في صورة ما يكتب في متعلقات أهل الذمة، وإلزامهم بالجرى على ما يقتضيه عقد الذمة لهم .

### الباب الرابع

في الهدن الواقعة بين ملوك الإسلام، وملوك الكفر؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في أصول يتعين على الكاتب معرفتها من بيان معنى الهدنة وما يرادفها من الألفاظ، وبيان أصل وضعها في الشرع، وما يجب على الكاتب مراعاته في كتابتها .

الفصل الثاني — في صورة ما يكتب في المهادنات واختلاف مذاهب كتاب الشرق والغرب والديار المصرية في ذلك، وذكر نسخ منها، وبيان ما يكتب من ذلك من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية وما يرد من ذلك مما يكتب عن ملوك الكفر .

### الباب الخامس

في عقود الصلح الواقعة بين ملوك مسلمين؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في أصول تعتمد في ذلك .

الفصل الثاني — فيما يكتب في عقد الصلح، وذكر نسخ من ذلك مما كتب به عن الخلفاء والملوك في القديم والحديث إلى زماننا .

## المقالة العاشرة

في فنون من الكتابة يتداولها الكتّاب ويتنافسون في عملها ليس لها تعلق  
بكتابة الدواوين السلطانية ولا غيرها، وفيها بابان

### الباب الأول

في الحديّات ، وفيه ستة فصول

الفصل الأول — في المقامات وذكر نسخ منها .

الفصل الثاني — في الرسائل : من الرسائل الملوكية المشتملة على الغزو والصيد  
ونحو ذلك ، والرسائل الواردة مورد المدح ، والرسائل الواردة مورد الذم ، ورسائل  
المفاجرات بين الأشياء النفيسة : كالمفاجرة بين العلوم والسيف والقلم ونحو ذلك ،  
والرسائل المشتملة على الأسئلة والأجوبة ، والرسائل المكتتة بالحوادث والمآثرات  
وذكر نسخ من ذلك جميعه .

الفصل الثالث — في قدمات البندق ، وذكر نسخ منه .

الفصل الرابع — في الصّدقات الملوكية ، وصدقات الأعيان .

الفصل الخامس — فيما يكتب عن العلماء وأهل الأدب : من الإجازة بالفتاوى  
وعروضات الكتب والمرويات ، وما يكتب على الكتب المصنّفة والقصائد من  
التقريظات ، وما يكتب عن القضاة من التقاليد الحكيمة وإسجالات العدالة والمطلقات  
وغير ذلك .

الفصل السادس — في العُمرات التي تكتب للحاج .

## الباب الثاني

في الهزليّات؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — فيما آتنت المملوك ببعضه .

الفصل الثاني — في سائر أنواع الهزل .

## الخاتمة

في ذكر أمور تتعلق بديوان الإنشاء غير أمور الكتابة؛ وفيها أربعة أبواب

## الباب الأول

في الكلام على البريد؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في مقدمات يحتاج الكاتب إلى معرفتها: من معرفة معنى البريد وأول من وضعه في الجاهلية والإسلام، وبيان معالمة .

الفصل الثاني — في ذكر مراكز البريد بالديار المصرية والبلاد الشامية على اختلاف طرقها .

## الباب الثاني

في مطارات الحمام الرسائي، وذكر أبراجها المقررة بالديار المصرية

والبلاد الشامية؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في ذكر مطاراته وأعتناء المملوك بشأنه في القديم والحديث ومسافات طيرانه .

الفصل الثاني — في الأبراج المقررة له بالديار المصرية والبلاد الشامية .

### الباب الثالث

في ذكر مراكب الثلج الواصل من البلاد الشامية إلى المملوك  
بالديار المصرية؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في مراكبه .

الفصل الثاني — في هجنه .

### الباب الرابع

في المناور والمحرقات؛ وفيه فصلان

الفصل الأول — في المناور التي كان يُستعمل بها حركة التار إلى البلاد الإسلامية .

الفصل الثاني — في المحرقات التي كان يتوسل بها إلى إحراق زروع التار  
ومراعيهم بأطراف بلادهم .



## المقدمة

في المبادئ التي يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء؛

وفيها خمسة أبواب

## الباب الأول

في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم خفاهم؛

وفيه فصلان

### الفصل الأول

(في فضل الكتابة)

أعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها، أن الله تعالى ! نسب تعليمها إلى نفسه، وأعتده من وافر كرمه وإفضاله فقال عز اسمه : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ مع ما يروى أن هذه الآية والتي قبلها مفتتح الوحي، وأول التنزيل على أشرف نبي، وأكرم مرسل صلى الله عليه وسلم ! وفي ذلك من الاهتمام بشأنها ورفعة محلها مالا خفاء فيه .

ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلَّت قدرته : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ ولا أعلى رتبة وأبذخ شرفاً مما وصف الله تعالى به ملائكته ونعت به حفظته ؛ ثم زاد ذلك تأكيداً ووفر محله إجلالاً وتعظيماً بأن أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة وما يُسطر به فقال تقدست عظمته : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمُنْجِنٍ ﴾ والإقسام لا يقع منه

سبحانه إلا بشريف ما أبدع، وكريم ما اخترع : كالشمس والقمر والنجوم ونحوها إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها .

ثم كان نتيجة تفضيلها، وأثرة تعظيمها وتبجيلها، أن الشارع ندب إلى مقصدها الأسنى، وحث على مطلبها الأغنى، فقال صلى الله عليه وسلم : ”قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ“ مشيراً إلى الغرض المطلوب منها، وغايتها المجتناة من ثمرتها؛ وذلك أن كل ذى صنعة لا بد له في معاناتها من مادة جسمية تظهر فيها الصورة، وآلة تؤدي إلى تصويرها، وغرض ينقطع الفعل عنده، وغاية تُستثمر من صنعته .

والكتابة إحدى الصنائع فلا بد فيها من الأمور الأربعة .

فما دتها ، الألفاظ التي تخيلها الكاتب في أوهامه ، وتصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض صورة باطنة تامة في نفسه بالقوة ؛ والخطّ الذي يخطه القلم ، ويقيد به تلك الصوّر . وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة . وآلتها القلم . وغرضها الذي ينقطع الفعل عنده تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية ، فتكمل قوة النطق وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل للأقرب ، وتحفظ صوره ، ويؤمن عليه من التغير والتبدل والضّياح . وغايتها الشيء المستثمر منها ، وهي انتظام جمهور المعاون والمرافق العظيمة ، العائدة في أحوال الخاصة والعامة بالفائدة الجسمية في أمور الدين والدنيا . ولما كان التقييد بالكتابة هو المطلوب ، وقع الحُصّ من الشارع عليه ، والحث على الاعتناء به تنبيهاً على أن الكتابة من تمام الكمال ، من حيث إن العمر قصير والوقائع متسعة ؛ وما ذا عسى أن يحفظه الإنسان بقلبه أو يحصّله في ذهنه .

قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : ”أُكْتُبُ شِعْرِي فَالْكِتَابُ أُعْجِبُ إِلَى مِنْ الْحِفْظِ  
إِنَّ الْأَعْرَابِيَّ لَيَنْسَى الْكَلِمَةَ قَدْ سَهَرْتُ فِي طَلَبِهَا لَيْلَةً فَيَضَعُ مَوْضِعَهَا كَلِمَةً فِي وَزْنِهَا  
لَا تَسَاوِيهَا ، وَالْكِتَابُ لَا يَنْسَى وَلَا يَبْدُلُ كَلَامًا بِكَلَامٍ“ .



وقد أطنب السلف في مدح الكتابة والحث عليها فلم يتركوا شأواً لماسح حتى قال سعيد بن العاص: "مَنْ لم يكتب فيمينه يُسرى". وقال معن بن زائدة: "إذا لم تكتب اليد فهي رجل". وبالغ مكحول فقال: "لادية لا تكتب". قال الجاحظ: ولو لم يكن من فضل الكتابة إلا أنه لا يسجل نبي سجيلاً ولا خليفة مرضى ولا يقرأ كتاب على منبر من منابر الدنيا إلا إذا استفتح بذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر الخليفة ثم يذكر الكتاب كما هو مشهور في السجلات التي سجلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل تجران وغيرهم وأكثرها بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في شرفه ونبله وسابقته ونجدة.

ومن ثم قال المؤيد: "الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة؛ إليها ينتهي الفضل، وعندها تقف الرغبة".

ومن كلام أبي جعفر "الفضل بن أحمد" في جملة رسالة "الكتابة أس الملك، وعماد المملكة، وأغصان متفرقة من شجرة واحدة. والكتابة قُطب الأدب، وملاك الحكمة، ولسان ناطق بالفصل، وميزان يدل على رجاحة العقل. والكتابة نور العلم، وفدامة<sup>(١)</sup> العقول وبيدان الفضل والعدل. والكتابة حلية وزينة وليبوس وجمال وهيئة وروح جارية في أقسام متفرقة، والكتابة أفضل درجة وأرفع منزلة، ومن جهل حق الكتابة فقد وسِم بوسم الغواة الجهلة؛ وبالكتابة والكتاب قامت السياسة والرياسة، ولو أن فضلاً ونُبلاً تصوّرا جميعاً تصوّرت الكتابة، ولو أن في الصناعات صناعةً مربوبة لكانت الكتابة ربّاً لكل صناعة.

قال صاحب موادّ البيان: ومن المعلوم أن جميع الصنائع وسائل إلى درك المطالب ونيل الرغائب، وأن عوائدها متفاضلة في الكثرة والقلة بحسب تفاضلها في الرفعة

(١) من معاني القدماء المصفاة وهي مناسبة هنا.

والضَّعَّة؛ إذا كان منها ما لا يفي بالبُلغة من قِوَام العيش : نحو الصنائع المهيَّنة  
السوقية الداخلة في المرافق العامة، ومنها ما يوصل إلى الثروة ويجاوز حدَّ الكفاية  
ويُحظى بالمال والنَّعم الخطيرة وهي الصنائع الخاصَّة، وإذا تُؤمِّل ما هذه صفته منها  
عُلم أنه ليس منها ما يلحق بصناعة الكتابة ولا يساويها في هذا النوع، ولا ما يُكسب  
ما تُكسبه من الفوائد والمعاون مع حصول الرِّفاهية والتَّزهِد عن دَناءة المكاسب  
ولا ما يوصل إليه من الحظوية ورِّفاهية العيش ومشاركة الملوكة في اقتناء المساكن  
الفسيحة، والملابس الرقيقة، والمراكب النبيلة، والدواب النفيسة، والخدم المستحسنين  
وغير ذلك من آلات المروءة والأدوات المملوكية في أقرب المدد وأقلَّ الأزمنة ؛  
وناهيك بذلك من فضل هذه الصناعة وشرفها وارتفاع حَظِّها وسمو قدرها إذ كان  
لها سعة لمثل هذه الجدوى التي لا يوجد مثلها في غيرها من الصنائع .

وكفى بالكتابة شرفاً أن صاحب السيف يزاحم الكاتب في قلمه ولا يزاحمه  
الكاتب في سيفه .

قال في موادَّ البيان : ”ومن ثمَّ صار السلطان الذي هو رئيسُ الناس ومستخدِم  
أرباب كلِّ صناعة ومُصَرِّفهم على أغراضه يفتخر بأن تكون فضيلتها حاصلَةً له مع  
تَرْفَعه عن التلبُّس بصناعة من الصنائع الحسنة، وأنْفَتَه أن يقع اسمٌ من أسمائها عليه“  
قال : وذلك أنا نرى كل ملك وسلطان يُؤثِّر أن يكونَ له حظ من بلاغة العبارة وجودة  
الخط ، وفي ذلك ما يدل على أنها أشرف الصنائع رتبةً وأعلاها درجة، وأن المشاركين  
للسلطان فيها ممن تكتنفه سياسته أفضل من سائر المتحلِّين بغيرها من الصنائع الأخر  
فقد عُلِم أن الصنائع كلَّها معاوِن ومُرافق، لا تتنظم عِمارة العالم إلا بتضافرهم ومُرافدة  
بعضها لبعض . وإنما على خريين : خاصة وعامة، فالعامة صنائع المهنة وأهل الأسواق  
والحرف وإن شاركهم الخاصَّة في الحاجة إليها لأنَّها تتنظم أمور المعاملات وتعمُر

البلاد؛ والخاصية التي تقع في حيز الملوك والسلاطين، ويتوزعها أعوانهم وأتباعهم؛ وهذه الصنائع إنما يقع التمييز بين أقدارها بالنظر إلى مقدار عائدتها في أمور الملك والسلطان والرحمة مما كان معلقاً بالأمر الأهم، وكانت الحاجة إليه ألزم، وقدر المنفعة به أجسم، والفساد العائد بوقوع خلل فيه على أسباب المملكة أعظم؛ ومرتبته في الصنائع الخاصة أشرف وألطف .

وليس من الصنائع صناعة تجمع هذه الفضائل إلا صناعة الكتابة، وذلك لأن الملك يحتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها . أحدها رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمر ونهى، وترغيب، ووعد ووعد، وإحماذ وإذما . والثاني استخراج الأموال من وجوهها . وأستيفاء الحقوق السلطانية فيها .

والثالث تفريقها في مستحقها من أعوان الدولة وأولائها الذين يحجون حوزتها، ويسدون ثغورها ويحفظون أطرافها، ويذبون عنها وعن رعاياها، وغير ذلك من وجوه النفقات الخاصة والعامة ؛ ومعلوم أن هذه الأعمال لا يقوم بها إلا كُتَّاب السلطان ولا سبيل للكُتَّاب إلى الكتابة فيها إلا بالتدبر في صنعة الكتابة، فهي إذن من أشرف الصنائع لعظيم عائدتها على السلطان ودولته . قال الجاحظ : ” من أين فضلها أن جعلت في عليّة الناس “ قال صاحب موادّ البيان : ” وقد عُرِفَ أن الذين وضعوها وآبتدهوها ورسموا رسومها هم الأنبياء عليهم السلام “ .

وقد ذكر علماء التاريخ : أن يوسف عليه السلام كان يكتب للعزير، وهارون ويوشع بن نون كانا يكتبان لموسى عليه السلام، وسليمان بن داود كان يكتب لأبيه، وأصف بن برخيا ويوسف بن عقبا كانا يكتبان لسليمان عليه السلام، ويحيى بن زكريا كان يكتب للمسيح عليه السلام .

وقد أنتقل جماعة منها إلى الخلافة . فأبو بكر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه بعد ذلك . وعمر بن الخطاب كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه . وعثمان بن عفان كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم كتب لأبي بكر بعده ثم صارت الخلافة إليه . ومعاوية كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم صارت الخلافة إليه بعد الحسن . ومروان بن الحكم كان يكتب لعثمان بن عفان ثم صار الأمر إليه فيما بعد . وعبد الملك بن مروان كان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان ثم انتقل الأمر إليه . إلى غير هؤلاء من أهل هذه الصنعة ممن قرع الذروة العلية من السيادة ، والسنام الباذخ من الرياسة ، على تغير الدول وتنقلها بين العرب والعجم ، وفي ذلك ما يدل على علو خطرهما ، وأرتفاع قدرهما .

قال صاحب العقد وقد تنبه قوم بالكاتب بعد الحؤول ، وصاروا إلى الرتب العلية ، والمنازل السنية . منهم سرجون بن منصور الرومي كان رومياً خاملاً فرفعته الكتابة وكتب لمعاوية ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان . ومنهم حسان بن النبطي كاتب المجلج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الأكبر ، وعبد الصمد ، وجبل بن عبد الرحمن ، وقثم جد المجاج بن هشام القحطمي ، وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية ، والربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ، وجعفر بن يحيى ، وآبن المقفع ، والفضل بن سهل ، وجعفر بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وآبن عبد السلام الجندني سابوري ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس ،

(١) في العقد الفرید جد الولید بن هشام .

ونجاح بن سلمة، وأحمد بن عبد العزيز، وزاد صاحب الريحان والريحان : مروان ابن الحكم، وعبد الملك بن مروان . قلت : وهؤلاء بعض من شرفته الكتابة ورفعت قدره . ولو اعتبر من شرف بالكتابة وارتفع قدره بها لفاتوا الحصر وخرجوا عن الحد . وهذا الوزير المهلب كان في أول أمره في شدة عظيمة من الفقر والضائقة، وكان قد سافر مرة ولقى في سفره ضيقة حتى اشتبهى اللحم ولم يقدر عليه فقال آرتجالا :

أَلَا مَوْتُ يَسَّاعٍ فَاشْتَرَيْهِ ! \* فِهَذَا الْعَيْشُ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ !  
أَلَا مَوْتُ لَذِيذُ الطَّعْمِ يَأْتِي \* يُخَلِّصُنِي مِنَ الْمَوْتِ الْكَرِيهِ !  
أَلَا رَحِمَ الْمُهِمِّنُ نَفْسَ حُرٍّ \* تَصَدَّقُ بِالْوَفَاةِ عَلَى أَخِيهِ !

وكان معه رفيق له فاشترى لحما وأطعمه . ثم ترقى بالكتابة حتى وُزِّرَ لمعز الدولة ابن بويه الديلمي في جلالة قدره . وهذا القاضي الفاضل أصله من بيسان من غير بيت الوزارة رفعت له الكتابة حتى وُزِّرَ للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وعلت رتبته عنده حتى بلغ من رتبته لديه أن كان يكتب في كتب السلطان صلاح الدين عن نفسه بما أحب، فكتب مرة السلام على الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين في كتاب عن أبيه، ثم كتب شعرا منه .

وغريبة قد جئت فيها أولا \* ومن أفتقأها كان بعدى الثاني  
فرسولى السلطان في إرسالها \* والناس رسلهم إلى السلطان

وأبلغ من ذلك كله أبو إسحاق الصابى صاحب الرسائل المشهورة، كان على دين الصابئة مشددا في دينه، وبلغت به الكتابة إلى أن تولى ديوان الرسائل عن الطائع

(١) أى فيمن نبهوا بالكتابة . وأما عدهما السابق ففى المكتوب لهم .

والمطيع وعز الدولة بن بويه : وَجَهَدَ فِيهِ عِزُّ الدَّوْلَةِ أَنْ يَسْلِمَ فَلَمْ يَقَعْ لَهُ ؛ وَلَمَّا مَاتَ رِثَاهُ الشَّرِيفُ الرُّضِيُّ بِقَصِيدَةٍ فَلَامَهُ النَّاسُ لِكَوْنِهِ شَرِيفًا يَرِثُ صَابِئِيًا ، فَقَالَ : إِنَّمَا رِثِيْتُ فَضْلَهُ .

قال في مواد البيان : ”ولا عبرة بمنْ قعد به الجَدُّ ، وتخلَّف عنه الحَظُّ من أهل هذه الصناعة ؛ إذ العبرة بالأكثر لا بالقليل النادر . على أن المبرز في هذه الصناعة إن قعدتْ به الأيام في حالٍ فلا بد أن يُرْفَعَ قدرُهُ في أخرى : لأنَّ دَوْلَةَ الفاضل من الواجبات ، ودَوْلَةُ الجاهل من الممكنات ؛ خصوصاً إذا صادف الكاتبُ الفاضلُ ملكاً فاضلاً أَوْرِئيساً كاملاً ، فإنه يوفيه حقه ويرقيهِ إلى حيثُ أَسْتَحَقَّاهُ . فمن كلام بعض الحكماء : تَسْقُطُ الحِظُوظُ في دولة الملك الفاضل فلا يتسَمُّ الرتبة العلية إلا مستوجبها بالفضيلة .

وبالجملة فَفَضِّلَ الكُتَّابَةُ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحْصَى ؛ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُسْتَقْصَى ؛ وَإِنَّمَا حَرَّمَ الكُتَّابَةُ عَلَى النَّبِيِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! رَدًّا عَلَى الْمُلْحِدِينَ حَيْثُ نَسَبُوهُ إِلَى الْإِقْتِبَاسِ مِنْ كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ وأكد ذلك بقوله ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

وقد كان ، صلى الله عليه وسلم ! يأتي من القصص والأخبار الماضية من غير مدارس ولا نظر في كتاب بما لا يعلمه إلا نبيُّ ، كما روى أن قريشاً بمكة وَجَّهَتْ إلى اليهود : أَنْ عَرَفُونَا شَيْئًا نَسْأَلُهُ عَنْهُ ؛ فَبَعَثُوا إِلَيْهِمْ أَنْ سَأَلُوهُ عَنْ أَنْبِيَاءِ أَخَذُوا أَحَدَهُمْ فَرَمَوْهُ فِي بَرٍّ وَبَاعُوهُ ، فَسَأَلُوهُ فَتَزَلَّتْ سُورَةُ يُوسُفَ جُمْلَةً وَاحِدَةً بِمَا عَنْدهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَزِيَادَةً .

قال العتيبي : ”الأميَّة في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! فضيلةٌ وفي غيره تقيصة لأن الله تعالى لم يعلمه الكتابة لتمكِّن الإنسان بها من الحيلة في تأليف الكلام ، واستنباط المعاني فيتوسل الكُفَّار إلى أن يقولوا آقندر بها على ما جاء به“ .

قال صاحب مواد البيان : ”وذلك أنَّ الإنسان يتوصل بها إلى تأليف الكلام المنشور وإخراجه في الصُّور التي تأخذ بمجامع القلوب ؛ فكان عدم علمه بها من أقوى الحجج على تكذيب معانديه ، وحسم أسباب الشك فيه“ .

وقد حكى أبو جعفر النحاس : أن المأمون قال لأبي العلاء المنقري ”بلغني أنك أمي ، وأنت لا تقيم الشعر ، وأنت تلحن في كلامك“ فقال : ”يا أمير المؤمنين ! أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه ؛ وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً وكان لا يُشَدُّ الشعر“ . فقال له المأمون : ”سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل ؛ يا جاهل ! ذلك في النبي ، صلى الله عليه وسلم ! فضيلة وفيك وفي أمثالك تقيصة“ .

قال الجاحظ : ”وكلام أبي العلاء المنقري هذا من أوابد ماتكم به الجهال“ .

على أن أصحابنا الشافعية رحمهم الله قد حكوا وجهين في أنه صلى الله عليه وسلم هل كان يعلم الكتابة أم لا وصححوا أنه لم يكن يعلمها معجزةً في حقه كما تقدَّم .

قال أبو الوليد الباجي من المالكية : ”ولو كتب ، صلى الله عليه وسلم ! لكان معجزةً لحرق العادة . قال : وليست بأول معجزاته صلى الله عليه وسلم !“ .

وإذا كانت الكتابة من بين سائر الصناعات بهذه الرتبة الشريفة والذروة المنيفة ، كان الكتاب كذلك من بين سائر الناس . قال الزبير بن بكار : ”الكتاب ملوك وسائر الناس سُوقة“ . وقال ابن المقفع : ”الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب إلى الملوك“ .

ومن كلام المؤيد ”كتاب الملوك عيونهم المبصرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة“ .

وكانت ملوك الفرس تقول: "الْكُتَّابُ نِظامُ الْأُمُورِ، وَجَمَالُ الْمُلْكِ، وَبَهَاءُ السُّلْطَانِ وَخَزَانُ أَمْوَالِهِ، وَالْأَمْنَاءُ عَلَى رَعِيَّتِهِ وَبِلَادِهِ وَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْحَبَاءِ وَالْكَرَامَةِ، وَأَحَقُّهُمْ بِمَحَبَةِ السَّلَامِ".

ومن كلام أبي جعفر الفضل بن أحمد "لِلْكُتَّابِ أَقْرَبُ الْمُلُوكِ بِالْفَاقَةِ وَالْحَاجَةِ، وَإِلَيْهِمُ أَلْقِيَتِ الْأَعْيُنُ وَالْأَزِمَّةُ، وَبِهِمْ أَعْتَصَمُوا فِي النَّازِلَةِ وَالنَّكْبَةِ، وَعَلَيْهِمْ اتَّكَلُوا فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالذَّخَائِرِ وَالْعَقْدِ وَوَلَاةِ الْعَهْدِ وَتَدْيِيرِ الْمُلْكِ وَقِرَاعِ الْأَعْدَاءِ، وَتَوْفِيرِ الْفِيءِ، وَحِيَاطَةِ الْحَرِيمِ، وَحِفْظِ الْأَسْرَارِ، وَتَرْتِيبِ الْمَرَاتِبِ، وَنَظْمِ الْحُرُوبِ".

قال في مواد البيان: "وما من أحد يتوسَّل إلى السلاطين بالأدب، ويُمِثُّ إِلَيْهِمِ مِنَ الْعِلْمِ بِسَبَبٍ، إِلَّا وَهُوَ بِأَقْلِهِ لَا يَنْوِلُ مَا يُنْوِلُهُ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْإِرْفَاقِ، خَلَا الْكَاتِبَ فَإِنَّهُ يُنْوِلُ الرِّغَائِبَ الْعَظِيمَةَ مِنْ طَرِيقِ الْأَسْتَحْقَاقِ، لِمَوْضِعِ الْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ وَالْحَاجَةِ؛ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ وَاسِطَةٍ تَقُومُ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالرِّعْيَةِ لُبْعَدِ مَا يَنْبَغِي مِنَ الطَّبَقَتَيْنِ: الْعُلِيَّا وَالْدُّنْيَا، وَلَيْسَ مِنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ مَنْ يُسَاهِمُ الْمُلُوكَ فِي جَلَالَةِ الْقَدْرِ وَعَظِيمِ الْخَطَرِ، وَيُشَارِكُ الْعَامَّةَ فِي اتِّوَاضِ وَالْإِقْتِصَادِ سِوَى الْكُتَّابِ فَاحْتِجَ إِلَيْهِمْ لِلْسَّفَارَةِ فِي مَصَالِحِ الرِّعْيَةِ عِنْدَ السُّلَاطِينِ، وَأَسْتِيفَاءِ حَقُوقِ السُّلَاطِينِ مِنَ الرِّعْيَةِ وَالتَّلَاطُفِ فِي الصِّلَةِ بَيْنَهُمَا". قال: "وَلَعَلَّ الْمُلُوكَ بِخَطَرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَأَهْلِهَا وَعَائِدَتِهَا فِي أُمُورِ السُّلْطَانِ صَرَفُوا عِنَايَةَ إِلَى الْكُتَّابَةِ وَخَصُّوهُمْ بِالْحُظُوتِ وَعَرَفُوا لَهُمْ فَضْلَ مَا جَمَعُوهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالصَّنَاعَةِ، وَكَانَتْ مُلُوكُ الْفُرسِ لِرَفْعَةِ رَتْبَةِ الْكُتَّابَةِ عِنْدَهُمْ تَجَمُّعَ أَحْدَاثِ الْكُتَّابِ وَنَوَاشِئِهِمُ الْمُعْتَزِّينَ لِأَعْمَالِ الْمُلْكِ وَيَأْمُرُونَ رُؤَسَاءَ الْكُتَّابَةِ بِامْتِحَانِهِمْ فَمَنْ رُضِيَ أَقْرَبَ بِالْبَابِ لِيَسْتَعَانَ بِهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ الْمُلْكَ بِضَمِّهِمْ إِلَى الْعُمَالِ، وَأَسْتِعْمَالِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ، وَيُنْقِلُهُمْ فِي الْخِدْمِ عَلَى قَدْرِ طَبَقَاتِهِمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى



ما يستحقه من المنزلة ، ثم لا يُمكن أحد من عرض اسمه على الملك من الخدمة عند أحد إلا بأذن الملك .

وفي عهد سابور — ”ولكن كاتبك مقبول القول عندك ، رفيع المنزلة لديك ، يمنعه مكانه منك وما يُظن به من لطافة موضعه عندك من الضراعة لأحد والمُداهنة له ، ليحمله ما أوليته من الإحسان على محض النصيحة لك ، ومناذرة من أراد عيبك وأنتقاص حقك“ . ولم يكن يركب الهاليج في أيامهم إلا الملك والكاتب والقاضى .

قلت : ولشرف الكتابة وفضل الكتاب صرف كثير من أهل البلاغة عنايتهم إلى وضع رسائل في المفارقة بين السيف والقلم ، إشارة إلى أن بهما قوام الملك وترتيب السلطنة ، بل ربما فضل القلم على السيف ورُجِّح عليه بضروب من وجوه الترجيح كما قال بعضهم مفضلاً للقلم بقسم الله تعالى به :

إِنِ افْتَخَرَ الْأَبْطَالُ يَوْمًا بِسَيْفِهِمْ \* وَعَدَّوْهُ مَا يُكْسِبُ الْمَجْدَ وَالْكَرَّمَ  
كَفَى قَلَمُ الْكُتَّابِ عِزًّا وَرِفْعَةً \* مَدَى الدَّهْرِ أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِالْقَلَمِ  
وكما قال ابن الرومى :

إِنِ يَخْدُمُ الْقَلَمُ السَّيْفَ الَّذِي خَضَعَتْ \* لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفَهُ الْأُمَمُ  
فَالْمَوْتُ ، وَالْمَوْتُ لَأَشْيَءٌ يَغَالِبُهُ ، \* مَا زَالَ يَتَّبَعُ مَا يَجْرَى بِهِ الْقَلَمُ  
كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مَذْ بَرِيْتُ \* أَنَّ السُّيُوفَ لَهَا مُدُّ أَرِهَقَتْ خَدَمُ

والمعنى فى ذلك أنها تؤثر فى إرهاب العدو على بُعد السيف لا تؤثر إلا عن قرب مع ما فضل به القلم من زيادة الجدوى والكرم ، وإلى ذلك يشير بعضهم بقوله مشيراً للقلم

فَلَكُمْ يَقُلُّ الْجَيْشُ ، وَهُوَ عَرَمَرَمٌ ، \* وَالْبَيْضُ مَا سَلَّتْ مِنَ الْأَعْمَادِ  
وَهَبَّتْ لَهُ الْأَجَامُ حِينَ نَشَأَ بِهَا \* كَرَمَ السُّيُوفِ وَصَوْلَةَ الْأَسَادِ

## الفصل الثاني

(في مدح فضلاء الكتاب وذم حقايمهم)

أما فضلاء الكتاب فلم يزل الشعراء يلهمجون بمدح أشرف الكتاب وتقريظهم ويتغالبون في وصف بلاغاتهم وحسن خطوطهم . فمن أحسن ما مدح به كاتب قول ابن المعتز :

إذا أخذ القِرطاسَ خَلَّتْ يَمِينُهُ \* تُفَتِّحُ نَوْرًا أَوْ تُنَظِّمُ جَوْهَرًا  
وقول الآخر :

يُؤَلِّفُ اللُّؤْلُؤَ الْمَشْتُورَ مَنْطِقُهُ \* وَيَنْظِمُ الدَّرَّ بِالْأَقْلَامِ فِي الْكُتُبِ  
وقول الآخر :

وَكَاتِبٌ يَرْقُمُ فِي طَرِيسِهِ \* رَوْضًا بِهِ تَرْتَعُ الْحَاظُهُ  
فَالدَّرُّ مَا تَنْظِمُ أَقْلَامُهُ \* وَالسَّحَرُ مَا تَنْشُرُ الْفَاظُهُ  
وقول الآخر :

إِنْ هَزَّ أَقْلَامُهُ يَوْمًا لِيُعْمَلَهَا \* أَنْسَاكَ كُلَّ كَيٍّْ هَزَّ عَامِلَهُ  
وَإِنْ أَقَرَّ عَلَى رَقٍّ أَنْامِلُهُ \* أَقَرَّ بِالرَّقِّ كُتَّابُ الْأَنَامِ لَهُ  
وقول الآخر :

لَا يُخْطِرُ الْفِكْرُ فِي كِتَابَتِهِ \* كَأَنَّ أَقْلَامَهُ لَهَا خَاطِرُ  
الْقَوْلِ وَالْفِعْلُ يَجْرِيَانِ مَعًا \* لَا أَوَّلُ فِيهِمَا وَلَا آخِرُ  
وقول الآخر :

وَشَادِنٍ مِنْ بَنِي الْكُتَّابِ مُقْتَدِرٍ \* عَلَى الْبَلَاغَةِ أَحْلَى النَّاسِ إِنْشَاءً  
فَلَا يُجَارِيهِ فِي مِيدَانِهِ أَحَدٌ \* يُرِيكَ سَحْبَانَ فِي الْإِنْشَاءِ إِنْ شَاءَ

وكذلك أولعوا بدمم حتى الكُتَاب ولهجوا بهجوههم في كل زمن .  
فن ذلك قول بعض المتقدمين يهجو كاتباً :

همارٌ في الكتابة يدعيها \* كدعوى آل حربٍ في زيادٍ  
فدع عنك الكتابة لست منها ! \* ولو غرقت ثيابك في المداد

وقول الآخر :

وكاتبٌ كُتِبَ تذكّرني القُرءانَ حتى أظَلَّ في عَجَبٍ  
فاللفظ "قالوا قلوبنا غُلْفٌ" . \* والخط "تبت يدَا أُنَى لَهَبٍ"

وقول الآخر :

يَعِي غَيْرَ مَا قُلْنَا وَيَكْتُبُ غَيْرَ مَا \* يَعِيهِ وَيَقْرَأُ غَيْرَ مَا هُوَ كَاتِبُ

وقول الآخر :

وكاتبٍ أَفْلَامُهُ \* مُعَوَّدَاتٍ بِالْغَلَطِ  
يَكْشِطُ مَا يَكْتُبُهُ \* ثُمَّ يُعِيدُ مَا كَشَطَ

وقول ابن أبي العيْناء يهجو أسد بن جهور الكاتب .

أو ما ترى أسد بن جهور قد غدا \* مُتَشَبِّهًا بِأَجَلَةِ الْكُتَّابِ ؟  
لَكِنْ يُحَرِّقُ أَلْفَ طُومَارٍ إِذَا \* مَا أَحْتِجُّ مِنْهُ إِلَى جَوَابِ كِتَابِ

وقد أكثر الناس من الحكايات المضحكة عن هذا النوع من الكُتَّاب مما صاروا به هزواً على ممر الزمان وتعاقب الأيام . كما حكى عن محمد بن يحيى الكاتب أنه قرأ على بعض الخلفاء كتاباً يذكر فيه حاضرطى فصحفه حاضرطى فسيخر منه أهل المجلس .

ويروى إن كُتَّاب الدواوين ألزموا بعض العمال مالاً مخرجاً عليه فبعث بحسابه إلى عبيد الله بن سليمان فوقع عليه "هذا هذا" ورد الحساب إلى العامل فقدّر العامل

بِضَعْفِ آدَابِهِ أَنَّهُ صَحَّحَ حِجَّتَهُ وَقَبِلَ الْحِسَابَ مِنْهُ كَمَا يُقَالُ فِي تَثْبُتِ الشَّيْءِ هُوَ هُوَ  
وَأَخْرَجَ التَّوْقِيعَ إِلَى الْكُتَّابِ وَنَاطَرَهُمْ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ إِزَالَةَ الْمَالِ الَّذِي لَزِمَهُ  
عَنْهُ فَلَمْ يَفْهَمُوا أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا أَرَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ فَرَدَّ التَّوْقِيعَ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ فَلَمْ يَزِدْهُ  
فِي الْجَوَابِ عَلَى أَنَّ شِدَّةَ الْكَلِمَةِ الْآخِرَةِ وَوَقَعَ تَحْتَهَا "اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ" إِعْلَامًا لَهُ أَنَّ لَفْظَ  
هَذَا بِالنَّشِيدِ بِمَعْنَى الْهَذْيَانِ .

وَحَكَى الْعَبَّاسُ بْنُ أَسَدٍ : أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ عِيسَى كَتَبَ إِلَى أَبِي الطَّيِّبِ  
أَحْمَدَ بْنَ عِيسَى كِتَابًا مِنْ مَكَّةَ فَقَرَأَهُ ثُمَّ رَمَى بِهِ إِلَى فَقَالَ : اقْرَأ . فَقَرَأَتْ : كِتَابِي إِلَيْكَ  
يَوْمَ الْقُرْ ، بِالرَّفْعِ . فَقَالَ : مَا مَعْنَى يَوْمَ الْقُرْ ؟ فَقُلْتُ : الْقُرُّ الْبَرْدُ فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ يَوْمُ الْقُرِّ  
بِالْفَتْحِ ، حِينَ يَقَرُّ النَّاسُ بِمَنْ ، وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّانِي مِنَ النَّحْرِ . وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ .

قَالَ صَاحِبُ نَهَايَةِ الْأَرْبِ : "وَقَدْ اتَّسَعَ الْخَرَقُ فِي ذَلِكَ وَدَخَلَ فِي الْكِتَابَةِ مَنْ  
لَا يَعْرِفُهَا الْبَتَّةَ ، وَزَادُوا عَنِ الْإِحْصَاءِ ، حَتَّى إِنْ فِیْهِمْ مَنْ لَا يَفْرُقُ بَيْنَ الضَّادِ وَالطَّاءِ .  
قَالَ : وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ مَنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي الْكِتَابَةِ وَتَوَسَّلَ إِلَى أَنْ كَتَبَ فِي دِيْوَانِ  
الرِّسَالِ : أَنَّهُ رُسِمَ لَهُ بِكُتَابٍ يَكْتُبُهُ فِي حَقِّ رَجُلٍ اسْمُهُ طَرْنَطَايُ فَقَالَ لِكَاتِبٍ إِلَى جَانِبِهِ  
طَرْنَطَايُ يَكْتُبُ بِالسَّاقِطِ أَوْ بِالْقَائِمِ . قَالَ : وَصَارَ الْآنَ حَدُّ الْكَاتِبِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ  
أَنَّهُ يَكْتُبُ عَلَى الْمَجُودِ مَدَّةً وَيُتَّقِنُ بَزْعِمَهُ أُسْطَرًا فَإِذَا رَأَى مِنْ نَفْسِهِ أَنَّ خَطَّهُ قَدْ جَادَ  
أَدْنَى جُودَةٍ أَصْلَحَ زَيَّتُهُ ، وَرَكِبَ رِزْدُونَهُ أَوْ بَغْلَتَهُ ، وَسَعَى فِي الدَّخُولِ إِلَى دِيْوَانِ  
الْإِنْشَاءِ وَالْإِنْضِمَامِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَعَلَّ الْكِتَابَةَ إِنَّمَا يَحْصُلُ ذِمَّتُهَا بِسَبَبِ هَؤُلَاءِ وَأَمثالِهِمْ .  
وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ !

تَعَسَّ الزَّمَانُ ! فَقَدْ أَتَى بِعُجَابٍ <sup>(٢)</sup> \* وَمَحَا فُنُونَ الْفَضْلِ وَالْآدَابِ  
وَأَتَى بِكُتَّابٍ لَوْ أَنْبَسَطَتْ يَدِي \* فِیْهِمْ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الْكُتَّابِ "

(١) فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ (مِنْ مَنَى) .

(٢) فِي الْأَصْلِ بَعْجَابٍ وَقَدْ اخْتَرْنَا رَوَايَةَ الضَّوءِ .

قلت : وإنما تقاصرت الهمم عن التوغل في صناعة الكتابة والأخذ منها بالحظ الأوفى لاستيلاء الأعاجم على الأمر ، وتوسيد الأمر لمن لا يفرق بين البليغ والأثوك لعدم إلمامه بالعربية والمعرفة بمقاصدها ، حتى صار الفصيح لديهم أعجم ، والبليغ في مخاطبتهم أبكم ، ولم يسع الآخذ من هذه الصناعة بحظ إلا أن ينشد :

وَصِنَاعَتِي عَرَبِيَّةٌ وَكَأَنِّي \* أَلْقَى بِأَكْثَرِ مَا أَقُولُ الرُّومَا  
فَلِمَنْ أَقُولُ؟ وَمَا أَقُولُ؟ وَأَيْنَ لِي؟ \* فَاسِيرَ، لَا بَلْ أَيْنَ لِي فَأُقِيمَا؟

وقد حكى أبو جعفر النحاس عن بعضهم أنه قال : حضرت مجلس رجل فأجمعت عن مسألة حاجتي لكثرة جمعه ، فرأيت أنه قد أملى على كاتبه "ولم أكتب بخطي إليك خوفا من أن تقف على رداوته" فكتب كاتبه "رداءته" على ما يجب فقال : أما تحسن الهجاء ؟ أين الواو ؟ فأثبتها الكاتب فحس حينئذ في عيني ، فأجترأت عليه فدنوت منه وسألته حاجتي .

وحكى صاحب ذخيرة الكتاب عن بعض الوزراء : أنه تقدم إلى كاتبه بأن يكتب ألقاب أمير ليثبتها على بُرج أنشأه فكتب "أمر بعمارة هذا البرج أبو فلان فلان" وأستوفى ألقابه إلى آخرها ، ودفع المثال إلى الوزير ليوقف عليه فلما قرأه غضب حتى ظهر الغضب في وجهه ، وأنكر على الكاتب كونه كتب أبو فلان بالواو ولم يكتب أبى فلان بالياء محتجا عليه بأن أبو من ألقاظ العامة فلا تعظيم بها . فقال الكاتب : إن الحال أقتضت رفعه من حيث إنه في هذا الموضع فاعل ؛ فزاد إنكاره عليه وقال : متى رأيت الأمير فاعلا في هذا الموضع يحمل الطين وينقل الحجارة على رأسه حتى تنسبه إلى هذا ؟ والله لولا سالف خدمتك لفعلت بك ! .

قال ابن حاجب النعمان: ولما كان أرباب الأمور وولاؤها من الخلفاء فمن دونهم ينقدون ما يكتب به الكتاب عنهم وما يرد عليهم من الكتب، ويناقشون على ما يقع فيها من خطأ أو يدخلها من خلل، ويقدمون الفاضل ويرفعون درجته، ويؤخرون الجاهل ويحطون رتبته، كان الكتاب حينئذ يتبارون على اقتناء الفضيلة. ويرفعون عن أن يعلق بهم من الجهل أدنى رذيلة. ويجهدون في معرفة ما يحسن ألفاظهم، ويزين مكاتباتهم، لينالوا بذلك أرفع رتبة، ويفوزوا بأعظم منزلة.

ولما انعكست القضية في تقديم من غلط بهم الزمان. وغفل عنهم الحدّثان. وأستولت عليهم شرّة الجهل. ونفرت منهم أوانس الرياسة والفضل. وصار العالم لديهم حشفاً، والأديب محارفاً، والمعرفة منكراً، والفضيلة منقصة، والصمت لُكنه، والفصاحة مُهجنة، اجتنبت الآداب اجتناب المحارم، وهجرت العلوم هجر كبار المآثم. ولو أنصف أحدهؤلاء الجهّال، لكان بالحشف أولى، وبالحرقة والمنقصة أجدر وأحرى، لكنه جهل الواجبات وأضاعها<sup>(١)</sup>. وسفه حقّ المروءة وأفسد أوضاعها ويوصف بالحيّ الناطق، والصامت أرجى منه عند أهل النظر وذوى الحقائق.

## الباب الثاني

### من المقدمة

في ذكر مدلول الكتابة لغة وأصطلاحاً، وبيان معنى الإنشاء وإضافة الكتابة إليه؛ ومرادفة لفظ التوقيع لكتابة الإنشاء في عرف الزمان، والتعبير عنها بصناعة الترسيل؛ وتفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة وترجيح النشر على الشعر؛ وفيه ثلاثة فصول.

(١) في الأصل وأوضاعها بواو زائدة وهي من زيادة الناصح كما هو ظاهر.

## الفصل الأول

في ذكر مدلولها وبيان معنى الإنشاء وإضافتها إليه ومرادفة التوقيع للكتابة

الإنشاء في عُرْف الزمان، والتعير عنها بصناعة الترسل

الكتابة في اللغة مصدر كتب يقال كتب يكتب كتباً وكتاباً وكتابةً ومكتبةً وكتبته فهو كاتب ومعناها الجمع، يقال تكتبت القوم إذا اجتمعوا، ومنه قيل لجماعة الخليل كتيبة، وكتبت البغلة إذا جمعت بين شفرها بحلقة أو سير ونحوه، ومن ثم سمي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض كما سمي خرز القربة كتابةً لضم بعض الخرز إلى بعض. قال ابن الأعرابي: وقد تطلق الكتابة على العلم ومنه قوله تعالى ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي يعلمون. وعلى حدّ ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه لأهل اليمن حين بعث إليهم معاذاً وغيره "إِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ كَاتِبًا". قال ابن الأثير في غريب الحديث "أراد عالماً سُمي بذلك لأن الغالب على مَنْ كان يعلم الكتابة أن عنده علماً ومعرفةً وكان الكاتبُ عندهم قليلاً وفيهم عزيزاً".

أما في الاصطلاح فقد عرّفها صاحب موادّ البيان: بأنها صناعة رُوحانية تظهر بالآلة، جُمَانِيَّةٌ، دالّةٌ على المراد بتوسط نظمها. ولم يبين مقاصد الحد ولا مادخل فيه ولا ماخرج عنه، غير أنه فسّر في موضع آخر معنى الرُوحانية فيها بالألفاظ التي يتخيّلها الكاتب في أوهامه ويصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض صورةً باطنة قائمةً في نفسه. والجُمَانِيَّةُ بالخط الذي يُحطّه القلم وتقيد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورةً معقولةً باطنة صورةً محسوسةً ظاهرة. وفسر الآلة بالقلم وبذلك يظهر معنى الحد وما يدخل فيه ويخرج عنه؛ ولا شك أن هذا التحديد يشمل جميع ما يُسَطَّره القلم مما يتصوره الذهن ويتخيّله الوهم فيدخل تحته مطلق الكتابة كما هو المستفاد من

المعنى اللغوي . على أن الكتابة ، وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها ، لاتخرج عن أصلين : هما كتابة الإنشاء ، وكتابة الأموال وما في معناهما على ماسـيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

إلا أن العرف فيما تقدم من الزمان قد خصّ لفظ الكتابة بصناعة الإنشاء حتى كانت الكتابة إذا أُطلقت لا يُراد بها غير كتابة الإنشاء والكتاب إذا أُطلق لا يراد به غير كاتبها حتى سُمي العسكريّ كتابه "الصناعتين الشعر والكتابة" يريد كتابة الإنشاء ، وسُمي ابن الأثير كتابه "المثل السائر، في أدب الكاتب والشاعر" يريد كاتب الإنشاء إذ هما موضوعان لما يتعلق بصناعة الإنشاء من علم البلاغة وغيرها .

ثم غلب في زماننا بالديار المصرية اسم الكاتب على كاتب المال حتى صار الكاتب إذا أُطلق لا يُراد به غيره وصار لصناعة الإنشاء آسمان : خاص يستعمله أهل الديوان ويتلفظون به وهو كتابة الانشاء ، وعام يتلفظ به عامة الناس وهو التوقيع . فأما تسميتها بكتابة الإنشاء فتخصيص لها بالإضافة إلى الإنشاء الذي هو أصل موضوعها وهو مصدر أنشأ الشيء إذا ابتدأه أو اخترعه على غير مثال تحذيه ، بمعنى أن الكاتب يخترع ما يؤلفه من الكلام ويبتكره من المعاني فيما يكتبه من المكاتبات والولايات وغيرها أو أن المكاتبات والولايات ونحوها تنشأ عنه .

وأما تسميتها بالتوقيع فأصله من التوقيع على حواشى الفِصص وظهورها كالتوقيع بخط الخليفة أو السلطان أو الوزير أو صاحب ديوان الإنشاء أو كُتاب الدست ومن جرى مجراهم بما يُعتمد في القضية التي رُفعت القصة بسببها ، ثم أُطلق على كتابة الإنشاء جملة .

قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكُتاب : ومعناه في كلام العرب التأثير القليل الخفيف ، يقال : جنب هذه الناقة موقّع إذا أثرت فيه جبال الأحمال تأثيراً خفيفاً .



وحكى أن أعرابية قالت لجارتها "حديثك ترُويع وزيارتك تَوقِع" تريد أن زيارتها خفيفة. قلت: ويحتمل أن يكون من قولهم وَقَعَ الأمر إذا حَقَّ ولَزِمَ ومنه قوله تعالى ((وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا)) أى حَقَّ، أو من قولهم وَقَعَ الصَّيْقُلُ السيف إذا أقبل عليه بميقته يحلوه لأنه بتوقيعه في الرقعة يحلو اللبس بالإرشاد إلى ما يُعتمد في الواقعة، أو من مَوْقَعَة الطائر - وهى المكان الذى يألفه من حيث إن الموقع على الرقعة يألف مكاناً منها يُوقَع فيه كحاشية القصة ونحوها، أو من الموقعة بالتسكين - وهو المكان المرتفع في الجبل لارتفاع مكان الموقع في الناس وعلو شأنه أو غير ذلك .

وجه إطلاقه على كتابة الإنشاء أنه قد تقدم أن التوقيع في الأصل أسم لما يُكْتَب على القِصص ونحوها وسيأتى أن ما يكتب من ديوان الإنشاء من المَكاتِبَات والولايات ونحوها إنما يبنى على ما يخرج من الديوان من التوقيع بخط صاحب ديوان الإنشاء أو تُكَّاب الدست ومن في معناهم ؛ وحينئذ فيكون التوقيع هو الأصل الذى يبنى عليه المنشئ، وقد يكون سَمَّى بأصله الذى نشأ عنه مجازاً، وقد يعبر عنها بصناعة الترسُّل تسميةً للشيء بأعم أجزائه إذ الترسُّل والمكاتِبَات أعظم كتابة الإنشاء وأعمها من حيث إنه لا يستغنى عنها ملك ولا سُوقَةٌ، بخلاف الولايات فإنها مختصة بأرباب المناصب العلية دون غيرهم ؛ وعلى ذلك بنى الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تسمية كتابه "حُسن التوسُّل، إلى صناعة الترسُّل" .

(١) عبارة اللسان والقاموس والواقع بالتسكين المكان المرتفع من الجبل . فلعل ما في الأصول من تصحيف الناسخ فتأمل .

## الفصل الثاني

( في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة )

قد تقدم في الفصل الذي قبله أن الكتابة وإن كثرت أقسامها وتعددت أنواعها لا تخرج عن أصلين : كتابة الإنشاء ، وكتابة الأموال .

فأما كتابة الإنشاء فالمراد بها كل مارجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني : من المكاتبات والولايات والمساحات والاطلاقات ومناشير الأقطاعات والهدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها .

وأما كتابة الأموال فالمراد بها كل ما رجع من صناعة الكتابة إلى تحصيل المال وصرفه وما يجري مجرى ذلك ككتابة بيت المال والخزائن السلطانية ، وما يُجى إليها من أموال الخراج وما في معناه ، وصرف ما يصرف منها من الجارى والتفقات وغير ذلك ، وما في معنى ذلك ككتابة الجيوش ونحوها مما ينجر القول فيه إلى صنعة الحساب ، ولا شك أن لكل من النوعين قدرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا ، إلا أن أهل التحقيق من علماء الأدب ما برحوا يرجحون كتابة الإنشاء ويفضلونها ويميزونها على سائر الكتابات ويقدمونها ، ويحتجون لذلك بأمور .

منها أن كتابة الإنشاء مستلزمة للعلم بكل نوع من الكتابة ، ضرورة أن كاتب الإنشاء يحتاج فيما يكتبه من ولاياته ومكاتباته مما يتعلق بكتابة الأموال إلى أن يمثل لهم في وصاياه من صناعتهم ما يعتمدونه ، ويبين لهم ما يأتونه ويذرونه ، فلا بد أن يكون عالمًا بصناعة من يكتب له . بخلاف كاتب الأموال فإنه إنما يعتمد على رسوم مقررة وأموذجات محزنة لا يكاد يخرج منها ، ولا يحتاج فيها إلى تغيير ولا زيادة ولا نقص .

ومنها أشتمالُ كتابة الإنشاء على البيان الدالّ على لطائف المعاني التي هي زُبد الأفكار وجواهرُ الألفاظ، التي هي حلية الألسنة، وفيها يتنافس أصحابُ المناصب الخطيرة، والمنازل الجليلة، أكثر من تنافسهم في الدرّ والجوهر .

ومنها ما تستلزمه كتابة الإنشاء من زيادة العلم، وغزارة الفضيحة، وذكاء القريحة، وجودة الروية : لما يحتاج إليه من التصرف في المعاني المتداولة والعبارة عنها بالألفاظ غير الألفاظ التي عبر بها من سبق إلى استعمالها مع حفظ صورتها وتأديتها إلى حقائقها؛ وفي ذلك من المشقة ما لا يخفاء فيه على من مارس الصناعة، خصوصاً إذا طلب الزيادة والعلو على من تقدمه في استعمالها، أو هذا حدّ ورسوم المبرزين الذين يتحلون الكلام ويوقعونه مواقعه مع مراعاة رشاقة اللفظ، وحلاوة المعنى، وبلاغته ومناسبته مع ما يحتاجه من اختراع المعاني الأبيكار للأمور الحادثة التي لم يقع مثلها، ولا سبق سابق إلى كتابتها - لأنّ الحوادث والوقائع لا تنتهي ولا تقف عند حدّ . ومن هنا تنقّص الوزير ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر المقامات الحريرية وأزدرأها جانحاً إلى أنها صور موضوعة في قوالب حكايات مبنية على مبدلٍ ومقطع بخلاف الكتابة فإن أهوالها غير متناهية ؛ ولو روعي حال ما يكتبه الكاتب في أدنى مدة لكان مثل المقامات مرّات .

ومنها اختصاص كاتب الإنشاء بالسلطان وقربه منه وإعظام خواصّه واعتمادهم في المهمات عليه، مع كونه أحرز بالسلامة من أرباب الأقلام المتصرفين في الأموال .<sup>(١)</sup> وقد قال بعض الحكماء : النّكّاب كالجوارح كل جارحة منها ترّفد الأخرى في عملها بما به يكون فعلها، وكاتب الإنشاء بمنزلة الروح المازجة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواسّه .

(١) لعله مصحّف عن أجدر أو أخرى - كما سيأتي له بعد .

قال في موادّ البيان ”ولا شك في صحة هذا التمثيل : لأن كاتب الإنشاء هو الذى يمثل لكل عامل في تقليده ما يعتمد عليه ويتصفح ما يرد منه ويصرفه بالأمر والنهى على ما يؤدى إلى استقامة ماعدق به ، وهو حلية المملكة وزينتها لما يصدر عنه من البيان الذى يرفع قدرها ، ويعلي ذكرها ، ويعظم خطرها ، ويدل على فضل ملكها ، وهو المتصرف عن السلطان في الوعد والوعيد ، والترغيب ، والإحماذ والإذماذ ، واقتضاب المعانى التى تُقتر الوالى على ولايته وطاعته ، وتغطف العدو العاصى عن عداوته ومعصيته . على أن بعض المتعصبين قد ربح كتابة الأموال على كتابة الإنشاء بمغالطات أوردتها ، وتزويرات زخرفها وتمقها ، لا تخفى على متأمل ، ولا تستغنى على ذى ذهن سليم .

وقد أورد الحريرى في ”المقامة الثانية والعشرين“ المعروفة بالفرائية ألفاظا قلائل في المفاخرة بين كتابتى الإنشاء والأموال فقال على لسان أبى زيد السروجى .

”اعلموا أنّ صناعة الإنشاء أرفع ، وصناعة الحساب أنفع ، وقلم المكاتبه خاطب ، وقلم المحاسبة حاطب ، وأساطير البلاغة تُسَخّ لتُدْرَس ، ودساتير الحسابات تنسخ وتُدْرَس ، والمنشئ جُهينة الأخبار ، وحقيبة الأسرار ، ونجى العظماء ، وكبير الندماء ، وقلمه لسان الدولة ، وفارس الحولة ، ولقمان الحكمة ، وترجمان الهمم ، وهو البشير والنذير ، والشفيع والسفير ، به تُستخلص الصياصى ، وتُملك النواصى ، ويُقتاد العاصى ، ويُستدنى القاصى ، وصاحبه برىء من التيجات ، آمن كيد السعات ، مقرظ بين الجماعات ، غير معترض لنظم الجماعات .

ثم عقب كلامه بأن قال :

(١) فى الضوء عرق بالعين المهمة والزراى وهو المناسب ولعل ما فى الاصل تصحيف .

”إلا أن صناعة الحِسَاب موضوعَةٌ على التحقيق، وصناعة الإنشاء مبنيةٌ على التلّفيق، وقلم الحاسب ضابط، وقلم المنشئ خابط، وبين إتّاوة توظيف المعاملات، وتلاوة طوامير السّجّلات، بون لا يُذكره قياس، ولا يعتوره التباس، إذ الإتّاوة تملأ الأيكاس، والتّلاوة تفرّغ الراس، وخراج الأوارج يُغنى الناظر، واستخراج المّدارج يُعنى الخاطر.

ثم إن الحسبة حفظة الأموال، وحاملة الأثقال، والنّقلة الأثبات، والسّفرة الثّقات، وأعلام الإنصاف والانتصاف، والشهود المقّانع في الاختلاف، ومنهم المستوفى الذى هو يدُ السلطان، وقُطبُ الديوان، وقِسْطاس الأعمال، والمهيمن على العُمال، وإليه المال فى السّلم والخرج، وعليه المدار فى الدّخل والخرج، وبه مناط الضّر والنّفع، وفى يده رباط الإعطاء والمنع، ولولا قلم الحِسَاب، لأودت ثمرَةُ الاكتساب، ولا تَصَلَّ التّغابن إلى يوم الحِسَاب، ولكان نظامُ المعاملات محلولاً، وجُرحُ الظّلامات مَطلولاً، وجيّدُ التّناصّف مغلولاً، وسيّفُ التّظالم مسلولاً. على أنّ يراعَ الإنشاء متقول، ويراعَ الحِسَاب متأول، والحاسب مناقش، والمنشئ أبو براّقى، ولكلّهما حُمة حين يرقى، إلى أن يلقى ويرقى، وإعنات فيما يُنشا، حتّى يُغشى ويُرشى ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّاهُمْ﴾.

قلت : وقد أوردت فى المقامة التى أنشأتها فى كتابة الإنشاء المشار إليها بالذّكر فى خطبة هذا الكتاب من فضيل الكّابة ما يشدّو بذّكره المترّم، وأودعتها من شرف الكّتاب ما يذّعن له الخصم ويسلم.

## الفصل الثالث

( في ترجيح النثر على الشعر )

اعلم أن الشعر وإن كان له فضيلة تخصه ومزية لا يشاركه فيها غيره من حيث تفرّده باعتدال أقسامه وتوازُن أجزائه وتساوى قوافي قصائده، مما لا يوجد في غيره من سائر أنواع الكلام، مع طول بقائه على ممر الدهور وتعاقب الأزمان، وتداوله على ألسنة الرواء وأفواه النقلة لتمكّن القوة الحافظة منه بارتباط أجزائه وتعلّق بعضها ببعض، مع شيوعه واستفاضته وسرعة انتشاره وبعْد مسيره وما يؤثّر من الرّفعة والضّعة باعتبار المدح والهجاء، وإنشاده يجالس الملوك الحافلة والمواكب الجامعة بالتقرّظ وذكر المفاز وتعدد المحاسن، وما يحصل عليه الشاعر الميّد من الجباء الجسيم والمنح الفائق، الذي يستحقّه بحسن موقع كلامه من النفوس وما يحدثه فيها من الأريحية، وقبوله لما يرد عليه من الألحان المطربة المؤثّرة في النفوس اللطيفة والطباع الرقيقة وما اشتمل عليه من شواهد اللغة والنحو وغيرهما من العلوم الأدبية وما يجري مجراها وما يُستدلّ به منها في تفسير القرآن الكريم وكلام من أُوتِيَ جوامع الكلم، ومجامع الحكم، صلى الله عليه وسلم ! وكونه ديوان العرب ومجتمع تمكّنها والمحيط بتواريخ أيامها وذكر وقائعها وسائر أحوالها — إلى غير ذلك من الفضائل الجمّة، والمفاز الضّخم، فإن النثر أرفع منه درجة، وأعلى رتبة، وأشرف مقامًا، وأحسن نظامًا، إذ الشعر محصور في وزن وقافية يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ والتقديم فيها والتأخير، وقصر الممدود ومدّ المقصور، وصرف ما لا ينصرف ومنع ما ينصرف من الصرف، واستعمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها، وغير ذلك مما تُلجئ إليه ضرورة الشعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه، والكلام المشثور لا يحتاج فيه إلى شيء من ذلك فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه، ويؤيد ذلك أنك إذا اعتبرت ما نُقل

من معاني النثر إلى النظم وجدته قد انحطت رتبته. ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين  
على كرم الله وجهه! "فِيْمَةُ كُلِّ أَمْرِيٍّ مَا يُحْسِنُ" : أنه لما نقله الشاعر إلى قوله  
فَيَا لَيْئِي دَعْنِي أَعَالِي بِقِيَمَتِي \* فِقِيْمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

قد زادت ألفاظه وزهبت طلاوته، وإن كان قد أفرد المعنى في نصف بيت فإنه  
قد احتاج إلى زيادة مثل ألفاظه مرة أخرى توطئة له في صدر البيت ومراعاة  
لإقامة الوزن، وزاد في قوله فقيمة فاء مستكرهة ثقيلة لا حاجة إليها وأبدل لفظ أمرئ  
بلفظ الناس ولا شك أن لفظ أمرئ هنا أعذب وألطف؛ وغير قوله يحسن إلى قوله  
يحسنونه، والجمع بين نونين ليس بينهما إلا حرف ساكن غير معتد به مستوخم؛ وإذا  
اعتبرت ما نقل من معاني النظم إلى النثر وجدته قد نقصت ألفاظه وزاد حسناً وروناً  
ألا ترى إلى قول المتنبي يصف بلداً قد علقت القتلى على أسوارها ؟ :

وكان بها مثل الجنون فأصبحت \* ومن جثث القتلى عليها تمائم

كيف نثره الوزير ضياء الدين بن الأثير في قوله يصف بلداً بالوصف المتقدم :  
"وكانما كان بها جنون فبعث لها من عزائمها عزائم، وعلق عليها من رؤوس القتلى تمائم"  
فإنه قد جاء في غاية الطلاوة خصوصاً مع التورية الواقعة في ذكر العزائم مع ذكر  
الجنون؛ وهذا في النظم والنثر الفائقين ولا عبرة بما عداهما .

وناهيك بالنثر فضيلة أن الله تعالى أنزل به كتابه العزيز ونوره المبين الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ  
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ولم ينزل على صفة نظم الشعر بل نزهه عنه بقوله  
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾ وحرّم نظمهم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم  
تسريفاً لمحله وتنزيهاً لمقامه منها على ذلك بقوله ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ وذلك  
أن مقاصد الشعر لا تخلو عن الكذب والتحويل على الأمور المستحيلة، والصفات

المجاورة للعدّ، والنعوت الخارجة عن العادة، وقذف المُحصّنات، وشهادة الزور، وقول  
البهتان، وسبّ الأعراض، وغير ذلك مما يجب التنزه عنه لآحاد الناس فكيف بالنبي  
صلى الله عليه وسلم! ولا سيما الشعر الجاهليّ الذي هو أقوى الشعر وأخله . بخلاف  
النثر فإن المقصود الأعظم منه الخطب والترسل، وكلاهما شريف الموضوع حسن  
التعلق؛ إذ الخطب كلام مبنّى على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء  
عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والتذكير والترغيب في الآخرة والترهيد  
في الدنيا والحض على طلب الثواب، والأمر بالصّلاح والإصلاح، والحث على  
التعاضد والتعاطف، ورَفْض التباغُض والتقاطع، وطاعة الأئمة، وصلة الرحم، ورعاية  
الدم، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى ما هو مستحسن شرعاً وعقلاً . وحسبك  
رتبةً قام بها النبي صلى الله عليه وسلم! والخلفاء الراشدون بعده . والترسل مبنّى  
على مصالح الأمة وقوام الرعية لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسرارة الناس  
في مهمّات الدين وصلاح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم  
من عهود الملوك، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم  
أركان الدولة وقواعدها . إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء  
ولا يأخذها الحصر .

قال في موادّ البيان ” وقد أحسّت العرب بانحطاط رتبة الشعر عن الكلام  
المنثور كما حكي أن امرأة القيس بن مجرّم أبوه بقتله حين سمعه يترنّم في مجلس  
شرا به بقوله :

اسقياً مجرّاً على علاته \* من كُيّت لونها لَوْنُ العَلَقِ



وما يروى أن النابغة الجعدي كان سيدا في قومه لا يقطعون أمرا دونه وأن قول الشعر نقصه وحط رتبته. قال: "ولا عبرة بما ذهب إليه بعضهم من تفضيل الشعر على النثر أتباعا لهواه بدون دليل واضح".

قال في الصناعتين: "ومع ذلك فإن أكل صفات الخطيب والكاظم أن يكونا شاعرين كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبا كاتباً". قال: "والذي قصر بالشعر كثرتُه وتعاطى كل أحد له حتى العامة والسفلة فلحقه بالنقص ما لحق الشطرنج حين تعاطاه كل أحد". وسيأتى الكلام على احتياج الكاتب للشعر في بيان ما يحتاج إليه الكاتب فيما بعد إن شاء الله تعالى!

## الباب الثالث

في صفاتهم وآدابهم؛ وفيه فصلان

### الفصل الأول

(في صفاتهم؛ وهي على ضربين)

#### الضرب الأول

(الصفات الواجبة التي لا يسع إهمالها؛ وهي عشر صفات)

الصفة الأولى، الإسلام — ليؤمن فيما يكتبه ويؤمله. ويؤثق به فيما يذره ويأتيه إذ هو لسان المملكة، المرهب للعدو بوقع كلامه، والجادب للقلوب بلطف خطابه فلا يجوز أن يوثر أحد من أهل الكفر؛ إذ يكون عينا للكفار على المسلمين، ومطلعا لهم على خفائهم فيصلون به إلى ما لا يمكن استدراكه، وقد قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۖ وَالْمُرَادُ بِالْبَطَانَةِ فِي الْآيَةِ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَى حَالِ الْمُسْلِمِينَ كَالْإِطْلَاعِ عَلَى مَقْدَارِ خَزَائِنِهِمْ مِنَ الْمَالِ، وَأَعْدَادِ جَيْشِهِمْ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ .

قال أبو الفضل الصُّورِيُّ فِي تَذَكُّرِهِ ”وَإِنْ مِنَ الْفِطْرَةِ الَّتِي جُبِلَ كُلُّ أَحَدٍ عَلَيْهَا حَنِينٌ كُلِّ شَخْصٍ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَنْ يَرَى رَأْيَهُ وَيَدِينُ دِينَهُ“ قَالَ : ”وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ كُلُّ أَحَدٍ فِي نَفْسِهِ ، وَلِذَلِكَ شَرَطَ بَعْضُهُمْ فِي الْكَاتِبِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَذْهَبِ الْمَلِكِ الَّذِي يَتِمَّذَّبُ بِهِ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُسْلِمِينَ لِيَكُونَ مُوَافِقًا لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ“ .

وَلَمَّا فَتَحَتِ الصَّحَابَةُ (رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) مِصْرَ ، بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَسْتَعْمَلَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمُسْلِمِينَ كَافِرًا فَاجَابَهُ عُمَرُو : بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْآنَ لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ الْبِلَادِ ، وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَقَادِيرِ خَرَاجِهَا ؛ وَقَدْ أَجْتَهَدْتُ فِي نَصْرَانِيَّ عَارِفٍ مَنَسُوبٍ إِلَى أَمَانَةِ إِلَى حِينَ مَعْرِفَتِنَا بِهَا فَنَعَزِلُهُ ؛ فَغَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ : كَيْفَ تُؤْمِنُهُمْ وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ ؟ وَكَيْفَ تُعَزِّهِمْ وَقَدْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ ؟ وَكَيْفَ تَقْرَبُهُمْ وَقَدْ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ ؟ ثُمَّ تَلَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ الْآيَةَ وَقَالَ فِي آخِرِ كِتَابِهِ ”مَاتَ النَّصْرَانِيَّ وَالسَّلَامُ“ .

وَقَدْ رَوَى أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمَعَهُ كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ فَأُتِجِبَ عُمَرُ بِخَطِّهِ وَحَسَابِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ ”أَحْضِرْ كَاتِبَكَ لِيَقْرَأَ“ فَقَالَ أَبُو مُوسَى ”إِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ لَا يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ“ فَزَبَرَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ ”لَا تُؤْمِنُوهُمْ ، وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تُدْنُوهُمْ ، وَقَدْ أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ ، وَلَا تُعَزِّوهُمْ وَقَدْ أَذْلَهُمُ اللَّهُ“ .

وَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْأَمِّ : ”مَا يَنْبَغِي لِقَاضٍ وَلَا وَاِلِ أَنْ يَتَّخِذَ كَاتِبًا ذِمِّيًّا ، وَلَا يَضَعَ الذِّمِّيَّ مَوْضِعًا يَفْضُلُ بِهِ مُسْلِمًا . وَيَعَزُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ

حاجة إلى غير مسلم . وجزم الماوردي والقاضي أبو الطيب والبندنجي وابن الصباغ وغيرهم من أصحابنا الشافعية رحمهم الله أنه يشترط في كاتب القاضي أن يكون مسلماً وهو الأصح الذي عليه الفتيا في المذهب .

وإذا اشترط الإسلام في كاتب القاضي والوالي ففي كاتب السلطان أولى لعموم النفع والضرب به .

قال أبو الفضل الصوري : "ولا شك أن كاتب الإنشاء من أحوج الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى في أثناء محاوراته وفصول مكاتباته ، والتأمل بنواحيه وأوامره ، والتدبر لقوارعه وزواجره ، وهو حلية الرسائل وزينة الإنشاءات ؛ وهو الذي يَسُدُّ قَوَى الكلام ، ويثبت صحته في الأفهام ؛ فتى خلت منه كانت عاطلة من المحاسن ، عارية من الفضائل : لأنه الحجة التي لا تُدْحَضُ ، والحقيقة التي لا تُرْفَضُ ؛ فإذا كان الكاتب غير مسلم لم يكن لديه من ذلك شيء ، وكانت كتابته مغسولة من أفضل الكلام . وخالية مما يتبرك به أهل الإيمان والإسلام . ومقصرة عن رتبة الكمال . ومنسوبة إلى العجز والإخلال . فإن تعاطى الكاتب الذمى حفظ شيء منه وكتبه فقد أيجت حرمة كتاب الله تعالى وأتتهكت ، وأمكن منه من يتخذ هزوا ولعبا والله سبحانه يقول في كتابه المكنون ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ . فقد صح أنه لا يجوز أن يرقى إلى هذه الرتبة إلا مسلم" قال : "ولا يحتج بالصابي وأنه كتب للطيع والطائع من خلفاء بني العباس ، ومعز الدولة ، وعز الدولة من ملوك الديلم ، وهما يومئذ عمدة الإسلام وعُضْدُ الخلافة ، وهو على دين الصابئة . فإن الصابي كان من أهل ملةٍ قليل أهلها ، ليس لهم ذكر ولا مملكة ، وليس منهم محارب لأهل الإسلام ، ولا لهم دولة قائمة فتخشى غائلته وتُخَافُ عاقبته .

الصفة الثانية، المذكورة — فقد صرح أصحابنا الشافعية، بأنه يُشترط في كاتب القاضى أن يكون ذكرا، وإذا اشترط ذلك في كاتب القاضى ففى كاتب السلطان أولى لما تقدم من عموم النفع والضربه . وقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال فى حق النساء ”جَنَّبُوهُنَّ الْكِتَابَةَ، وَلَا تُسْكِنُوهُنَّ الْغُرَفَ، وَأَسْتَعِينُوا عَلَيْهِنَّ بِلا : فَإِنَّ نَعْمَ تُضَرِّيَهُنَّ فى الْمَسْأَلَةِ“ . ومرة على كرم الله وجهه على رجل يعلم امرأة الخط . فقال ”لَا تَزِدِ الشَّرَّ شَرًّا“ .

ورأى بعض الحكماء امرأة تتعلم الكتابة فقال : ”أَفْعَى تُسْقَى سُمًّا“ والله البسامى حيث يقول ! :

مَا لِلنِّسَاءِ وَلِلْكَتَا \* بِهِ وَالْعَمَالَةُ وَالْخَطَابَةُ !  
هَذَا لَنَا وَلِهِنَّ مِنْنًا أَنْ يَتَّيَّنَ عَلَى جَنَابِهِ

فإن قيل : قد كن جماعة من النساء يكتبن ولم يرد أن أحدا من السلف أنكر عليهن ذلك . فقد روى أبو جعفر النحاس بسنده إلى الحسن أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ! كانت تكتب فى مكاتباتها بعد البسملة : من المبرأة عائشة بنت أبى بكر حبيبة حبيب الله . وحكى جعفر بن سعيد أنه ذكر لعمر بن مسعدة كاتب المأمون توقيعات جعفر بن يحيى فقال : ”قرأت لأُم جعفر توقيعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للعانى“ . وذكر محمد بن على المدائنى فى كتاب القلم والدواة أن عاملا لربيدة كتب إليها كتابا فوقعت فى ظهره ”أن أصلح كتابك وإلا صرَفناك عن عمك“ فتأمل فلم يظهر له فيه شيء، فعرضه على بعض إخوانه فرأى فيه فى الداء لها وأدام كرامتك، فقال : ”إنها تخيلت أنك دعوت عليها فإن كرامة النساء دفهن“ فغير ذلك وأعاد الكتاب إليها فقبلته ؛ ومن كان هذا شأنه فكيف يقال أنه لم يؤهل للكتابة ؟ .

فالجواب أن حديث عائشة لم يصرّح فيه بأنها كتبت بنفسها ولعلها أمرت من يكتب فكتب كذلك بإملائها أو دونه ، وإن ثبت ذلك عنها فغيرها لا يُقاس عليها ، ومن عداها من النساء لأ عبرة به .

الصفة الثالثة ، الحرّية — فقد شرطوا في كاتب القاضى أن يكون حرا : لما فى العبد من النقص ، فلا يُعتمد فى كل القضايا ، ولا يُوثق به فى كل الأحوال ؛ فكاتب السلطان كذلك بل أولى كما تقدّم .

الصفة الرابعة ، التكليف — كما فى كاتب القاضى فلا يعول على الصبيّ فى الكتابة إذ لا وثوق به ولا اعتماد عليه .

الصفة الخامسة ، العدالة — فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسقا فإنه بمنزلة كبيرة ، ورتبة خطيرة ، يحكم بها فى أرواح الناس وأموالهم : لأنه لو زاد أدنى كلمة أو حذف أيسر حرف أو كتّم شيئا قد علمه أو تأول لفظا بغير معناه أو حرّفه عن جهته ، أدّى ذلك إلى ضرر من لا يستوجب الضرر ، ونفع من يجب الإضرار به ، وكان قد موه على الملك حتى مدح المذموم وذمّ المدوح . فتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المآثم ويزعه عن احتقاب المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع ، وأثر فعله من الأضرار ما لم تؤثره السيوف ، والله القائل !

وَلَضْرِبَةٌ مِنْ كَاتِبِ بَنَانِهِ \* أَمْضَى وَأَقْطَعُ مِنْ رَقِيقِ حُسَامِ  
قَوْمٌ إِذَا عَزَمُوا عَدَاوَةَ حَاسِدٍ \* سَفَكُوا الدِّمَا بِأَسِنَّةِ الْأَقْلَامِ

وأیضا فإنه لا يُقبل قول الفاسق فتضيع به المصالح ، وربما حمله الفسق وعدم الاكتراث بأمور الدين على وهن يدخله على الدين بقلبه ، أو ضرر يجلبه بلسانه .

وأيضاً فالكتابة ولاية شرعية والفاسق لا تصح توليته شيئاً من أمور المسلمين ؛ وقد أطلق القاضي أبو الطيب والماورديُّ من أصحابنا الشافعية القولَ باشتراط العدالة في كاتب القاضي فيجب مثله في كاتب السلطان بل أولى على ما تقدّم .

الصفة السادسة ، البلاغة — بحيث يكون منها بأعلى رتبة وأسنى منزلة ؛ فإنه لسان السلطان الذي ينطق به ، ويُدَّه التي بها يكتب . ورُبَّ كاتبٍ بلغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى عن الكاتب ، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواضب ؛ وإذا كان جيدَ الفطنة صائبَ الرأي حسنَ الألفاظ ، نثّث له المعاني الجزلة فيجلوها في الألفاظ السهلة ، ويختصر حيث يكون الاختصار ، ويُطيل حيث لايجد عن الإطالة بُدّاً ويتهدد فيملاء القلوب روعةً ، ويشكر فيُلقي على النفوس مسرةً ؛ وإن كتب إلى ملك كبير وذى رتبة خطير عظم مملكة سلطانه ونغمها في معارض كلامه من غير أن يوجد أن ذلك قصده .

الصفة السابعة ، وفور العقل ، وجرالة الرأي — فإن العقل أَسُّ الفضائل وأصل المناقب ؛ ومن لا عقل له لا انتفاع به ، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله ؛ فإذا كان تامَّ العقل كامل الرأي ، وضع الأشياء في مكاتباته ومحاطباته في مواضعها ، وأتى بالكلام من وجهه ، وخاطب كلَّ أحد عن سلطانه بما يقتضيه الحال التي يكون عليها ؛ فيشتد ما كانت الشدة نافعة ، ويلين حين يكون إلى اللين محتاجاً ، ويوبخ من لا يقتضى فعله أكثر من التوبيخ ، ويذم من تعدى إلى ما يستوجب الذم ؛ ويأتى بالمكانبات التي يقتضيها الأحوال واقعةً مواقعها صائبةً مرامياً .

الصفة الثامنة ، العلم بمواد الأحكام الشرعية ، والفنون الأدبية ، وغيرها مما يأتي بيانه — إذ الجاهل لا تميز له بين الحق والباطل ، ولا معرفة تُرشده إلى الطرق المعبرة في الكتابة ؛ ومن سلك طريقاً غير دليل ضل . أو تمسك بغير أصل زل .

الصفة التاسعة ، قوة العزم وعلو الهمة وشرف النفس — فإنه يكتب الملوك عن ملكه . وكل كاتب يجذبه طبعه وجيلته وخيمه في الكتابة إلى ما يميل إليه ، ومكتابه الملوك أحوج شيء إلى التفعيم والتعظيم ، وذكر التهاويل الرائعة والأشياء المرغبة ، فكلما كان الكاتب أقوى نفساً وأشدَّ عزماً وأعلى همة ، كان في ذلك أمضى وعليه أقدر ، ومهما نقص في ذلك نقص من كتابته .

الصفة العاشرة ، الكفاية لما يتولاه — لأن العاجز يدخل الضرر على المملكة ويوجب الوهن في أمر المسلمين ، وربما عاد عليهم عجزه بالوبال ، أو أدى بهم ضعفه إلى الاضطراب والاختلال .

## الضرب الثاني

### (الصفات العرفية)

قال المهذب بن ممتا في كتابه "قوانين الدواوين" : "ينبغي أن يكون الكاتب أدبياً ، حادّ الذهن ، قوى النفس ، حاضر الحسّ ، جيد الحدس ، حلوّ اللسان ، له جرأة ، ثبت بها الأمور على حكم البديهة ، وفيه تودة يقف بها فيما لا يظهر له على حدّ الروية ، شريف الأنفة ، عظيم الزاهة ، كريم الأخلاق ، مأمون الغائلة ، مؤدب الخدام" .

قال محمد بن ابراهيم الشيباني : من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر الهامة ، وخفة اللهازم وكثانة اللحية ، وصدق الحسّ ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وخطف الإشارة ، وملاحة الزيّ . قال : ومن حاله أيضاً أن يكون بهي الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، حسن البيان ، رقيق حواشي اللسان ، حلو الإشارة ، مليح الاستعارة ، لطيف المسلك ، مستفقر المركب ،

ولا يكون مع ذلك قَصْفًا جِلْمَةً، متفاورًا الأجزاء، طويل الحية، عظيم الهامة؛ فإنهم زعموا أن هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة؛ والله القائل !

وَسَمُولٍ كَأَمَّا أَعْتَصَرُوهَا \* مِنْ مَعَانِي شَمَائِلِ الْكُتَابِ

وقال أبو الفضل الصوري : ” ينبغي أن يكون الكاتب فصيحًا بليغًا أدبيًا، سنيّ الرتبة، قوى الحجّة، شديد المعارضة، حسن الألفاظ؛ له ملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذم المحمود“ .

قال المذهب بن ممتى : ”أما حسن الهيئة فإنه يرجع في ذلك إلى ما يعلمه من حال مخدومه من إشارته إظهار نعمته على من هو في خدمته أو إخفاؤها“ . قلت : وهذا قد يخالف ما تقدم : من أنه ينبغي أن يكون الكاتب بهي الملبس . وبالجملة ففصاحة اللسان، وقوة البيان، والتقدم في صناعة الكتابة هو الذي يرفع الرجل ويعظمه دون أثوابه البهية، وهيئته الزاهية . بل ربما كان التعظيم في الفضل لرتّ الحالة المنحط الجانب أكثر، وترجيحه على غيره أقرب .

وقد قال سهل بن هرون كاتب المأمون، وهو من أئمة هذه الصناعة : ”لو أن رجلين خطبا أو تحدّثا أو احتجّا أو وصفاً وكان أحدهما جميلاً بهياً، وللباساً نبيلاً . وذا حسب شريف؛ وكان الآخر قليلاً قبيحاً : وبأد الهيئة دميماً، وخامل الذكر، مجهولاً : ثم كان كلامهما في مقدار واحد من البلاغة، وفي درج واحد من الصواب، لتصدّع عنهما الجمع وعامتهم يقضى للقليل الدميم على النبل الجسيم، وللباد الهيئة على ذى الهيئة؛ ويشغلهم التعجب منه عن مناوأة صاحبه، ولصار التعجب على مساواته له سبباً للتعجب به، والإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه . لأن النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أياس، ومن حسده أبعد؛ فلما ظهر منه خلاف ما قدره وتضاعف

(١) في الأصل المعارضة وهو تصحيف من الناصح .

(٢) هو فعيل من دم الرجل باهمال الدال بمعنى قبح منظره وإعجابه في الأصول تصحيف فتنه .



حُسْنُ كلامه في صدورهم كِبَرٌ في عيونهم: لأن الشيء من غير معدنه أغرب؛ وكلما كان أبعدَ في الوهم كان أظرف؛ وكلما كان أظرفَ كان أعجب؛ وكلما كان أعجبَ كان أبعد؛ وإنما ذلك كنوادر الصبيان وملح المجانين؛ فإن استغراب السامعين لذلك أعجب، وتعجبهم منه أكثر. قال: "والناس موكِّلون بتعظيم الغريب واستظراف البديع، وليس لهم في الموجود الراهن ولا فيما تحت قدرتهم من الرأي والهوى مثل الذي معهم في الغريب القليل وفي النادر الشاذ؛ وعلى هذا السبيل يستظرفون القادم إليهم، ويرحلون إلى النازح عنهم، ويتركون مَنْ هو أعمُّ نفعاً، وأكثر في وجوه العلم تصرفاً، وأخف مؤنةً وأكثر فائدةً".

## الفصل الثاني

(في آداب الكتاب؛ وهي على نوعين)

### النوع الأول

(حُسْنُ السيرة وشرف المذهب؛ ولذلك شروط ولوازم)

منها اعتماد تقوى الله تعالى في الأسرار والإعلان، والإظهار والإبطان، والمحافظة عليها، والاستنادُ إليها في مبادئ الأمور وعواقبها. فإنها العروة التي لا تنقسم، والحبل الذي لا ينصرم، والركن الذي لا ينهدم، والطريق التي مَنْ سلكها آهتدى، ومَنْ حاد عنها ضلَّ وتردَّى؛ والمحافظة على شرائع الدين التي فرضها الله تعالى على خلقه، والحذر من الاستخفاف فيها بحقه، وتوقُّ غضبه بتأديتها، والاستجنان من شقاء الدنيا والآخرة بتوقيها<sup>(١)</sup>.

(١) كذا في الأصول من الوقاية ولعله بتوفيتها من الوفاء تأمل.

(١) ومنها طلب الأجر بما يُئيله من عز سلطانه ويُجديه من فواضل نعمائه ؛ وهذا هو أصح الأغراض التي يجب على كل عاقل أن يقدمه على كل غرض ، ويحصل منه على السهم الوافر ؛ فلا خير في دنيا تنقطع السعادة عنها ، وإنما السعادة بعد الموت ﴿ والدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ ؛ ومن آختر الفاني المنصرم على الباقي الدائم ، فقد خَسِرَت صفقته ، وبارت تجارتَه .

والطريق الموصل إلى هذا المقصد صلاحُ النية فيما يتولاه من أمور السلطان ، وقصدُ النفع العام له ولرعيته ، والاجتهادُ في إغاثة الملهوف ، والأخذ بيد الضعيف ، والنفع بجأه عند سلطانه ، وحمله على العدل في الرعية ، فإذا توثق ذلك فاز بثواب الله تعالى ، وقضى حق السلطان فيما عرضه له من الشكر والأجر ، وقابل نعمة الله التي أقدره بها على هذه الأفعال الجميلة بما يرتبطها عنده ويستقر بها لديه .

ومنها : مجانبة الرِّيب والتنزّه عنها ، والطهارةُ منها . فانها تُسخط الله تعالى ، وتذهب بمهابة المرء ، وتُسقطه من العيون والقلوب . وأحقُّ مَنْ راعى ذلك من نفسه من بين أتباع السلطان أهل هذه الصناعة لأختصاصهم به ، ولطف منزلتهم عنده . إذ المشهور عند نقلة الآثار أن الذين تقدموا من صدورهم ومشايخهم كانوا من جلة العلماء ، وسادة الفقهاء ، وأفاضل أهل الورع ، المبرئين من الدنَس والطمع ، المميزين على القضاء والحكّام ، في الاستقلال بعلوم الإسلام ؛ المتميزين عنهم بفضل الآداب ، ورواية الأشعار ، والعلم بالأيام والسير ، والارتياض بآداب الملوك وعِشرتهم ورسوم صحبتهم ، وغير ذلك مما ينظم في صناعتهم . فقد ساوَوْهم في علم الدِّين ، وفاقَوْهم فيما تقدّم ذكره مما لا يشاركونهم فيه . والسلطان والدِّين قرينان لا يفترقان ، وعَوْنان على صلاح البلاد والعباد ، فلا يحتمل السلطان ما ينكره الدِّين لأنه تابعه ورديفه .

(١) أى الثواب ولعله مصحف عن الآخرة كما يدل عليه السياق .

ومنها لزوم العَفَاف والصَّيَّانة فيما يتولاه للسلطان من أعماله ، ويتصرف فيه من أشغاله ، والتعفف عن المطامع الذميمة . والمطاعم الوخيمة ، والترفع عن المكاسب اللثيمة ؛ فان ذلك يجمع القُرْبَةَ إلى الله تعالى والحُظْوَةَ عند السلطان ، وجميل السيرة عند الرعية — حتى إن هذه الطريقة قد تقدّم بها عند السلطان المتخلفون في الفهم والمعرفة ، وسادوا على مَنْ لا يقاربونه في غِنَاء ولا كفاية ، وحصلوا على الأحوال السنية ، والمنازل العلية ؛ وقرب بها مَنْ كان بعيدا على مَنْ كان قريبا ، ومن لا مكانة له ولا حرمة على مَنْ له مكانة وحرمة ، وأستدنى لأجلها مَنْ لا يترشح لخدمة السلطان . ثم الذى يلزمه أن يعتمد التمسك بالصيانة والعَفَاف الذى عليه نظام معيشته ، والارتفاع فيما يحل ويطيب له من جاه خدمته — فانه قد قيل ”الزم الصحة يلزمك العمل“ . لا أنه يمتنع من المنافع التى تصل إليه من أطيب المكاسب ، وتسلم من تبعات العاجل والآجل ، وتخلص من قبيح الأحداث وإطلاق ألسن الحَسَدَةِ بالظعن والتأنيب ، وينال بجاه السلطان وتفوذ الأمر من غير خيانة للوُتَمِن ولا اشتكاء للرعية — فانه أولا هذه المنافع لغنى الانسان بالقناعة ، ورضى بالكفَّاف ، وسلم من المخاطرة بدينه ودنيه فى سلامة السلطان . اذ لا يجوز أن يستفرغ وسعته ويعرض نفسه للخطر فيما لا تحسن له عائدته ، ولا تخلص منه فائده ، فى جاه ولا مال . وقد علم ما كان عليه أهل هذه الطبقة فى سائر الدول وما حصلوه من الذخائر وأقتنوه من القُنِيَّات النفيسة ، التى أقدرتهم على إظهار مُروءاتهم ، واتخاذ الصنائع عند الأحرار ، وحراسة النعم على الدوائر والأعقاب . وإنما حصلوا على ذلك من حيث معرفتهم بوجوه المكاسب ، وأبواب المرافق ، لا من الخيانة وذميمة الطعم — لأنهم كانوا فى أزمنة لا يغضى فيها عن متكسب من رشوة ولا مصانعة ولا اغتصاب ولا سبب من أسباب الظلم وإن جلت منزلته وعظمت مرتبته

ومنها طلب الثناء والحمد وهو من أفضل المقاصد السنية وأعلىها رتبة — لأنه يتلو الأجر في البقاء والدوام ، وكلما كانت المهمة أعظم وأشرف ، كانت إليه أرغَبَ وبه أَكَلَفَ . ولفضل هذا رغب فيه الاشراف وعليه الناس حتى قال الخليل عليه السلام ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ . وأولى الناس باقتناء ذخائر الحمد وأقراض فرض الشكر من عَرَضَ الله تعالى جأهه ، وطول يده ، وأمضى عند السلطان لسانه ، فينبغي أن يختار هذه المَكْرُمة ، ويقوم بالنصيب الأوفر منها ، ولا يتغَلَّ بجأهه ولا ماله على قاصد ولا مؤمل ولا ذي رَحِمٍ وذِمَامٍ ، ولا يُضَجِّع في أمر بطانته وحاشيته وأصحابه ، ولا يَضَيِّق عليهم مع سَعَتِهِ ، ولا يقصِّر بهم في كِفَايَتِهِ ، ويجعل آكتسابها بجأه وماله دون أموال سلطانه — فإن كثيرا من المتصرفين بذلوا ما أوْتُمِنُوا عليه في هذا الغرض ورَضُوا به أهل الشفاعات والرسائل ، فأعقبهم ذلك زوال النعم ، وسقوط الرتبة وذهاب المال ، والوسم يسم الخيانة والبوار إلى الأبد . ولا يبالغ في آبتناء المعالي واقتناء المحامد وبذل الرغائب وارتفاع الهمم ، فإن ذلك مما يختص بالملوك ولا ينبغي لأحد من أتباعهم من كاتب ولا غيره الإقدام عليه مُفَاخِرًا ولا مُكَاثِرًا ولا مقاييسا ، فيكون قد عدا طوره ، وأضلَّ رُشدَه ، وتعَرَّضَ للعَطَب مع سلطانه ، وأوجد الطريق إلى سُوء الظن به ، وفوق سهام الحَسَدَةِ إليه ، وأطلق ألسنتهم بالطعن عليه ؛ وربما أدى به ذلك إلى سقوط المِزَلَةِ ان سلمت نفسه .

ومنها الاقتصاد في طلب اللذة ، والاقتصار من ذلك على ما يُقيم المروءة من أفضل الأخلاق وأشرفها : بأن يكون تناوُلُهُم ما يتناولونه من ذلك بسلوك طريقة مجودة يظهر فيها أثر التدبير السديد والرأى الأصيل ، من غير خروج الى الإقبال على اللذات . والانهماك في الشهوات . فان ذلك غير مُستَحْسَنٍ لِلْمَلِكِ ولا سُوقَةٍ لَهُ جالب للأسقام ، قاطع عن الأمور المهمة التي يجب صرف العناية إليها في صلاح المعاش

وأمر الآخرة؛ ولكن لا يكلف ترك اللذات جملة — اذ لا بد لكل أحد من ذوى الرتبة العلية من الأخذ بنصيب منها ، لما جُبِلَتْ عليه الطبائع من الميل إليها والرغبة في الاستمتاع بالنعم والملاذ ولكل منها حظ يضاهى رتبته .

وأهل هذه الصناعة لاختلاطهم بالملوك ومشاركتهم لهم في آدابهم لا غنى بهم عما يقيم مروءاتهم من اللذات المشابهة لأقدارهم ومواضعهم من السلطان .

### النوع الثانى

حُسْنُ العِشْرَةِ — التى هى من أفضل الخلائق الموجودة فى الغرائز طبعاً والحاصلة بالتخلق تكسباً وتطبعاً ، وأعوْنِها لمصالح الحياة والمعاش ومحبة الخاصة والعامة وحصول الشئ والشكر والمودة من الأفاضل الأخيار ، وكفاية الأراذل الأشرار ، وان لم يلتزمها الكاتب طوعاً حمل عليها كرها .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَدَبَ المَعَاشِرَةِ عَلَى خَمْسَةِ أَضْرَبَ :

### الضرب الأول

(عِشْرَةُ المُلُوكِ والعِظَمَاءِ)

قال على بن خلف : ولا يُقُومُ بِآدَابِهَا وَأَكْلِ رِسُومِهَا إِلَّا مَنْ عَلَتْ فِي الْأَدَبِ دَرَجَتُهُ ، وَسَمَتْ فِي رَجَاحَةِ الْعَقْلِ مِثْلَتُهُ ، وَتَمَيَّزَ بِغَرِيزَةٍ فَاضِلَةٍ وَأَدَبٍ مَكْتَسَبٍ ، وَصَبَرَ عَلَى الْمَشَاقِّ فِي التَّحَلِّيِّ بِالْهَمَمِ الشَّرِيفَةِ ، وَالسَّمْعِ إِلَى الْمَنَازِلِ الْلطِيفَةِ ، مِنْ عِزِّ السُّلْطَانِ وَمُسَاعَدَةِ الزَّمَانِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ تَصْرِيفِ النَّفْسَيْنِ الْحَيَوَانِيَةِ وَالشَّهْوَانِيَةِ عَلَى أَغْرَاضِ النَّاطِقِيَةِ وَمِطَاوَعَتِهَا ، وَأَخَذَ هُمَا بِقَبُولِ مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ وَتَبْعَتْ عَلَيْهِ لِأَنَّ صَحْبَةَ السُّلْطَانِ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَصَاحِبَهُ رَاكِبٌ خَطَرٌ جَسِيمٌ ، بِتَمْلِكِهِ نَفْسَهُ لِمَتَحَكَمٍ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ ، قَادِرٌ عَلَى نَفْعِهِ

وَضُرَّه ؛ لا يَرِدُه عن مِقابِلَتِه على سِيرِ الخِيانَةِ بِكَبيرِ النِّكايةِ إِلَّا ما يُؤمِّلُ من صَفَحِه ومِسامِحتِه ، وِيرجُو من عَظَمِه ورَأفَتِه . وأَوَّلُ ما يَجبُ على المِنتَصِلِ بِخِدمَةِ السُّلطانِ النِّظَرُ في عِواقِبِ أُمُورِه وحِفظُ نَفْسِه من جَريرةٍ يَحُثُّها عَلِيا باغِفالِه فِرْضاً من فِرْوَضِ طاعَتِه ، وتَضْييعِه المِحافظةَ على حَقُوقِ خِدمَتِه ، والعِلمُ بأنَّ لِكُلِّ مِصْحوبٍ خُلُقاً يَغلِبُ عَلِيه ، وِيرجِعُ بِغَرِيزَةِ الطَّبِيعِ إِلِيه ، لا يَمِكنُه التَّزَوُّعُ عَنه ولا المِفارِقَةُ لَهُ ؛ إِذِ التَّنَقُّلُ عَنِ الطَّباعِ ، شَدِيدُ الامْتِناعِ ، في الخِدمِ والِاتِّباعِ ؛ فَكِيفَ المِملُوكُ والرُّؤِساءُ الَّذينَ لا يَقبَلُونَ بِلُومٍ على خُلُقٍ مِذْمُومٍ ؛ بَلِ العِبادَةُ جاريةٌ في أَدبِ خِدمَتِهِم بأنَّ يَصُوبُوا ما يَركِبُونَه من خَطِئٍ وَيَحْسِنُوا ما يَواقِعُونَه من قَبِيحٍ . فَعَلِيه أنْ يَنزِلَ عَن أَخلاقِه لِأَخلاقِ سُلطانِه ، وما خالَفَ سِجِّينَتِه في إِصْلاحِ زِمانِه ؛ وأنْ يَنزِلَ عَن هِواهِ لِهِواهِ ، وَيَتَّبِعَ فِما يَسْخَطُه وَيَأْباهُ ، ما يُؤَثِّرُه سُلطانُه وَيَرْضاهُ . وَيَنبَغِي أنْ لا يَعرِضَ نَفْسَه لِمَا يُسْقِطُ مِنزِلَتَه وَيُفْسِدُ عاقِبَتَه ولا يُوجِدَ لِلزَّمانِ طَريقاً إِلى التَّنَكُّلِ ، وَيُعِينَه بِتَفْوَيقِ سِهامِه والتَّصَدَّى لِمِواقِعِها . وَقَدْ عِلمُ أَنَّ الزَّمانَ وانْ عَمَّ بِنِوائِبِه فَإِنَّه يَخْصُصُ صاحِبَ السُّلطانِ مِها بِما يَزِيدُ على نَصيبِ غِيرِه . ومن أَشَقِّ الأَحْوالِ أنْ يُدْفَعَ الإِنسانُ إِلى تَغْييرِ السُّلطانِ مَعَ كَوْنِ السَّبَبِ في ذَلِكَ شَيْئاً جِزَه إِلى نَفْسِه بِسِوءِ اِختِيارِه ، لِمَا يَجْتَمِعُ عَلِيه في ذَلِكَ من مِراةِ النِّكَبَةِ ، وَحرارةِ المِغَبَّةِ ، وتَقْرِيعِ مَنْ يُزْرِى على عِقلِه ، وَيُؤَنِّبُه بِجِهلِه .

ثمَّ اِنَّه يَلْزِمُه بَعْدُ الاِحتِياطُ فِما تَقَدَّمَ عِدَّةُ خِصالٍ اَيضاً .

مِها الإِخلاصُ وَهُوَ قِوامُ الأَمْرِ في المِصاحِبَةِ ؛ فَإِنَّ مَنْ صَحِبَ سُلطاناً بِعَقِيدَةٍ مَدْخُولَةٍ في وِلايَتِه ، مَشْهُوبَةٍ في مِحبَتِه ، لَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ ولا لِسُلطانِه أَمْرٌ : لِأَنَّ الضَّمايرَ المَذْوَقةَ والنِّياتِ السَّقِيمَةَ لا بَدَّ أنْ يَصْرَحَ بِها فِها وَيَظْهَرَ ما في دَخيلَتِها ؛ وَإِذا اتَّضَحَ ذَلِكَ لِلسُّلطانِ لَمْ يَقنَعْ إِلَّا بِإِتلافِ نَفْسِه ، وإِذهابِ مُهْجَتِه .

(١) لَعَلَّه المَذْوَقةُ . أَى غِيرِ الخالِصَةِ من قِولِهِم مَذَقَ فلانِ الوَدَّ إِذا لَمْ يَخْلَصْ . تَأَمَّلْ .

ومنها النصيحة، وهى ترب الإخلاص . والطريق الموصل إلى التوفية بها أن يطالع السلطان بكل ما يفتقر إلى العلم به من خاص أموره وعامّها، وعلى من استخلصه السلطان لنفسه، وأثمنه على رعيته، وأنطقه بلسانه، وأخذ وأعطى بيده، وأورد وأصدر برأيه، وتخيّر هذه المنزلة من بين رؤساء دولته وأعيان مملكته : أن لا يستتر عنه دقيقاً ولا جليلاً من أحوال ما فوضه إليه، ولا يقف عن إنهاء تفاصيله وجملة توقيماً من لوم لائم، ولا يحمله فرط النصح له على الإضرار برعيته، ولا الرغبة في إثبات حقه على تضييع حقوقها، ولا القيام بما يجب له دون ما يجب لها — فإنها به وهو بها .  
ومنها الاجتهاد فيما يباشره من أحوال سلطانه بما يعود عليه نفعه بحيث لا يبيق في ذلك ممكناً، ولا يدع فيه شأواً للاحق .

ومنها كتمان السر . وهو من أفضل الآداب في صُحبة السلطان وغيره، وأعوذها بالفلاح على صاحبها : لأن كثرة الانتشار الداخل على الدول إنما توجه بتفريط بطائنها وصاحبها في أسرارها، وإظهارهم بما تقرّر في أذهان الملوك وعزائمهم قبل أن يظهروه، فيجد العدو بذلك الطريق إلى معالجة آرائهم بما ينقضها، ومقابلتها بما يفسدها . على أن إفشاء السر من الأخلاق التي طبع أكثر الناس عليها، وحيل بينهم وبين الإقلاع عنها، فمن علم من نفسه ذلك فليحذر معاملة السلطان في أسرارهِ وبواطنِ أموره، ولا سيما ما وُجد منها في باب حروبه ومكايده، فإنه إن ظهر منه على خيانة في السر، عرض نفسه للهلكة .

ومنها الشكر فانه وإن كان واجبا على الإنسان مع أ كفائه ونظرائه فانه مع السلطان الذى يَسْتَظِلُّ بظله، ويستدرّ أخلاف فضله أوجب . إذ المرء قد يقدر على مكافأة عارفة صديقه بما يُضاهيها ويزيد عليها، ولا يقدر على مكافأة سلطانه إلا

بشكر نعمته، والمحافظة على حقوق خدمته . ثم الشكر بالقول يرتفع بين الرئيس والمرئوس، والخادم والمخدوم، إلا السير الذي يقضى به حق الخدمة : لأن الإكثار منه داخل في حكم الملق والتثقل ؛ وإنما يظهر شكر الخادم من أفعاله .

ومنها الوفاء . وهو من أهم الخصال اللازمة وأكدها ؛ إذ هو الطريق إلى صلاح العباد وعمارة البلاد ؛ بل هو رأس مال الكاتب وربحه ودوام عمله ، والسبب الذي لأجله ترغب السلاطين في صحبته : لأنهم ما برحوا يقرّبون صاحب هذه الخصلة ويرونه أهلاً للاختصاص ، موضعاً للثقة ؛ ولا أسوأ حالاً ممن نزل هذه المنزلة وهو بخلافها .

ثم الوفاء يكون بإظهار النصيحة، وبذل الاجتهاد، وقصد المخالصة، ومقابلة كل نعمة تُفاض عليه بالنهضة فيما <sup>(١)</sup>أستند إليه : ليدعو ذلك سلطانه إلى <sup>(٢)</sup>رب النعمة لديه ، وإقرارها عليه .

ومن شروط الوفاء أن يلتزمه صاحبه لسلطانه ، في حال سعادته ، وإقبال دولته ، وفي حال توليها عنه وعُطلته . أما في حال إقبال الدولة عليه فإن يصحبه بقلبه دون بدنه ولا يتطلب صاحباً غيره ينتقل إلى صحبته ، ويستبدل بخدمته من خدمته ؛ ولا يحدث نفسه بأنه متى وجد أنفع منه عدل إليه ؛ ولا أن يرتب له جهة أخرى يجعله مقدّمة لأمر يترقبه : لما في ذلك كله من الخروج عن حدّ الإخلاص المقدم وجوبه . وأما في حال أنصراف الدولة عن صاحبه ، فإنه لا يباينه مباينة المساعد للزمان عليه ، الموافق للقادير فيه ، ولا يخونه عند حاجته إليه ، ولا يضيع حقوقه عنده وصنائعه لديه ؛ ولا ينحاز بكليته إلى من أقبلت أمور السلطان عليه ؛ فإن ذلك

(١) في الضوء . أسند . وهى أوضح .

(٢) أى زيادة النعمة .



ما يدل على خُبث السجية ومقابلتها على الإحسان بالإساءة ، وأستعمال العقوق ،  
وأطراح الحقوق .

ومنها مجانبة الإدلال . إذ الدالة على السلطان والرئيس من أعظم مصارع التلّف ،  
وأقرب الأشياء إلى زوال النعم ، ولأجلها هلك من هلك من بطانة السلطان وبخاصته  
ووزرائه ، وفي قصصهم عبرة لمن أنعم النظر في تأملها . وعليه أن يعول في الاعتداد  
بخدمته ونصائحه له على أشتهارها وظهورها ، ولا يفيض في تعديدها وذكرها ، ولا  
يوصل التثقيّل بأغراضه والإلحاف بأسئلته ، ولا يظهر التشحّب عند التقصّر به ،  
ولا الغضب اتكالا على سالف خدمة ، وقليل حرمة ؛ وأن يتناسى ما أسلفه من  
الخدمة والصحة ، ويكون في كل حال عارفا بعوارفه ، معتدا بفواضله ، موجبا  
الفروض له لآلئها ، فإن السلطان مجبول على أنفة النفس وعزّتها ، ولا يحتمل التنازل  
لأحد : لتزليه الكلّ منازل الخدم والأرقاء ، واعتقاده أنه سبب النعمة السابعة على  
الكافة ، وثقته بوجود العوض عن يفقده من الأعوان والأصحاب ، ومناصرة الناس  
على خدمته والانتساب إلى متابعتهم لما يصلون إليه من الخطوة ، وينالونه من الجاه  
والثروة . وإن كان في باطن حاله على خلاف ما يؤثر ، أظهر الشكر والاعتداد وتلطّف  
في بلوغ الغرض بأحسن تعريض ، ولم يطلق قلمه كتابا ، ولا لسانه مخاطبا ؛ فإن ذلك  
إضرار على همة المصحوب ، ودلالة على إخلاله بتفقد الصاحب ، لكن يذكر النعمة  
وسبوغها ، والمِنَّة وشيوعها ، ويسأل الزيادة فيها ومضاعفتها . فإن ذلك يفضى ببلوغ  
آماله ، وسداد أموره ، وسهولة مطالبه . وإذا زاده السلطان رفعة وتشريفا آزداد له  
تعظيما وتوقيرا . وإذا بسط يديه أن ينقبض عن كل ما يشينه ، وإذا خصّه بأثرة  
وتقريب أن يزيد الخاصة والعامة بشرا وإيناسا ، وإن آتهم بهفوة لم ينته في إقامة  
العُذر والاحتجاج على براءة الساحة إلى الغاية القصوى . بل يتوسط في ذلك ويسأل

من حُسْن الصَّفَح والإقالة وجَمِيل التَّغْمَد والعفو ما يجعل للإحسان وجهًا ، ولتَعَقُّبه للسخَط سببًا . فإنه إذا صدع بالجمحة في براءة الساحة ، فلا وجه لمعذرتة وفيه تكذيب لرئيسه ، وربما أدى إلى فساد ومُفَاكَّة .

ومنها التمسك بأداب الخدمة بالمواظبة عليها ، وصرف الأهتمام إليها ، إذ هي أعظم الذرائع إلى نيل الرتب وبلوغ المآرب ، والسبب الذي يقرب البُعداء ، ويرفعهم على أهل الوسائل والحُرم ، وذوى المَوَات<sup>(١)</sup> والخَدَم ؛ ويُعَمِّي عن كل شَيْن ، وَيُصِمُّ عن كل طعن . وما نال أحد عند السلطان مرتبةً إلا والمواظبة على خدمته سببها والمواصلة موجبها . وأولى الناس بلزوم السلطان كُتَّابُه الذين لا غنى به عن حضورهم ، في ليله ونهاره ، وأحيان شغله وفراغه : لأنه ربما بَدَّه ما يحتاج إلى استكفائه إِيَّاه وإسناده إليه ، وإن تأخر عنه في تلك الحال استدعى من مَوْجِدته وأَسْتَجَرَّ من لائمه مالا يُزِيلُه العذر إلا في المدة الطويلة . وَرُبَّمَا أَضْطَرَّ لَغَيْبته إلى احضار من يستكفيه ماعَرَضَ له وأدَّى ذلك إلى أَصْطِناعه وتصويره في مَقَامه وإن كان لا يساويه في فضل ولا علم ولا غناء ، بخلاف ما إذا وجده مُسَارِعًا إلى أمثلته ؛ فإن ذلك يزيد في حُظوته ، ويدعو إلى استخلاص مودَّته .

فيجب عليه أن يَخْصَّ سلطانه من زمانه بالقسم الأوفر ، والنصيب الأغزر ، ولا يُؤْثِر نيل لذَّةٍ عليه ، ولا بلوغ وَطَرٍ إذا أدى إلى تنكُّره ؛ فإن استطاع أن يوافقه على وقت يفرضه له يتمكن فيه من بلوغ أوطاره ، والوصول إلى مقاصده ، كان أحمدَ لعاقبته وأبلغَ لقصده ، وأحسَمَ لأسباب اللأمة في غَيْبته . ولا يَنْهَمِك في الملاذ أَنهَمَاك الآمن

(١) التَّغْمَدُ السَّر من قولهم تَغْمَدُ الله برحمته أى ستره .

(٢) جمع مائة — وهى الحرمة والوسيلة .

بل يقف عند الحد الذي يُبقي فيه فضلةً لعوارض السلطان ومهماته الحادثة في آناء الليل، وساعات النهار . فإن تعبه في صلاح زمانه وراحة سلطانه مستبقي لنعيمته ، مستدج لزيادته . ولا يشتغل بكبير الأمور عن صغيرها ، ولا يتبجح بما أصلحه منها حتى ينظر في عواقبه ، ويسوس ما رُدَّ إليه بالسياسة الفاضلة : فليلين في غير ضعف ، ويشتد في غير عنف ، ويعفو عن غير حور ، ويسطو من غير جور ، ويقرب بغير تدله ، ويبعد بغير نكر ، ويخص في غير مجازاة ، ويعم في غير تضييع ، فلا يشقى به المحق وإن كان عدواً ، ولا يسعد به وإن كان ولياً .

ومنها إذا حضر بين يدي سلطانه أو رئيسه في المجلس الخاص أو العام أن يعتمد مقابلته بالإجلال والإعظام ، والتوقير والإكرام ، ولا يحمله تأكد الخدمة وتطاول الصحبة على إهمال ذلك بل يحفظ رسمه ولا يغير عاداته .

ومنها أن يتخير لخطابه في الأغراض والأوطار أوقاتاً يعلم سره فيها ، وفراغ باله ، وأنشراح صدره ، وارتفاع الأفكار عن خاطره : إلا إن كان ما يخاطبه فيه أمراً عائداً بانتظام سلطانه ، واستقامة زمانه ، داخلاً في مهمات أعماله التي متى أخرها نُسب إلى التقصير ، فيقدم الكلام فيها خف أو ثقل . وإذا خاطبه رئيسه من سلطان أو غيره في أمر من الأمور ، فعليه أن يرعيه عينه وينصت إليه سمعه ، ويشغل به فكره ، ولا يستعمله فيما يعوقه عنه حتى يستوعب ما يليقه إليه ، ويحييه عنه أحسن الجواب . ولا يلتفت في حال إقباله عليه إلى غيره ، ولا يصغى إلى كلام متكلم ، ولا حديث متحدث ، حتى لو أمتحنه باستعادة ما فاضله فيه وجده قد أحرز جميعه ؛ فإن التقصير في ذلك مما ينكره الملوك والرؤساء ، ويستدلون به على ضعف المخاطب . وإن كان فيما خاطبه فيه أمر يحتمل التأخير بادر بالاعتذار عنه : لئلا ينسب إلى التقصير بتأخيره عند الكشف عنه ؛ وإن كان فيه ما يخالف الصواب

أمضاه؛ وإن تعذر السبيلُ إلى فعله لم يظهر التقاعُس عنه لتخطئته، بل يقابله بالآستصواب . ثم يتلطف في تعريفه مكان الخطأ فيما رآه .

ومنها أن يجرى في الحال في مجالسه على ما يعود بوفائه وإرادته . فإن مال إلى الانبساط أطلق عَنانه فيه إطلاق المتجنب للهجر والفُحش، ورَفَث القول تابعاً لإيثاره، قاضياً لأوطاره . وإن أظهر الآتقباض ذهب مذهبه في ذلك، ولا ينبغي أن يخالفه في حال من أحواله، فإن من شروط هذه الخدمة أن يتصرف صاحبها في كل ما يُصَرَّف فيه، ويُسرَع الاتقياد إلى كل ما يُدعى إليه؛ ولا يكثر من الدعاء لرئيسه والثناء عليه والشكر على ما يوليه من العوارف فإن مثل ذلك يستنقل .

ومنها أن لا يحضُر سلطانه في ملابسه التي جرت العادة أن ينفرد بها كالوشى ونحوه؛ إلا أن يكون هو الذي يشرفه بها، وأن يقتصد في لباسه : فينحط عما يلبسه سلطانه ويرتفع عما يلبسه السوقة، ويصرف عنايته إلى التنظيف والتعطر، وقطع الرائحة الكريهة من العرق وغيره، حتى لاتقع عينُ رئيسه على دَنَس في أثوابه، ولا يجد منه كريه رائحة في حال دنوه منه؛ ويواصل آستعمال الطيب والبخور الفائق والتضمُّخ بالمسك؛ فإن الملوك ترى أن من أغفل تعهد نفسه كان لغيرها أشدَّ إغفالا .

ومنها أن يتجنب التفاضح والتعمق في مخاطبة رئيسه، والافتخار عليه بالبلاغة والبيان : لما في ذلك من الترفع عليه في الكلام . بل يجعل ما يلقيه إليه ضمن ألفاظ تدلُّ على معانيها بسهولة مع غُصٍّ من صوته، وخفيض من طَرَفه، وسكونٍ من أعضائه : لأنه انما يُتَسامَح بالإتيان بالفصاحة والذَّهاب بمذهب الجزالة للخطباء الذين يُننون على الملوك في المواقف العامة ضرورة احتياجهم إلى آستعمال ألفاظ تقع في الأسماع أحسن المواقع .

ومنها أنه إذا تميز عند رئيسه وارتفعت رتبته لديه أن يُجمل القول في خاصته وعامته ،  
ويحسن الوساطة لحاشيته ورعيته ، ويتجنب القدح عنده في أكفائه ونظرائه من  
بطانته ، والمقرين من حضرته ، ليكون ذلك داعيا إلى محبته والثناء عليه مكافأة له  
وإمساك الألسن عن الطعن فيه .

ومنها أن يبادر إلى المشورة عليه بالصواب فيما يستشير فيه ، ويورده إيراد  
مستفيد لا مُفيد ، ومتعلم لا معلم ، ويتلطّف في أن يُوقعه من نفسه موقعا يدعوه إلى  
العمل به . فإن من عادة الملوك والرؤساء الأنفة من الاتقياد إلى ما ينتحله غيرهم من  
الآراء ولوكات صائبة ؛ وإن تمكّن من صياغة حديث يودعه فيه فعل مخادعة بذلك  
لنفسه الأبية وعزّته المتعاسة .

## الضرب الثاني

( آداب عشرة الأكفاء والنظرَاء )

قال علي بن خلف : ولا شك أن طريقة الاعتدال في ذلك الموافاة في الإخاء ،  
والمساواة في الصفاء ، ومقابلة كل حالة بما يُضاهيها . أما المسامحة بالحقوق والإغضاء  
عن قصر ، والمحافظة على ودّ من فترط ، فلا خلاف في فضله والتمدح بمثله ، لا سيما  
لمثل أهل هذه الصناعة التي يرتفع حق الاعتراء إليها عن حقوق القربات الدانية ،  
والأنساب الراسخة . ولذلك وقع في كلام بعضهم « الكتابة نَسَب » . قال علي  
ابن خلف : والمعنى فيه أن التناسب الحاصل بين أهلها تناسُبُ نفسانيٍّ لاجسمانيٍّ ،  
يحصل عن تناسب الصور القائمة في نفوسهم بالقوة ، وعن تناسبها بعد خروجها  
وظهورها من القوة إلى الفعل ، بدليل ما نراه من اتفاق خواطرهم على كثير من  
المعاني التي يستنبطونها ، وتواردتهم فيها . ولولا تناسُبُ الغرائز وتشابهها ، لم يكن  
أن يتواطئوا في أكثر الأحوال على معانٍ متكافئة متوافية .

قال : « وإذا كنا نحفظ من مَتَّ إلينا بالأنساب الجسميَّة التي لاتعارف بينها فأولُ أن نحفظ من مَتَّ إلينا بالأنساب النفسانيَّة التي يصح منها التعارف . ولذلك قال الحسن بن وهب : « الكتابة نفسٌ واحدة تجزأت في أبدان متفرقة » . وقال : لاعتبرة بما يقع بين بعضهم من التنافر والتباين ، لأن المناسبة إنما تقع عند المساواة . أما من وقع دون رتبة الآخر من الفضيلة فليس بمناسب له فيصيرُ القاصر حاسدا لمن فوقه ، للتقصير الذي فيه » .

وبكل حال فإنه يجب عليه أن يعرف لأكفائه حقهم ، ويحفظ مناسبتهم ، ويتوَّخى مساهمتهم ، ويتلقَّاهم بالإكرام والتميز ، ويعلمهم في أعلى المراتب عنده ، ويزيدهم على الإنصاف ولا يقصِّرهم عما يستوجبونه ويستحقونه ، ويتخوَّل بمثل ذلك نُظراءه في الرياسة من غير الكُتَّاب . وإن تعذر عليه الوصول إلى ملتصقهم أطاب قلوبهم بالوعد الجميل في المستقبل ، وأجتهد في الوفاء به .

### الضرب الثالث

#### ( آداب عشرة الأتباع )

قال علي بن خلف : وهي لاحقة بعشرة الأكفاء : لأن الذين يستعين بهم الكاتبُ يدعونُ كُتَّاباً ولا يدعونُ أعواناً ؛ وإنما الأعوانُ خُدامُ الشرطة ومن يجري مجراهم . قال : « وهم وإن كانوا أصحاب الكاتب ومرءوسيه وأتباعه ، فاسم الكتابة يجمع بينه وبينهم ، ومعاشرتهم داخلية في باب التكرم ، والتفضيل ، والاستئثار بحاسن الأفعال ومكارم الشيم » .

ثم قال بعد ذلك : « وينبغي أن يخصَّهم بالنصيب الأوفر ، من إكرامه ، والقسم الأغزر ، من ملاحظته وأهتمامه ، ويفرض لهم من التقديم والاختصاص وتفقد

الأحوال والشئون، والذي يتهى إليه أمل المرءوس من الرئيس : ليَجعل خدمتهم له بذلك خدمة مِقة ومودة، لخدمة خوف ورهبة ؛ وأن يحب خدمته إليهم بترك مناقشتهم ، والتضييق عليهم ؛ وإئالتهم من الترفيه في بعض الأوقات ما يحسدون به السبيل إلى الأخذ بنصيب من لذاتهم وأوطارهم التي تميل النفوس إليها، وتماقت عليها ؛ فإنهم متى لحقهم التعب والنصب ، أعترضهم الضجر والملال، فقصروا في الأعمال، وتهاونوا بالأشغال ؛ فلا بد لهم من راحة تصفوها أذهانهم ويزول عنها الكلال ، ولا يفسح لهم في مواصلة الراحة والإخلال بما يلزمهم ؛ فإن ذلك يحمل على سوء العادة وقبح المذهب . وعليه أن يحفظ لهم حقوق الصُحبة والخدمة ويؤجدهم من الإعانة ما فيه صلاح حالهم ؛ فإنه يستعبدُهم بذلك ويستخلص مودتهم إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها .

### الضرب الرابع

#### ( آداب عشرة الرعية )

قال ابن خلف : "وهو أمر عظيم النفع ، جسيم العائدة ، قاض بالسلامة . إذ لا يطيب لأحد عيش مع بغض الرعية له ، ونفورهم عنه ، وإن علت عند السلطان رتبته ، وأرتفعت طبقته ، وظن بنفسه الاستغناء عنهم" . قال : "فينبغي أن يوفر<sup>(١)</sup> العناية على استصلاحهم له ، واستمالة أهوائهم إليه ، ولين الجانب ، ووطاء الكنف ، وخفض الجناح ، والبسط والإيناس وتأليفهم : كما يوفرها على استصلاح السلطان وسياسته ، لتصح له رتبة التوسط بين الطبقتين ، ويسلم من طعن الطاعن ، ولوم اللائم ، ويبرأ من البغض والشحناء ، وينقلهم عما تسرع إليه الطباع الرديئة :

(١) أى ديانة الأخلاق كما يؤخذ من القاموس .

من الحسد والإيذاء إلى التألف والمودة . وقد أذب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ .

### الضرب الخامس

(آداب عشرة من يُمْتُ إليه بحُرْمَة ، كالجار ، والقاصد ، والآمل ، والمُدِلُّ بحقِّ  
المُفاوضة ، والمطاعمة ، والمحاضرة ، والسلام والمعرفة في الصِّبا ، والصدقة  
بين الآباء وغير ذلك من الحُرْم التي لا يَطْرَحُهَا أَهْلُ المروءات )

قال ابن خلف : ”وينبغي أن يوفيه حقوقهم ، وينهض بما يسبح من أوطارهم  
ومهماتهم ، ويعينهم على ما يحدث من نوائب زمانهم ، ويُسعد في بلوغ مطالبهم من  
سلطانهم ، ولا يَضِنَّ عليهم بجاه ولا مال ، ولا يُخَيِّبَ أَمَلَ آمِلهم ولا قَصْدَه ، ويفرض  
لهم من إزعاجه وأعتائه ما يُعزُّ جانبهم ، ويسمِّل مآربهم ، ويكف الضيم والظلم عنهم ،  
ويسسط العدل والإنصاف عليهم . فإنه إذا التزم ذلك لهم التزموا له الإعظام والإجلال ،  
وأطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه ، والاعتداد بأياديه ، وأشاعوا ذلك بين أمثالهم فاجتلبوا  
له مودتهم وتعصَّبهم له“ .

قلت : ومن تمام آداب الكاتب وكما لها أن يعرف حقوق مشايخ الصناعة وأئمتها  
الذين فَتَحُوا أبوابها ، وذَلَّلُوا سُبُلها ، وسهَّلُوا طرقها ؛ ويعاملهم بالإنصاف فيما أعملوا  
فيه خواطرهم ، وأتعبوا فيه رَوِيَّاتهم فينزِّههم منازلهم ولا يَخْصِمهم حقوقهم . فمن آفات  
هذه الصنعة على ذوى الفضل من أهلها أن القاصر منهم لا يمتنع من ادعاء منزلة  
المبرز بل لا يُعفيه من ادعاء التقدّم في الفضل عليه ، والمبرز في الفضل لا يقدر على  
إثبات نقص المتخلف ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ .



ثم أصل هذه الآداب الذى ترجع اليه ، ويُنْبِئُ عنها الذى تفجّرت منه ، رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، التى كتبها إلى الكُتّاب يوصيهم فيها . وهى :

أما بعدُ ، حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفّقكم وأرشدكم ! فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين ؛ ومن بعد الملوك المكرمين أصنافاً ، وإن كانوا فى الحقيقة سواءً ، وصَرّفهم فى صنُوف الصناعات ، وضُرُوب المحاولات إلى أسباب معاشهم ، وأبواب أرزاقهم ؛ فجعلكم معشر الكُتّاب فى أشرف الجهات أهل الأدب ، والمروءة ، والعلم ، والرواية . بكم تنتظم الخلافة محاسنها ، وتستقيم أمورها ؛ وبنصائحكم يصلحُ الله للخلق سلطانهم ، وتعمُر بلادهم . لا يستغنى الملك عنكم ، ولا يوجد كافٍ إلا منكم ؛ فمَوْقِعُكم من الملوك مَوْقِعُ أسماءهم التى بها يسمعون ، وأبصارهم التى بها يُبْصِرُونَ ، وألسنتهم التى بها يَنْطِقُونَ ، وأيديهم التى بها يَبْطِشُونَ . فامتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ! ولا تَزَعْ عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم ! .

وليس أحدٌ أحوَجَ إلى اجتماع خِلال الخير المحمودة ، وخصال الفضل المذكورة المعدودة ، منكم أيّها الكُتّاب ، إذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب من صفتكم فإن الكاتب يحتاج من نفسه ، ويحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مُهِمَّات أموره أن يكون حليماً فى موضع الحلم ، فهيماً فى موضع الحُكم ، ومقدّاماً فى موضع الإقدام ، ومُحْجِجاً<sup>(١)</sup> فى موضع الإحجام ، مؤثراً للعفاف ، والعدل والإنصاف ، كَتُوما للأسرار ، وفياً عند الشدائد ، عالماً بما يأتى من النوازل ؛ ويضع الأمور مواضعها ، والطوارق أماكنها . قد نظر فى كل فنٍّ من فنون العلوم فأحكه ، فإن لم يُحْكَمْه أخذ منه بمقدار يكتفى به . يعرف بغيرِة عقله ، وحُسن أدبه ، وفضل تجربته ، ما يرد عليه قبل وروده

(١) فى غير هذا الكتاب ويُنْجِها ما .

وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره ؛ فيعدّ لكل أمر عدته وعَتَادَه ، ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته . فتتأفّسوا يامعشر الكُتّاب ، في صُنُوف الآداب ، وتفقهوا في الدِّين ؛ وأبدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ، ثم العربية فإنها ثِقَافُ السِّتَمِ .

ثم أجدوا الخطّ فإنه حِلْيَةُ كِتَابِكُمْ ، وارووا الأشعار ، وأعرفوا غريبها ومعانيها ؛ وأيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها ؛ فان ذلك معين لكم على ما تسمّو إليه هممكم . ولا تضيّعوا النظر في الحساب فإنه قِوَامُ كُتَابِ الخراج ؛ وأرغبوا بأنفسكم عن المطامع سنيها ودينها ، وسفاسف الأمور ومحآقرها ، فإنها مَذَلَّةٌ للرقاب ، مَفْسَدَةٌ للكُتّاب ؛ ونزهوا صناعتكم عن الدَّنَآآت ، وآربؤا بأنفسكم عن السَّعَاية والنِيمَةِ وما فيه أهل الجهالات ؛ وإياكم والكبر والصلف والعظمة ، فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة ، وتحابؤا في الله عز وجل في صناعتكم ، وتواصؤا عليها بالذی هو أليق بأهل الفضل والعدل والتُّبَل من سلفكم .

وإن نبا الزمان برجل منكم فأعطفؤا عليه ووأسوه حتى يرجع إليه حاله ، ويثوب إليه أمره ؛ وإن أقعد أحدكم الكِبَرُ عن مكسبه ولقاء اخوانه ، فزوروه وعظموه وشاوروه ، وآستظهروا بفضل تجربته ، وقَدَم معرفته . وليكن الرجل منكم على من أصطنعه وآستظهر به ليوم حاجته إليه أحفظ منه على ولده وأخيه . فان عَرَضَتْ في الشغل محمّدة فلا يضيفها إلا إلى صاحبه ، وإن عرَضت مَدَمّة فليحملها هو من دونه . وليحذر السَّقْطَةُ والزلة والمَلَل عند تغيّر الحال ، فان العيب إليكم معشر الكُتّاب أسرع منه إلى الفِرَاء ؛ وهو لكم أفسد منه لها .

فقد علمتم أن الرجل منكم اذا صحبه الرجل ، يبدّل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه ؛ فواجب عليه أن يعتقد له من وفائه ، وشكره ، وآحتماله ، وصبره ، ونصيحته ، وكتّان سرّه ، وتدير أمره ، ماهو جزاء لحقه . ويصدّق ذلك بفعاله عند الحاجة إليه ، والآضطراب إلى مآلدیه .

فاستشعروا ذلكم وفقكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء، والشدة، والحرمات،  
والمواساة، والإحسان، والسراء، والضراء؛ فنعمت الشيمة هذه لمن وسم بها من  
أهل هذه الصناعة الشريفة ! . فاذا ولى الرجل منكم أو صير إليه من أمر خلق الله  
وعياله أمر، فليراقب الله عز وجل، وليؤثر طاعته، وليكن على الضعيف رفيقا،  
وللظلم منصفًا، فإن الخلق عيال الله وأحبهم إليه أرفقهم بعياله . ثم ليكن بالعدل  
حاكما وللأشراف مكرما، وللنبي موقرا، وللبلاد عامرا، وللرعية مثاقفا، وعن  
أيديهم متخلقا؛ وليكن في مجلسه متواضعا حلما، وفي سحلات خراجة، وأستقضاء  
حقوقه رفيقا . وإذا صحب أحدكم رجلا فليختبر خلأقه، فإذا عرف حسنها وقبيحها  
أعانه على ما يوافق من الحسن وأحتال لصرفه عما يهواه من القبيح بألطف حيلة،  
وأجمل وسيلة . وقد علمتم أن سائس البهيمة إذا كان بصيرا بسياستها التمس معرفة  
أخلاقها، فإن كانت رموحا لم يهجمها إذا ركبها، وإن كانت شبوبا انتقاها من قبل  
يديها، وإن خاف منها شرودا توقاها من ناحية رأسها، وإن كانت حرونا قمع برفق  
هواها في طريقها، فإن استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها . وفي هذا الوصف  
من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وخدمهم وداخلهم .

والكاتب بفضل أدبه، وشريف صنعته، ولطيف حيلته، ومعاملته لمن يحاوره  
من الناس وينظره، ويفهم عنه أو يخاف سطوته، أو لى بالرفق بصاحبه، ومداراته،  
وتقويم أوده من سائس البهيمة التي لا تحير جوابا، ولا تعرف صوابا، ولا تفهم  
خطابا، إلا بقدر ما يصيرها إليه صاحبها الراكب عليها . ألا فامعنوا رحمكم الله  
في النظر، واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر، تأمنوا بإذن الله ممن صحبتهموه  
التبوة، والاستثقال والجفوة؛ ويصير منكم إلى الموافقة، وتصيروا منه إلى المؤاخاة  
والشفقة إن شاء الله تعالى .

ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه وخدمه وغير ذلك من فنون أمره، قدر حقه . فإنكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تملكون في خدمتكم على التقصير، وحفظة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير : وأستمينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم . وأحذروا متآلف السرف، وسوء عاقبة الترف؛ فإنهما يعقبان الفقر ويدلان الرقاب؛ ويفضحان أهلهما ولا سيم الكُتاب، وأرباب الآداب؛ وللأمر أشباه وبعضها دليل على بعض، فاستدلوا على مؤتلف أفعالكم بما سبقت إليه تجربتكم؛ ثم اسلكوا من مسالك التدبير أوضحها محجة، وأصدقها حجة، وأحمدها عاقبة .

وأعلموا أن للتدبير آفة متلفة — وهي الوصف الشاغل لصاحبه عن إنفاذ عمله ورؤيته؛ فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته، وليؤخر في آبدائه وجوابه؛ وليأخذ يجامع حُججه؛ فإن ذلك مصلحة لفعله، ومدفعة للتشاغل عن إكثاره . وليضرع إلى الله في صلة توفيقه، وإمداده بتسديده، مخافة وقوعه في الغلط المضرب بدنه وعقله وأدبه؛ فإنه إن ظن منكم ظاناً، أو قال قائل، إن الذي برز من بحيل صنعته وقوة حركته، إنما هو بفضل حيلته، وحسن تدييره، فقد تعرض بظنه أو مقالته إلى أن يكلاه الله عز وجل إلى نفسه، فيصير منها إلى غير كاف، وذلك على من تأمله غير خاف .

ولا يقل أحد منكم إنه أبصر بالأمور وأحمل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته؛ فإن أعقل الرجلين عند ذوى الأبواب من رمى بالعجب وراء ظهره، ورأى أن صاحبه أعقل منه وأحد في طريقته . وعلى كل واحد من الفريقين أن يعرف فضل نعم الله جلّ ثنائه من غير اعتزاز برأيه، ولا تزكية لنفسه، ولا تكاثر

على أخيه أو نظيره، وصاحبه وعشيرته، وحمد الله واجب على الجميع : وذلك بالتواضع لعظمته، والتذلل لعزته، والتحدث بنعمته“ .

وأنا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل ( من يلزم الصحة يلزمه العمل ) وهو جوهر هذا الكتاب وغرّة كلامه، بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل ؛ فلذلك جعلته آخرًا وتممته به . تولانا الله وإياكم يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بإسعاده وإرشاده ! فإن ذلك اليه وبيده . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## الباب الرابع

### من المقدمة

فى التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء، وأصل وضعه فى الإسلام،

وتفرقه بعد ذلك فى الممالك ؛ وفيه فصلان

## الفصل الأول

( فى التعريف بحقيقته )

لا خفاء فى أنه اسمٌ مركَّبٌ من مضاف وهو ديوان ومضاف اليه وهو الإنشاء ، أما الديوان فاسمٌ للوضع الذى يجلس فيه الكُتّاب وهو بكسر الدال . قال النحاس فى صناعة الكُتّاب ”وفتحها خطأ“ قال : ”وأصله دِوَان فأبدلت إحدى الواوين ياء فقيل ديوان“ ويجمع على دواوين . واختلف فى أصله ، فذهب قوم الى أنه عربى . قال النحاس : ”والمعروف فى لغة العرب أن الديوان الأصل الذى يرجع اليه ويُعمل

بما فيه“ ومنه قول ابن عباس : « إذا سألتُموني عن شيءٍ من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب » . ويقال دُونته أى أثبتته وإليه يميل كلام سيبويه وذهب آخرون إلى أنه عجمي وهو قول الأصمعي وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه ، فقال الديوان « فارسيّ معرّب » . وقد حكى الماورديّ ” في الأحكام السلطانية “ في سبب تسميته بذلك وجهين :

أحدهما — أن كسرى ذات يوم أطلع على كُتّاب ديوانه في مكانٍ لهم وهم يحسبون مع أنفسهم فقال ”ديوانه“ أى مجانين فسَمي موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حينئذ ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً ، فقليل ديوان وعليه اقتصر أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب .

والثاني — أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين ، وسَمي الكتاب بذلك لحذفهم بالأمور ووقوفهم على الجليّ منها والخفيّ .

وأما الإنشاء فقد تقدّم أنه مصدر أنشأ الشيء ينشئه إذا ابتدأه وأخترعه ، وحينئذ فإضافة الديوان للإنشاء تحتل أمرين :

أحدهما — أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تُنشأ عنه وتُبتدأ منه .

والثاني — أن الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا . وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل تسميةً له بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعظمها ، وربما قيل ديوان المكاتبات . ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمر عليه إلى الآن .

## الفصل الثاني

(في أصل وضعه في الإسلام وتفترقه عنه بعد ذلك في الممالك)

إعلم أن هذا الديوان أول ديوان وضع في الإسلام؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه، وأصحاب سراياه من الصحابة؛ رضوان الله عليهم! ويكتبونه. وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام؛ وبعث إليهم رسله بكتبه: فبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وعبد الله بن حذافة إلى كسرى أبرويز ملك الفرس، ودحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر، وسليط بن عمرو إلى هوزة بن علي ملك اليمامة، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين إلى غير ذلك من المكاتبات. وكتب لعمر بن حزم عهداً حين وجهه إلى اليمن. وكتب لتميم الداري وإخوته بإقطاع بالشام. وكتب كتاب القضية بعقد الهدنة بينه وبين قرش عام الحديبية. وكتب الأمانات أحيانا. إلى غير ذلك مما يأتي ذكره في الاستشهاد به في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وهذه المكتوبات كلها متعلقها ديوان الإنشاء بخلاف ديوان الجيش، فإن أول من وضعه ورثه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته.

على أن القاضي قد ذكر في تاريخه "عيون المعارف". وفنون أخبار الخلائف "أن الزبير بن العوام، وجههم بن الصلت كانا يكتبان للنبي صلى الله عليه وسلم أموال الصدقات، وأن حذيفة بن اليمان كان يكتب له تحرص النخل، وأن المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير كانا يكتبان المداينات والمعاملات. فإن صح ذلك فتكون هذه الدواوين أيضا قد وضعت في زمنه صلى الله عليه وسلم، إلا أنها ليست في الشهرة وتواتر الكتابة في زمانه صلى الله عليه وسلم: كما تقدم من متعلقات كتابة الإنشاء.

وقد رأيت في سيرة لبعض المتأخرين أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم نيف وثلاثون كاتباً : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعامر بن فهيرة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأبان أخوه ، وسعيد أخوهما ، وعبد الله بن الأرقم الزهري ، وحنظلة بن الربيع الأسدي ، وأبي بن كعب ، وثابت بن قيس بن شماس ، وزيد بن ثابت ، وشريحيل بن حسنة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن زيد ، وجهم بن الصلت ، والزبير بن العوام ، وخالد بن الوليد ، والعلاء بن الحضرمي ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن راحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي ، ومعيقب بن أبي فاطمة ، وطلحة بن زيد بن أبي سفيان ، والأرقم بن الأرقم الزهري ، والعلاء بن عتبة ، وأبو أيوب الأنصاري ، وبريدة بن الحصيب ، والحصين بن نمير ، وأبو سلمة الخزومي ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، وحاطب بن عمرو ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وكان ألزمهم له في الكتابة معاوية بن أبي سفيان ، وزيد بن ثابت .

وكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وعثمان هو الذي كتب عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالخلافة عن أبي بكر رضوان الله عليه كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

وكتب لعمر رضى الله عنه زيد بن ثابت ، وعبد الله بن خلف .

وكتب لعثمان رضى الله عنه مروان بن الحكم .

وكتب لعلي عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعيد ابن نجران الهمداني .



وكتب للحسن بن علي رضي الله عنهما عبد الله بن أبي رافع كاتب أبيه .

ثم كانت دولة بني أمية فتوات خلفاؤهم من معاوية بن أبي سفيان فبن بعده ، وأمر ديوان الإنشاء في زمن كل أحد مفوض إلى كاتب يُقيمه إلى حين آنقراض دولتهم . وكان الخليفة هو الذي يوقع على القصص ويُحدثها بنفسه ، والكاتب يكتب ما يبرز إليه من توقيعه ويصرفه بقلمه على حكمه . وكان ممن اشتهر من كتابهم بالبلاغة وقوة الملكة في الكتابة حتى سار ذكره في الآفاق ، وصار يضرب به المثل على ممر الأزمان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد آخر خلفائهم .

فلما بزغت شمس الخلافة العباسية بالعراق وولى الخلافة أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس ، استوزر أبا سلمة الخلال . وهو أول من لقّب بالوزارة في الإسلام على ما سيأتي ، وتواتت الوزراء بعده لخلفاء بني العباس من يومئذ . وكان ديوان الإنشاء تارة يُضاف إلى الوزارة ، فيكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بقلمه ، ويتولى أحواله بنفسه ؛ وتارة يُفرد عنه بكاتب ينظر في أمره ، ويكون الوزير هو الذي ينفذ أموره بكلامه ، ويصرفها بتوقيعه على القصص ونحوها ؛ وصاحب ديوان الإنشاء يعتمد ما يرد عليه من ديوان الوزارة ، ويمشي على ما يليق إليه من توقيعه ؛ وربما وقع الخليفة بنفسه حتى بعد غلبة ملوك الأعاجم من الديلم وبني سلجوق وغيرهم على الأمر والأمر على ذلك تارة وتارة إلى آنقراض الخلافة من بغداد . وكان ممن اشتهر من وزراءهم بالبلاغة حتى صار يضرب به المثل يحيى بن خالد وزير الرشيد ، والحسن بن سهل ، وعمرو بن مسعدة كاتب المأمون ، وأبن المقفع مترجم كتاب "كليلة ودمنة" ، وسهل بن هرون الذي ترجمها ، والأستاذ أبو الفضل ابن العميد ، والصاحب كافي الكفأة إسماعيل بن عبّاد ، وأبو إسحاق الصابى في جماعة آخرين منهم .

ثم لما انقرضت الخلافة من بغداد في وقعة هولاكو ملك التتار في سنة (ست وخمسين وستائة) وأستولت المغل والأعاجم على بغداد ، بطل رسم الكتابة المعتبرة وصار أكثر ما يُكتب عن ملوك التتار بالمغلية أو الفارسية ؛ والأمر على ذلك إلى زماننا على ماسياتي بيانه في الكلام على دواوين الأمصار في المكاتبات والولايات وغيرهما إن شاء الله تعالى .

وكانت بلاد الغرب والأندلس بأيدي نواب الخلفاء من حين الفتح الإسلامي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولا عناية لهم بديوان الإنشاء للتقرب من البداوة ، وغايته المكتبة إلى ديوان الخلافة ونحو ذلك ؛ فلما غلب بنو العباس على الخلافة هرب طائفة من بني أمية إلى بلاد المغرب ، وجازت البحر إلى الأندلس فأتزعوه من التواب الذين كانوا به وملكوه ، وصاروا ينصبون فيه خليفة بعد خليفة ، جارين على سنن ما كانوا عليه بالشام من ألقاب الخلافة ، مضاهين خلافة بني العباس ببغداد : من إقامة شعار الخلافة ، واتخاذ ديوان الإنشاء ، واستخدام بلغاء الكتاب وتعدت دولتهم إلى بر العدو من بلاد المغرب فحكوه . ثم تقاصر أمرهم بعد ذلك شيئاً فشيئاً باستيلاء المستولن المستبدن عليهم بالأمر إلى أن انقرضت دولتهم من الأندلس وبلاد المغرب ، وأستولت عليهما طوائف من الملوك وتقلت بهم الأحوال في استيلاء الملوك على كل ناحية منهما ، وتتابعت الدول في كل حين كلما خبت دولة نجت أخرى على ما سأتى ذكره في مكاتبات ملوكهما إن شاء الله تعالى .

وكان حال ديوان الإنشاء فيهم بحسب ما يكونون عليه من الحضارة والبداءة ، فأوائل الدول القريبون عهداً بالبادية لاعناية لهم بكتابة الإنشاء ؛ وإذا استحضرت الدولة صرفت آهاتها إلى ديوان الإنشاء وترتيبه إلى أن استقر ما بقى من الأندلس بعد ما أرتجعت الفرج منه بأيدي بني الأحمر ، والغرب الأقصى بيد بني مرين ،

والغرب الأوسط بيد بنى عبد الواد، وإفريقية بيد بقايا الموحدین من أتباع المهديّ  
آبن تومرت؛ وداخلتهم الحضارة، فأخذوا فى ترتيب دواوين الإنشاء بهذه الممالك،  
ومعانة البلاغة فى المكاتبات ونحوها؛ وأستمر الحال على ذلك إلى زماننا .

ومن أشهر بالبلاغة من كُتّاب المغاربة والوزراء به أبو الوليد بن زيدون،  
والوزير أبو حفص بن برد الأصفر الأندلسي، وذو الوزارتين أبو المغيرة بن حزم،  
والوزير أبو القاسم محمد بن الحدي فى جماعة أخرى من متقدّمى كتّابهم . ومن متأخريهم  
عبد المهيمن كاتب السلطان أبى الحسن المترى، وأربى على كثير من المتقدّمين آبن  
الخطيب وزير آبن الأحمر صاحب غرناطة من الأندلس ممن أدركه من عصرناه .  
أما الديار المصرية فليدوان الإنشاء بها خمس حالات :

الحالة الأولى — ما كان الأمر عليه من حين الفتح وإلى بداية الدولة  
الطولونية، ونوّاب الخلفاء تتوالى عليها واحدا بعد واحد فلم يكن لهم عنايةً بديوان  
الإنشاء، ولا صرفُ همة إليه : للاقتصار على المكاتبات لأبواب الخلافة، والترز  
اليسير من الولايات ونحو ذلك . ولذلك لم يصدر عنهم ما يؤدّون فى الكتب ولا  
يتناقل بالألسنة .

الحالة الثانية — ما كان الأمر عليه فى الدولة الطولونية من ابتداء ولاية  
أحمد بن طولون، وأستفحال مُلك الديار المصرية فى الإسلام، وترتيب أمرها، وإلى  
حين أنقراض الدولة الاخشيدية؛ وفى خلال ذلك ترتّب ديوان الإنشاء بها، وانتظم  
أمر المكاتبات والولايات؛ وكان ممن أشهر من كُتّابهم بالبلاغة وحُسن الكتابة،  
أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود بن عبد : كان كاتب أحمد بن طولون، وكان  
مبدأ الكُتاب المشهورين بها . وكتب بعده لخمّارويه بن أحمد بن طولون إسحق بن  
نصر العبادى النصرانى، وتوالى الكُتاب بالديوان بعد ذلك .

الحالة الثالثة — ما كان الأمر عليه من ابتداء الدولة الفاطمية وإلى انقراضها .

ولما ولي الفاطميون الديار المصرية ، صرفوا مزيد عنايتهم لديوان الإنشاء وكُتَّابه ، فارتفع بهم قدره ، وشاع في الآفاق ذكره ، وولي ديوان الإنشاء عنهم جماعة من أفاضل الكُتَّاب وبلغائهم : ما بين مسلم وذمى ؛ فكتب للعزیز بالله ابن المعز أبو المنصور بن سوردین النصرانی ، ثم كتب بعده لابنه الحاكم ومات في أيامه ، فكتب للحاكم القاضي أبو الطاهر البهزكي ، ثم كتب بعده لابنه الظاهر . وكتب للمستنصر القاضي ولي الدين بن خيران ، ثم ولي الدولة موسى بن الحسن قبل انتقاله إلى الوزارة ، وأبو سعيد العميدى . وكتب للآمر والحافظ الشيخ الأجل أبو الحسن علي بن أبي أسامة الحلبي إلى أن توفى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة . فكتب بعده ولده الأجل أبو المكارم إلى أن توفى في أيام الحافظ ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين تاج الرأسة أبو القاسم علي بن سليمان بن منجد المبرصى المعروف بابن الصيرفى ، والقاضى كافى الكفاة محمود ابن القاضى الموفق أسعد بن قادوس ، وابن أبي الدم اليهودى . ثم كتب بعد الشيخ أبي المكارم بن أبي أسامة المتقدم ذكره القاضى الموفق ابن الخلال أيام الحافظ ، وإلى آخر أيام العاضد ؛ وبه تخرج القاضى الفاضل البيسانى . ثم شرك العاضد مع الموفق ابن الخلال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الملك محمود بن الأنصارى وكان فى أيامه القاضى المؤتمن كاسيويه . ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى الموفق ابن الخلال قرب وفاته فى سنة ست وستين وخمسمائة فى وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكتب من إنشائه عدة سجلات ومكاتبات عن العاضد آخر خلفائهم .

الحالة الرابعة — ما كان الأمر عليه من ابتداء دولة بنى أيوب إلى آخر

انقراضها .

قد تقدّم أن القاضي الفاضل رحمه الله كان قد كتب بين يدي الموفق ابن الخلال في وزارة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين ، فلما استقل السلطان صلاح الدين المذكور بالملك وخطب لبني العباس على ما تقدّم في الكلام على ملوك مصر، فوُض إلى الفاضل الوزارة وديوان الإنشاء فكان يتكلم فيهما جميعا ، وأقام على ذلك إلى أن مات السلطان صلاح الدين ، فكتب بعده لابنه العزيز وأخيه العادل أبي بكر . ثم مات ، وكتب للكامل بن العادل القاضي أمين الدين سليمان المعروف بكتاب الدرّج إلى أن توفّي ، فكتب بعده للكامل الشيخ أمين الدين عبد المحسن الحلبي مدّة قليلة ، وتوالى كتاب الإنشاء في الولاية إلى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب فولّي ديوان الإنشاء صاحب بهاء الدين زهيرا . ثم صرفه وولّي بعده صاحب نحر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعديّ ، فبقّى إلى أنقراض الدولة الأيوبية .

الحالة الخامسة — ما كان الأمر عليه في الدولة التركية مما هو مستقرّ إلى الآن .  
قد تقدّم أن صاحب نحر الدين بن لقمان بقّى في ديوان الإنشاء إلى آخر الدولة الأيوبية .

ولما صارت المملكة إلى الدولة التركية ، بقى في صحابة ديوان الإنشاء أيام أيبك التركمانى ، ثم أيام المظفر قطز ، ثم أيام الظاهر بيبرس ، ثم أيام المنصور قلاوون . فباشر ديوان الإنشاء في أيامه مدّة ، ثم نقله إلى الوزارة ، وولّى مكانه بديوان الإنشاء القاضي فتح الدين بن القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في حياة والده ، فبقى حتّى توفى المنصور قلاوون ، واستقرّ بعده ابنه الأشرف خليل ، واستمرّ عنده في كتابة السرّ برهة من الزمان وسافر معه إلى الشام ، فمات بالشام فولّي الأشرف مكانه القاضي تاج الدين أحمد بن الأثير ، وقفل السلطان راجعا إلى مصر ، فمات

القاضي تاج الدين في أثناء الطريق بمضى شهر من ولايته ، فوئى مكانه القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله فأقام بقية أيام الأشرف بن قلاوون ، وأيام أخيه الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الأولى ، وأيام العادل كتبغا ، وأيام المنصور لاجين ، وأيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثانية ، وأيام المظفر بيبرس الجاشنكير ، وبرهة من أيام الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثالثة .

ثم نقله إلى كُتابة السرى بدمشق المحروسة عوضاً عن أخيه القاضي محي الدين بن فضل الله ، ووئى مكانه بمصر علاء الدين بن الأثير لسابق وعده منه حين كان معه في الكرك ، وبقي حتى مرض بالفالج وبطلت حركته ، فاستدعى الملك الناصر القاضي محي الدين بن فضل الله من الشام ، فولاه ديوان الإنشاء بالديار المصرية في المحرم سنة تسع وعشرين وسبعائة .

وكان ولده القاضي شهاب الدين هو الذى يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمات إلى سنة اثنتين وثلاثين وسبعائة فأعادهما الملك الناصر إلى دمشق ، ووئى مكانهما القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود في شعبان من السنة المذكورة ، فبقي حتى حج السلطان وعاد إلى مصر ، فأعاد القاضي محي الدين ولده القاضي شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، فبقيا إلى سنة ثمان وثلاثين وسبعائة .

وفي أواخر ذلك تغير السلطان على القاضي شهاب الدين المذكور وصرفه عن المباشرة وأقام أخاه القاضي علاء الدين مكانه يباشر مع والده ، وبقي الأمر على ذلك مدة لطيفة .

ثم سأل القاضي محي الدين السلطان في العود إلى دمشق ، وقد كبرت سنه وضعفت حركته ، فأعاده وصحبته ولده القاضي شهاب الدين وكتب له تقليد في قطع

الثَّلاثِينَ : بأن يستمر على صحابة دواوين الإنشاء بالممالك الإسلامية ، وأن يكون جميع المباشرين لهذه الوظيفة بالبواب الشريف فمن دونه نوابه ، وأنه حيث حل يقرأ القصص والمظالم ، ويقرر الولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ، ويوقع فيها بما يراه ، ويُجهز إلى مصر ليُعلم عليها العلامة الشريفة ؛ وفوض أمر ديوان الإنشاء بالديار المصرية لولده القاضي علاء الدين استقلالا ، وتجهز القاضي محي الدين للسفر ، ففرض ومات بعد أيام قلائل في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعائة بالقاهرة . ثم نُقل إلى دمشق سنة تسع ، وبقي ولده القاضي علاء الدين فبقى في الوظيفة بقية أيام الملك الناصر ، ثم أيام ولده المنصور أبي بكر ، ثم أخيه الأشرف بكك ، ثم أخيه الملك الناصر أحمد .

فلما خلع الناصر أحمد نفسه في سنة ثلاث وأربعين وتوجه إلى الكرك ، توجه القاضي علاء الدين معه ، فأقام عنده ؛ وأستقر الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون في السلطنة بعد أخيه أحمد ، فقرر في ديوان الإنشاء القاضي بدر الدين محمد بن محي الدين بن فضل الله ، فبقى في الوظيفة إلى أن عاد أخوه القاضي علاء الدين من الكرك ، فأعيد إلى منصبه ، وبقي بقية أيام الملك الصالح إسماعيل ، ثم أيام أخيه الكامل شعبان ، ثم أيام أخيه المظفر حاجي ، ثم أيام أخيه الناصر حسن في سلطته الأولى ، ثم أيام أخيه الصالح صالح ، ثم أيام الناصر حسن ثانيا ، ثم أيام المنصور محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون ، ثم أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد ابن قلاوون فتوفي ؛ وولى الوظيفة بعده ولده القاضي بدر الدين محمد ، فبقى بقية أيام الأشرف شعبان ، ثم أيام ولده المنصور علي ، ثم أيام أخيه الصالح حاجي بن شعبان إلى أن خلع ؛ وجاءت الدولة الظاهرية برقوق فقرر في ديوان الإنشاء القاضي أُوحد الدين عبد الواحد بن التركماني ، فبقى حتى توفي فأعيد القاضي بدر الدين

المذكور وبقي حتى خلع الظاهر برقوق وعاد المنصور حاجي بن الأشرف شعبان إلى السلطنة وهو مستمر المباشرة .

فلما عاد الظاهر برقوق من الكرك حضر معه القاضي علاء الدين علي الكركي ، فولاه كتابة السرّ وبقي حتى توجه صحبة السلطان إلى الشام في طلب منطاش ، فمات القاضي علاء الدين ، وكان القاضي بدر الدين صحبته فأعيد إلى الوظيفة في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ، وعاد موالي صحبة الركاب الشريف السلطاني . ثم توجه صحبته إلى الشام عند وصول تمر لبغداد ، فمضى ومات هناك ، فوُلى الظاهر مكانه القاضي بدر الدين محمود السراي الكستاني في شوال سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وحضر صحبة الركاب الشريف إلى الديار المصرية ، فبقي حتى توفّي في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمائة ، فوُلى الظاهر مكانه المقرّ العالی الفتحي فتح الله ، ففتح الله به من أبواب ديوان الإنشاء ما كان مغلقاً ، وأصفى به من ورده ما كان مكدراً .

وانتقلت السلطنة بعد وفاة الظاهر برقوق إلى ولده الناصر فرج ، فأجراه من المباشرة والإجلال والتعظيم على عادة أبيه . ثم صرفه عن الوظيفة في شهور سنة ثمان وثمانمائة ، وأقام مكانه في الوظيفة المقرّ السعدى إبراهيم بن غراب ، وهو يومئذ مشير الدولة بعد تنقله في وظائف الديار المصرية والمشار إليه . وأقام بها مدة لطيفة ، وعادت إلى المقرّ الفتحي فتح الله المشار إليه ، وقيل : ( هَذِهِ بِصَاعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ) بفرى فيها على الأسلوب الأول والمهيج السابق : من العدل والإنصاف ، والإحسان إلى الخلق ، وإيصال البرّ إلى مستحقه ، والمساعدة في الله لمن عرف ومن لم يعرف ، والله هو المكافئ لعباده على جميل الصنع !

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَمْ يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ \* لَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ



## الباب الخامس

### من المقدمة

في قوانين ديوان الإنشاء، وترتيب أحواله، وآداب أهله؛ وفيه أربعة فصول

### الفصل الأول

(في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعة قدره وشرف محله  
ولقبه الجارى عليه في القديم والحديث)

أما رُفْعَةُ محله وشرفُ قدره، فأرفعُ محلٍ وأشرفُ قدر؛ يكاد أن لا يكون عند الملك  
أخصُّ منه ولا أزمُ لمجالسته؛ ولم يزل صاحب هذا الديوان معظماً عند الملوك في كل  
زمن، مقدماً لديهم على من عداه: يُلقون إليه أسرارهم، ويخصُّونه بخفايا أمورهم،  
ويُطلعونه على ما لم يُطلع عليه أخص الأخصاء: من الوزراء والأهل والولد، وناهيك  
برتبة هذا محلها !

قال صاحب مواد البيان " ليس في منزلة خَدَم السُّلْطَان والمتصرِّفين في مهماته  
أخصُّ من كاتب الرسائل . فإنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه، ولا غنى له  
عن مفاوضته في آرائه، والإفضاء إليه بمهماته، وتقريبه من نفسه في آناء إليه  
وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات  
مملكته؛ فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته يثق به، ولا يركنُ إلى قريب ولا نسيب  
رُكُونَهُ إليه، ومحلُّه منه في عائدة خدمته وأثرة دولته محلُّ قلبه الذي يؤامره في مشكل  
رأيه حتى يتنقح، ويراجعه في مهمِّ تديره حتى يتضح؛ ولسانه الذي يقرر بترغيه  
أولياءه على الطاعة والموافقة، ويستقر بترهييه عن المعصية والمشاققة، ويقر بأوامره

(١) كذا في الأصل ولعله مصحف عن يفر . أو يستفر كما يقتضيه المقام .

ونواحيه أمور سلطانه، ويُتْرَافُ منازلها في متمدن مجالسها، ويتمكن من سياسة أجناده، وعمارة بلاده، ومصلحة رعيته، وأجتلاب مودتهم، واستخلاص نياتهم؛ وعينه التي تلاحظ أحوال سلطانه، ويُريها مهمات شأنه؛ وأذنه التي يثق بما وُعدّه، ولا يرتاب بما سمعته؛ ويده التي يبسطها بالإنعام، ويبطشُ بها في النقض والإبرام .

قال : ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذي رتبّه فيها أفضل الأسباب، وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيعاب .

قال ابن الطوير في ترتيب الدولة الفاطمية ” وكان هذا المنصب لا يتولاه في الدولة الفاطمية إلا أجلّ كتاب البلاغة، ويُخاطب بالأجلّ، وإليه تسلّم المكتبة واردة مختومة فيعرضها على الخليفة من يده؛ وهو الذي يأمر بتزليلها والإجابة عنها وربما بات عند الخليفة لياليًا؛ وهذا أمر لا يصل إليه غيره “ . قال ” وهو أول أرباب الإقطاعات في الكسوة والرسوم والملاطفات، ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه أحد ولا يجتمع بأحد من كتابه إلا الخواص؛ وله حاجب من الأمراء الشيوخ، وله في مجلسه المرتبة العظيمة والمخاد والمُسند، والدواة العظيمة الشأن؛ ويحمل دواته أستاذ من خواص الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة “ .

قلت : ومرتبته في زماننا أرفع مرتبة، ومحلّه أعظم محل؛ إليه تلقى أسرار المملكة وخفائها، وبرأيه يُستضاء في مشكلاتها. وعلى تديره يعول في مهماتها، وإليه تردّ المكتبات، وعنه تصدر؛ ومن ديوانه تُكتب الولايات السلطانية كافة، ويقوم توقيعُه على القصص في نفوذ الأوامر مقام توقيع السلطان؛ وجميع ما يعلم عليه السلطان من جليل وحقير في مرزته حتى ما يُكتب من ديوان الجيش من المناشير، وما يُكتب من ديوان الوزارة وديوان الخاص وغيرهما من المُرَبَّعات ونحوها . وليس

لأحد من المتولين لهذه المناصب التعرّض لأخذ علامة سلطانية البتّة، وناهيك بذلك رفعةً وشرفاً باذخاً .

وأما لقبه الجارى عليه فى كل زمن فقد تقدّم أنهم كانوا فى زمن بنى أميّة وما قبله يعبرّون عنه بالكاتب، لا يعرفون غير ذلك كما أشار اليه القضاعى فى "عيون المعارف". فلما جاءت الدولة العباسيّة، واستقر السّفاح أوّل خلفائهم فى الخلافة، لُقّب كاتبه أبا سلمة الخلال بالوزارة وترك اسم الكاتب؛ واستقر لقب الوزارة على من يليها من أرباب السيوف والأفلام إلى انقراض الخلافة من بغداد . وتقدّم أيضاً أن هذا الديوان كان تارة يضاف إلى الوزارة فيكون الوزير هو الذى يباشره بنفسه أو يفوضه إلى من يتحدّث فيه عنه، وتارة ينفرد عنها، فحيث انفرد عن الوزارة لُقّب متوليه بما يتضمّن إضافته إلى صحابة الديوان وولايته بحسب ما يشتهر به الديوان فى ذلك الزمن .

فحيث كان الديوان مشهوراً بديوان الرسائل، كما كان فى الزمن الأوّل، لُقّب متوليه بصاحب ديوان الرسائل أو متولّى ديوان الرسائل، وربما قيل صاحب ديوان المكاتبات، أو متولّى ديوان المكاتبات، وحيث كان الديوان مشهوراً بديوان الإنشاء كما فى زماننا بالديار المصرية لُقّب متوليه بصاحب ديوان الإنشاء . وربما جمعوا لفظ الديوان تعظيماً لمتوليه، فقالوا صاحب دواوين الإنشاء بالممالك الإسلامية . وعلى هذا مصطلح كُتّاب الديوان فى زماننا فى تعريفه فيما يكتب له من تقليد أو غيره؛ على أنه لو قيل ناظر دواوين الإنشاء لكان أعلى فى الرتبة لما اشتهر فى العرف من أن لفظ ناظر الديوان أعلى من صاحب الديوان .

قال ابن الطوير : "وكانوا يلقبونه فى الدولة الفاطمية بالديار المصرية كاتب الدّستى" .

قلت : وأتتهى الأمر إلى أوائل الدولة التركية والحال في ذلك مختلف ، فتارة إلى الديوان كاتبٌ واحد يعبر عنه بـ **كاتب الدست** ، وربما عُبر عنه بـ **كاتب الدرج** ، وتارة يليه جماعةٌ يعبر عنهم بـ **كُتّاب الدست** . ويقال إنهم كانوا في أيام الظاهر بيبرس ثلاثة نفر ، أرفعهم درجةً القاضي محي الدين بن عبد الظاهر . وبقى الأمر على ذلك إلى أن ولى الديوان القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر في أيام المنصور قلاوون على ما تقدم ذكره ، فلقب بـ **كاتب السر** ، ونقل لقب **كاتب الدست** إلى طبقة دونه من كُتّاب الديوان . واستمر ذلك لقباً على كل من ولى الديوان إلى زماننا على ما سياتى ذكره . ويضاهيه في ذلك من العرف العام متولى ديوان الإنشاء بدمشق ، وبحلب ، وبطرابلس ، وبحماه ، وبصفد ؛ إلا أنه لا يقال في واحد منهم في مصطلح الديوان صاحب دواوين الإنشاء كما يقال في متولى ديوان الإنشاء بالديار المصرية ؛ بل يقال في متولى ديوان دمشق صاحب ديوان الإنشاء بالشام ، وفي متولى ديوان حلب صاحب ديوان المكاتبات بحلب ، وكذا في الباقيات . أما غزّة ، والكرك ، والإسكندرية وغيرها من النيابات الصّغار فإنما يقال في متولى شئ من دواوينها كاتب درج ولا يطلق عليه كاتب سرّ بوجه .

وأعلم أن العامة يبدلون الباء من كاتب السّرّيم فيقولون **كاتم السر** ، وهو صحيح المعنى ؛ إما لأنه يكتُم سرّ الملك ، أو من باب إبدال الباء بالميم على لغة ربيعة وإن كانوا لا يعرفون الثانى .

## الفصل الثانى

( في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه )

قال أبو الفضل الصورى في مقدّمة تذكرته : ” يجب أن يكون صبيح الوجه ، فصيح الألفاظ ، طلق اللسان ، أصيلاً في قومه ، رفيحاً في حيّه ، وقوراً ، حليماً

مؤثراً للجد على الهزل، كثير الأناة والرفق، قليل العجلة والخرق، نزر الضحك، مهيب المجلس، ساكن الظل، وقور النادى، شديد الذكاء، متوقد الفهم، حسن الكلام إذا حدث، حسن الإصغاء إذا حدث، سريع الرضا، بطيء الغضب، رؤوفا بأهل الدين، ساعيا في مصالحهم، محباً لأهل العلم والأدب، راغباً في نفعهم؛ وأن يكون محبا للشغل أكثر من محبته للفراغ، مقسماً للزمان على أشغاله : يجعل لكل منها جزءاً منه حتى يستوعبه في جميع أقسامها، ملازماً لمجلس الملك إذا كان جالسا، وملازماً للديوان إذا لم يكن الملك جالسا : ليتأشى به سائر كتاب الديوان، ولا يجحدوا رخصة في الغيبة عن ديوانهم ؛ وأن يغلب هوى الملك على هواه ورضاه على رضاه — ما لم ير في ذلك خلافاً على المملكة، فإنه يجب أن يهتدى النصيحة فيها للملك من غير أن يوجد فيه تقصير من رأيه فساداً أو نقصاً، لكن يتحيل لتقص ذلك وتهجينه في نفسه وإيضاح الواجب فيه بأحسن تأنُّ وأفضل تطف؛ وأن يتحلَّ الملك صائب الآراء ولا ينتحلها عليه؛ ومهما حدث من الملك : من رأي صائب أو فعل جميل أو تدبير حميد، أشاعه وأذاعه، وعظمه ونغمه، وكرر ذكره، وأوجب على الناس حمده عليه وشكره . وإذا قال الملك قولاً في مجلسه أو بحضرة جماعة ممن يخدمه فلم يره موافقاً للصواب، فلا يجبهه بالرد عليه واستهجان ما أتى به — فإن ذلك خطأ كبير؛ بل يصبر إلى حين الخلوة، ويدخل في أثناء كلامه ما يوضح به نهج الصواب من غير تلقُّ برد، ولا يتبجح بما عنده، ويكون مائلاً للملك على أخلاقه الفاضلة، وطباعه الشريفة : من بسط المعدلة ومدَّ رواق الأمانة، ونشر جناح الإنصاف، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وجبر الكسير، والإنعام على المعتز المستحق، والتوفُّر على الصدقات، وعمارة بيوت الله تعالى، وصرف الهمم إلى مصالحها، والنظر في أحوال الفقهاء، وحمل كتاب الله العزيز بما يصلح، والاتفات إلى عمارة البلاد، وجهاد الأعداء،

ونشر الحمية، وإقامة الحدود في مواضعها، وتعظيم الشريعة، والعمل بأحكامها .  
فيكون لجميع ذلك مؤكداً، ولأفعاله فيه موطداً ممهداً . وإن أحسن منه بحجة تنافى  
هذه الخلال، أو فعلة تخالف هذه الأفعال، نقله عنها بألف سعى وأحسن تدرّيج،  
ولا يدع ممكناً في تبين قبضها، وإصلاح رداءة عاقبتها، وفصيلة مخالفتها إلا بينه  
وأوضحه إلى أن يعيده إلى الفضائل التي هي بالملك النبلاء أليق، وأن يكون مع  
ذلك بأعلى مكانة من القطة والاستدلال بقليل القول على كثيره، وبعض الشيء  
على جميعه، ويستغنى عن التصريح بالإشارة والإيماء، بل الرمز والإيحاء: لينبه الملك  
على الأمور من أوائلها، ويعترفه خواتم الأشياء من مفتحاتها، ويحذّره حين تبدوله  
لوائح الأمر من قبل أن يتساوى فيه العالم والجاهل — كما حكى عن خالد بن برمك:  
"أنه كان مع خطبة في معسكر، جالسين في خيمة إذ نظر خالد إلى سرب من الأطباء  
قد أتى حتى كاذ يخالط العسكر، فأشار على خطبة بالركوب فسأله عن السبب،  
فقال الأمر أعجل أن أئين سببه . فركب وأركب العسكر، فلم يستثموا الركوب إلا  
والعدو قد دهمهم، وقد استعدوا له فكانت النصرة لهم على العدو . فلما ألقى  
الحرب سأل خطبة خالداً من أين أدرك ذلك؟ فقال: رأيت الأطباء وقد أقبلت حتى  
خالطت العسكر، فعرفت أنها لم تفعل ذلك مع نفورها من الإنس إلا لأمر عظيم  
قد دهمها من ورائها". وأن لا يكتب عن الملك إلا ما يقيم منار دولته ويعظمها،  
ولا يخرج عن حكم الشريعة وحدودها، ولا يكتب ما يكون فيه عيب على الملكة:  
ولا ذم لها على غابر الأيام، ومستأنف الأحقاب؛ وإن أمر بشيء يخرج عن ذلك،  
تلطف في المراجعة بسببه، وبين وجه الصواب فيه إلى أن يرجع به إلى الواجب .  
وأن يكون من كتمان السر بالمنزلة التي لا يُدانيه فيها أحد، ولا يقاربه فيها بشر، حتى  
يقتر في نفسه إمامة كل حديث يعلمه، ويتناسى كل خبر يسمعه . وأن لا يُطلع والدا

ولا ولدا؛ ولا أخا شقيقا، ولا صديقا صدوقا، على ما دق أو جل؛ ولا يعلمه بما كثر منه ولا قل؛ ويتوهم بل يتحقق أن في إذاعته ما يعلم به وضع منزله وحط رتبته، ويحتهد في أن يصير له ذلك طبعا مرجحا وأمر ضرورياً .

قلت : وهذه الصفة هي الشرط اللازم، والواجب المحتم : بها شهر، وبالإضافة إليها عرف . وقد قال المأمون وهو من أعلى الخلفاء مكاناً، وأوسعهم علماً : ”الملوك تحتل كل شيء إلا ثلاثة أشياء : القُدح في الملك، وإفشاء السر، والتعرض للحرم“ .

ومن كلام بعض الحكماء : ”سرك من دمك“ قال صاحب العقد : يعنون أنه ربما كان في إفشاء سرك سَفْكُ دمك . وإلى ذلك يشير أبو مَحَجَّنَ الثقفى بقوله :  
قد أظعن الطعنة النجلاء عن عريض \* وأكتم السر فيه ضربة العنقي

وقال الوليد بن عتبة لأبيه : ”إن أمير المؤمنين أسر إلى حديثاً أفلا أخبرك به ؟ قال يا بُنَيَّ : إنَّ مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه ؛ فلا تكن مملوكاً بعد أن كنت مالكا“ . وقد كانت ملوك الفرس تقول ”أعظم الناس حقاً على جميع الطبقات مَنْ وَلِيَ أسرار الملوك“ .

وَأَعْلَمُ أنه إذا كان إفشاء السر ربما أفضى إلى الهلكة خصوصاً أسرار الملوك ، فعلى صاحب هذه الوظيفة القيام من ذلك بواجبه وكتمان السر حتى عن نفسه ؛ فقد حكى صاحب ”الريحان والرياعان“ : أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر ، فقال عبد الله :

مُسْتَوْدِعِي سِرّاً تَضَعْنَتُ سِرَّهُ \* فَأَوْدَعْتُهُ فِي مُسْتَقَرِّ الْحَشَا قَبْراً

فقال أبنه عبيد الله ، وهو صبي :

وما السر من قلبي كتابٌ بحفرة \* لأنني أرى المدفونَ يَنْتَظِرُ الحَشَرَ  
ولكنني أخفيه حتى كأتني \* مِنَ الدَّهْرِ يوماً ما أَحْطَتْ بِهِ خَبْراً

وعلى صاحب هذه الرتبة الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك بأن لا يتلقاه عنه بحضرة أحد . فقد حكى أن بعض ملوك العجم استشار وزيريه ، فقال أحدهما : ” لا ينبغي للملك أن يستشير منّا أحدا إلا خالياً فإنه أصون للسر وأخزم للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض ، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أو ثقت من إفشائه إلى اثنين وإفشائه إلى ثلاثة كإفشائه إلى جماعة ، لأن الواحد رهن بما أفشى اليه . والثاني مطلق عليه ذلك الرهن . والثالث علاوة ، وإذا كان السر عند واحد كان أخرى أن لا يظهره رغبة أو رهبة ، وإن كان عند اثنين كان على شبهة وآسعت عن الرجلين المعارضين ، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد ، وإن آتهمهما آتهم بريئا بجناية مجرم ، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له ، وعن الآخر ولا حجة معه “ .

قلت : وكما يجب عليه الاحتياط حالة تلقى السر عن الملك فكذلك يجب عليه الاحتياط حالة إلقائه إلى كاتب يكتبه ، فلا يلقيه إلى كاتبين جميعا ، ولا يخاطب فيه أحدهما بحضرة الآخر لتكون العهدة في دركه على واحد بعينه . على أنه ربما أفشى السر مع احتراز صاحبه عن إفشائه ، فقد قيل : إن الحق تنقل الأخبار ، وتفشى ما تطلع عليه من الأسرار . وقد حكى عن علي بن الجهم أنه قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل فرأيت الفتح بن خاقان وزيره واقفا على غير مرتبته التي يقوم عليها ، متكئا على سيفه ، مطرقا إلى الأرض فأنكرت حاله ، وكنت إذا نظرت اليه نظر الخليفة إلى ، وإذا صرفت وجهي إلى نحو الخليفة أطرق ، فقال لي الخليفة يا علي أنكرت شيئا ؟ — قلت نعم يا أمير المؤمنين ! — قال : ما هو ؟ — قلت : وقوف الفتح بن خاقان في غير منزلته ، — قال : سوء اختياره أقامه ذلك المقام ، — قلت :

(١) في الأصل أموت . وهو تصحيف ظاهر .

(٢) لعل الأظهر على .



ما السبب يا أمير المؤمنين ؟ — قال : خرجت من عند جارية لي فأسررت إليه سراً  
فما عداني السرُّ أن عاد إليّ . — قلت لعلك أسررت الى غيره ، — قال : ما كان  
هذا ! — قلت فلعل مستمعا أستمع إليك ، — قال لا ولا هذا أيضاً . قال فأطرقت  
ملياً ثم رفعت رأسي ، فقلت : يا أمير المؤمنين قد وجدت له مما هو فيه مخرجا . —  
قال وما هو ؟ — قلت : خبر أبي الجوزاء ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال حدثنا  
المعتمر بن سليمان عن أبي الجوزاء قال : طلقت امرأتى في نفسى وأنا بالمسجد ثم  
أنصرفت إلى منزلى ، فقالت لي امرأتى : طلقتنى يا أبا الجوزاء ! قلت من أين لك  
هذا ؟ قالت حدثتنى به جارتى الأنصارية قلت : ومن أين لها هذا ؟ قالت ذكرت  
أن زوجها أخبرها بذلك قال : فغدوت على ابن عباس رضى الله عنهما فقصصت  
عليه القصّة فقال : أما علمت أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل ؟ فمن  
هنا يفشو السر ، فضحك المتوكل ، وقال إلى يا فتح ! فصبّ عليه خلعة ، وحمله  
على فرس ، وأمر له ببال ، وأمر لي بدونه فأنصرفت إلى منزلى ، وقد شاطرنى  
الفتح فيما أخذ فصار إلى الأكثر .

قال أبو نعيم وكان في نفسى من حديث أبي الجوزاء شيء حتى حدثني حمزة  
ابن حبيب الزيات . قال : خرجت سنة أريد مكة فيينا أنا في الطريق إذ ضلّت  
راحلتى فخرجت أطلبها فإذا أنا بأثنين قد قبضا على أحسّ حسّهما ولا أرى شخصهما  
بل أسمع كلامهما ، فأخذاني إلى شيخ قاعد وهو حسن الشّبة فسلمت عليه فردّ على<sup>(١)</sup>  
السلام فأفرخ روعى . ثم قال من أين والى أين ؟ قلت من الكوفة إلى مكة .  
قال : ولم تخلّفت عن أصحابك ؟ قلت ضلّت راحلتى فجئت أطلبها ، فرفع رأسه  
إلى قوم عنده ، وقال : أنيخوا راحلته ، فأنيخت بين يدي . ثم قال : تقرأ القرآن ؟

(١) في الأصول بالجم وهو تصحيف . وصوابه بالخاء المعجمة يقال أفرخ روعه أى زال فزعه . انظر القاموس .

قلت نعم . قال فافراً ، فقرأت حم الأحقاف حتى أتيت ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا  
مِنَ الْجِنِّ﴾ فقال مكانك ، أندري كم كانوا ، قلت لا . قال كمًّا أربعة : وكنت  
أنا المخاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم لهم ، فقلت : ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾  
ثم قال أتقول الشعر ؟ قلت لا . قال فترويه ؟ قلت نعم . قال هاته ، فأنشدته  
قصيدة زهير بن أبي سلمى "أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى" فقال لمن هذه ؟ قلت لزهير بن أبي سلمى  
قال الجني ؟ قلت لا بل الإنسي . ثم رفع رأسه الى قوم عنده ، فقال اتئوني بزهير  
فأتني بشيخ كأنه قطعة لحم فألقي بين يديه — قال يا زهير — قال ليك ! قال "أمن  
أم أوفى" لمن هي ؟ قال لي — قال هذا حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى ؛  
قال : صدق وصدق ، قال وكيف هذا ؟ قال هو إلفي من الإنس وأنا تابعه  
من الجن ، أقول الشيء فألقيه اليه في فهمه ويقول الشيء فأخذ عنه ، فأنا قائلها في الجن  
وهو قائلها في الإنس . قال أبو نعيم : فصدق عندي حديث أبي الجوزاء أن وسواس  
الرجل يحدث وسواس الرجل .

### الفصل الثالث

(فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان بتدبيره ، ويصرفه بقلمه ،

ومتعلق ذلك اثنا عشر أمراً)

### الأمر الأول

(التوقيع والتعيين)

أما التوقيع فهو الكتابة على الرقاع والقصاص بما يعتمده المكاتب من أمر الولايات  
والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالملكة ، والتحدث في المظالم ؛ وهو أمر جليل ،  
ومنصب حفيظ ، إذ هو سبيل الاطلاق والمنع ، والوصل والقطع ، والولاية والعزل

إلى غير ذلك من الأمور المهمات والمتعلقات السنية . وأعلم أن التوقيع كان يتولاه في ابتداء الأمر الخلفاء ، فكان الخليفة هو الذى يُوقَّع فى الأمور السلطانية ، وفصل المظالم ، وغيرهما .

## الامر الثانى

(نظره فى الكتب الواردة عليه)

قال أبو الفضل الصورى : ” كان الواجب أن لا يقرأ الكتب الواردة على الملك إلا هو بنفسه ؛ ولما كان ذلك متعذرا عليه لوفورها ، وآتساع الدولة ، وكثرة المكاتبين من أصناف أرباب الخدم ، ووصول الكتب إليه من الأقطار النائية ، والممالك المتباعدة ، وضيق الزمان عن تفرغه لذلك ، وجب تفويضه إلى متولى ديوان رسائله .“  
قال : ” ولما كان حال متولى صاحب الديوان كذلك لأشغاله بالحضور عند الملك فى بعض الأوقات لقراءة الكتب الواردة ، وتقرير ما يجاب به عن كل منها ، مع شغله بتصفّح ما يكتب فى الديوان والمقابلة به ، احتاج أن يرد أمرها إلى كاتب يقوم مقامه “  
على ما سيذكر فى صفات كتاب الديوان فيما بعد إن شاء الله تعالى .

## الامر الثالث

(نظره فيما يتعلق برده الأجوبة عن الكتب الواردة على لسانه)

قال أبو الفضل الصورى : ” ومن أهم ما يلزم صاحب هذا الديوان إشعار الملك ما يراه من الآراء الصائبة ويعلمه أن من أعظمها خطرا أن يُصدّر جواب كل كتاب يصل إليه فى يومه ولا يؤخره إلى غده ويؤرخ فى آخره بتاريخ ذلك اليوم “  
فيقال ” وكتب فى يوم وصول كتابك ، وهو يوم كذا “ فإن ذلك يقيم للملك هبة كبيرة ، ويدل

على تطلّعه للأُمور، وانتصابه للتدبير، وقلة إهماله لأُمور دولته، وكثرة احتفاله باستقامة شُئونها، ويؤثّر في نفس المكاتبين تأثيرا كبيرا، ويستشعرون منه حذرا وخيفة“ . قال : ”ووينبغي أن يأخذ جميع أرباب الخدم في البلاد بتاريخ كتبهم ويحدّثهم من ترك ذلك ؛ فإن في إهماله ضررا كبيرا من حيث إنه إذا ورد غير مؤرّخ لم يعلم بعدّ العهد بما ذكر فيه من قُربه ، ولا هل فات وقت النظر فيما تضمّنه أم لا ؛ وإذا كان مؤرّخا عرف ذلك وزالت الشبهة فيه ، وإذا وصل إليه كتاب اقتضى تاريخه زيادة زمن على مسافة الطريق ، أنكر ذلك على حامله فإن خرج عن العهدة بإقامة الحجّة على أنه لم يتأخّر به قدرا زائدا على مسافة طريقه ، وأن العذر من تقدّم التاريخ قبل إرساله ، أنكر ذلك على مرسله إنكارا يردّعه عن ذلك ويزجره عنه .

### الأمر الرابع

(نظره فيما تفتاوت به المراتب في المكاتب والولايات : من الافتتاح

والدعاء، والألقاب، وقطع الورق ونحو ذلك)

وقد كان هذا الباب في الزمن المتقدم في غاية الضبط والتحرير، خصوصا في زمن الخلفاء من بنى العباس والفاطميين ؛ لا يُزاد أحد في الألقاب على ما لُقّب به الخليفة كبيرا كان أو صغيرا، ولا يُسمَح له بزيادة الدعوة الواحدة فضلا عما فوقها . أما الآن فقد صار ذلك موكولا إلى نظر صاحب ديوان الإنشاء ينزل كل أحد من المكاتبين وأرباب الولايات منزله على ما يقتضيه مصطلح الزمان من علو وهبوط ؛ وحينئذ فعليه أن يحتاط في ذلك ويؤاخذ كتاب الإنشاء بالمشاحة فيه، والوقوف عند ما حدّ لهم من غير إفراط ولا تفريط . فقد قال صاحب موادّ البيان : ”إن الملوك تسمَح ببدرات المال ، ولا تسمَح بالدعوة الواحدة“ وناهيك بذلك تشديدا واحتياطا .

## الأمر الخامس

( نظره فيما يُكْتَب من ديوانه وتصفُّحه قبل إخراجِه من الديوان )

قال أبو الفضل الصوري : ” على متولِّي الديوان أن يتصفح ما يُكْتَب من ديوانه من الولايات والمناشير والمكاتبات ؛ إذ الكاتب غير معصوم من الخطأ واللحن وسبق القلم ؛ وعيب الإنسان يظهر منه لغيره مالا يظهر له ، فما أبصره من لحن أو خطأ أصلحه ونبه كاتبه عليه فيحذّر من مثله فيما يستأنفه ، فإن تكرّر منه زجره عن ذلك ، وردّعه عن العود إلى مثله ؛ إذ الغرض الأعظم أن يكون كلُّ ما يُكْتَب عن الملك كامل الفضيلة خطأ ولفظاً ومعنى وإعراباً حتى لا يجد طاعن فيه مطعناً ، فربما زلَّ الكاتب في شيء فيزِل بسببه متولِّي الديوان . بل السلطان . بل الدولة بأسرها . قال : فإذا فرغ من عَرْض الكتاب والوقوف عليه ، كتب عليه بخطه ما يدلُّ على وقوفه عليه ليكون ملزماً بذكره .

وكانه يشير إلى ما تقدّم من كلامه : من أنه إن كان رسالة كتب عنوانها بخطه ؛ وإن كان منشوراً ونحوه ، كتب تاريخه بخطه .

ثم قال : ” فإن كان متولِّي الديوان مشغولاً بحضور مجلس السلطان ومخاطباته والتلقّي عنه ، ولا يمكنه مع ضيق الزمان توفية كلِّ ما يُكْتَب بالديوان حقّ النظر فيه وتصفح ألفاظه ومعانيه ، نصب له في ذلك نائباً كامل الصنعة حسن الفطنة موثقاً به فيما يأتي ويذرّ ، يقوم مقامه في ذلك “ . قال : ” وليس ذلك لأنه يغني عن نظر متولّي الديوان ، ولكن ليتحمل عنه أكثر الكل ويصير إليه وقد قارب الصحة أو بلغها فيحصل على الراحة من تعبها ، ويصرف نظره إلى ما لعله خفى على المتصفح من دقائق المعاني وعويص<sup>(١)</sup> المدارك ، فيقلّ زمنُ النظر عليه ، ويظفر بالغرض المطلوب في أقرب وقت “ .

(١) العويص بالعين المهملة وهو ما يعسر فهمه . وانجماه في الأصول تصحيف .

## الأمر السادس

(نظره في أمر البريد ومتعلقاته، وهو من أعظم مهمات السلطان،

وأكدر روابط الملك)

قال زياد لحاجبه : ”وَلَيْتَكَ حِجَابِي وَعِزَّتِكَ عَنْ أَرْبَع : هذا المنادى إلى الله في الصلاة والفلاح فلا تُعَوِّجَنَّهُ عَنِّي ، ولا سلطان لك عليه ؛ وصاحبُ الطعام ، فإن الطعام إذا أُعيد تسخينه فسدَ ؛ وطارقُ الليل فلا تَحْجُبْهُ فَشَرُّ مَا جَاءَ بِهِ ، ولو كان خيرا ما جاء في تلك الساعة ؛ ورسولُ الثَّغْرِ ، فإنه ان أبطأ ساعة أفسد عمل سنةٍ فأَدْخِلْهُ عَلَيَّ ولو كنت في لحافِي“ . وقد تقدّم أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذي يتلقّى المكاتبات الواردة ويقروّها على السلطان ويجاوبُ عنها ، فيجب على صاحب هذه الوظيفة أن يكون متيقّظا لما يَرِدُ على السلطان من نواحي ممالكه وقاصيات أعماله فإنه المعتمد عليه في ذلك والمعول عليه في أمره .

وقد كان أمرُ البريد في الزمن المتقدم والدواداريةُ يومئذٍ أمراء صغار وأجناد معدّون لصاحب ديوان الإنشاء ، تخرج رسالة السلطان على لسان بعض الدوادارية بما يرسم به لمن يركب البريد في المهمات السلطانية وغيرها ويأتى بها إلى صاحب ديوان الإنشاء فيعلق رسالته على ما تقدّم في تعليق الرسالة ويعمل بمقتضاها . وكان للبريد ألواح من نحاس كلّ لوح منها بقدر راحة الكفّ أو نحوها منقوش على أحد وجهيه ألقابُ السلطان ، وعلى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّ ولو كره المشركون . وفي رقبته شُرابة من حرير أصفر يجعلها راكب البريد في عنقه ويرسل اللوح على صدره علامة له . فإذا حضرت الرسالة إلى كاتب السردفع إلى البريديّ لوحا من تلك الألواح وكتب له ورقة بخطه إلى أميرأخور البريد بالإصطبل السطانيّ بما تبرز به الرسالة من الخيل ،

ويكتبُ أسمه في آخر الكتاب الذي يُنفذ معه بين السطور ، ويُختم الكتاب ،  
ويُسَلِّمُ إليه ، ويكتب له ورقة طريق بالتوجه إلى جهة قصده ، وحمله على ما رَسِمَ  
له به من خيل البريد على ما سيأتى ذكره في الكلام على كتابة أوراق الطريق ،  
ويترك أسمه وتاريخ سفره ، والجهة التي توجه إليها ، والشغل الذي توجه بسببه بدفتر  
بالديوان .

فلما عظم أمر الدوادارية واستقر عند الدوادار كاتب من كتّاب الدست يعلّق  
عنه الرسالة على ما تقدّم في الكلام على تعليق الرسالة ، رجع أكثر الأمر في ذلك إلى  
الدوادار ، وصار كاتب الدست الذي يخدمه يعلّق الرسالة عنه بذلك كما يعلّقها عنه  
في غيره على ما تقدّم . فإن كان البريد إلى جهة الشام كتب في ورقة لطيفة يرسم  
برسالة المقرّ المخدم الفلاني أمير دوادار الناصري أو الظاهري مثلاً أعز الله تعالى  
أنصاره أن يكتب ورقة طريق شريفة باسم فلان الفلاني المرسوم له بالتوجه إلى  
الجهة الفلانية ، ويحمل على فرس أو فرسين أو أكثر من خيل البريد . ثم يؤرّخ .  
وإن كان البريد إلى الوجه القبلي أو البحري أو غير ذلك كتب : أن يكتب ورقة  
فرس بريد باسم فلان الفلاني من غير تعرض لذكر ورقة طريق ، وباقي الكلام على  
نحو ما تقدّم ، ويؤرّخ ويجهز تلك الورقة صحبة البريدي إلى صاحب ديوان الإنشاء  
فيخلّد الورقة بديوانه عند دواذره في جملة أصاير الديوان ، ويكتب له في ورقة  
صغيرة أيضاً ما مثاله : أميرأخور البريد المنصور ، يحمل فلان الفلاني على فرس واحد  
أو أكثر من خيل البريد المنصور عند توجهه إلى الجهة الفلانية ويؤرّخ ، ويدفع  
إلى البريدي ليدفعها إلى أميرأخور البريد تخلّد عنده ، ويكتب اسم البريدي  
في آخر الكتاب على ما سيأتى في أول المكاتبات إن شاء الله تعالى ، ويُختم الكتاب  
ويدفع إليه .

قلت : وقد بطل الآن ما كان من أمر الألواح وتركت ، وصار كل بريدي عنده شربة حرير صفراء يجعلها في عنقه من غير لوح . اللهم إلا أن يتوجه البريدي إلى مملكة من الممالك النائية ، فيحتاج إلى اللوح لتعارف أمر المملكة القديمة . وكذلك الحكم فيمن يتوجه إلى الأبواب السلطانية من نيابة من نيابات المملكة في ورقة الطريق وخيل البريد . ولصاحب ديوان الإنشاء التنبيه على مصالح مراكز خيل البريد في الديار المصرية وغيرها .

وسأتي الكلام على مراكز البريد بمصر والشام ، مفصلة في موضعها إن شاء الله تعالى . وأعلم أنه يجب على الناظر في أمر البريد : من الملك فمن دونه أن يحتاط فيمن يرسله في الأمور السلطانية ، فيوجه في كل قضية من يقوم بكفائها وينهض بأعبائها ، ويختص الملوك وأكابر النواب بأكابر البريدية وعقلائهم وأصحاب التجارب منهم ، خصوصا في المهمات العظيمة التي يحتاج الرسول فيها إلى تنسيق الكلام ، وتحسين العبارة ، وسماع شبهة المرسل إليه ، ورد جوابه واقامة الحجة عليه ، فإنه يقال : يُستدل على عقل الرجل بكتابه وبرسوله . وقد قيل : من الحق على رسول الملك أن يكون صحيح الفكرة والمزاج ، ذا بيان وعارضة ولين واستحكام منعة ، وأن يكون بصيرا بخارج الكلام وأجوبته ، مؤديا للألفاظ عن الملك بمعانيها ، صدوقا بريئا من الطمع . وعلى مرسله امتحانه قبل توجيهه في مقاصده ، ولا يرسل إلى الملوك الأجانب ، إلا من آخبره بتكرير الرسائل إلى نوابه وأهل مملكته . فقد كان الملوك فيما سلف من الزمن إذا آثروا إرسال شخص لمهم ، قدموا امتحانه بإرساله إلى بعض خواص الملك ممن في قرار داره ، في شيء من مهماته ، ثم يجعل عليه عينا فيما يرسل به من حيث لا يشعر ، فإذا أدى الرسول رسالته رجع بجوابها وسأل الملك عينه ، فإن

(١) في الأصل ويرد وهو تصحيف ظاهر .



طابق ما قاله الرسول ما أتى به من هو عين عليه وتكرر ذلك منه ، صارت له الميزة والتقدمة عند الملك ووجهه حينئذ في مهمات أموره .

وكان أردشير بن بابك آخر ملوك الفرس يقول : ”حق على الملك الحازم إذا وجه رسولا إلى ملك أن يرده بأخر، وإن وجه برسولين وجه بعدهما باثنين، وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسله في طريق فعل“ .

ومن الحزم أن الرسول إذا أتاه برسالة أو كتاب في خير أو شر أن لا يحدث في ذلك شيئا حتى يرسل مع رسول آخر يحكى له كتابه أو رسالته حرفا وحرفا ومعنى معنى فإن الرسول ربما فات به بعض ما يؤمله فافعل الكتب ، وغير ما شؤفه به فأفسد ما بين المرسل والمرسل إليه : من ملك أو نائب ونحوهما ؛ وربما أدى ذلك إلى وقوع فتنة بين الملكين ، أو خروج النائب عن الطاعة وتفاقم الأمر بسبب ذلك وسرى إلى ما لا يمكن تداركه .

وقد حكى أن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق بخفاء برسالة شك الإسكندر في حرف منها فقال له : ”وَيْلَكَ ! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومسدد إذا مالت وقد جئتنى برسالة صحيحة الألفاظ بينة المعاني ، وقد وجدت فيها حرفا ينقضها ؛ أفعلني يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال بل على يقين منه أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب الألفاظ حرفا وحرفا ويعاد إلى الملك الذي جاء ذلك الرسول من عنده مع رسول آخر فيقرأ عليه ويترجم له . فلما وصل الرسول الثاني إلى ذلك الملك وقرأ عليه ما كتب إليه به الإسكندر في أمر ذلك الرسول ، أنكر ذلك الحرف الذي أنكره الإسكندر وقال للترجم : ”ضع يدك على هذا الحرف“ فوضعبها فأمر أن يعلم بعلامة وقال : ”إني أجل ما وصل عن الملك أن أقطعه بالسكّين ، ولكن ليصنع هو فيه وفي قائله ما شاء“ . وكتب إلى الإسكندر : ”إن من أس المملكة صحة لهجة الرسول ؛ إذ كان عن لسانه ينطق ، وإلى أذنه

يؤدى“، فلما عاد الرسول إلى الإسكندر دعا برسوله الأول وقال : ”ما حلك على كلمة قصدت بها إفساد ما بين ملكين ؟“ فأقر أن ذلك كان منه لتقصير رآه من الملك ، فقال له الإسكندر: ”فأراك قد سعت لنفسك لا لنا ! فاتك ما أملت مما لا تستحقه على من أرسلت إليه فجعلت ذلك ثأرا تُوقعه في الأنفس الخطيرة الرفيعة ! ثم أمر بلسانه فترع من قفاه.“ وكأنه رأى إتلاف نفس واحدة أولى من إتلاف نفوس كثيرة بما كان يُوقعه بين الملكين من العداوة ويشير من الإحن وضغائن الصدور .

وقد كان أردشير بن بابك يقول : ”كم من دم سفك الرسول بغير حله ! وكم من جيوش هُزمت وقُتِل أكثرها ! وكم حُرمة انتهكت ! وكم مال هُيب وعقد نُقض بخيانة الرسل وأكاذيب ما يأتون به !“ .

## الأمر السابع

(نظره في أمر أبراج الحمام ومتعلقاته)

سيأتى فيما بعد أن شاء الله تعالى أن بالديار المصرية أبراجا للحمام الرسائي يجمل البطائق في أجنحته من مكان إلى مكان ؛ منها بُرج بقلعة الجبل ، وأبراج بطريق الشام بمدينة بلبس ، وأبراج بطريق الإسكندرية . وكان قبل ذلك يدرج إلى قوص ، ومنها إلى أسوان وعيذاب ما يقطع <sup>(١)</sup> ذلك الآن . وحمام كل برج يُنقل منه في كل يوم إلى البرج الذى يليه ليطلب برجه الذى هو مستوطنه إذا أُرسِل . فإذا عرض أمر مهم أو ورد بريد أو غيره ممن يحتاج إلى مطالعة الأبواب السلطانية به إلى مكان من الأمكنة التى فيها برج من أبراج الحمام ، كتب إليها المتحدث فيها بذلك للأبواب السلطانية ، وبعث بها على أجنحة الحمام . وقد جرت العادة

(١) كذا في الأصل ولعله فاقطع ذلك الآن .

(٢) صوابه ما كما هو واضح .

أن تكتب بطاقتان وتؤرخان بساعة كتابتهما من النهار ، ويعلق كل منهما في جناح طائر من الحمام الرسائلى ويُرسلان ، ولا يكتفى بواحد لاحتمال أن يعرض له عارض يمنعه من الوصول إلى مقصده . فاذا وصل الطائر إلى البرج الذى وجه به إليه ، أسكه البراج وأخذ البطاقة من جناحه وعلقها بجناح طائر من حمام البرج الذى يليه أى من المنقول إلى ذلك البرج ، وعلى ذلك حتى ينتهى إلى برج القلعة فيأخذ البراج الطائر والبطاقة في جناحه ويحضره بين يدي الدوادر الكبير فيعرض عليه ، فيضع البطاقة عن جناحه بيده . فإن كان الأمر الذى حضرت البطاقة بسببه خفيفا لا يحتاج إلى مطالعة السلطان به ، استقل الدوادر به ، وإن كان مهماً يحتاج إلى إعلام السلطان به ، استدعى كاتب السر وطلع لقراءة البطاقة على السلطان كما يفعل في المكاتبات الواردة . وكذلك الحكم فيما يطراً من المهمات بالأبواب السلطانية فإنه يوجه بالحمام من برج القلعة إلى الجهة المتعلقة بذلك المهم . وفى معنى ذلك كل نيابة من النيابات العظام بالممالك الشامية كدمشق ، وحلب ، وطرابلس ونحوها مع ما تحتها من النيابات الصغار والولايات ، على ما سأتى ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى .

## الأمر الثامن

( نظره فى أمور الندوية )

وهم طائفة من الإسماعيلية المنتسبين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ! ، من فاطمة بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وهم فرقة من الشيعة معتقدهم معتقد غيرهم من سائر الشيعة أن الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم !

أنتقلت بالنص إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، ثم إلى آبنه الحسن ، ثم إلى أخيه الحسين ، ثم تنقلت في بنى الحسين إلى جعفر الصادق ، ثم هم يدعون أنتقال الإمامة من جعفر الصادق إلى آبنه إسماعيل ، ثم تنقلت في بنه .

وسموا الفداوية لأنهم يقادون بالمال على من يقتلونه . ويسمون في بلاد العجم بالباطنية لأنهم يبطنون مذهبهم ويخفونه ، وتارة بالملاحدة لأن مذهبهم كله إلحاد . وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية . وسيأتى الكلام عند ذكر تخليفهم في الكلام على الإيمان إن شاء الله تعالى . وكانوا في الزمن المتقدم قد علت كلمتهم ، وأشدت شيكمتهم ، وقويت شوكتهم ، وأستولوا على عدة قلاع ببلاد العجم وبلاد الشام . فأما بلاد العجم فكان بداية قوتهم وانتشار دعوتهم في دولة السلطان ملكشاه السلجوقي في المائة الخامسة . وذلك أنه كان من مقدميهم رجل اسمه عطاش فنشأ له ولد يسمى أحمد فتقدم في مذهبهم وأرتفع شأنه فيهم ، وألم به من في بلاد العجم منهم ، فغلب على قلعة بأصبهان ، كان قد بناها السلطان ملكشاه المتقدم ذكره ، وقلعة بالطالقان تعرف بقلعة الموت ؛ وكان من تلامذته رجل يقال له الحسن بن الصباح ذو شهامة وتقدم في علم الهندسة والحساب والنجوم والسحر ، فآتهم بالدعوة للخلفاء الفاطميين ، وهم من جملة طوائف الإسماعيلية ففر الحسن بن الصباح منه هاربا إلى مصر ، وبها يومئذ المستنصر بالله خامس خلفاء الفاطميين فأكرمه وأحسن نزل ، وأمره بأن يخرج إلى البلاد للدعوة إلى إمامته فأجابه إلى ذلك ، وسأله من الإمام بعده ، فقال له : أبى نزار وهو الذى تنسب إليه التزارية منهم . فخرج أبى الصباح من مصر وسار إلى الشام ، والجزيرة ، وديار بكر ، وبلاد الروم يدعو إلى إمامة المستنصر . ثم آبنه نزار من بعده ، وسار إلى خراسان وجاوزها إلى ما وراء النهر ، ودخل كاشغر يدعو إلى ذلك ، ثم عاد إلى الطالقان وأستولى على قلعة الموت في سنة ثلاث وثمانين

وأربعائة ، ثم استولى على قلعة أصبهان واستضاف إليها عدة قلاع بتلك النواحي في سنة تسع وتسعين وأربعائة ، وقويت شوكة هذه الطائفة بتلك البلاد ، وعظم أمرها ، وخافها الملوك وسائر الناس ، وبقي ابن الصياح على ذلك حتى مات في سنة ثمان عشرة وخمسمائة . وتقلت تلك القلاع بعده حتى صار أمرها إلى شخص من عقبه يسمى جلال الدين بن حسن الكيما الصياحي فأظهر التوبة في سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وبقي على ذلك إلى سنة ثمان وستمائة ، فأظهر شعائر الإسلام ، وكتب إلى جميع قلاع الإسماعيلية ببلاد العجم والشام ، فأقيمت فيها ، وبقي حتى توفي سنة ثمان عشرة وستمائة ، وقام بعده ابنه علاء الدين محمد ، وتداول مقدموهم تلك القلاع إلى أن خرج هؤلاء على بلاد العجم في سنة ست وخمسين وستمائة باستصراخ أهل تلك البلاد من عيهم وفسادهم ، فخرب قلاعهم عن آخرها .

وأما بلاد الشام فكان أول قوتهم بها أنه دخل منهم إلى الشام رجل يسمى بهرام بعد قتل خاله إبراهيم الأسدابادي ببغداد في أيام تاج الملوك بوري صاحب الشام ، وصار إلى دمشق ودعا إلى مذهبه بها ، وعاضده سعيد المردغاني وزير بوري حتى علت كلمته في دمشق وسلم له قلعة بانياس ، فعظم أمر بهرام وملك عدة حصون بالجبال أظنها القلاع المعروفة بهم إلى الآن ، وهي سبع قلاع بين حماه وحمص متصلة بالبحر الرومي على القرب من طرابلس : وهي مضيايف ، والرصافة ، والحوابي . والقُدُموس ، والكهف ، والعليقة ، والمينقة ، ومن هنا سُميت بقلاع الدعوة . وكان آخر الأمر من بهرام أنه قُتل في حرب جرت بينه وبين أهل وادي التيم ، وقام مقامه بقلعة بانياس رجل منهم اسمه إسماعيل ، وأقام الوزير المردغاني عوض بهرام بدمشق رجلا منهم اسمه أبو الوفاء فعظم أمره بدمشق حتى صار الحكم له بها ، وهم بتسليمها

(١) لعلها بانياس . قال باقوت كورة ومدينة صغيرة وحضن بسواحل حمص .

للفرنج على أن يسلموا له صورَ عوضاً منها، فشعر به بوري صاحب دمشق فقتله وقتل وزيره المردغاني ومن كان بدمشق من هذه الطائفة، ولم يزل أمرهم يتنقل بالشام لواحد بعد واحد من مقدميهم إلى أن كان المقدم عليهم في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أبو الحسن راشد الدين سنَّان البصري وكان بينهم وبين السلطان صلاح الدين مباينةً ووثبوا عليه مراتٍ ليقْتلوه فلم يظفروا بذلك إلى أن حاصر قلاعهم في سنة اثنتين وسبعين وخمسةً وضيق عليهم، فسألوه الصَّفح عنهم فأجابهم إلى ذلك وبقي راشد الدين سنَّان مقدماً عليهم حتى مات في سنة ثمان وثمانين وخمسةً .

قال في مسالك الأبصار: "وهم يعتقدون أن كل من ملك مصر كان مظهرًا لهم، ولذلك يتولونه ويرون إتلاف نفوسهم في طاعته لما ينتقل إليه من النعم الأكبر بزعمهم". قال: "ولصاحب مصر بمشايعتهم مزيةً يخافه بها أعداؤه لأنه يرسل منهم من يقتله ولا يبالي أن يُقتل بعده، ومن بعثه إلى عدو له فجبن عن قتله قتله أهله إذا عاد إليهم، وإن هرب تبعوه وقتلوه".

قلت: وكانوا في الزمن المتقدم يُسمون كبيرهم المتحدث عليهم تارة مقدم الفداوية، وتارة شيخ الفداوية. أما الآن فقد سمو أنفسهم بالمجاهدين وكبيرهم بأتابك المجاهدين؛ وقد كانت السلاطين في الزمن المتقدم تمنع هؤلاء من مخالطة الناس فلا يخرجون من بلادهم إلى غيرها إلا من رُسِم له بالخروج لما يتعلق بالسلطان ولا يمكن أحد من التجار من الدُّخول إلى بلادهم لشراء قماش وغيره. وكان يكتب بذلك مراسيم من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ويوجه بها للنائب الشام المحروس. وسيأتي إيثار شيء من نسخ هذه المراسيم عند ذكر مرسوم أتابكهم في الولايات إن شاء الله تعالى!

## الأمر التاسع

(نظره في أمر العيون والجواسيس)

وهو جزء عظيم من أسس الملك وعماد المملكة . وعلى صاحب ديوان الإنشاء مَدَارُهُ وإليه رجوع تدبيره واختيار رجاله وتصريفهم . فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر البريد والرُّسل : لأن الرسول قد يتوجه إلى الصديق وقد يتوجه إلى العدو والجاسوس لا يتوجه إلا إلى العدو ، وإذا وثق بجاسوسه فإنه إلى ما يأتي به صائر ، وعليه معتمد ، وبه فاعل .

وقد شرطوا في الجاسوس شروطا :

منها أن يكون ممن يُوثَقُ بنصيحته وصدقه ، فإن الظنين لا يُتَمَقَّعُ بخبره وإن كان صادقا لأنه ربما أخبر بالصدق فأثَّهم فيه فتفوت فيه المصلحة . بل ربما أثار الضرر لمن هو عين له إذ المتهم في الحقيقة عينٌ عليك لا عون لك . وكيف يكون المتهم أمينا ! لاسيما فيما يصرف فيه جليل الأموال من القضايا العظيمة إن سلمت نفيسات النفوس .

ومنها أن يكون ذا حَدَسٍ صائب وفِرَاسة تامة : ليدرك بوقور عقله وصائب حَدَسِهِ من أحوال العدو والمشاهدة ما كتموه عن النطق به ، ويستدلَّ فيما هو فيه ببعض الأمور على بعض فإذا تفرَّس في قضية ولاح له أمر آخر يعضدها قوى بحُتْهِ فيها بانضمام بعض القرائن إلى بعض .

ومنها أن يكون كثير الدَّهَاء والحيل والخديعة : ليتوصل بدعائه إلى كل موصل ، ويدخل بحيلته في كل مدخل ، ويدرك مقصده من أيِّ طريق أمكنه . فإنه متى كان قاصرا في هذا الباب أو شك أن يقع ظفر العدو به أو يعود صفر اليدين من طلبته .

ومنها أن يكون له دُرْبَةٌ بالأَسْفَار ومعرفةً بالبلاد التي يتوجه إليها : ليكون أغنى له عن السؤال عنها وعن أهلها ، فربما كان في السؤال تنبُّه له وتيقُّظ لأمره فيكون ذلك سببا لهلاكه ؛ بل ربما وقع في العقوبة وسئل عن حال ملكه فدلَّ عليه وكان عينا عليه لا له .

ومنها أن يكون عارفا بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها لِيَلْتَقَطَ ما يَقَع من الكلام فيما يذهب بسببه مَن يخالطه من أهل تلك المملكة وسُكَّان البلاد العالمين بأخبارها ، ولا يكون مع ذلك ممن يُتَّهَمُ بمَمَالَاة أهل ذلك اللسان من حيث إن الغالب على أهل كل لسان اتِّحَادُ الجنس ، والجنسيَّةُ علة الضم .

ومنها أن يكون صَبُورا على ما لعله يصير إليه من عُقُوبَةٍ إن ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال مَاسِكِهِ ولا يُطْلِع على وَهْنٍ في مملكته ؛ فإن ذلك لا يخلِّصه من يد عدوه ، ولا يدفع سطوته عنه . بل ولا يعترف أنه جاسوس أصلا ؛ فإن ذلك مما يَحْتَمُّ هلاكه وَيُفْضِي إلى حَتْفِهِ : إلى غير ذلك من الأمور التي لا يسع استيعابها . فإذا وَجَدَ من العيون والجواسيس مَنْ هو مستكمل لهذه الشرائط وما في معناها ، فعليه أن يُظْهِرَ لهم الوُدَّ والمصافاة ولا يُطْلِعَ أحدا منهم في زمن تصرفه له أنه يَتَّهَمُهُ ولا أنه غير مأمون لديه ؛ فربما أذاه ذلك في أَضْيَقِ الأوقات أن يكون عينا عليه ؛ فإن الضرورة قد تلجئه لمثل ذلك ، خصوصا ان جَدَّه إلى ذلك جاذب يستميله عنه مع ما هو عليه من الضرورة ، والضرورة قد تتحمل الإنسان على مفاسد الأمور ، وَيُجْزِلُ لهم الإحسان والبر ، ولا يُغْفَلُ تعاھُدُهُم بالصَّلَاتِ قبل احتياجه إليهم . ويزيد في ذلك عند توجههم إلى المهمات ، ويتعهد أهلهم في حضورهم وغيبتهم ليملك بذلك قلوبهم ويستصفى به خواطرهم . وإن قُضِيَ على مَنْ بعثه منهم بقضاء أحسن إلى مَنْ خَلَفَهُ من أهله ، وجعل لهم من بعده من الإحسان ما كان يجعله له



إذا ورد بنفسه عليه ليكون ذلك داعيا لغيره على النصيحة . وإن قُدِّرَ أن عاد منهم أحد غير ظافر بقصد أو حاصل على طلبة وهو ثقة، فلا يستوحش منه بل يؤليه الجميل، ويعامله بالإحسان؛ فانه إن لم ينجج المرة نجع الأخرى . وعليه أن يحترز عن أن تعرف جواسيسه بعضهم بعضا لا سيما عند التوجه للهمات . وإن استطاع أن لا يجعل بينه وبينهم واسطة فعل، وإن لم يمكنه ذلك جعل لكل واحد منهم رجلا من بعض خاصته يتوكل إيصاله إليه فإنه إذا علم بعضهم ببعض ربما أظهره، بخلاف ما إذا آختص الواحد بالسر . وأيضا فانه لا يؤمن اتفاقهم عليه وممالأتهم لعدوه . وكذلك يحترز عن تعرف أحد من عسكره عيونه وجواسيسه؛ فان ذلك ربما يؤدى إلى انتشار السر والعود بالفسدة . وعليه أن يصنع إلى ما يليق به إليه كل من جواسيسه وعيونه وإن اختلفت أخبارهم ويأخذ بالأحوط فيما يؤديه إليه آجتاده من ذلك ولا يجعل إختلافهم ذنبا لأحد منهم، فقد تختلف أخبارهم وكل منهم صادق فيما يقوله؛ إذ كل واحد قد يرى ما لا يرى الآخر، ويسمع ما لا يسمعه . وإذا عثر على أحد من جواسيسه بزلّة فليسترها عنه وعليه، ولا يعاقبه على ذلك ولا يوبخه عليه فان وبخه ففى خلوة بلطف مذكرا له أمر الآخرة وما فى ممالأة العدو والخيانة من الوبال فى الآخرة . ولا بأس بأن يجرى له ذكر ما عليه من مصافاته ومودته وأنه مع العدو على غرر لا يدرى ما هو صائر إليه؛ فان ذلك أَدعى لاستصلاحه . ولا شك أن استصلاحه إما فى الوقت أو فيما بعد خير من ثبات فساده، فربما أذاه ذلك الى ممالأة العدو ومباطنته، لا سيما اذا كان العدو معروفا بالحلم والصفح، وكثرة البذل والعطاء . وإذا حضر اليه جاسوس بخبر عن عدوه استعمل فيه التثبت ودوام البشر ولا يظهر تهافتا عليه تظهر معه الخفة، ولا إعراضا عنه يفوت معه قدر المناصحة، ولا يظهر له كراهة ما يأتيه به من الأخبار المكروهة فان ذلك مما يستدعى فيه كتمان السر عنه فيما يكره فيؤدى الى الإضرار به .

وقد حكى عن بعض الملوك أنه كان يعطى من يأتيه بالأخبار المكروهة من الجواسيس أكثر مما يعطى من يأتيه بالأخبار السارة .

واعلم أنه لا يمكن أحدا ممن يمنع بلاده أو عسكره من جواسيس عدوه . فيجب الاحتراز منهم بكتان السرّ وبسترّ العورة ما أمكنه ؛ على أنه ربما دعت الضرورة في بعض الأحيان إلى أن يعترف الملكُ عدوه بعض أموره على حقيقة لأمر يحاول به مكيدته . والطريق في ذلك أن يتلطف إلى أن يصير جاسوسَ عدوه جاسوسا له بأن يتودّد إليه بالاستمالة والبرّ وكثرة البذل حتى يستخرج نصيحته ، فيئنذ يلقى إليه ما أراد تبليغه إلى صاحبه الاوّل مما فيه المكيده فيوصله إليه فيكون أقرب لقبوله من بلوغه له من غيره ممن يتهمه .

### الأمر العاشر

(نظره في أمور القُصّاد الذين يسافرون بالملطّفات من الكتب)

عند تعذر وصول البرّد إلى ناحية من النواحي

وهو من أعظم مهمات السلطنة وأكدها . وقد ذكر ابن الأثير في تاريخه : أن أوّل من اتخذ السّعاة من الملوك معز الدولة بن بويه أوّل ملوك الديلم بعد الثلاثين والثلاثمائة :

وكان سبب ذلك أنه كان ببغداد ، وأخوه ركن الدولة ابن بويه بأصبهان وماعها فأراد معز الدولة سرعة إعلام أخيه ركن الدولة بتجددات الأخبار فأحدث السّعاة وانتشّى في أيامه ساعيان اسم أحدهما فضل والآخر مرعوش ، وكان أحدهما ساعى السنة والآخر ساعى الشّعبة ، وتعصّب لكل منهما فرقة ، وبلغ من شأنهما أن كل

(١) كذا في الأصل . ولعل صوابه "لا يمكن أحدا أن يمنع الخ" فتنبه .

واحد منهما كان يسير في كل يوم نيفاً وأربعين فرسخاً ، وأستمر حكم السعاة ببغداد إلى زماننا حتى إن منهم ساعين لركاب السلطان يمشیان أمامه في المراكب وغيرها على قرب .

قلت : ”وقد رأيتهما في خدمة السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد حين قدم مصر في دولة الظاهر برقوق فازا من تمر“ . أما الديار المصرية فإنه لا يتعانى ذلك عندهم إلا خفاف الشباب من مكارية الدواب ونحوهم ممن يعتاد شدة العدو إلا أنه إذا طرأ مهم سلطاني يقتضى إيصال ما طلف مكاتبه عن الأبواب السلطانية إلى بعض النواحي وتعدر إيصاله على البريد لحيلولة عدو في الطريق أو انقطاع خيل البريد من المراكز السلطانية لعارض ، أنتدب كاتب السر بأمر السلطان من يعرف بسرعة المشى وشدة العدو للسفر ليوصل ذلك الملقف إلى المكتوب إليه والإتيان بجوابه . وربما كتبت الكتابان فأكثر إلى الشخص الواحد في المعنى الواحد ويجهز كل منهما صحبة قاصد مفرد خوف أن يعترض واحد فيمضي الآخر إلى مقصده كما تقدم في بطائق الحمام الرسائل . وقد أخبرني بعض من سافر في المهمات السلطانية من هؤلاء أنهم في الغالب عند خوف العدو يمشون ليلاً ويكنون نهاراً وإذا مشوا في الليل يأخذون جانباً عن الطريق الجادة ، يكون بين كل اثنين منهم مقدار رمية سهم حتى لا يسمع لهم حس فاذا طلع عليهم النهار كمنوا متفرقين مع مواعدهم على مكان يتلاقون فيه في وقت المسير .

### الامر الحادى عشر

(نظره في أمر المناور والمحرقات)

أما المناور فسياق أن في الزمن المتقدم عند وقوع الحروب بين التار وأهل هذه المملكة ، كان بين الفرات بآحر الممالك الشامية وإلى قريب من بليس من أعمال

الديار المصرية أمكنةً مرتبةً برءوس جبال عوالي، بها أقوام مقيمون فيها، لهم رزق على السلطان من إقطاعات وغيرها إذا حدث حادث عدو من بلاد التتار، وآنصل ذلك بمن بالقلاع المجاورة للفرات من الأعمال الحليية : فإن كان ذلك في الليل أُوقدت النار بالمكان المقارب للفرات من رءوس تلك الجبال فينظره من بعده، فيوقد النار فينظره من بعده، فيوقد النار وهكذا حتى ينتهي الوقود إلى المكان الذي بالقرب من بليس في يوم أو بعض يوم، فيرسل بطاقته على أجنحة الحمام بالإعلام بذلك فيعلم أنه قد تحرك عدو في الحملة فيؤخذ في التأهب له حتى تصل البرد بالخبر مفصلاً .

وأما المحرقات فسيأتى أنه كان أيضا قوم من هذه المملكة مرتبون بالقرب من بلاد التتار يحمون على إحراق زروعهم بأن تُمسك الشعالب ونحوها وتربط الخرق المغموسة في الزيت بأذنان تلك الشعالب وتوقد بالنار وترسل في زروعهم إذا يبست فيأخذها الذعر من تلك النار المربوطة بأذنانها فتذهب في الزروع آخذة يمينا وشمالا فما مرّت بشيء منه إلا أحرقتة وتواصلت النار من بعضها إلى بعض فتحرق المزرعة عن آخرها .

قلت : وهذان الأمران قد بطل حكمهما من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار على ما سيأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

### الأمر الثاني عشر

(نظرة في الأمور العامة مما يعود نفعه على السلطان والمملكة)

قد تقدّم في أوّل هذا الفصل في الكلام على بيان رتبة صاحب ديوان الإنشاء من كلام صاحب موادّ البيان أنه ليس في منزلة خدّم السلطان والمتصرفين في مهماته

أخص منه ، من حيث إنه أول داخل على الملك وآخر خارج عنه وأنه لا غنى به عن مفاوضته في آرائه والإفضاء إليه بمهمات ، وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره ، وأوقات ظهوره للعامة وخلواته ، وإطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته ، وأنه لا يثق بأحد من خاصته يثق به ، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب ركونه إليه ؛ ومن كان بهذه الرتبة من السلطان والقرب منه ، وجب عليه أن لا يألوه نصحا فيما يعلم أنه أصلح لمملكته وأمر لبلاده وأرغم لأعاديهِ وحُسادهِ وأثبت لدولته وأقوى لأسباب مملكته .

فقد حكى عن علي بن زيد الكاتب : أنه صحب بعض الملوك فقال للملك : "أصبحك على ثلاث خلال — قال وما هي ؟ — قال لا تهتك لي سترا ، ولا تشتم لي عِرْضا ، ولا تقبل في قول قائل حتى تستبرئ . فقال له الملك — هذه لك عندى فمالى عندك ؟ قال : لا أفشى لك سرا ، ولا أؤخر عنك نصيحة ، ولا أؤثر عليك أحدا — قال نعم صاحب المستصحب أنت ! .

فإذا انتهى إلى صاحب الديوان خبر يتعلق بجلب منفعة إلى المملكة أو دفع مضرة عنها ، أطلع السلطان عليه في أسرع وقت وأعجله قبل فوات النظر فيه ونحوه فيه صائب رأيه ، ثم رد النظر فيه إلى رأى السلطان ليخرج عن عهده . وإن آرتاب في خبر المخبر أحضره معه إلى السلطان ليشافهه فيه حتى يكون بريئا عن تبعته ، ولا يهمل تبليغ خبره بمجرد الريبة لاحتمال صحته في نفس الأمر فيلحق بواسطة إهماله ضرر لا يمكن تداركه . وكذلك الحال في سائر ما يرجع إلى صلاح المملكة وحسن تدبيرها .

### الفصل الرابع

(في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، وما يلزم ربّ كل وظيفة منهم فيما كان الأمر عليه في الزمن القديم وأستقرّ عليه الحال في زماننا)  
أما في الزمن القديم فقد ذكر أبو الفضل الصّوريّ في مقدّمة تذكّره أن أرباب الوظائف فيه على ضربين :

### الضرب الأول — الكُتّاب

(١) وقد عداهم إلى سبع كتاب

الأول — كاتب ينشئ ما يُكتب من المكاتبات ، والولايات ، نتصدّي للإنشاء ملكته وغريزة طبعه . قال : ويجب أن يكون هذا الكاتب لاحقاً بصفات متولّي الديوان بحيث يكون كاملاً في الصفات ، مستوفياً لشروط الكتابة ، عارفاً بالفنون التي يحتاج إليها الكاتب ، مشتملاً على التقدّم في الفصاحة والبلاغة ، قوى الحجّة في المعارضة ، واسع الباع في الكلام بحيث يقتدر بملكته على مدح المذموم وذم المحمود وصرف عنان القول إلى حيث شاء ، والإطناب في موضع الإطناب ، والإيجاز في موضع الإيجاز ؛ فإنه أجلُّ كُتّاب الديوان ، وأرفعهم درجةً لأنه يتولّى الإنشاء من نفسه ، وتلقّى إليه الكلمة الواحدة والمعنى المفرد فينشئ على ذلك كلاماً طويلاً ، ويأتى منه بالعبرة الواسعة ؛ وهو لسانُ الملك المتكلّم عنه ، فهما كان كلامه أبدع ، وفي النفوس أوقع ، عظمت رتبة الملك ، وارتفعت منزلته على غيره من الملوك . وهو الذي ينشئ العهود والتقاليد في الولايات والكُتّاب في الحوادث الجار ، والمهمّات العظيمة التي

(١) الصواب تأنيث أسم العدد كما هو واضح .

تتلى فيها الكتب على صياصي المنابر ورءوس الأشهاد . فقد حكى أن يزيد بن الوليد كتب إلى إبراهيم بن الوليد ، وقد همَّ بالعصيان : أما بعد فإنى أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فأعتمد على أيهما شئت والسلام ؛ فكان سبباً لإقلاعه عما همَّ به .

الثانى — كاتب يكتب مكاتبات الملوك عن ملكه ؛ وقد شرط فيه مع ما شرط فى المتصدى للانشاء المتقدم ذكره أن كان هو الذى ينشئ المكاتبات بنفسه عن الملك أن يكون على دين الملك الذى يكتب عنه ومذهبه ؛ لما يحتاج إليه فى مكتبة الملك المخالف من الاحتجاج على صحة عقيدته ، ونصرة مذهبه ، وإقامة الدلائل على صحة ذلك ، ولن يحتاج للملة أو المذهب من اعتقد خلافه بل المخالف إنما تبدؤله مواضع الطعن لا مواضع الحجج . وكذلك أن يكون من علو الهمة ، وقوة العزم ، وشرف النفس بالمحل الأعلى ، والمكان الأرفع ؛ فإنه يكتب عن ملكه ، وكل كاتب فإنه يحوزه طبعه وجيلته وخيمته إلى ما هو عليه من الصفات . فكلما كان الكاتب أقوى جانباً وأشدَّ عزماً وأعلى همة ، كان على التفضيم والتعظيم ، والتهويل والترغيب والترهيب أقدر ، وكلما نقص من ذلك نقص من كتابته بقدره ؛ وأن يكون عالماً بقدر طبقة المكتوب إليه فى معرفة اللسان العربى فيخاطب كل قوم على قدر رتبتهم فى ذلك وما يعرف من فهمهم .

الثالث — كاتب يكتب مكاتبات أهل الدولة وكبرائها ، وولاتها ، وجووها من النواب والقضاة والكتاب والمشارفين والعمال ، وإنشاء تقليدات ذوى الخدم الصغار والأمانات ، وكتب الأيمان والقسامات . قال : وهى وإن كانت دون الرتبين المتقدمتين فهى جليلة الخطر عالية القدر ؛ ويجب أن يكون لاحقاً برتب الخدمة منها ، وأن يكون مأموناً على الأسرار ، كاف اليد ، نزه النفس عن العرض

الذنيوى لأنه يطلع على أكثر مايجرى في الدولة، ويعلم بالوالى قبل توليه والمصروف قبل صرفه، ويكون مع ذلك سريع اليد في الكتابة، حسن الخط اذ كان هذا الفن أكثر ما يُستعمل ولا يكاد يقل في وقت من الأوقات

الرابع — كاتب يكتب المناشير والكتب اللطاف والنسخ . قال : وهذه المنزلة لاحقة بالمنزلة التي قبلها وكأنها جزء منها . ويجب أن يكون هذا الكاتب مأموناً كئوماً للسر؛ فيه من الأدب ما يامن معه من الخط واللحن في لفظه وخطه، ويكون حسن الخط أو بالغ فيه القدر الكافي . ولكن لما كان هذا الشغل واسعا وهو أكثر عمل الديوان والذي لايفك منه، لم يكد يستقل به رجل واحد فيحتاج إلى معاضدته بآخر يكون دونه في المنزلة، ويجعل برسم تسطير المناشير والفصول المتقدمة الى المقيمين بالحضرة، وكتابة تذاكر المستخدمين، ونقلها مما يمليه صاحب الديوان ويصدر عنه في نسخ تكون مغلدة فيه لا تغادر الميضة بحرف لتكون موجودة متى احتيج اليها .

الخامس — كاتب يبيض ما ينشئه المنشئ مما يحتاج إلى حسن الخط، كالعهود والبيعات ونحوها . قال الصوري : لما كانت البلاغة التامة التي يصلح صاحبها للإنشاء وحسن الخط قلما يجتمعان في أحد، وجب أن يُختار للديوان مبيض يرسم الإنشاءات والسجلات والتقليدات، ومكاتبات الملوك، وأن يكون حسن الخط إلى الغاية الموجودة بحيث لا يكاد يوجد في وقته أحسن خطا منه لتصدر الكتب عن الملك بالألفاظ الرائقة والخط الرائع . فإن ذلك أكل للملكة، وأكثر تفخيا عند من يكتبه وتعظيما لها في صدره . ويجب أن يكون مع ذلك في الأمانة، وكتمان السر، ونزاهة النفس على ما تقدم .

السادس — كاتب يتصفح ما يكتب في الديوان . قد تقدم أنه لما كان كل واحد ممن تقدم ذكره غير معصوم من السهو والزلال والخطا واللحن ومثرات القلم . وكل واحد



يتغلى عنه عيب نفسه ويظهر له عيب غيره، وكان زمن متولّى الديوان أضيق من أن يؤنى بكل ما يكتب بديوانه حقّ النظر، وكان القصد أن يكون كل ما يكتب عن الملك كامل الفضيلة خطأ ولفظاً ومعنى وإعراباً، حتى لا يجد طاعن فيه مطعناً، وجب أن يستخدم متولّى الديوان معينا يتصفح جميع الإنشاءات والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يسطر في ديوانه .

قال أبو الفضل الصورى : وينبغى أن يكون هذا المتصفح على المنزلة في اللغة والنحو وحفظ كتاب الله تعالى، ذكياً، حسن الفطنة، عاقلاً، مأموناً وأن يكون مع ذلك بعيداً من الغرض والعداوة والشحناء حتى لا يخس أحداً حقه، ولا يحابي أحداً فيما أنشأه أو كتبه — بل يكون الكل عنده في الحق على حد واحد لا يترجح واحد منهم على الآخر . وعليه أن يلزم الكتاب بعرض جميع ما يكتبونه وينشئونه عليه قبل عرضه على متولّى الديوان — فإذا تصفحه وحرره كتب خطه فيه بما يعترف رضاه عنه ليلتم بدرك ما فيه ويرأ منشئه .

السابع — كاتب يكتب التذاكر والدفاتر المضمّنة لمتعلّقات الديوان .

قال الصورى : ويجب أن يُختار لذلك كاتبٌ مأمونٌ، طويل الروح، صبور على التعب، قال : والذي يلزمه من متعلّقات الديوان أمور :

أحدها — أن يضع في الديوان تذاكر تشتمل على مهمّات الأمور التي تُنهى في ضمن الكتب، ويظن أنه ربما سُئل عنها أو احتيج إليها، فيكون أستخراجها من هذه التذاكر أيسر من التنقيب عليها والتنقيب عنها من الأضابير . قال : ويجب أن تسلّم إليه جميع الكتب الواردة بعد أن يكتب بالإجابة عنها ليتأمّلها وينقل منها في تذاكره ما يحتاج إليه، وإن كان قد أجيب عنه بشيء نقله، ويجعل لكل صفقة

أوراقا من هذه التذاكر على حدة ، تكون على رؤوس الأوراق علامات باسم تلك الصفقة أو الجهة ، ويكتب على هذه الصفقة فصلٌ من كتاب فلان الوالى ، أو المشارف ، أو العامل — ورد بتاريخ كذا — مضمونه كذا — أجيب عنه بكذا — أو لم يجب عنه إلى أن تفرغ السنة يستجد للسنة الأخرى التى تلوها تذكرة أخرى . وكذلك يجعل له تذكرة يسطر فيها مهمات ما تخرج به الأوامر فى الكتب الصادرة لئلا تغفل ولا يجاب عنها ؛ وتكون على الهيئة المتقدمة من ذكر النواحي وأرباب الخدم . وإذا ورد جواب عن شئ مهم نُزلَّ عنده فيقول : ورد جوابه عن هذا الفصل بتاريخ كذا يتضمّن كذا ، فإنه إذا اعتمد هذا وجد السلطان جميع ما يُسأل عنه حاضرا فى وقته غير متعذر عليه .

الثانى — أن يضع فى الديوان دفترا باللقاب الولاء وغيرهم من ذوى الخدم ، وأسمائهم ، وترتيب مخاطباتهم ؛ وتحت اسم كل واحد منهم كيف يخاطب : بكاف الخطاب أو هاء الكناية ، ومقدار الدعاء الذى يدعى له به فى السجلات والمكاتبات والمناشير ، والتوقعات : لاختلاف ذلك فى عُرف الوقت . وكذلك يضع فيه ألقاب الملوك الأبعد والمكاتبين من الآفاق وكنائهم وأسماءهم ، وترتيب الدعاء لهم ، ومقداره . ويكون هذا الدفتر حاضرا لدى كُتّاب الإنشاء ينقلون منه فى المكاتبات ما يحتاجون إليه : لأنه ربما تعدّر حفظ ذلك عليهم — ومتى تغير شئ منه كتبه تحته . ويكون لكل خدمة ورقة مفردة فيها اسم متوليها ولقبه ودعائه — ومتى صُرف كتب عليه صُرف بتاريخ كذا ، وأستخدم عوضا منه فلان بتاريخ كذا وأجرى فى الدعاء على مناجاه ، أو زيد كذا أو نقص . ولا يتغافل عن ذلك : فإنه متى أهمل شئ من ذلك زلَّ بزلله الكُتّاب وصاحب الديوان بل والسلطان نفسه .

الثالث — أن يضع بالديوان دفترًا للحوادث العظيمة وما يتلوهما مما يجري في جميع المملكة ؛ ويذكر كلا منها في تاريخه ؛ فإن المنفعة به كثيرة حتى إنه لو جمع من هذين الدفترين تاريخ لاجتمع .

الرابع — أن يعمل فهرستًا للكتب الصادرة والواردة مفصلاً مُسَانَةً ومُشَاهَرَةً ومُيَاوَمَةً ، ويكتب تحت اسم كل من ورد من جهته ”كتاب ورد بتاريخ كذا“ ، ويشير إلى مضمونه إشارة تدل عليه أو ينسخه جميعه إن دعت الحاجة إلى ذلك ، ويسلمه بعد ذلك إلى الخازن ليتولى الاحتفاظ به على ما سياتى ذكره .

الخامس — أن يعمل فهرستًا للأنشاءات ، والتقاليد ، والأمانات ، والمناشير وغير ذلك مُشَاهَرَةً في كل سنة بجميع شهورها ؛ وإذا أنقضت سنة استجد آخر ، وعمل فيه على مثل ما تقدم .

السادس — أن يعمل فهرستًا لترجمة ما يترجم من الكتب الواردة على الديوان بغير اللسان العربي من الرومى والفرنجى وغيرهما مصرحاً بمعنى كل كتاب ومن ترجمه على ما تقدمت الإشارة إليه . قال الصورى : فإذا رُوِّعِيَتْ هذه القوانين أنضبطت أموره ولم يكذب بخلاف منه شيء ، وكان جميع ما يلتمس منه موجوداً بأيسر سعي في أسرع وقت .

## الضرب الثانى

( غير الكتاب ؛ وهما آشان )

أحدهما الخازن . قال الصورى : ”ينبغى أن يختار لهذه الخدمة رجلٌ ذكى فطن عاقلٌ مأمونٌ بالغٌ فى الأمانة والثقة ونزاهة النفس وقلة الطمع إلى الحد الذى لا يزيد عليه : فإن زمام جميع الديوان بيده ؛ ففى كان قليل الأمانة ربّما أمالته الرشوة إلى

إنحراج شيء من المكاتبات من الديوان، وإفشاء سرٍّ من الأسرار فيضرب بالدولة ضرراً كبيراً . ويجب أن يكون ملازماً للحضور بين يدي كُتَّاب الديوان فتى كتب المنشئ أو المنتصدي لمكاتبة الملوك، أو المنتصدي لمكاتبة أهل الدولة، أو لكاتبة المناشير وغيرها شيئاً، سلمه للنتصدي للنسخ فينسخه حرفاً بحرف، ويكتب بأعلى نسخه كتاب كذا— ويذكر التاريخ بيومه وشهره وسنته على ما تقدم في موضعه؛ ويسلمه للخازن . وكذلك يفعل بالكتب الواردة بعد أن يأخذ خطَّ الكاتب الذي كتب جوابها بما مثاله . «ورد هذا الكتاب من الجهة الفلانية بتاريخ كذا، وكتب جوابه بتاريخ كذا» . وإن كان لأجواب عنه، أخذ عليه خط صاحب الديوان أنه لأجواب عنه لتبدأ ذمته منه ولا يتأول عليه في وقت من الأوقات أنه أخفاه ولم يعلم به . ثم يجمع كل نوع إلى مثله، ويجمع متعلقات كل عمل من أعمال الملكة من المكاتبات الواردة وغيرها، ويجعل لكل شهر إضبارة، يجمع فيها كُتُب من يكتب من أهل تلك الأعمال، ويجعل عليها بطاقة مثل أن يكتب «إضبارة لما ورد من المكاتبات بالأعمال الفلانية في الشهر الفلاني» ثم يجمع تلك الأضابير ويجعلها إضبارة واحدة لذلك الشهر ويكتب عليها بطاقة بذلك ليسهل استخراج ما أراد يستخرجه من ذلك . قال : ويجب على هذا الخازن أن يحتفظ بجميع ما في هذا الديوان من الكتب الواردة ونسخ الكتب الصادرة، والتذاكر، وخرائط المهمات، وضرائب الرسوم احتفاظاً شديداً .

الثاني — حاجب الديوان . قال الصوري : ” ينبغي لصاحب ديوان الإنشاء أن يُقيم لديوانه حاجباً لا يمكن أحداً من سائر الناس أن يدخل إليه، ما خلا أهله الذين هو معدوق بهم، فإنه يجمع أسرار السلطان الخفية فمن الواجب كتمها ومتى أهمل

(١) في الضوء معزوق بهم بالعين المهملة والزاي [وهي أصرح في المقام ففي القاموس عزق به كفرح لصق] .

ذلك لم يؤمن أن يُطلع منها على ما يكون باظهاره سبب سقوط مرتبته وإذا كثر الغاشون له والداخلون إليه، أمكن أهل الديوان معه إظهار الأسرار اتكالا على أنها تُنسب إلى أولئك، فإذا كان الأمر قاصرا عليهم احتاجوا إلى كتمان ما يعلمونه خشية أن ينسب إليهم إذا ظهر” .

وأما ما استقر عليه الحال في زماننا فكُتِّب الديوان على طبقتين :

الطبقة الأولى — كُتِّب الدُّست ؛ وهم الذين يجلسون مع كاتب السر يجلس السلطان بدار العدل في المواعيد على ترتيب منازلهم بالقدمة ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر . وسُمِّوا كُتَّاب الدُّست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه : لجلوسهم للكتابة بين يديه ؛ وهؤلاء هم أحقُّ كُتَّاب ديوان الإنشاء باسم الموقعين : لتوقيعهم على جوانب القصص بخلاف غيرهم .

وقد تقدّم أنهم كانوا في أوائل الدولة التركية في الأيام الظاهرية ببيرس وما والاها قبل أن يلقَّب صاحب ديوان الإنشاء بكاتب السر ثلاثة كُتَّاب ، رأسهم القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، ثم زادوا بعد ذلك قليلا إلى أن صاروا في آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عشرة أو نحوها ، ثم تزايدوا بعد ذلك شيئا فشيئا خصوصا في سلطنة الظاهر برقوق ، وآبنه الناصر فرج حتى جاوزوا العشرين وهم آخذون في التزايد .

وقد كانت هذه الرتبة لاحقة بشاؤ كتابة السر في الرفعة والرياسة إلى أن دخل فيها الدخيل ، وقدم فيها غير المستحق ، ووليها من لا يؤهل لما هو دونها ، وأنحطت رتبها وصار أهلها في الحضيض الأوهد من الرياسة بعد أوجها الا الأفذاذ من علَّت رتبته وقليل ما هم .

(١) المقدمة بالضم السابق . ولعل مراده السابق في الفصل .

الطبقة الثانية — كُتَاب الدَّرَج ، وهم الذين يَكْتُبُونَ ما يَوْفَعُ به كاتبُ السَّر أو كُتَاب الدست أو إشارة النائب أو الوزير ، أو رسالة الدوادار ونحو ذلك من المكاتبات والتقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير والأيمان والأمانات ونحو ذلك مما يجرى مجراه . وُسِّمُوا كُتَاب الدَّرَج لكَاتِبَتِهِمْ هذه المكتوبات ونحوها في دُرُوج الورق ، والمراد بالدَّرَج في العُرف العام الورق المستطيل المركَّب من عدَّة أوصال ، وهو في عُرف الزمان عبارة عن عشرين وصلا متلاصقة لا غير . قال ابن حاجب النعمان في ذخيرة الكُتَّاب : وهو في الأصل اسمٌ للفعل أخذنا من درَجَت الكتاب أدْرَجُه درَجًا إذا أسرَعَت طِيَّه وأدْرَجْتَه إدراجًا فهو مُدْرَج إذا أعدته على مطاويه وأصله الإسراع في حالة ، ومنه مَدْرَجَة الطريق التي يُسْرِع الناس فيها وناقَةٌ دُرُوج إذا كانت سريعة . ويجوز أن يطلق عليهم كتاب الإنشاء لأنهم يَكْتُبُونَ ما يُنشَأ من المكاتبات وغيرها مما تقدَّم ذكره ، ولا يجوز أن يطلق عليهم لَقَب الموقَّعين لما تقدَّم من أن المراد من التوقيع الكتابةُ على جوانب القصص ونحوها . وكما زاد كُتَاب الدست في العدد زاد كتاب الدَّرَج حتَّى خرجوا عن الحدِّ ، وبلغوا نحوًا من مائة وثلاثين كاتبًا ، وسقطت رياسة هذه الوظيفة وأنحط مقدارها حتَّى إنه لم يرضها إلا من لم يكن أهلاً . على أن كُتَاب الدست الآن هم المتصدِّون لكتابة المهم من كتابة الدَّرَج : كمتعلقات البريد المختصة بالسلطان من المكاتبات والعهود والتقاليد وكبار التواقيع والمراسيم والمناشير ، وصار كتاب الدَّرَج في الغالب مخصوصين بالمكاتبات في خلاص الحقوق وما في معناها . وكذلك صغار التواقيع والمراسيم والمناشير مما يكتب في القِطْع الصغير ، وربما شارك أعلاهم كُتَاب الدست في التقاليد وكبار التواقيع وما في معناها إذا كان حسن الخط ، ولا نظر إلى البلاغة جملةً بل كل أحد يَلْفَق ما يَتَيَّأ له من كلام المتقدمين غير مُبالٍ بتحريفه ولا تصحيفه مَبْتَهجا بذلك مطالعا

لغيره في أنه الذي ابتدعه وإبتكره . وكل من لفق منهم شيئا أو أنشأه كتبه بخطه على أى طبقة كان في الخط، ما خلا عهد السلطنة ومكاتب القانات من ملوك الشرق فانه رُبما أُنْتِخِبَ لها أعلى أهل الزمان خطًا، تنوياً بذكرها، ورفعاً لقدرها .

أما كتابة التذاكر والدفاتر فقد كان الأمر مستمراً في بعضها ككتابة ما في المكاتبات الواردة والصادرة بدفتر في الديوان إلى آخر مباشرة القاضي بدر الدين بن فضل الله في الدولة الظاهرية برقوق ، ثم رُفِضَ ذلك وتُركَ وأقتصِرَ على ما يرد من المكاتبات وما يكتب من الملتخصات وكتابة الموقع الذي يكتب الجواب بسد كل فصل تحته ليس إلا وترك ما وراء ذلك، وأكتفى من الخازن بدوادار كاتب السر، وصار هو المتولى لحفظ ذلك وإيداعه في الأضيير على نحو ما تقدم؛ وكذلك صار أمر حجابة الديوان إليه . ثم للديوان أعوان يسمون المدرا جمع مدير، شأنهم أخذ القصص ونحوها وإدارتها على كاتب السر فمن دونه من كُتّاب الديوان يكتب كل منهم ما يلزمه من متعلقها ولذلك سُموا بهذا الاسم .

## المقالة الأولى

### بعد المقدمة

(في بيان ما يحتاج إليه كاتبُ الإنشاء من المواد؛ وفيه بابان)

### الباب الأول

(فيما يحتاج إليه الكاتبُ من الأمور العلمية، وفيه ثلاثة فصول)

## الفصل الأول

فيما يحتاج إليه الكاتب على سبيل الإجمال

وقد اختلفت مقاصدُ المصنِّفين في ذلك : فابنُ قتيبة بعد أن بنى كتابه أدب الكاتب على أمور من اللغة والتصريف وطرف من الهجاء قال : "وليس كتابنا هذا لمن لم يتعلَّق من الإنسانية إلا بالجسم ، ولا من الكتابة إلا بالرَّسم ، ولم يتقدَّم من الأداء ، إلا بالقلم والدواء : ولكنه لمن شدا<sup>(١)</sup> شيئا من الإعراب فعرف الصَّدر والمصدر ، وأنقلبَ الياء عن الواو ، والألف عن الياء ، وأشبهَ ذلك من النظر في الأشكال لمساحة الأرضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية ، والمثلث الحاد ، والمثلث المنفرج ، ومساقط الأحجار ، والمربعات المختلفة ، والقيس ، والمدورات ، والعمودين ؛ وتمتحن معرفته بالعمل في الأرضين لا في الدفاتر ، فإن المخبر عنه ليس كالمُعاني . وذكر أن العجم كانت تقول : من لم يكن عالما بأجراء المياه ، وحفر فُرض

(١) كذا في الأصل وأدب الكاتب . وفي القاموس شدا أخذ طرفا من الأدب وهو معنى مناسب هنا .

والذي في الضم سدد .



المشارب ورّدم المهاوى ، ومجّارى الأيام فى الزيادة والنقصان ، ودوران الشمس ، ومطالع النجوم ، وحال القمر فى استهلاله واتصاله ، ووزن الموازين ، وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ، ونصب القناطر ، والجسور ، والدوالي ، والنواير على المياه ، وحال أدوات الصناع ، ودقائق الحساب ، كان ناقصا فى حال كتابته . ثم قال : ولا بدّ له مع ذلك من النظر فى مجمل من الفقه والحديث ، ودراسة أخبار الناس ، وحفظ عيون الأخبار ليُدخلها فى تضاعيف سطوره متمثلا بها اذا كتب ، أو يصل بها كلامه اذا حاور . وختم ذلك بأن قال : ومدار الأمر فى ذلك كله على القطب وهو العقل وجودة القريحة ؛ فإن القليل معهما بإذن الله تعالى كاف ، والكثير مع غيرهما مقصر .

وتابعه أبو هلال العسكري فى بعض ذلك فقال فى بعض أبواب كتابه «الصناعتين» : ”ينبغى أن تعلم أن الكتابة تحتاج إلى آلات كثيرة ، وأدوات جمّة : من معرفة العربية لتصحيح الألفاظ وإصابة المعنى ؛ وإلى الحساب ، وعلم المساحة ، والمعرفة بالأزمنة والشهور والأهلة وغير ذلك مما ليس هذا موضع ذكره وشرحه“ .

ولا يخفى أن ما ذكره بعض ما ذكره ابن قتيبة ، يتواردان فيه فى المعنى وإن اختلف اللفظ . وخالف أبو جعفر النحاس فى كثير من ذلك فذكر فى أول كتابه ”صناعة الكتاب“ فى المرتبة الثانية منه بعد ما يتعلق بالخط : أن من أدوات الكتابة البلاغة ، ومعرفة الأضداد مما يقع فى الكتب والرسائل ، والعلم بترتيب أعمال الدواوين ، والخبرة بمجّارى الأعمال ، والدّربة بوجوه استخراج الأموال ، مما يجب ويمتنع . ثم قال : فهذه الآلات ليس لواحد منها تمييز بذاته ، ولا أنفراد باسم يخصه ، وإنما هو جزء من الكتابة وأصل من أركانها . أما الفقه والفرائض والعلم بالنحو واللغة وصناعة الحساب والمساحة والنجوم ، والمعرفة بأجزاء المياه ، والعلم بالأنساب فكل

واحد منها منفرد على حدته وإن كان الكاتب يحتاج إلى أشياء منها نحو ما يُكتب بالآلف والياء، وإلى شيء من المقصور والمدود، ولو كلف الكاتب ما ذكره من ذكره لجعل الأصعب طريقاً للأسهل والأشقُّ مفتاحاً للأهون وفي طباع الناس التفار عما ألزمهم من جميع هذه الأشياء .

قلت : والتحقيق أن ذلك يختلف باختلاف حال الكتابة بحسب تنوعها، فكل نوع من أنواعها يحتاج إلى معرفة فق أو فنون تختص به .

وقد حكى أن عمرو بن مسعدة وزير المعتصم قال : لما خرج المعتصم من بلاد الروم وصار بناحية الرقة، قال لي ويحك يا عمرو ! لم تزل تخدعني حتى وليت عُمر بن الفرج الرُّحَجي الأهواز، وقد قعد في سرّة الدنيا يأكلها خضماً وقضاً ! فقلت يا أمير المؤمنين فأنّا أبعث إليه حتى يؤخذ بالأموال ولو على أجنحة الطير— قال : كلاً بل تخرج إليه بنفسك كما أشرت به— فقلت لنفسى : إن هذه منزلة خسيصة، بعد الوزارة أكون مستحقاً لعامل خراج ! ولم أجذبداً من الخروج رِضاً لأمر المؤمنين— فقلت : ها أنا خارج إليه بنفسى يا أمير المؤمنين ! قال : فضع يدك على رأسك وأحلف أنك لا تقيم ببغداد، ففعلت وأحدثت عهداً باخوانى ومتزلى وأتى إلى بزورق ففرش لي فيه، ومضيت حتى إذا صرت بين دَيْرِ هِرَقل ودَيْرِ العاقول إذا شابُّ على الشط يقول : يا ملاح ! رجل غريب يريد دَيْرِ العاقول فاحملني يَأْجُرُك الله !— فقلت : يا غلام

(١) في الأصل عمرو ... الرحى . والصواب ما أثبتناه فقد قال ياقوت في الكلام على رُحج مثال رُحج : وينسب إلى الخرج فرج وابنه عُمر بن فرج وكانا من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى أيام المتوكل وكان عبد الصمد بن المعتدل يهجو عمر بن فرج . فن قوله فيه يخاطب نجاح بن سلة أبلغ نجاحاً في الكتاب مألوفة \* تمضى بها الريح إصداً وإيراداً لا يخرج المال عفواً من يدى عمر \* أو تغمد السيف في فوديه إغماً والرحجيون لا يوفون ما وعدوا \* والرحجيات لا يخلفن ميعاداً

قَرَّبَ له — فقال : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! يُؤْذِيكَ وَيُضَيِّقُ عَلَيْكَ — فقلت : قَرَّبَ له لَا أَمَّ  
 لَكَ ! فَقَرَّبَ له وحمله على مؤخَّر الزورق . وحضر الطعام ، فهِمَّمْتُ أَنْ لَا أَدْعُوهُ  
 إِلَى طَعَامِي ، ثُمَّ قُلْتُ : هَلُمَّ يَا قَتِي ، فَوَثَبَ وَجَلَسَ ، فَأَكَلَ أَكْلَ جَائِعٍ نَهَمَ إِلَّا أَنَّهُ  
 نَظِيفُ الْأَكْلِ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الطَّعَامِ أَحْبَبْتُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَفْعَلُ الْعَوَامُ فَيَتَنَحَّى  
 وَيَغْسِلَ يَدَيْهِ نَاحِيَةً فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَنَغَمَزَهُ الْغُلَامَانُ لِيَقُومَ فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَتَنَاقَضْتُ عَمْدًا لِنَهَضِ  
 فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَاسْتَوَيْتُ جَالِسًا وَقُلْتُ يَا قَتِي ! مَا صِنَاعَتُكَ ؟ فَقَالَ جَعَلْتُ فِدَاكَ !  
 أَنَا حَائِكٌ . فقلت في نفسي : أَنَا وَاللَّهِ جَلَبْتُ هَذِهِ الْبَلِيَّةَ ، وَتَغَيَّرَ لَوْنِي ، فَفِطِنَ أُنَى  
 اسْتَنْقَلْتُهُ ، فَقَالَ : جَعِلَتْ فِدَاكَ ! إِنَّكَ قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ صِنَاعَتِي فَأَجَبْتُكَ ، فَأَنْتَ  
 مَا صِنَاعَتُكَ ؟ فقلت : هَذِهِ وَاللَّهِ أَضَرُّ مِنَ الْأَوَّلَى إِلَّا يَنْظُرُ إِلَى غُلَامَانِي وَنِعْمَتِي فَيَعْلَمُ  
 أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُسْتَلُّ عَنْ الْحِرْفَةِ ؟ وَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنَ الْجَوَابِ ، فَلَمْ أَذْهَبْ إِلَى الْمَرْتَبَةِ  
 الْعَظْمَى مِنَ الْوِزَارَةِ لَكِنِّي قَرَّبْتُ عَلَيْهِ ، فقلت : أَنَا كَاتِبٌ — فَقَالَ جَعِلَتْ فِدَاكَ  
 الْكُتَّابُ خَمْسَةٌ فَأَيُّهُمْ أَنْتَ ؟ فَأُورِدَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَسْمَعْ بِهِ قَبْلُ — فقلت : يَنْبَنُّ لِي — قَالَ  
 نَعَمْ ، هُمْ كَاتِبُ رِسَائِلٍ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ الْمَفْصُولَ وَالْمَوْصُولَ ، وَالْمَقْصُورَ وَالْمَمْدُودَ ،  
 وَالْأَبْتِدَاءَ وَالْجَوَابَ ، حَازِقًا بِالْعُقُودِ وَالْفَتْوحِ — قلت : أَجَلٌ وَمَاذَا ؟ قَالَ : كَاتِبُ  
 نَحْرَاجٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ السُّطُوحَ <sup>(١)</sup> وَالْمِسَاحَةَ وَالتَّقْسِيطَ ، خَبِيرًا بِالْحِسَابِ وَالْمُقَاسِمَاتِ .  
 قلت : وَمَاذَا ؟ قَالَ : كَاتِبُ قَاضٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ ، وَالتَّأْوِيلَ  
 وَالتَّنْزِيلَ — وَالتَّمْشَابَهَ وَالْحُدُودَ الْقَائِمَةَ وَالْفَرَائِضَ ، وَالْإِخْتِلَافَ فِي الْأَمْوَالِ وَالْفُرُوجِ ،  
 حَافِظًا لِلْأَحْكَامِ ، حَازِقًا بِالشُّرُوطِ — قلت : وَمَاذَا ؟ قَالَ : وَكَاتِبُ جُنْدٍ يَحْتَاجُ أَنْ  
 يَعْرِفَ الْحِلَى وَالشَّيَاتِ — قلت : وَمَاذَا ؟ قَالَ : وَكَاتِبُ شُرْطَةٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ  
 الْقَصَاصَ وَالْإِحْرَاحَاتِ ، وَمَوْضِعَ الْحُدُودِ ، وَمَوَاقِعَ الْعَفْوِ فِي الْجُنَايَاتِ — قلت حَسَنَ .  
 قَالَ : فَأَيُّهُمْ أَنْتَ ؟ فَكُنْتُ مَتَكِنًا فَاسْتَوَيْتُ جَالِسًا مُتَعَجِّبًا مِنْ قَوْلِهِ ، فقلت :

(١) فِي نَسْخَةِ الطُّسُوجِ . وَهُوَ كُنْتُورُ النَّاحِيَةِ ، وَرَبِيعٌ دَائِقٌ مَرْبُوهٌ قَامُوسٌ .

أنا كاتبُ رسائل — قال : فإنَّ أخًا من إخوانك واجبَ الحقِّ عليك معتنيا بأمورك لا يَغفُلُ منها عن صغير ولا كبير يكتبك في كل محبوب ومكروه وأنت له على مثل ذلك تزوجت أمه كيف تكتب إليه ؟ أتهنيه أم تُعزِّيه ؟ — قلت أهنيه . قال فهنَّه فلم ينجِّه لي شيء — فقلت : لا أعزِّيه ولا أهنيه ، فقال : إنك لا تغفُلُ له عن شيء ولا تبيدُ بدا من أن تكتب إليه — فقلت : أقتلني فأنا كاتب خراج — قال : فإنَّ أمير المؤمنين وجه بك إلى ناحية من عمله ، وأمرك بالعدل والإنصاف وأنك لا تدع شيئاً من حقِّ السلطان يذهب ضياعاً ، وحدرك الظلم والجور ، فخرجت حتى قدمت الناحية فوقفوك على قراج أرض خطه قابل قسيا كيف تمسحه — قلت : أخذ وسطه وأخذ طوله فأضربه فيه — قال : تختلف عليك العطوف — قلت : أخذ طوله وعرضه من ثلاثة مواضع — قال : إن طرفيه محدودان وفي تحديده تقويس وذلك يختلف فأعيايني ذلك — فقلت : أقتلني فأنا كاتب قاض — قال : فإنَّ رجلاً هلك وخلف زوجة حرة وسريةً حاملتين فوضعتا في ليلة واحدة وضعت الحرة جاريةً ، ووضعت السرية غلاماً ، فوضعت الجارية في مهد السرية ، فلما أصبحت السرية قالت الغلام لي ، وقالت الحرة بل هو لي كيف تحكم بينهما ؟ — قلت : لا أدري فأقتلني ، فأنا كاتب جنيد ، قال : فإنَّ رجلين من أصحاب السلطان أتياك أسمهما واحد ، وأحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق الشفة السفلى ، ورزق أحدهما مائة والآخر ألف كيف تُحليهما ؟ — قلت : فلان الأعلم وفلان الأعم ، قال : إذن يجيء هذا ورزقه مائة فيأخذ الألف ، ويجيء هذا ورزقه ألف فيأخذ المائة — قلت أقتلني : فأنا كاتب شرطة ، — قال : فإنَّ رجلين توابشا فشج أحدهما صاحبه موصحةً ، وشج الآخر مأمومةً كيف يكون الحكم فيهما ؟ — قلت : لا أدري فأقتلني ، . قال فقات : إنك قد سألتني فبين لي — قال نعم .

أما الذى تزوجت أمه فكتب إليه : أما بعد فإن الأمور تجري على غير محابٍ  
المخلوقين والله يختار لعباده ، نفاً الله لك فى قبضها إليه فإن القبور أكرم الأكفاء  
والسلام .

وأما القراح من الأرض ، فإنك تسمح أعوجاجه حتى تعلم كم قبضة تكون فيه  
إذا استوى فى يدك عقد تعرفه ضربت طرفه فى وسطه . وأما الحرة والسرية  
فيوزن لهنما فأيهما كان لبنها أخف فالبنت لها . وأما المشقوق الشفة العليا فأعلم  
والمشقوق الشفة السفلى فأفليح . وأما المأمومة ففيها ثلث الدية وهى ثلاث وثلاثون  
من الإبل وثلث . وأما الموضحة ففيها خمس من الإبل . فقلت : ألسن تزعم أنك  
حائك ؟ فقال : أنا حائك كلام لا حائك نساجة . قال عمرو بن مسعدة : فأحسن  
جائزته وأستصحبته معى حتى عدت إلى المعتصم ، فسألنى عما لقيت فى طريقى ،  
فقصصت عليه القصة فأعجب به وقال : لم يصلح ؟ فقلت : للعلماء . فقرره فيها  
وعلت رتبته ، فكننت ألقاه فى المركب النبيل فيترجل لى فأنهاه ، فيقول : هذه  
نعمتك وأنت أفدتها .

فقد تبين بهذه الحكاية أن لكل نوع من الكتابة مادة يحتاج إليها بمفردها ، وآلة  
تخصصها لا يستغنى عنها .

على أن كاتب الإنشاء فى الحقيقة لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقوف عند فن ،  
فقد قال الوزير ضياء الدين بن الأثير فى "المثل السائر" إن صاحب هذه الصناعة يحتاج  
إلى التشبث بكل فن من الفنون حتى إنه يحتاج إلى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء ،  
والماشطة عند جلوة العروس ، وإلى ما يقوله المندادى فى السوق على السلعة فما ظنك  
بما فوق هذا وذلك لأنه مؤهل أن يهيم فى كل واد ، فيحتاج إلى أن يتعلق بكل فن .

بل قد قيل إن كل ذى علم يسوغ أن يُنسب إليه ، فيقال فلان النحوى ، وفلان الفقيه ، وفلان المتكلم ، ولا يجوز أن ينسب المتعلق بالكتابة إليها ، فلا يقال فلان الكاتب لما يفتقر إليه من الخوض فى كل فن .

وأعلم أن كاتب الإنشاء وإن كان يحتاج إلى التعلق بجميع العلوم والخوض فى سائر الفنون فليس احتياجه إلى ذلك على حد واحد بل منها ما يحتاج إليه بطريق الذات وهى مواد الإنشاء التى يستمد منها ويقتبس من مقاصدها : كاللغة التى منها استمداد الألفاظ ، والنحو الذى به استقامة الكلام ، وعلوم البلاغة : من المعانى والبيان والبديع التى هى مناط التحقيق والتحسين والتقييح ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى . وعلى هذا اقتصر الوزير ضياء الدين بن الأثير فى "المثل السائر" وتبعه على ذلك الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله فى كتابه "حسن التوسل" . ومنها ما يحتاج إليه بطريق العرض كالطب والهندسة والهيئة ونحوها من العلوم ، فإنه يحتاج إلى معرفة الألفاظ الدائرة بين أهل كل علم ، وإلى معرفة المشهورين من أهله ومشاهير الكتب المصنفة فيه لينظم ذلك فى خلال كلامه فيما يكتب به من متعلقات كل فن من هذه الفنون كالألفاظ الدائرة بين أهل الطب ومشاهير أهله وكتبه فيما يكتب به لرئيس الطب . ونحو ذلك من الهيئة فيما يكتب به لمنجم ، ونحوه من الهندسة فيما يكتب به لمهندس . وربما احتاج إلى معرفة مأهولون ذلك فى الرتبة كمعرفة مصطلح رماة البندق فيما يكتب به فى قدمات البندق ، ومعرفة مصطلح الفتيان فيما يكتب به فى دسكرة فتوة ونحو ذلك ، بل ربما احتاج إلى معرفة مصطلح سفل الناس لكتابة أمور هزلية : كمعرفة أحوال الطفيلية فيما يكتب به لطفيلى أقتراحا أو امتحانا للخاطر أو ترويحاً للنفس ، مع معرفة ما يجب عليه من وصف ما يحتاج إلى

وصفه كأوصاف الأبطال والشجعان، والحواري والغلمان، والحيل والإبل، وجيل  
الوَحْش وسائر أصنافه، وجوارح الوَحْش والطير، وطير الواجب، والحمائم الهدى،  
وسائر أنواع الطير؛ والسلاح بأنواعه؛ وآلات الحصار، والآلات الملوَّكِيَّة، وآلات  
السفر، وآلات الصَّيد، وآلات المعاملة، وآلات اللُّهُو والطَّرَب، وآلات اللعب،  
وآلات الشربة؛ والمدن، والحصون، والمساجد، وبيوت العبادات؛ والرياض،  
والأشجار، والأزهار، والثمار؛ والبراري، والقفار، والمفاوز، والجبال، والرمال،  
والأودية؛ والبحار، والأنهار، وسائر المياه؛ والسفن، والكواكب، والعناصر،  
والأزمنة، والأنواء، والرياح، والمطر، والحر، والبرد، والثلج، وما يتعلق بكل واحد  
من هذه الأشياء أو يخطر في سلكه؛ ونحو ذلك مما تدعو الحاجة إلى وصفه في حالة  
من حالات الكتابة على ماسياتي بيانه في آخر الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء  
الله تعالى .

## الفصل الثاني

### من الباب الأول من المقالة الأولى

(فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء، وفيه طرفان)

### الطرف الأول

(فيما يحتاج إليه من الأدوات؛ ويشتمل الغرض منه على خمسة عشر نوعاً)

### النوع الأول

(المعرفة باللغة العربية؛ وفيه أربعة مقاصد)

### المقصد الأول

(في فضلها وما آخضت به على سائر اللغات)

أما فضلها فقد أخرج ابن أبي شَيْبَةَ بسنده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: "تَعَلَّمُوا اللَّحْنَ وَالْفَرَائِضَ فَإِنَّهُ مِنْ دِينِكُمْ". قال يزيد بن هارون: "اللَّحْنُ هُوَ اللُّغَةُ". ولا خفاء أنها أمتن اللغات وأصحها بياناً، وأذلقها لساناً، وأمدّها رُواقاً، وأعذبها مَدَقاً؛ ومن ثمَّ اختارها الله تعالى لأشرف رُسُلِهِ، وخاتمِ أنبيائه، وخيرته من خَلْقِهِ، وصَفْوَتِهِ من بَرِيَّتِهِ؛ وجعلها لغة أهل سماءه وسُكَّانِ جِثَّتِهِ، وأنزل بها كتابه المبين الذي لا يَأْتِيهِ الباطلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ .

قال في صِنَاعَةِ الكُتَّابِ: "وقد آنقادت اللغات كُلُّهَا لِلُّغَةِ الْعَرَبِ، فأقبلتِ الأُمَمُ إِلَيْهَا يتَعَلَّمُونَهَا".



وأما ما آخِصَّتْ به على غيرها من اللغات، فقد حكى في "صناعة الكتاب" أنها اللغة التامة الحروف، الكاملة الألفاظ، لم ينقص عنها شيء من الحروف فيشبهها نقصانها، ولم يزد فيها شيء فيعيها زيادته؛ وإن كان لها فروع أخرى من الحروف فهي راجعة إلى الحروف الأصلية؛ وسائر اللغات فيها حروف مولدة، وينقص عنها حروف أصلية: كاللغة الفارسية: تجد فيها زيادة ونقصانا. وكذلك يوجد فيها من الأسماء ما لا يوجد في الفارسية وغيرها: كالحق والباطل، والصواب والخطأ، والحلال والحرام، فلا ينطق به أهل تلك اللغة إلا عربيا. قال الفراء: "وجدنا للغة العرب فضلا على لغة جميع الأمم اختصاصا من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها؛ ومن خصائصها أنه يوجد فيها من الإيجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات". قال: "ومن الإيجاز الواقع فيها أن للضرب كلمة واحدة فتوسعوا فيها، فقالوا للضرب في الوجه لطم، وفي القفا صفع، وفي الرأس إذا آدمى شج؛ فكان قولهم لطم أوجز من ضرب على وجهه". قال في "المثل السائر": "حضرت مع رجل يهودي عارف باللغات بفرى ذكر اسم الجمل فقال: لا شك أن العربية أوجز اللغات، فإن اسم الجمل بالعبرانية كومل فسقط منه الواو وحولت الكاف إلى الجيم". قال أبو عبيد: وللعرب في كلامها علامات لا يشركهم فيها أحد من الأمم كعلامة إدخالهم الألف واللام في أول الاسم، وإلزامهم إياه الإعراب في كل وجه مع نقلهم كل ما احتاجوا إليه من كلام العجم إلى كلامهم؛ فقد نقل ما قالت حكاة العجم والفلاسفة إلى العربية ولم يقدر أحد من الأمم على نقل القرآن إلى لغته لكمال لغة العرب. على أن الكثير من الناس حاولوا ذلك فعسر عليهم نقله، وتعذرت عليهم ترجمته؛ بل لم يصلوا إلى ترجمة البسملة إلا بنقل بعيد.

## المقصد الثاني

( في وجه احتياج الكاتب إلى اللغة )

لامرّية في أن اللغة هي رأس مال الكاتب، وأُسُّ كلامه، وكثرة إنفاقه؛ من حيث إن الألفاظ قوالبٌ للعاني التي يقع التصرف فيها بالكتابة؛ وحينئذ يحتاج إلى طول الباع فيها، وسعة الخطو، ومعرفة بسائطها : من الأسماء والأفعال والحروف، والتصرف في وجوه دلالتها الظاهرة والخفية : ليقدر بذلك على استعمالها في محالها، ووضعها في مواضعها اللائقة بها، ويحد السبيل إلى التوسع في العبارة عن الصور الأئمة في نفسه فيتسع عليه نطاق النطق، وينفسح له المجال في العبارة، وينفتح له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه، وتدعو الضرورة إلى نعته؛ فيستظهر على ما ينشيه، ويحيط علماً بما يدره ويأتيه؛ إذ المعاني وإن كانت كامنة في نفس المعبر عنها فإنما يقوى على إبرازها وإبانتها من توفر حظّه من الألفاظ، وأقداره على التعرف فيها : ليأمن تداخلها وتكررها المهجّين للعاني — وناهيك أن ابن قتيبة لم يضمّن كتابه "أدب الكاتب" غير اللغة إلا التزّير اليسير من الهجاء؛ وأبا جعفر النحاس ضمّن كتابه "صناعة الكتاب" جزءاً وافراً من اللغة؛ وأبا الفتح كشاجم لم يزد في كتابه "كثر الكتاب" على ذكر الألفاظ وصورة تركيبها .

## المقصد الثالث

( في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من اللغة؛ ويرجع المقصود منه إلى خمسة أصناف )  
الصنف الأول — الغريب، وهو ما ليس بمألوف الاستعمال، ولادائر على الألسنة وذلك أن مدار الكتابة على استخراج المعاني من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر؛ وألفاظها لا تخلو عن الغريب؛ بل ربما غلب الغريب منها في الشعر على

المألوف لاسيما الشعر الجاهلي . وقد قال الأصمعي "توسلت بالملح ونلت بالغريب" . قال صاحب "الريحان والرياعان" : والغريب وإن لم يُنفق منه الكاتب فإنه يجب أن يُعلم ويُتطلع إليه ويُستشرف ؛ فرب لفظة في خلال شعر أو خطبة أو مثل نادر أو حكاية ، فإن بقيت مُقفلة دون أن تُفتح لك ، بقي في الصدر منها حُرارة تُخوج إلى السؤال ؛ وإن صُنت وجهك عن السؤال ، رضيت بمنزلة الجهال . وقد عاب ابن قتيبة رجلا كتب في وصف برذون : "وقد بعثت به أبيض الظهر والشفقين" فقيل له : هَلَّا قلت في بياض الشفتين أرثم ألمظ ؛ فقال لهم : بياض الظهر ، قالوا لا ندرى ، فقال : إنما جهلت من الشفتين ما جهلتم من الظهر . وذم قوما من وجوه الكتاب بأنه أجمع معهم في مجلس فتذاكروا عيوب الرقيق فلم يكن فيهم من يُفترق بين الوكع والكوع ، ولا بين الحنف والفدع<sup>(١)</sup> ، ولا بين اللى والألطع . ثم قال : "وأى مقام أنزى لصاحبه من رجل من الكتاب أصطفاه بعض الخلفاء ، وأرضاه لِسَره ، فقرأ عليه يوما كتابا فيه مطرنا مطرا كثر عنه الكلا" ، فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلا ؟ فتردد في الجواب ، وتعثّر لسانه ثم قال : لا أدرى ؛ فقال : سل عنه" . قال أبو القاسم الزجاجي في شرح مقدمة أدب الكاتب : وهذا الخليفة هو المعتصم والكاتب أحمد بن عمار ، وكان يتقلد العرض عليه ؛ وكان المعتصم ضعيف البصر بالعربية ؛ فلما قرأ عليه أحمد بن عمار الكتاب وسأله عن الكلا فلم يعرفه ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! خليفة أمي ، وكاتب عامي ؛ ثم قال من يقرب منا من كتاب الدار فعرف مكان محمد بن عبد الملك الزيات ، وكان يقف على قهزيمة الدار فأمر بإشغاصه ، فلما مثل بين يديه<sup>(٢)</sup> ، قال له ما الكلا ؟ قال : النبات كله رطبه

(١) هو بالفاء والذال المهملة اعوجاج الرأس من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى أنسيها . قاموس . وفي الأصل القذع بالقاف والذال المعجمة وهو تصحيف ظاهر فتنه .  
(٢) هو من باب دخل كما في المختار .

ويابس، فإذا كان رطباً قيل له خلا، وإذا كان يابساً قيل له حشيش، وأخذ في ذكر النبات من ابتدائه إلى آخيه إلى هيج، فقال المعتصم "ليقلد هذا العرض علينا"، ثم خص به حتى استوزره.

فقد ظهر أن معرفة الغريب من الأمور الضرورية للكاتب التي هي من أهم شأنه، وأغنى مقاصده. وجل كتب اللغة المصنفة في شأنها راجعة إليه، كصاح الجوهري، ومحكم ابن سيده، ومجمل ابن فارس وغيرها من المصنفات التي لا تكاد تُحصى كثرة والصاح أقربها مأخذاً، والمحكم أمثلها طريقة، وأكثرها جمعا، وأكملها تحقيقا. وقد صرف قوم من المصنفين العناية من ذلك إلى الإقتصار على ذكر الأسماء والأوصاف: كأوصاف الرجال والنساء المحمود والمذمومة، وما يختص من ذلك بالرجال والنساء؛ وأوصاف الخيل، وأعضائها، وألوانها، وشيئاتها، وأسنانها، وسيرها، وعدوها وما يخص الذكور والإناث منها؛ وأوصاف الوحوش: من السباع والطيء والوعول والبقر والحمر الوحشيين؛ وأسماء الطير: من الجوارح الصائدة والطيور المصيدة، وبغاث الطير كالرخم، وصغاره كالنحل والجراد؛ وأوصاف الهوام كالخشرات: من الحيات والوزغ ونحو ذلك؛ وأوصاف العلويات: من السماء والسحاب والرياح والأمطار؛ والأزمنة كأوقات الليل والنهار، وأوقات الشهر وفصول السنة ونحو ذلك؛ وأسماء النباتات: من الشجر البري كالطلع والأراك، والبساتين كالنخل والينب؛ والنبات البري كالشيع والقيصوم؛ وأنواع المرعى؛ وأسماء الأماكن: من البراري والقفار، والرمال والجبال والأحجار، والمياه والبحار والأنهار والعيون والسيول؛ والرياض والمحال والأبنية؛ وأسماء جواهر الأرض: من اليواقيت ونحوها؛ وسائر مستخرجات المعادن، كالنحاس والرصاص وما يجري مجراها؛ ومستخرجات البحر: من اللؤلؤ والعنبر والمرجان وغيرها؛ وأسماء المأكولات: من الحبوب، والفواكه، والأطعمة

المصنوعة والأطبخة ؛ وأسماء الأشربة : كالماء ، واللبن ، والعسل ، والخبز ، وأسماء السلاح : من السيوف ، والرماح ، والقيس ، والسهم ، والدروع وغيرها ؛ وأسماء اللباس : من الثياب على اختلافها ؛ وأسماء الأمتعة ، والآنية وسائر الآلات ؛ وأسماء الطيب : من المسك ، والند ، والغالية ، والزعفران ، وما أشبهها . وكذلك كل ما يجري هذا المجرى . و”كفاية المتحفظ“ لأبن الأجدابى ، و”المذهبة والمعقبة“ لأبن أصبغ كافتان بالكثير من ذلك . وفى ”أدب الكاتب“ لأبن قتيبة و”فقه اللغة“ للشعالبي الجزء الوافر من ذلك .

وصرف آخرون عنايتهم إلى التأليف فى الأفعال وتصاريدها كابن درستويه وغيره . وفى ”فصيح ثعلب“ جزء وافر من ذلك ؛ ولعصرينا الشيخ مقبل الصرعشمى التحوى كتاب زاد فيه عليه جمعا ووضوحا .

الصنف الثانى — الفروع المتشعبة فى المعانى المختلفة ، وهى فروع كثيرة متسعة الأجزاء ، متباينة المقاصد ؛ لا يكاد يجمعها مصنف ، وإن كان الكاتب لا يستغنى عن شئ منها ، ولا يحسن به تركه .

منها المتباين والمترادف . فأما المتباين فهو ما دلّ لفظ الكلمة منه على خلاف ما دلت عليه الكلمة الأخرى ، كالسواد والبياض ، والطول والعرض ؛ ويحتاج إليه فى التعبير عن المعانى المختلفة لاتساع نطاق الكلام . وأما المترادف فهو المتوارد الألفاظ على مسمى واحد كالأسد والسبع للحيوان المفترس ؛ والثنية والقلوص للناقاة ، ونحو ذلك . ويحتاج إلى معرفة ذلك للمخلص عند ضيق الكلام عليه فى موضع لطول لفظة أو قصرها أو اختلاف وزنها فى شعر ، أو رعاية الفاصلة آخر الفقرة فى نثر ، أو غير ذلك مما يضطر فيه إلى إيراد بعض الألفاظ بدل بعض ، كما فى قوله :

وَتَيْنِيَّةٍ جاوزتها بَيْنِيَّةٍ \* حَرَفٍ يُعَارِضُهَا جَنْبٌ أَذْهَمُ

فإنه أراد بالثنية الأولى العقبة ، وبالثنية الثانية الناقة ، والجنب الأذم استعارةً لظلمها . فالثنية من حيث وقوعها على الناقة والعقبة أوفق للتجنيس من الناقة ، إذ لو ذكر الناقة مع الثنية التي هي الطريق لفاته التجنيس . ومحل الكلام عليهما كتب الفقه ونحوها .<sup>(١)</sup>

ومنها الحقيقة والمجاز . والحقيقة هي اللفظ الدال على موضوعه الأصلي كالأسد للحيوان المقترس ، والمار للحيوان المعروف . والمجاز هو ما أريد به غير الموضوع له في أصل اللغة ، كالأسد للرجل الشجاع بعلاقة الشجاعة في كل منهما ، والمار للبلد بعلاقة البلادة في كل منهما ، ويحتاج إليه لنقل الألفاظ من حقائقها إلى الاستعارة والتمثيل والكتابة لما بينهما من العلاقة والمناسبة ، كاليد فإنها في أصل اللغة للمجراحة أُطْلِقَتْ على القوة والنعمة مجازاً ، من حيث إن القوة تَظْهَرُ في اليد والنعمة تُوَلَّى بها ومحل ذكرهما أصول الفقه وما في معناها .

ومنها الألفاظ المتضادة وهي التي تقع كل لفظة منها على ضد ما تقع عليه الأخرى كالأمانة والخيانة ، والنصيحة والغش ، والفق والرثق ، والنقص والإبرام ، ونحو ذلك فإن الكلام كثيراً ما يبنى على الأضداد وربما غلط الكاتب بفعل مقابل الشيء غير ضده فيلزمه النقص في صناعته ، وفوات ما يقصده من المقابلة والطباق اللذين هما من أحسن أنواع البديع . وفي "صناعة الكتاب" لأبي جعفر النحاس جملة صالحة من ذلك ، وفي "كثرة الكتاب" لأبي الفتح كُشِّجِمَ جملةٌ جيدة منه أيضاً . ومنها تسمية المتضادين باسم واحد كالجون للأسود والأبيض ، والقرء للطهر والحيض ، والصريم لليل والنهار ، ووراء لخلف وقدام ، ونحو ذلك . ويحتاج إليه للتمييز بين الحقائق التي يقع اللبس فيها . وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

ومنها المقصور والمدود كالندى للجود وندى الأرض ، والحفا لكلال القدم والحافر ، والمدود كالسما للفلك وكل ما علاك ، والبقاء لضدّ الفناء ، وبحود ذلك ؛ وما يجوز فيه المد والقصر جميعا كالزّناء والشرّاء وما أشبههما . ويحتاج إليه الكاتب من ثلاثة أوجه : أحدها أن الدلالة تختلف باعتبار المد والقصر كلفظ الهوى فإنه إن قصر كان بمعنى هوى النفس ، وإن مدّ كان بمعنى ما بين السماء والأرض . الثانى أنه إذا أُضيف المدود أضيف بزيادة واو فى الكتابة فى حالة الرفع وزيادة ياء فى حالة الخفض ، وإذا أُضيف المقصور لم يُحتج إلى زيادة واو ولا ياء ؛ ولو كان مما يجوز فيه المد والقصر، جاز فيه بعض حركاته . ربما يمد كالبلَاء والقلاء ، فإنه إذا كُسِر أوّلها قُصِرَا وكُتِبَا بالياء وإذا فتح مُدّا وكتبَا بالألف . وكالباقلاء فإنه إذا خَفَّف مُدّ وإذا شَدَّد قُصِرَ ؛ فحق لم يعرف الكاتب ذلك كان قاصرا فى صناعته ، وفى "أدب الكاتب" من ذلك جملة .

ومنها المذكر والمؤنث فإنه تختلف أحواله باعتبار التذكير والتأنيث فى كثير من الأمور . وذلك أن المؤنث على ضربين : أحدهما ما فيه علامة من علامات التأنيث الثلاث ؛ وهى الهاء نحو حمزة وطلحة ، والألف المدودة نحو حمراء ، والألف المقصورة نحو حُبلى . وضرب لا علامة فيه وإنما يؤخذ من السّماع : كالسما ، والأرض ، والقوس ، والحرب ، وما أشبهها . وربما كان منه ما يجوز فيه التذكير والتأنيث كالطريق ، والسبيل ، والموسى ، واللّسان ، والسُّلطان ، وما أشبهها ؛ فإن من العرب من يذكّر ذلك ومنهم من يؤنّثه . وربما وقع لفظ التأنيث على الذكر والأُنثى جميعا

(١) أهمله فى الأصل وهو من افعال الناح .

(٢) قوله ولو كان مما يجوز الخ كذا فى الأصل وهو كما ترى غير مفهوم وهو محل الوجه الثالث الذى سقط من قلم الناح وحاصله أن الداعى إلى معرفتها إما أن يرجع إلى المعنى وهو الأول أو إلى الرسم والكتابة وهو الثانى أو إلى النطق والرسم وهو الثالث الساقط فتأمل .

كالسُّخْلَةِ وَالْحَيَّةِ وَالْحَمَامَةِ وَالنَّعَامَةِ وَالْبَطَّةِ وَنَحْوَهَا . وَأَيْضًا فَإِنْ مِنْ وَصَفِ الْمُؤَنَّثِ مَا يُحْدَفُ مِنْهُ الْهَاءُ بِاعْتِبَارِ تَأْوِيلِ آخِرِ كَصَيْغَةِ فَعِيلٍ : فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَقَتِيلٍ بِمَعْنَى مَقْتُولٍ وَخَضِيبٍ بِمَعْنَى مُخَضَّبٍ ، حُذِفَتِ الْهَاءُ مِنْ مُؤَنَّثِهِ : فَيَقَالُ أَمْرَأَةٌ قَتِيلٌ وَكَفَّ خَضِيبٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ كَعَلِيمٍ بِمَعْنَى عَالِمٍ وَرَحِيمٍ بِمَعْنَى رَاحِمٍ ، تَثَبَّتِ الْهَاءُ فِي مُؤَنَّثِهِ : فَتَقُولُ فِيهِ عَلِيمَةٌ وَرَحِيمَةٌ . وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ فَعُولٌ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ كَانَ بغير هاءٍ نَحْوُ أَمْرَأَةٍ صَبُورٍ وَشُكُورٍ بِمَعْنَى صَابِرَةٍ شَاكِرَةٍ ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ كَانَ مُؤَنَّثُهُ بِالْهَاءِ كَالْحُلُوبَةِ بِمَعْنَى الْمَحْلُوبَةِ ، وَالرَّكُوبَةِ بِمَعْنَى الْمُرْكُوبَةِ ، وَصَيْغَةُ مُفْعِلٍ مِمَّا لَا يُوصَفُ بِهِ الذَّكَوْرُ تَكُونُ بِغَيْرِ هَاءٍ كَأَمْرَأَةٍ مُرْضِعٍ ، فَإِنْ أَرَادُوا الْفَعْلَ قَالُوا مُرْضِعَةٌ ، وَصَيْغَةُ فَاعِلٍ مِمَّا لَا يَكُونُ وَصْفًا لِمَذْكَرٍ تَكُونُ بِغَيْرِ هَاءٍ أَيْضًا نَحْوُ أَمْرَأَةٍ طَالِقٍ وَحَامِلٍ ، وَرَبَّمَا حُذِفَتِ الْهَاءُ مِمَّا يَكُونُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ جَمِيعًا فَتَقُولُ أَمْرَأَةٌ عَاقِرٌ وَرَجُلٌ عَاقِرٌ . وَفِي ”أَدَبِ الْكَاتِبِ“ وَ”فَصِيحِ ثَعْلَبِ“ جُمْلَةٌ مِنْ ذَلِكَ . وَفِي كِتَابِ النُّحُوِّ الْمَبْسُوطَةِ قَوَاعِدُ مُوَصَّلَةٌ إِلَى مَقَاصِدِهِ .

وَمِنْهَا الْمَهْمُوزُ وَغَيْرُ الْمَهْمُوزِ فَإِنَّ الْمَعْنَى قَدْ يَخْتَلِفُ فِي اللَّفْظِ الْوَاحِدِ بِاعْتِبَارِ الْهَمْزِ وَعَدَمِهِ : كَمَا تَقُولُ عَبَّاتُ الْمَتَاعِ بِالْهَمْزِ ، وَعَيَّيْتُ الْجَيْشَ بِغَيْرِ هَمْزٍ ، وَبَارَأْتُ الْكَرِيَّ بِالْهَمْزِ مِنَ الْإِبْرَاءِ ، وَبَارَيْتُ فَلَانًا مِنَ الْمَفَاخِرَةِ بِغَيْرِ هَمْزٍ . وَتَقُولُ زَنَى مِنَ الزَّانَا بِغَيْرِ هَمْزٍ ، وَزَنَّا فِي الْجَبَلِ إِذَا رَقِيَ فِيهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَرَبَّمَا جَاءَ الْهَمْزُ وَعَدَمُهُ فِي الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ كَمَا تَقُولُ شِئْتُ بِالْهَمْزِ وَشِيتَ بِإِسْكَانِ الْيَاءِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ وَنَحْوُ ذَلِكَ . فَتَقِي لَمْ يَكُنِ الْكَاتِبُ عَارِفًا بِالْهَمْزِ وَمَوَاضِعِهِ ضَلَّ فِي طَرِيقِ الْكِتَابَةِ . وَفِي ”أَدَبِ الْكَاتِبِ“ بَابُ مَفْرَدٍ لَذَلِكَ .

وَمِنْهَا مَا وَرَدَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مُزْدَوِجًا كَقَوْلِهِمُ الطَّمَّ وَالرَّمَّ ، يَرِيدُونَ بِالطَّمِّ الْبَحَرَ وَبِالرَّمِّ الثَّرَى ، وَكَقَوْلِهِمُ الْحَجَرَ وَالْمَدَرَ ، فَالْحَجَرُ مَعْرُوفٌ وَالْمَدَرُ التُّرَابُ النَّدَى وَنَحْوُ ذَلِكَ .



فاذا عرف الكاتب ذلك تمكن من وضعه في مواضعه لتحسين الكلام وتنقيحه في الطباق والمقابلة ؛ وفي "أدب الكاتب" نبذة من ذلك .

ومنها ماورد من كلامهم مثنى إما على سبيل التغليب : كقولهم القمران يريدون الشمس والقمر، والعمران يريدون أبا بكر وعمر، وإما على الحقيقة : كقولهم ذهب منه الأطيان، يريدون الأكل والنكاح واختلف عليه الملوأ أو الحديدان، يريدون الليل والنهار، ونحو ذلك ؛ وفي "أدب الكاتب" أيضا طرف منه .

ومنها ما ورد من كلام العرب مرتباً كقولهم أوّل النوم النعاس، وهو الاحتياج إلى النوم ؛ ثم الوسن، وهو ثقل النعاس ؛ ثم الكرى والغمض، وهو أن يكون بين النائم واليقظان ؛ ثم التفريق، وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم ؛ ثم الإغفاء، وهو النوم الخفيف ؛ ثم التهجاع، وهو النوم القليل ؛ ثم الرقاد، وهو النوم الطويل ؛ ثم المجوع، وهو النوم الغرق ؛ ثم التسبيخ<sup>(١)</sup>، وهو أشد النوم، وما أشبه ذلك، وفي "فقه اللغة" للتحالبي قدر صالح من ذلك .

ومنها ماورد من كلامهم مورد الدعاء : إما على بابه في الدعاء كقولهم "أستأصل الله شأفته"، يريدون أذهب الله أثره كما يذهب أثر الشأفة، وهى قرحة تخرج في القدم فتكوى فتذهب ؛ وقولهم "أباد الله خضراءهم" أى سوادهم ومُعظمهم . أو لم يقصد به حقيقة الدعاء، كقولهم "تربت يدك" أى ألصقت بالتراب من الفاقة، وقولهم "أرغم الله أنفه" أى ألصقه بالرغام، وهم لا يقصدون به الدعاء . وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

(١) أهمله في الأصل وهو من إهمال النسخ .

ومنها ما تختلف أسماءه مع المشابهة في المعنى كالظفر للإنسان، والحافر للفرس والبغل والحمار، والظلف للبقر، والمنسم للبعير، والبرثن للسمك، وما يجري هذا المجرى . وفي "فقه اللغة" جزء وافر منه .

ومنها ما تختلف أسماءه وأوصافه باختلاف أحواله كالكأس لا يقال فيه كأس إلا اذا كان فيه شراب وإلا فهو قدح ، ولا مائدة إلا اذا كان عليها طعام والا فهي خوان، ولا قلم إلا اذا كان منبرياً والا فهو أنبوبة، ولا خاتم إلا وفيه فص وإلا فهو فتحة ونحو ذلك، وفي "فقه اللغة" جملة منه .

ومنها معرفة الأصول التي تُشتق منها الأسماء كتسمية القمر قرراً لياضه، إذ الأقر هو الأبيض ، وكتسمية ليلة الرابع عشر من الشهر ليلة البدر لمبادرة الشمس القمر بالطلوع، أو لتمامه وأمتلائه حينئذ من حيث إن كل تام يقال له بدر، وكتسمية النجم نجماً، أخذاً من قولهم نجم إذا طلع ونحو ذلك ، وفي "أدب الكاتب" جملة من ذلك .

(١) ومنها ما نطقت به العجم على وفق لغة العرب، لعدم وجوده في لغتهم وهو المعرب كالكف والساق والدلال والوزان والصراف والجمال والقصاب والبيطار وما أشبه ذلك ؛ وفي "فقه اللغة" جزء من ذلك كاف .

ومنها ما أشترك فيه العربية والفارسية، كاللنور، والنجير، والدينار، والدرهم، والصابون، وما أشبه ذلك ؛ وفي "فقه اللغة" أيضاً نبذة منه .

ومنها ما اضطرت العرب إلى تعريبه وأستعماله في لغتهم من اللغة العجمية كالكوز، والإبريق، والطست، والخوان، والطبق، وغيرها من الآنية، والسكاج، والزيرباج، والطبايح، والجوداب، ونحوها من الأطعمة، والجلاب، والسكنجيين، ونحوهما

(١) قوله وهو المعرب كذا في الأصل .

من الأشربة، والحوْلَنجان، والكافور، والصَّنْدل، وغيرها من الأَفَاويه، والطَّيب ونحو ذلك؛ وفي "فقه اللغة" من ذلك جملةٌ جيِّدة. إلى غير ذلك من الأمور التي لا يَسَع استيفائها مما في أدب الكاتب وفقه اللغة الكثيرُ منه.

ومنها ما تعددت لغائهُ؛ وتُعلم أن لغة العرب متعددة اللغات متسعة أرجاء الألسن بحيث لا تُساويها في ذلك لغة. فمن ذلك ما فيه لغتان كقولهم رَطْل ورَطْل بكسر الراء وفتحها وسمَّ وسمَّ بفتح السين وضمها؛ وما فيه ثلاث لغات مثل بُرُقِع بضم القاف وُبرُقِع بفتحها وُبرُقُوع بضم الباء وزيادة الواو، وخاتم بكسر التاء وخاتم بفتحها وخَيْتام؛ وما فيه أربع لغات مثل نَطَعَ بكسر النون وفتحها وسكون الطاء ونَطَعَ بفتح النون والطاء جميعا وكَسَرَ النون؛ وصدَّاق بفتح الصاد وصدَّاق بكسرها وصدَّاق بضمها وصدقة بضم الصاد وسكون الدال؛ وما فيه خمس لغات كقولهم رِيح الشَّمال بفتح الشين من غير همز، والشَّمال بالهمز، والشَّمال بغير همز، والشَّمل بفتح الميم، والشَّمل بسكونها؛ وما فيه ستُّ لغات كفُسَّطاط بضم الفاء وفِسْطاط بكسرها، وفُسْطاط بضم الفاء وإبدال الطاء تاء، وفِسْطاط بكسر الفاء، وفُسَّطاط بضم الفاء وتشديد السين، وفِسَّطاط بكسر الفاء؛ وما فيه تسع لغات كالآئمة بفتح الهمزة وضمها وكسرها مع فتح الميم وضمها وكسرها؛ وما فيه عشر لغات كالأصبع بفتح الهمزة وضمها وكسرها مع فتح الباء وضمها وكسرها والعاشر أُصْبوع. وفي "أدب الكاتب" جملة من هذا النمط.

الصنف الثالث — الفصيح من اللغة. وأعلم أن اللغة العربية قد تنوعت وأختلفت بحسب تنوع العرب واختلاف ألسنتهم؛ والذي أعتمده حُذَّاق اللغة وجهاً يذو العربية من ذلك ما نطق به فصحاء العرب، وهم الذين حلَّوا أوساط بلاد العرب، ولم يخالطهم من سواهم من الأمم كثير مخالطة، ولم يُصاقيوا بلاد العجم

فَبَقِيَتْ أَلْفَاظُهُمْ سَالِمَةً مِنَ التَّغْيِيرِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِلُغَةِ غَيْرِهِمْ : كَقَرَشٍ ، وَهَذِيلٍ ، وَكَانَةَ ، وَبَعْضُ تَمِيمٍ ، وَقَيْسُ عَيْلَانَ ، وَنَحْوُهُمْ مِنْ عَرَبِ الْحِجَازِ ، وَأَوْسَاطِ نَجْدٍ .  
بِخِلَافِ الَّذِينَ حَلُّوا فِي أَطْرَافِ بِلَادِ الْعَرَبِ ، وَجَاوَرُوا الْأَعْجَمَ فَتَغَيَّرَتْ أَلْفَاظُهُمْ بِمَخَالِطَتِهِمْ : كَحَمِيرٍ ، وَهَمْدَانَ ، وَخَوْلَانَ ، وَالْأَزْدَ : لِمَجَاوَرَتِهِمْ بِلَادَ الْحَبَشَةِ ، وَطَيِّئٍ وَغَسَّانَ : لِمَجَاوَرَتِهِمْ بِلَادَ الرُّومِ بِالشَّامِ ، وَبَعْضُ تَمِيمٍ ، وَعَبْدُ الْقَيْسِ : لِمَجَاوَرَتِهِمْ أَهْلَ الْحَزِيرَةِ وَفَارَسَ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ التَّغْيِيرَ يَدْخُلُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ عِدَّةِ وَجُوهِ :

مِنْهَا أَنْ تُبَدَّلَ كَلِمَةٌ بِغَيْرِهَا : كَمَا يَسْتَعْمَلُ أَهْلُ اللُّغَةِ الْحِميرية "ثَبَّ" بِمَعْنَى 'أَجْلَسَ' ، وَهِيَ فِي عَامَّةِ لُغَةِ الْعَرَبِ لِلْأَمْرِ بِالطَّفْرِ . قَالَ الْقَاضِي الرَّشِيدُ فِي شَرْحِ أُمْنِيَةِ الْأَلْمَعِيِّ "وَرَبْمَا غَلَبَتْ الْعُجْمَةُ عَلَى أَحَدِهِمْ حَتَّى لَا يُفْهَمَ عَنْهُ شَيْءٌ" .

وَمِنْهَا أَنْ تُبَدَّلَ حَرْفًا مِنَ الْكَلِمَةِ بِحَرْفٍ آخَرَ : كَمَا تُبَدَّلُ حَمِيرُ كَافِ الْخَطَابِ شِينًا مَعْجَمَةً يَقُولُونَ فِي قُلْتُ لَكَ قُلْتُ لَشَّ ؛ وَرَبْمَا أَبَدَلُوا التَّاءَ أَيْضًا كَافًا يَقُولُونَ فِي قُلْتُ قُلْكَ ، وَكَمَا تُبَدَّلُ رَبِيعَةُ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ مِيمًا يَقُولُونَ فِي بَكَرَ مَكَرَ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَكَمَا يُبَدَّلُ بَعْضُ الْعَرَبِ الصَّادَ الْمَهْمَلَةَ بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةَ يَقُولُونَ فِي صَابِرٍ سَابِرٍ ، وَكَمَا يُبَدَّلُ بَعْضُهُم الطَّاءَ الْمَهْمَلَةَ بِتَاءِ الْمُثَنَاءِ فَوْقُ يَقُولُونَ فِي طَالَ تَالَ وَتُسْمَعُ مِنْ عَرَبِ أَهْلِ الشَّرْقِ كَثِيرًا ، وَكَمَا يَبْدُلُ قَوْمُ التَّاءِ الْمُثَنَاءِ فَوْقُ بِضَادٍ مَعْجَمَةً يَقُولُونَ فِي أَتَرَأَضِرُ .  
وَمِنْهَا أَنْ يُعَاقَبَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ فِي الْكَلِمَةِ كَمَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ فِي بَلَخَ فَلَخَ ، وَفِي أَصْبَهَانَ أَصْفَهَانَ .

وَمِنْهَا أَنْ يَأْتِيَ بِحَرْفٍ بَيْنَ حَرْفَيْنِ فَيَأْتُونَ بِكَافٍ بِحَيْمٍ يَقُولُونَ فِي كَلَّ جَلَّ . قَالَ أَبُو دَرِيدٍ : " وَهِيَ لُغَةٌ فِي الْيَمَنِ كَثِيرَةٌ فِي أَهْلِ بَغْدَادٍ " وَيَأْتُونَ بِحَيْمٍ كَكَافٍ

على العكس من الأول فيقولون في رَجُل رَكُل يقرَّبونها من الكاف، ويأتون بشين معجمة بحيم فيقولون في أَجْتَمَعُوا أَشْتَمَعُوا، ويأتون بصاد مهملة كراى فيقولون في صِرَاطِ زِرَاطِ، ويأتون بحيم كراى فيقولون في جَارِ زَابِر، ويأتون بقاف بين القاف والكاف المعقودة، قاله ابن سعيد عن سماعه من العرب؛ ولا يكاد يوجد منهم من يَنْطِقُ بها على أصلها الموصوف في كتب النحويين. وقد ذكر الشيخ أنير الدين أبو حيان ذلك جميعه في شرحه على تسهيل ابن مالك.

الصنف الرابع — ما تأخَّن فيه العامة وتغيَّره عن موضعه بأن يكون مفتوح الأول والعامة تكسره : كقولهم في جَفْن العين بفتح الجيم جَفْن بكسرها ؛ أو مفتوح الأول والعامة تضمه : كقولهم في القَبُول الذى هو خلاف الرَّد قَبُول بضمها ؛ أو مكسور الأول والعامة تفتحه : كقولهم في دِرْهَم بكسر الدال دَرْهَم بفتحها ؛ أو مكسور الأول والعامة تضمه : كقولهم في التَّسْأَح بكسر التاء تُسْأَح بضمها ؛ أو مضموم الأول والعامة تفتحه : كقولهم في العُصْفُور بضم العين عَصْفُور بفتحها ؛ أو مضموم الأول والعامة تكسره : كقولهم في الظُّفْر بضم الظاء ظَفْر بكسرها ؛ أو مفتوح الوَسْط : كقولهم في القَالَب بفتح اللام قَالِب بكسرها ؛ أو مكسور الوسط والعامة تفتحه : كقولهم في الرجل المُوَسَّوس ، والبرَّ المَسَّوس ، والجبن المدوَّد بكسر الواو في الثلاثة : مُوسَّوس ومُسَّوس ومدوَّد بفتحها ؛ أو مضموم الوسط والعامة تفتحه كقولهم في الجُدُد جمع جديد جُدَد بفتحها ؛ أو محزك الوسط والعامة تسكنه : كقولهم في التَّحْفَةُ بفتح الحاء تُحْفَةُ بإسكانها ؛ أو ساكن الوسط والعامة تحزكه : كقولهم في الحَلْقَةُ بإسكان اللام حَلَقَةُ بفتحها ؛ أو مشددا والعامة تخفِّفه : كقولهم في العارِيَّة بتشديد الياء عَارِيَّة تخفيفها ؛ أو مخففا والعامة تشدده : كقولهم في الكَرَاهِيَّة بتخفيف الياء كَرَاهِيَّة بتشديدها ؛ أو مهموزا والعامة تحذف الهمز من أوله : كقولهم في الإِهْلِيلِج بإثبات همزة في أوله

هَلِيجَ بِحَذْفِهَا ، أَوْ مَهْمُوزِ الْوَسْطِ وَالْعَامَّةُ تَسْهَلُ : كَقَوْلِهِمْ فِي الْمِرْءَةِ بِإِثْبَاتِ الْهَمْزَةِ مِرَاةً بِحَذْفِهَا ، أَوْ غَيْرِ مَهْمُوزِ الْأَوَّلِ وَالْعَامَّةُ ثَبَتِ الْهَمْزَةَ فِي أَوَّلِهِ : كَقَوْلِهِمْ فِي الْكُرَّةِ ، أُكْرَّةً<sup>(١)</sup> ، أَوْ كَانَ بِالْظَّاءِ الْمَعْجَمَةُ بِفَعْلَتِهِ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ كَالْوِظِيفَةِ وَنَحْوِهَا ، أَوْ بِالضَّادِ بِفَعْلَتِهِ بِالْظَّاءِ : كَقَوْلِهِمْ فِي الْبَيْضَةِ بَيَّظَةُ ، أَوْ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةُ بِفَعْلَتِهِ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ كَالذَّرَاعِ ، أَوْ كَانَتْ بِالْجِيمِ بِفَعْلَتِهِ بِالْقَافِ : كَقَوْلِهِمْ فِي مَجَادِيْفِ السَّفِينَةِ مَقَادِيْفٌ ، أَوْ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ بِفَعْلَتِهِ بِالتَّاءِ الْمُشْتَأَةِ فَوْقَ : كَقَوْلِهِمْ فِي دَخَارِ يَصِ الْقَمِيصِ تَخَارِ يَصُ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا شَاعَ وَذَاعَ وَفِي ”أَدَبِ الْكَاتِبِ“ لِأَبْنِ قَتَيْبَةَ نُبْدَةٌ مِنْ لَحْنِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ ، وَكُتِّبَ ”تَثْقِيفُ اللِّسَانِ“ لِأَبْنِ مَكِّي التُّونِسِيِّ مَوْضُوعٌ فِي لَحْنِ أَهْلِ الْغَرْبِ ، وَفَصِيحٌ ثَعْلَبٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَقْصِدِ .

الصَّنْفُ الْخَامِسُ — الْأَلْفَاظُ الْكَتَابِيَّةُ ، وَهِيَ الْأَفَاظُ الَّتِي تَنْتَقِبُهَا الْكُتَّابُ وَتَنْتَقَوْهَا مِنْ اللُّغَةِ اسْتِحْسَانًا لَهَا وَتَمِيْزًا لَهَا فِي الطَّلَاوَةِ وَالرَّشَاقَةِ عَلَى غَيْرِهَا . قَالَ الْخَاضِعُ ”مَا رَأَيْتُ أَمْتَلَّ طَرِيقَةً مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ ، فَإِنَّهُمْ آتَمَّسُوا مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا لَمْ يَكُنْ مَتَوَعَّرًا حُوشِيًّا ، وَلَا سَاقِطًا سُوقِيًّا“ . وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي ”الْمَثَلِ السَّائِرِ“ : أَنَّ الْكُتَّابَ غَرِبُوا لُغَةً وَانْتَقَوْا مِنْهَا الْأَفَاظَ رَائِقَةً اسْتَعْمَلُوهَا .

ثُمَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ أَسْمَاءٌ وَأَفْعَالٌ : فَلِأَسْمَاءِ كَقَوْلِكَ فِي الْمَدْحِ فَلَانٌ غُرَّةُ الْقَبِيلَةِ ، وَسَنَامُهَا ، وَذُوَابَتُهَا ، وَذِرْوَتُهَا ، وَهُوَ نَبْعَةُ أَرْوَمَتِهِ وَأَبْلَقُ كَتِيبَتِهِ وَمِذْرَهُ عَشِيرَتِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَالْأَفْعَالُ كَقَوْلِكَ فِي إِصْلَاحِ الْفَاسِدِ : أَصْلَحَ الْفَاسِدَ ، وَلَمْ الشَّعْثَ ، وَرَأَبَ الشَّعْبَ ، وَضَمَّ النَّشْرَ ، وَرَمَّ الرِّثَ ، وَجَمَعَ الشَّتَاتَ ، وَجَبَرَ الْكُسْرَ ، وَأَسَا الْكَلِمَ ، وَرَقَعَ الْخَرَقَ ، وَرَتَّقَ الْفَتَقَ ، وَشَعَبَ الصَّدْعَ . وَفِي ”تَجَانِبِ الْأَلْفَاظِ“ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عِيْسَى الْكَاتِبِ كِفَايَةٌ مِنْ ذَلِكَ . وَلَهُ مَخْتَصَرٌ أَرَبِيٌّ عَلَيْهِ . وَفِي ”كَثَرِ الْكُتَّابِ“ لِكُشَايِمَ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ .

## المقصود الرابع

(في كيفية تصرف الكاتب في الألفاظ اللغوية . وتصريفها في وجوه الكتابة)

لأخفاء أنه إذا أكثر من حفظ الألفاظ اللغوية ، وعرف الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد والمتقاربة المعاني ، تمكن من التعبير عن المعاني التي يضطر إلى الكتابة فيها بالعبارات المختلفة ، والألفاظ المتباينة ؛ وسهل عليه التعبير عن مقصوده ، وهان عليه إنشاء الكلام وترتيبه . وفي الأمثلة التي أوردناها كشاجم في "كثر الكتاب" ، حيث يعبر عن المعنى الواحد بعبارات متعددة ما يرشد إلى الطريق في ذلك ، ويهدي إلى سلوك الحادة الموصلة إلى القصد منه .

وهذه نسخة مكتوبة منه في التهئة بمولود يستضاء بها في ذلك ، وهي :

قد جعلك الله من نبعة طابت مغارسها ، أرومة رسخت عروقها ؛ شجرة زكت غصونها ؛ فرع شرفت منابته ؛ معدن زكت علائقه ؛ جوهر شاعت مكارمه ؛ عنصير بسقت فروعه ؛ تحيد ذاعت محامده ؛ أصل نجبت مآثره ؛ سنخ خلصت مناقبه ؛ نصاب صرحت مفاخره ؛ تجرمت مساعيه ؛ أصل فضلت معالمه ؛ عنصير نصرت محاسنه ؛ متمى كثرث مناقبه . فالزيادة فيها زيادة في جوهر الكرم ، مظاهر في محو ثرى الإفضال ، ذخيرة نفيسة لذوى الآمال ، نعمة كاملة السعادة ، غبطة شاملة البشاشة ، سرور يواجه الأولياء ، حبور تحتويه الأعداء ، غبطة تصل إلى الأحرار ، آتجاج لذوى الأخطار . فتولى الله نعمه عندك بالحراسة الوافية ، بالولاية الكافية ، الكفاية المتظاهرة ، الدفاع الكالى ، الحفاظ الداعى ، الصنع الجميل ، الدفاع الحسن ، العافية المتكافئة . وبلغنى الخبر بهبة الله المستجدة ، الولد المبارك ، الفرع الطيب ، السليل الرضى ، الولد الصالح ، الأبى السار ، الثمرة المثمرة ، السلالة الزكية ، النجل

الميمون، الذي عَمَرَ أَفْنِيَةَ السِّيَادَةِ . زاد في مواثيق العهد والرياسة ، أرسى قَوَاعِدَ  
السيادة ، ثَبَّتَ أَسَاسَ الرَّفْعَةِ ، أَوْثَقَ عُرى المجد ، مَكَّنَ أركان الفضل ، وَطَّدَ أَسَاسَ  
الْمَكَارِمِ ، أَكْثَدَ علائِقَ الشَّرَفِ ، أَبَدَ أَوَانِي الكرم ، أَرَمَ جِبَالَ الجُودِ ، أَمَرَ أَسْبَابَ  
الطُّولِ ، شَيَّدَ بُنْيَانَ الكَمَالِ ، أَحْصَفَ أَيْدِيَ السَّمَاحَةِ ، أَحْكَمَ قُوَى الرَّجَاحَةِ ، أَوْثَقَ  
عَقْدَ الْعُلَا ، رَفَعَ دَعَائِمَ الظُّهَارَةِ ، أَنَارَ أَعْلَامَ الْغَارَةِ ، أَظْهَرَ عِلَامَاتِ الْخَيْرِ . فَنَبَّاشَتْ  
بِهِ ، أَبْتَهَجْتُ ، أَجْتَذَلْتُ ، أَغْتَبَطْتُ ، فَرِحْتُ ، سُرِرْتُ ، اسْتَبَشَرْتُ . جعله الله بَرًّا  
تَقِيًّا ، سَيِّدًا ، حَمِيدًا ، مَيْمُونًا ، مُبَارَكًا ، طَيِّبًا ، عَزِيزًا ، سَعِيدًا ، ظَهِيرًا ، عَوْنًا ، نَاصِرًا ،  
رَاجِحًا ، زَكِيًّا ، وَزَرًا ، مَلَجًا . يَتَقَبَّلُ سُلُوكَ سُلُوفِهِ ، وَيَقْتَنِي أَثَرَهُمْ ، يَسْلُكُ مِنْهَا جِهَهُمْ ، يَسُنُّ  
سُنَّتَهُمْ ، يَتَّبِعُ قَصْدَهُمْ ، يَسِيرُ سِيرَتَهُمْ ، يَسْعَى مَسَاعِيَهُمْ ، يَتَّخِذُ مِثَالَهُمْ ، يَتَّخِذُ حَذَرَهُمْ ،  
يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِهِمْ ، يَتَبَصَّرُ بِصِيرَتِهِمْ ، يَنْوُطُ أَعْمَالَهُمْ ، يَتَرَسَّمُ رُسُومَهُمْ . وَأَيْمَنَ بِهِ عِدْدَكَ ،  
كَثَّرَ بِهِ دُرَيْتَكَ ، أَرَاكَ فِيهِ غَايَةَ أَمَلِكَ ، شَفَعَهُ اللَّهُ بِأَخْوَةِ بَرَّةٍ ، وَفَقَّهُهُ اللَّهُ لِأَدَاءِ حَقِّكَ ،  
جَعَلَهُ خَيْرَ خَلْفٍ كَمَا هُوَ خَيْرُ سَلَفٍ . زَيْنَ بِهِ الْعَشِيرَةَ ، وَهَبَ لَهُ السَّمَاءَ ، بَلَغَ بِهِ  
أَشْكَالَ الْعُمُرِ ، مَكَّنَ لَهُ فِي رَفِيعِ الْمَرَاتِبِ ، حَقَّقَ فِيهِ فِرَاسَتَكَ ، وَهَبَ لَهُ تَمَامَ الْفَضِيلَةِ ،  
وَأَوْزَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ ، أَجَارَكَ فِيهِ مِنَ الثُّكُلِ ، سَرَّكَ بِفَائِدَتِهِ ، أَسْعَدَكَ بِرُؤْيَيْتِهِ ، أَطَابَ  
عَيْشَكَ بِهِ ، مَتَّعَكَ بِعَطِيَّتِهِ ، أَلْهَمَكَ شُكْرَ مَا خَوْلَكَ ، وَاصَلَ لَكَ الْمَزِيدَ بِرَحْمَتِهِ .

فإنه إذا أراد الكاتب أن يستخرج من ألفاظ هذا الكتاب عدة كتب بتهنئة  
بولد ، فعل . كما إذا قال : قد جعلك الله من نَبْعَةٍ طَابَتْ مَغَارِسُهَا ، فَالزِّيَادَةُ فِيهَا زِيَادَةٌ  
فِي جَوْهَرِ الْكَرَمِ ، فَتَوَلَّى اللَّهُ نِعْمَهُ عِنْدَكَ بِالْحِرَاسَةِ ، وَبَلَّغْنِي الْخَبْرُ بِهَيْبَةِ اللَّهِ الْجَدِيدَةِ  
الْمُسْتَجِدَّةِ ، الْوَلَدِ الْمُبَارَكِ الَّذِي عَمَرَ أَفْنِيَةَ السِّيَادَةِ ، فَنَبَّاشَتْ بِهِ ، جعله الله تعالى بَرًّا



تقياً، يَتَقِيلُ سَلَفَهُ، وَأَيْمَنَ بِهِ دَدَكَ، وَأَوْزَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ، وَوَصَلَ لَكَ الْمَزِيدَ بِرَحْمَتِهِ، كَانَ ذَلِكَ كِتَابًا كَافِيًا فِي هَذَا النُّوعِ . فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ وَقَسِّ عَلَيْهِ .

## النوع الثاني

(المعرفة باللغة العجمية، وهى كل ما عدا العربية : من التركية، والفارسية،  
والرُومِيَّة، والفِرَنْجِيَّة، والبربرِيَّة، والسُّودَان، وغيرهم؛ وفيه مقصدان)

## المقصد الأول

(فى بيان وجه احتياج الكاتب إلى معرفة اللغات العجمية)

لا يخفى أن الكاتب يحتاج فى كماله إلى معرفة لغة الكتب التى تَرِدُ عليه للملكه  
أو أميره ليفهمها ويُجيب عنها من غير أَطَّلَاعِ تَرْجُمان عليها، فإنه أصونُ لسرِّ ملكه،  
وأبلغُ فى بُلُوغِ مقاصده .

وقد روى محمد بن عمر المدائنى فى "كتاب القلم والدواة" بسنده إلى زيد بن ثابت  
رضى الله عنه أنه قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّهُ يَرُدُّ عَلَى أَشْيَاءٍ  
مِنْ كَلَامِ السُّرْيَانِيَّةِ لَا أَحْسِنُهَا فَتَعَلَّمْ كَلَامَ السُّرْيَانِيَّةِ فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سِتَّةِ عَشَرَ يَوْمًا)) وفى رواية  
قال : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((أَتَحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ؟ فَإِنَّهُ يَأْتِنِي كُتُبُهَا،  
قُلْتُ لَا . قَالَ فَتَعَلَّمْتُهَا فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةِ عَشَرَ يَوْمًا، فَكُنْتُ أَجِيبُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْرَأُ كُتُبَ يَهُودَ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ)) وفى رواية، قال : قال لى  
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ((بَارِئُكَ تَعَلَّمَ كِتَابَ يَهُودَ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي  
قَالَ فَتَعَلَّمْتُ كِتَابَهُمْ فَمَا مَرَّ لِي سِتُّ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَدِّقْتُهُ فَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ  
إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ وَأَجِيبُ إِذَا كَتَبَ)) وفى رواية العِبرانية بدل السُّرْيَانِيَّةِ .

قال محمد بن عمر المدائني بل قد قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفهم اللغات كلها وإن كان عربياً لأن الله تعالى بعثه إلى الناس كافة ولم يكن الله بالذي يبعث نبياً إلى قوم لا يفهمهم، ولذلك كَلَّمَ سَلْمَانَ بالفارسية . وساق بسنده إلى عكرمة أنه قال : سئل ابن عباس هل تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية قال نعم، دخل عليه سلمان فقال له درسته وسادته قال محمد بن أميل : أظنه مَرَجَباً وأهلاً .  
وحينئذ فيكون النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمر زيدا بتعلم كتابة السريانية أو العبرانية لتحريم الكتابة عليه لا أنه أمره بتعلم لغتهم .

### المقصد الثاني

(في بيان ما يتصرف فيه الكاتب من اللغة العجمية)

اعلم أن الذي ينبغي له تعلمه من اللغات العجمية هو ما تتعلق به حاجته في المخاطبة والمكاتبة .

أما المخاطبة فإن يكون لسان ملكه بعض الألسن العجمية أو كان الغالب عليه لسان عجمي مع معرفته بالعربية : كما غلبت اللغة التركية على ملوك الديار المصرية، وكما غلبت اللغة الفارسية على ملوك بلاد العراق وفارس، وكما غلب لسان البربر على ملوك بلاد المغرب مع تبعية عسكر كل ملك في اللسان الغالب عليه له في ذلك فيحتاج الكاتب إلى معرفة لسان السلطان الذي يتكلم به هو وعسكره ليكون أقرب إلى حصول قصده : من فهم الخطاب وتفهمه، وسرعة إدراك ما يليق إليه من ذلك، وتأدية ما يقصد تأديته منه ؛ مع ما يحصل له من الخطوة والتقريب بالموافقة في اللسان ؛ فإن الشخص يميل إلى من يخاطبه بلسانه لا سيما إذا كان من غير جنسه

كما يميل نفوس ملوك الديار المصرية وأمرائها وجُنُدها لمن يتكلم بالتركية : من العلماء والكُتَّاب ومن في معانهم على ما هو معلوم مشاهد .

وأما المكتبة فبأن يكون يعرف لسان الكُتُب الواردة على ملكه ليرجمها له ويُجيب عنها بلغتها التي وردت بها ؛ فإن في ذلك وقعاً في النفوس ، وأستجلاباً للقلوب ، وصونا للسر عن اطلاع ترجمان عليه ؛ وأمرُ النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن ثابت بتعلُّم السريانية أو العبرانية على ما تقدم ظاهرٌ في طلب ذلك من الكاتب وحثه عليه .

ثم اللغات العجمية على ضربين : أحدهما ماله قلم يُكتب به في تلك اللغة كاللغة الفارسية ، واللغة الرومية ، واللغة الفرنجية ونحوها ؛ فإن لكل منها قلماً يخصه يُكتب به في تلك اللغة . والثاني ما ليس له قلم يكتب به ، وهي لغات القوم الذين تغلب عليهم البدّاءة كالترك والسودان . ولأجل ذلك ترد الكُتُب من القانات ملوك الترك ببلاد الشمال المعروف في القديم بيت بركة ، والآن بمملكة أذربك باللغة المغلية بالخط العربي . وترد الكُتُب الصادرة عن ملوك السودان باللفظ العربي والخط العربي . أما اللغات التي لها أقلام تخصها فإن كتبهم ترد بخطهم ولغتهم : كالكتب الواردة من ملوك الروم والفرنج ونحوهما ممن للغة قلم يخصه على اختلاف الألسنة واللغات .

### النوع الثالث

( المعرفة بالنحو ؛ وفيه مقصّدان )

### المقصد الأول

( في بيان وجه احتياج الكاتب إليه )

لا نزاع أن النحو هو قانون اللغة العربية ، وميزان تقويمها ؛ وقد تقدّم في النوع الأوّل أن اللغة العربية هي رأس مال الكاتب ، وأُسُّ مقالته ، وكنز إنفاقه . وحينئذ

فيحتاج إلى المعرفة بالنحو وطُرق الإعراب، والأخذ في تعاطي ذلك حتى يجعله دأبه،  
ويُصيره ديدنه : ليرتسم الإعرابُ في فكره، ويدور على لسانه، وينطلق به مقالُ قلمه  
وكلمه، ويزول به الوهم عن سجيته، ويكون على بصيرة من عبارته . فإنه إذا أتى من  
البلاغة بأعلى رتبة ولحن في كلامه، ذهب محاسن ما أتى به، وأنهدمت طبقة كلامه  
وألغى جميع ما حسنه، ووقف به عند ما جهله . قال في "المثل السائر" : وهو أول  
ما ينبغي إثبات معرفته ؛ على أنه ليس مختصاً بهذا العلم خاصة بل بكل علم ؛ لا : بل  
ينبغي معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي ليأمن معزة اللحن . قال صاحب  
"الريحان والريعان" ولم يزل الخلفاء الراشدون بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحثون  
على تعلم العربية، وحفظها والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، والمحلّ  
المخصوص . قال عثمان المهرى : « أتنا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ونحن  
بأذريجان يأمرنا بأشياء، ويدكر فيها : "تعلموا العربية فإنها تثبت العقل، وتزيد  
في المروءة" . وكان لخالد بن يزيد بن معاوية أخٌ بجاء يوماً فقال : إن الوليد  
ابن عبد الملك يعثب بى ويحتقرنى، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال  
يا أمير المؤمنين ! : إن الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله وأستصغره ، وعبد الملك  
مطرق فرفع رأسه وقال : (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) الآية — فقال خالد :  
(وإذا أردنا أن نهلك قرية) الآية — فقال عبد الملك : أفى عبد الله تكلمنى ؟ وقد دخل  
على فإقام لسانه لحنًا — فقال خالد : أنعمى الوليد تُعول ؟ فقال عبد الملك : إن  
كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان — فقال خالد : وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه  
خالدٌ فى كلام كثير طويل ليس هذا موضع ذكره .

وقال الرشيد يوماً لبنيه : "ما ضرَّ أحدكم لو تعلم من العربية ما يصلح به لسانه ؟  
أيسرَّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمنه ؟" . ومن كلام مالك بن أنس

”الإعراب حَلَّى اللِّسَانِ فلا تَمْنَعُوا أَلْسِنَتَكُمْ حُلِيِّهَا“ . والله دَرَّ أبى سعيد البصرى !  
حيث يقول :

النَّحْوُ يَسُطُّ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكَيْنِ \* وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَرْبِ  
وَإِذَا طَلَبَتْ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا \* فَأَجَلُهَا عِنْدِي مُقِيمُ الْأَلْسِنِ

قال صاحب ”الريحان والريعان“ واللحن قبيح في كبراء الناس وسراهم ، كما أن الإعراب جمال لهم ، وهو يرفع الساقط من السفلة ويرتقي به إلى مرتبة تلحقه بمن كان فوق نمطه وصنّفه . قال وإذا لم يتجه الإعراب فسد المعنى ؛ فإن اللحن يغير المعنى واللفظ ويقلبه عن المراد به إلى ضده حتى يفهم السامع خلاف المقصود منه . وقد روى أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بجزء رسوله فتوهم عطفه على المشركين فقال : أو برى الله من رسوله ؟ ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر أن لا يقرأ القرآن إلا من يحسن العربية . على أن الحسن قد قرأها بالجزء على القسم وقد ذهب على الأعرابي فهم ذلك لخلفائه . وقرأ آخر ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ برفع الأول ونصب الثانى ، فوقع في الكفر بنقل فتحة إلى ضمة وضمة إلى فتحة فقل له : يا هذا إن الله تعالى لا يخشى أحدا ! فتنبه لذلك وتفظّن له . وسمع أعرابى رجلا يقول : أشهد أن محمدا رسول الله بفتح رسول الله فتوهم أنه نصبه على النعت فقال يفعل ماذا ؟ . وقال رجل لآخر ما شأنك ؟ بالنصب فظن أنه يسأل عن شين به فقال عظم في وجهى . وقال رجل لأعرابى : كيف أهلك ؟ بكسر اللام وهو يريد السؤال عن أهله فتوهم أنه يسأل عن كيفية هلاك نفسه فقال صلبا . ودخل رجل على زياد بن أبيه فقال : إن أبونا مات وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله — فقال زياد للذى أضعته من كلامك أضر عليك مما أضعته من مالك . وقيل لرجل من أين أقبلت ؟ فقال من عند أهلونا ، ففسده آخر

حين سمعه وظن ذلك فصاحةً فقال أنا والله أعلم من أين أخذها ؟ من قوله ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ فأضحك كلُّ منهما من نفسه . قال صاحب "الريحان والرياعان" وكان من يؤثر عقله من الخلفاء يعاقب على اللحن وينفر من خطئ القول ، ولا يميز أن يُخاطب به في الرسائل البلدانية ، ولا أن يُوقف به على رؤوسهم في الخطب المقامية قال : وهو الوجه . فأنذيتهم مَطْلَب الكمال ، ومَطَان الصواب في إحكام الأفعال ، فكيف في إحكام الأقوال . قال ابن قادم النحوى : "وجه إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبى : وهو أمير فأحضرني فلم أدِر ما السببُ ، فلما قُرِبت من مجلسه تلقاني كاتبه على الرسائل ميمون بن إبراهيم وهو على ذاية الهلَع والجرَع ، فقال لى بصوت خفى إنه إسحاق ! ومرة غير متلبث حتى رجع إلى إسحاق ، فراغنى ما سمعتُ ، فلما مثلت بين يديه ، قال كيف يقال وهذا المال مالٌ أو وهذا المالُ مالا ، فعلمت ما أراد ميمونُ الكاتبُ فقلتُ له الوجهُ وهذا المالُ مالٌ ويموز وهذا المالُ مالا ، فأقبل إسحاق على ميمون كاتبه بلفظة وفَظَاظَة ثم قال : «ألزم الوجهَ في كُتُبك ودَع ما يمحوز ! » ورمى بكُتاب كان في يديه ، فسألت عن الخبر فإذا بميمون قد كتب عن إسحاق إلى المأمون وهو ببلاد الروم وذكر مالا حملة إليه فقال «وهذا المالُ مالا» ، نخط المأمون على الموضع من الكتاب ووقع بخطه في حاشيته تُكَاتِبُنِي باللحن ؟ ويقال إنه لم يتجاوز موضع اللحن في قراءة الكتاب فقامت عند إسحاق ، فكان ميمونُ الكاتبُ بعد ذلك يقول : لا أدرى كيف أشكرُ ابنَ قادم بَقَى على رُوحى ونعمتى . ووقف بعضُ الخلفاء على كتاب لبعض عُمَّاله فيه لحن في لفظه فكتب إلى عامله : قَتَعَ كَاتِبِكَ هذا سوطاً معاقبةً على لحنه . قال أحمد بن يحيى : كان هذا مقدار أهل العلم ، وبحسبه كانت الرغبة في طلبه وإلحْدُر من الزَّلَل . قال صاحب "الريحان والرياعان" : فكيف لو أبصر بعضُ كُتَّاب زماننا هذا ؟ . قلت قد قال ذلك في زمانه هو وفي الناس بعض الرَّمق والعلمُ ظاهر وأهله مُكْرَمُونَ ، وإلا فلو عَمِر إلى زماننا نحن لقال ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ .

ثم المرجع في معرفة النحو إلى التلقّي من أفواه العلماء الماهرين فيه ، والنظر في الكتب المعتمدة في ذلك من كتب المتقدمين والمتأخرين .

وأعلم أن كتب النحو : من المبسوطات والمختصرات والمتوسّطات أكثر من أن يأخذها الحصر . ومن الكتب المعتمدة في زماننا عند أبناء المشرق "المفصل" للزمخشري و"الكافية" لابن الحاجب . وعند المصريين كتبُ ابن مالك : كالتسهيل والكافية الشافية والألفية وغير ذلك من كتب ابن مالك وغيرها .

قال أبو جعفر النحاس : وقد صار أكثر الناس يطعن على متعلّمي العربية جهلا وتعدّيا حتى إنهم يحتجّون بما يزعمون أن القاسم بن مُحَيِّمَةَ قال : « النحو أوله شغل وآخره بغي » قال : وهذا كلام لا معنى له لأن أول الفقه شغل وأول الحساب شغل وكذا أوائل العلوم . أفترى الناس تاركين العلوم من أجل أن أولها شغل ؟ . قال وأما قوله « وآخره بغي » إن كان يريد به أن صاحب النحو إذا حدّقه صار فيه زهو واستحقّر من يلحن فهذا موجود في غيره من العلوم : من الفقه وغيره في بعض الناس وإن كان مكروها . وإن كان يريد بالبغي التجاوز فيما لا يحلّ فهذا كلامٌ محالٌ فإن النحو إنما هو العلم باللغة التي نزل بها القرآن وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم وكلامُ أهل الجنة وكلامُ أهل السماء . ثم قال بعد كلامٍ طويل : وقد كان الكتاب فيما مضى أرغَبَ الناس في علم النحو وأكثرهم تعظيما للعلماء حتى دخل فيهم من لا يستحقُّ هذا الاسم فصعّب عليه باب العدد فعاوبا من أعرب الحساب ، وبعُدَتْ عليهم معرفة الهمزة التي ينضمُّ وينفتح ما قبلها ، أو تختلف حركتها وحركة ما قبلها فيكتبون يقرؤه بزيادة ألف لا معنى لها : في كلام آخر يتعلق بالهجاء ليس هذا موضع ذكره . — أما التعمّق في الإعراب والمبالغة فيه فإن حكمه في الاستكراه حكمُ التقرُّع في الغريب ؛ وقد كانوا يذُمّون من يتعاناه ، ويسخّرون بمن يتعاطاه . قال الأصمعي

خاصم عيسى بن عمر النحوي رجلا إلى بلال بن أبي بردة فجعل عيسى يُسبِع الإعراب ويتعمق في الألفاظ، وجعل الرجل ينظر إليه - فقال له القاضي: "لأن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من تركه الإعراب، فلا تتشاغل به وأقصِدْ بِحُجَّتِكَ". وخاصم نحوي نحويًا آخر عند بعض القضاة في دين عليه فقال: "أصلح الله القاضي! لي على هذا درهمان" - فقال خصمه: "والله أصلحك الله! إن هي إلا ثلاثة دراهم ولكنه لظهور الإعراب ترك من حقه درهما". فهذا وشبهه قد صار مذموما والمتشبه به ملوما؛ ولذلك كان بعض الكتاب لشدة اقتداره على الإعراب يُعرب كلامه ولا يُحِيلُ إلى السامع أنه يُعرب، فإن عرض مع التعمق في الإعراب لحن، كان ذلك أبلغ في الشناعة، وأجدر بتوجه اللوم على صاحبه والسخرية من المتكلم به. وقد قال الجاحظ: «إن أقبح اللحن لحن أصحاب التعجير والتشديق والتمطيط والجهورية والتفخيم». قال «وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طريق السابلة وبُقرَبِ مجامع الأسواق». وعلى الجملة فالنحو لا يُستغنى عنه ولا يوجد بد منه، إذ هو حلي الكلام، وهو له كما قيل كالمِلح في الطعام. قال في "المثل السائر": والجهل بالنحو لا يُقدَح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يُقدَح في الجهل به نفسه لأنه رُسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب أتباعهم؛ ولذلك لم ينظم الشاعر شعره وعرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو مجرى مجراها وإِنما غرضه إيراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة. قال: ولذلك لم يكن اللحن قادحا في نفس الكلام: لأنه إذا قيل جاء زيد راكب بالرفع لو لم يكن حسنا إلا بأن يقال جاء زيد راكبا بالنصب لكان النحو شرطا في حسن الكلام وليس كذلك فتبين أنه ليس الغرض من نظم الشعر إقامة إعراب كلماته وإِنما الغرض أمر وراء ذلك - وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل من المنشور مع



ما حكي أن اللحن وقع لجماعة من الشعراء المتقدمين في شعرهم ، كقول أبي نؤاس في محمد الأمين :

يا خيرَ مَنْ كَانَ وَمَنْ يَكُونُ \* إلا النَّبِيُّ الطاهر المأمونُ

رفع المستثنى من الموجب . وكقول المتنبي :

أرأيتَ هِمَّةَ نَاقَتِي في نَاقَةٍ \* نَقَلَتْ يَدًا سُرْحًا وَخُفًّا مُجْمَرًا  
تَرَكْتُ دُخَانَ الرِّمِّثِ في أوطانها \* طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ العَنَبَرَا  
وَتَكَرَّمَتْ رُجَاتُهَا عن مَبْرَكِ \* تَقَعَانِ فيه وليس مِسْكَ أَذْفَرَا

بجمع في حالة التثنية ، لأن الناقة ليس لها إلا رُجَتَانِ وقد قال رُجَاتُهَا .

وأعلم أن اللحن قد فشا في الناس ، والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالإعراب عيباً ، والنطق بالكلام الفصيح عيباً . قلت : والذي يقتضيه حال الزمان ، والجرى على منهاج الناس أن يحافظ على الإعراب في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، وفي الشعر والكلام المسجوع ، وما يُدَوَّن من الكلام ، ويكتب من المراسلات ونحوها ؛ ويغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ويتحاورون به في مخاطباتهم ؛ وعلى ذلك جرت سنة الناس في الكلام مذسدت الألسنة ، وتغيرت اللغة حتى حكي أن الفراء مع جلالة قدره وعلو رتبته في النحو دخل يوماً على الرشيد فتكلم بكلام لحن فيه ؛ فقال جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين إنه قد لحن — فقال الرشيد للفراء أتلحن يا يحيى ؟ فقال يا أمير المؤمنين ! : إن طباع أهل البدو الإعراب وطباع أهل الحضرة اللحن فاذا حفظت أو كتبت لم أَلْحَنُ وإذا رجعت الى الطبع لَحَنْتُ — فاستحسن الرشيد كلامه . وقد قال الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين " « ومتى سمعت حفظك الله نادرةً من كلام الأعراب فإياك أن

تَحْكِيهَا إِلَّا مَعَ إِعْرَابِهَا وَمَخَارِجِ أَلْفَاظِهَا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ غَيَّرْتَهَا بِأَنْ لَحَنْتَ فِي إِعْرَابِهَا  
أَوْ أَخْرَجْتَهَا مَخْرَجَ كَلَامِ الْمُؤَلَّدِينَ وَالْبَلَدِيِّينَ ، نَزَجْتَ مِنْ تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَعَلَيْكَ فَضْلٌ  
كَبِيرٌ ؛ وَإِنْ سَمِعْتَ نَادِرَةً مِنْ نَوَادِرِ الْعَوَامِّ وَمُلْحَةً مِنْ مُلَحِّهِمْ فَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ لَهَا  
الإِعْرَابَ أَوْ تُغَيِّرَ لَهَا لَفْظًا حَسَنًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُفْسِدُ الإِمْتَاعَ بِهَا وَيُخْرِجُهَا مِنْ  
صُورَتِهَا الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا وَيُذْهِبُ اسْتَطَابَتَهُمْ إِيَّاهَا . قال : « وَاللَّحْنُ مِنَ الْجَوَارِي  
الظُّرَافِ ، وَمِنَ الْكَوَاعِبِ النَّوَهِدِ ، وَمِنَ الشَّوَابِّ الْمَلَّاحِ ، وَمِنَ ذَوَاتِ الْخُدُورِ أَيْسَرُ  
وَرَبْمَا اسْتَمْلَحَ الرَّجُلُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَالِمَ تَكُنِ الْجَارِيَةُ صَاحِبَةً تَكْلُفُ » وَلَكِنْ إِذَا كَانَ  
اللَّحْنُ عَلَى سَجِيَّةِ سُكَّانِ الْبَلَدِ كَمَا يَسْتَمْلِحُونَ اللَّثْقَاءَ إِذَا كَانَتْ حَدِيثَةُ السِّنِّ فَإِذَا أُسْنَتْ  
وَأَكْتَهَلَتْ سُمِّيَ ذَلِكَ الْاسْتِمْلَاحَ . قال : « وَمَنْ اسْتَمْلَحَ اللَّحْنَ فِي النَّسَاءِ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ  
فَقَالَ فِي بَعْضِ نِسَائِهِ :

أُمْنَطَى مَنَى عَلَى بَصَرِي لِلْحُبِّ أَمْ أَنْتِ أَكَلِ النَّاسِ حُسْنًا ؟  
وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا \* تَشْتَبِيهِ الْأَسْمَاعُ يُوزَنُ وَزْنًا  
مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحُّنُ أَحْيَا \* نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا »

وَالنَّاسُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِحَسَبِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَرَبَ وَإِنْ تَغَيَّرَتْ أَلْسِنَتُهُمْ  
بِمَخَالِطَةِ مَنْ عَدَاهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَخْلُو كَلَامُهُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ الإِعْرَابِ فِي بَعْضِ الْكَلَامِ  
وَالْجَرِيِّ عَلَى قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ خُصُوصًا عَرَبِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ الْبَادِيَةِ مِنْهُمْ . وَقَدْ قَالَ  
الْجَاهِظُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ « وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَلْسِنَةٌ ذَلِيقَةٌ ، وَأَلْفَاظُ حَسَنَةٌ ، وَعِبَارَةٌ جَيِّدَةٌ ؛  
وَاللَّحْنُ فِي عَوَامِّهِمْ فَايَسٌ وَعَلَى مَنْ لَمْ يَنْظُرْ مِنْهُمْ فِي النَّحْوِ غَالِبٌ » .

## المقصود الثاني

(في كيفية تصرف الكاتب في علم العربية)

وأعلم أن انتفاع الكاتب بالنحو من وجهين : أحدهما الإعراب وما يلحق به . ومن أهم ما يُعنى به من ذلك النَّسَبُ لكثرة استعماله في الألقاب ونحوها ، وكذلك العدد فإنه مما يقع فيه اللَّبْسُ على المبتدئ ؛ ومحل ذلك كله كتب النحو . الثاني فيما يقع الكاتب فيه بطريق العَرَضِ ، فيحتاج من ذلك إلى معرفة النُّحاة ومشاهير أهل العربية كابن الأسود الدؤلي ، وسيبويه ، والقرطبي ، وأبي علي ، وأبي عثمان المازني وغيرهم من المتقدمين ؛ وأبن عُصفور وأبن مالك وأبن مُعطى وغيرهم من المتأخرين ؛ وكذلك أسماء كتبهم المشهورة في هذا الفن : من المبسوطات والمختصرات من كتب المتقدمين والمتأخرين ومصطلحاتهم التي اصطَلَحُوا عليها : من ذكر الأسم ، والفعل ، والمعرفة ، والنكرة ، والمبتدأ ، والخبر ، والحال ، والتمييز ، وألقاب الإعراب : من الرفع والنصب والجر والجزم وغير ذلك مما تجرى به عباراتهم ، ويدور على ألسنتهم في استعمالهم : من قولهم ضرب زيد عمرا ونحو ذلك لِيُدرَجَ ما عَنَ له من ذلك في خلال كلامه حيث احتاج إليه في التواقيع والمكاتبات وغيرها .

قال في « التعريف » في وصية نحوي : وهو زيد الزَّمان ، الذي يضربُ به المثل ، وعمرو الأوان ، وقد كثر من سيبويه الملل ومازني الوقت لكنه لم يَسْتَبِحِ الإبل ، وكسائي الدهر الذي لو تقدم لما اختار غيره الرشيد للأُمون ، وذو السُّودد لأبوالأسود على أنه ذو السابقة والأجر المننون . وهو ذو البرِّ الماثور ، والقدر المرفوع ولوائه المنصوب وذيلُ نَخَّاره المجرور . والمعروف بما لا يُنْكَرُ لمثله من الجزم ، والذهابُ عمله الصالح بكل العوامل التي لم يبق منها لحسوده إلا الجزم . وهو ذو الأُبنية التي

لا يفصح عن مثلها الإعراب ، ولا يعرف أفصح منها فيما أخذ عن الأعراب .  
والذى أصبحت أهدأه فوق عمام الغائم ثلاث ، ولم يزل طول الدهر يُشكر  
منه أمسه ويومه وغده وإنما الكلمات ثلاث . فليتصد للإفاده ، وليعلمهم مثل  
ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزياده . وليكن للطلبة نتجا به يُهتدى ، ويرفع  
بتعليمه قدر كل حبر يكون خبراً له وهو مبتدا . وليقدم منهم كل من صلح للتبريز ،  
وأستحق أن يُنصب إماماً بالتمييز . وليورد من موارد أعذب النطاف ، وليجزيه كل  
مضاف إليه ومضاف . وليوفقهم على حقائق الأسماء ، ويعرفهم دقائق البحوث  
حتى اشتقاق الأسم هل هو من السمو أو من السماء . وليبين لهم الأسماء العجمية  
المنقولة والعربية الخالصة ، ويدلهم على أحسن الأفعال لا ما يتشبهه بصفات كان  
وأخواتها من الأفعال الناقصة ، وليحفظهم المثل وكلمات الشعراء ، ولينصب نفسه لحد  
أذهان بعضهم ببعض نصب الإغراء . وليعامل جماعة المستفيدين منه بالعطف ،  
ومع هذا كله فليترقق بهم فما بلغ أحدٌ علماً بقوة ولا غايةً بعسف .

وكما قال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله من جملة توقيع مدرّس : «ولأنه  
في البيان ذو الانتقاد والانتقاء . والعربيّ الذي كان لِرِقاب الفضلاء ابن مالك فإن  
قريبه أبو البقاء .

وكما كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في رسالة أقرّحت عليه في هذا  
الباب وهي : «حرس الله نعمة مولاي ! ، ولا زال كلم السعد من أسمه ، وفعله ،  
وحرف قلبه يأتلف ، ومنادى جوده لا يُرخم وأحد عيشه لا ينصرف . ولا عديم  
مستوصل الرزق من براعته التي لا تقف الوصل<sup>(١)</sup> ولا عديمت نحة الجود

من نَوَالِه كُلِّ موزون ومعدود ، ومن فضله وظله كل مقصور وممدود . ولا خَاطَبَتِ الأيامُ مُتَمِّسَه إلا بلام التوكيد ، ولا عَدَوَه إلا بلام الجحود . هذه المفاوضة اليه أعزّه الله ! تفهمه أنا بلغنا أن فلانا أضمر سيدنا له فعلا غدا به متصبا للكايد ومعتلا وليس موصولا كالذى بصلة وعائد . وما ذاك إلا لأن معرفتها داخلها التنكير ، وقدر لها من الاحتمالات أسوأ التقدير . ونعوت مُحِبَّتِه تكرر بخاز قَطْعُهَا بسبب ذلك التكرير . وسيدنا يعلم بالعلمية المدْكُون من الإنافة ، وما لإضافته إلى جلالته من الانتماء الذى يجب أن يكون لأجله عَيْشُه به خفضا على الإضافة . وكان الظن أن الأشغال التى جُمِعت له لا تكون جمع تكسير بل جمع سلامة ، وآية لا تكلف تعليما على وصول لأنه فى الديوان كالحرف لا يخبر به ولا عنه والحرف ليست له علامة . وحاش لله ! أن يُصْبِحَ معرَّبٌ إحسانه مبنيا ، وأن نزيل كرمه للتركات بأى محكيّا أو أن يأتى سيدنا بالماضى من الأفعال فى معنى الاستقبال ، أو أن يجعل بدل غلطه الإبدال للأشتمال . أو يدغم من مودته مظهرًا ، أو أنه لا يجعل لمبتدا محبته مُحْبَرًا ، أو أن لا يكون له من أبنية تدير سيدنا مصدرا . ولا يرح سيدنا نسيج وحده فى أموره ! ولا زال حلمه يتناسى الهفوات لا يَشْتغُلُ مفعولُه عن فعله بضميره .

## النوع الرابع

(المعرفة بالتصريف)

ويجب على الكاتب المعرفة به ليعرف أصل الكلمة ، وزيادتها ، وحذفها ، وإبدالها فيتصرف فيها بالجمع والتصغير والنسبة إليها وغير ذلك : لأنه إذا أراد جمع الكلمة أو تصغيرها أو النسبة إليها ولم يعرف الأصل فى حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وإبدالها ، ضلَّ حينئذ عن السبيل ، ونشأ من ذلك مجال للعائب والطاعن .

(١) كذا فى الاصل بالبدال المهملة . وذكر المتاع تضديد بعضه على بعض وهو غير مناسب فلهذا مصحف عن المذكور بالزأى بمعنى المعلوم فتأمل .

قال ضياء الدين بن الأثير في "المثل السائر": وتظهر لك فائدة ذلك ظهورا واضحا  
 فيما إذا قيل للنحوى الجاهل بعلم التصريف كيف تصغر لفظة اضطراب فإنه يقول  
 ضطريب<sup>(١)</sup>، ولا يلام في ذلك لأنه الذى تقتضيه صناعة النحو . لأن النحاة يقولون  
 إذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن حذفه منها، نحو  
 قولهم في منطلق مطبق وفي جحمرش جحمرش<sup>(٢)</sup> . ولفظة منطلق على خمسة أحرف  
 وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون ، إلا أن الميم زيدت فيها معنى فلذلك لم تُحذف  
 وحُذفت النون . وأما لفظة جحمرش فخاسية لا زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا .  
 فإذا بنى النحوى على هذا الأصل ، فما أن يحذف من لفظة اضطراب الألف  
 أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء ، وهذه الحروف غير الألف ليست من حروف  
 الزيادة فلا تحذف بل الأولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الأصلي فيصغر  
 لفظة اضطراب حينئذ على ضطريب ، ولم يعلم النحوى أن الطاء فى اضطراب مبدلة  
 من تاء وأنه إذا أريد تصغيرها تعاد إلى الأصل الذى كانت عليه . فيقال ضطريب  
 فإن هذا مما لا يعلمه إلا التصريف والنحاة أطلقوا ما أطلقوه من ذلك اتكالا منهم  
 على تحقيقه من علم التصريف ، إذ كل من النحو والتصريف علم منفرد برأسه ،  
 فتكليف النحوى الجاهل بعلم التصريف إلى معرفة ذلك كتكليفه ما ليس من علمه .  
 قال : فثبت بما ذكر أن علم التصريف مما يحتاج إليه لئلا يغلط فى مثل ذلك .  
 قال : ومن العجب أن يقال إنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف وهذا نافع بن أبى نعيم  
 وهو من أكبر القراء السبعة قدرا وأنعمهم شأنا قد قال فى معاش معاش بالهمز ،  
 وهذه اللفظة مما لا يجوز همزه بإجماع من علماء العربية : لأن الياء فيها ليست

---

(١) أى باثبات الياء بعد الراء وهى ياء التصغير وليست منقلبة عن ألف الأفعال كما قد يتوهم بل ألف  
 الأفعال محذوفة .

(٢) كذا فى الأصل وصوابه جحمرش كما تقتضيه القواعد الصرفية . أنظر باب التصغير من الكتاب .

مبدلة من همزة وإنما الياء التي تبدل<sup>(١)</sup> من الهمزة في هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا يكون عينا نحو سَفَانٌ ، ولم يعلم نافع الأصل في ذلك فأخذ عليه وعيب عليه من أجله وذلك أنه اعتقد أن معيشة على وزن فعيلة تجمع على فعائل ولم ينظر إلى أن الأصل في معيشة معيشة على وزن مفعلة لأن أصل هذه الكلمة من عاش لكن أصلها عيش على وزن فعل ، ويلزم مضارع فعل المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يعيش ثم تنتقل حركة العين إلى الفاء فتصير يعيش ثم يبنى من يعيش مفعول فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال معيش به كما يقال مسير به ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير معيشة . ومن جملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف : إن نافعاً لم يدر ما العريية .

وحكى أبو جعفر النحاس أن عبيد الله بن سليمان نظر في بعض كتب الكتاب فإذا فيه حرف مُصلح هو : وقد لهُوت عن جباية الخراج ، فاغتاط وقال لا يحكه غيرى فحكه فأصلحه وقد لهِيت بالياء بدل الواو . قال وحكى عن أحمد بن إسرائيل مع تقدمه في الكتابة أنه قال : وكانت رسومهم مُساناة ثم صارت مشاهرة ثم صارت مُياومة ثم صارت مُساعة ، فأخطأ ، وكان يجب أن يقول مُساعة . قال في "المثل السائر" : وكثيراً ما يقع أهل العلم في مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها ؛ وإذا علم حقيقة الأمر في ذلك لم يقع الغلط فيما يُوجب قدحاً ولا طعناً . قال : وقد وقع الغلط لأبي نُوَّاس فيما هو أظهر من ذلك ، وهو قوله في صفة الخمر :

كَانَتْ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا<sup>(٣)</sup> \* حَصْبَاءُ دَرَّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

(١) أى التي تكون الهمزة بدلاً منها .

(٢) لعله الذى كما يقتضيه السياق .

(٣) المشهور فواقعها . انظر شرح الأشمونى في باب أفعل التفضيل .

فإن فُعِلَ أفعَلَ لا يجوز حذف الألف واللام منها وإنما يجوز حذفهما من فُعِلَ التي لا أفعَلَ لها نحو حُبِلَ إلا أن تكون فُعِلَ أفعَلَ مضافةً، وها هنا قد عَرِيت عن الإضافة وعن الألف واللام وكان الصواب أن يقال كَانَ الصُّغْرَى والكُبْرَى أو كَانَ صُغْرَاهَا وكُبْرَاهَا . فانظر كيف وقع أبو نُوَاس في مثل هذا الموضع مع قُرْبِهِ وسُهُولِهِ . وغلط أبو تمام أيضا في قوله :

بِالْقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلَفِ أَطَّادَتْ \* قَوَاعِدُ الْمُلْكِ مُتَمَدًّا لَهَا الطُّولُ

فقال أَطَّادَتْ والصواب أَتَطَدَّتْ لأن التاء تَبْدَلُ من الواو في موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع : لأنك إذا بنيت أَفْعَلُ من الوعد قلت أَتَعَدَّ وكذلك أَتَطَدَّتْ في البيت فإنه من وَطَدَ يَطْدُ كما يقال وَعَدَ يَعِدُ، فإذا بُنِيَ منه أَفْعَلُ قيل أَتَطَدَّتْ ولا يقال أَطَّادَ . وأما غير المقيس فقولهم في وَجَاهُ نُجَاهٍ وقالوا تُكْلَانِ وأصله الواو لأنه من وَكَلْ فأبدلت الواو تاء للاستحسان . ثم قال : إن المخطئ في التصريف أندر وقوعا من المخطئ في النحو لأنه قلما تقع له كلمة يحتاج في استعمالها إلى الإبدال والنقل في حروفها . والمعصوم من عصمه الله، والكلام في تصرف الكاتب في التصريف على ما تقدم في النحو .

## النوع الخامس

(المعرفة بعلوم المعاني ، والبيان ، والبدیع ؛ وفيه مقصدان)

### المَقْصِدُ الْأَوَّلُ

(في وجه احتياج الكاتب إلى ذلك)

اعلم أنه لما كانت صناعة الكتابة مبنية على سلوك سُبُل الفصاحة وأقتفاء سَنَنِ



البلاغة، وكانت هذه العلوم هي قاعدة عمود الفصاحة ومسقط حجر البلاغة، اضطّر الكاتب إلى معرفتها، والإحاطة بمقاصدها: ليتوصل بذلك إلى فهم الخطاب، وإنشاء الجواب، جاريا في ذلك على قوانين اللغة في التركيب، مع قوة الملكة على إنشاء الأقوال المركبة المأخوذة عن الفصحاء والبلغاء: من الخطب والرسائل والأشعار من جهة بلاغتها وخلوها عن اللكن، وتأدية المطلوب بها، وتكامل الأقاويل الشعرية ثرا كانت أو نظما، في بلوغها غايتها وتأدية ما هو مطلوب بها، وأنها كيف نتعين بحسب الأغراض لتفيد ما يحصل بها من التخييل الموجب لانتقال النفس من بسط وقبض، والشئ يذكّر بضده، فيذكر المحاسن بالذات والعيوب بالعرض.

قال أبو هلال العسكري: "فإن صاحب العربية إذا أخلّ بطلب هذه العلوم، وقطّ في التماسها، فأنته فضيلتها، وعَلَقَتْ به رذيلة فوّتها، وعَفَى على جميع محاسنه، وعمى سائر فضائله، لأنه إذا لم يفرّق بين كلام جيد، وآخر رديء؛ ولَفِظَ حَسَن، وآخر قبيح؛ وشعر نادر، وآخر بارد، بأن جهله، وظهر نقصه؛ وإذا أراد أن ينشئ رسالة أو يضع قصيدة وقد فاته هذه العلوم، مزج الصفو بالكدر، وخلط الغرر بالغرر؛ فجعل نفسه مهزأة للجاهل، وعبرة للعاقل. وكذلك إذا أراد تصنيف كلام منثور أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذه، ساء اختياره، وقبح آثاره؛ فأخذ الرديء المردود، وترك الجيد المقبول؛ فدلّ على قصور فهمه، وتأخر معرفته؛ مع ما في هذه العلوم الثلاثة من الوسيلة إلى فهم كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اللذين منهما يستمدّ الكاتب شريف المعاني، ويستعير فصيح الألفاظ؛ بل منهما تُستفاد سائر العلوم، وتُقْتَبَس نفائس الفضائل". قال: "وقبيح لعمرى بالفقيه المؤتم به، والقارئ المقتدى بهديه، والمتكلم المشار إليه في حسن

مناظرته ، وتمايم آله في مجادلته ، وشدة شكيته في حجاجه ؛ وبالعربي الصليب ،  
والقرشي الصريح ، أن لا يعرف فهم إعجاز كتاب الله إلا من الجهة التي يعرفها منها  
الزنجي والنبطي ، وأن يستدل عليه بما يستدل به الجاهل الغبي .

على أن الشيخ بهاء الدين السبكي رحمه الله قد ذكر في شرح تلخيص المفتاح أن  
أهل مصر لا يحتاجون إلى هذه العلوم وأنهم يدرّونها بالطبع ، فقال في أثناء خطبته :  
”أما أهل بلادنا فهم مستغنون عن ذلك بما طبعهم الله تعالى عليه من الذوق السليم ،  
والفهم المستقيم ، والأذهان التي هي أرق من النسيم ، والطف من ماء الحياة في الحيا  
الوسيم ، أكسبهم النيل تلك الخلاوة ، وأشار إليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه  
الطلاوة ؛ فهم يدركون بطباعهم ما أفنت فيه العلماء فضلا عن الأغمار ، الأعمار ،  
ويرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب من الأسرار ، خلف الأستار .

والسيف ما لم يلف فيه صيقل \* من طبعه لم يتففع بصقال

فيا لها غيمة لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب ، ولم يزحف إليها بعد وعيدة<sup>(١)</sup>  
ولا بلحاق لآحق وأنسكاب سكاب ؛ فلذلك صرفوا همهم إلى العلوم التي هي  
نتيجة أو مادة لعلم البيان ، كاللغة والنحو والفقه والحديث وتفسير القرآن . ثم قال :  
”وأما أهل بلاد الشرق الذين لهم اليد الطولى في العلوم ، ولا سيما العلوم العقلية  
والمنطق ، فاستوفوا همهم الشاغخة في تحصيله ، واستولوا بجدهم على جلته وتفصيله .  
ووردوا مناهل هذا العلم فصّدروا عنها بملء سجلهم ، وكيف لا وقد أجلسوا عليه  
بخیلهم ورجلهم . فلذلك عمروا منه كل دارس ، وعبروا من حصونه المشيدة ما رقد  
عنه الحارس . وبلغوا عنان السماء في طلبه ، ولو كان الدين في الثريا لئله رجال من

(١) أي نوق نجائب منسوبة إلى بني العبد حتى من العرب . ولاحق وسكاب فرسان للعرب مشهوران .  
انظر اللسان .

فارس“. إلى أن خرج عنهم المفتاح، فكأن الباب أغلق دونهم، وظهر من مشكاة بلاد الغرب المصباح، فكأنما حيل بينه وبينهم. وأدارت المنون على قطبهم الدوائر، فتعطلت بوفاته من علومه أفواه المخابر وبطون الدفاتر. وأنقطعت زهراتهم الطيبة عن المقتطف، وتسلبت على العضد لسان من يعرف ”كَيْفَ تُؤْكَلُ الكَتِفُ“. فلم نظفر بعد هؤلاء الأئمة رحمهم الله من أهل تلك البلاد بمن مخض هذا العلم فألقى للطالب زبدته، ومخض النصح فنشر على أعطاف العارى برده، ولا حملت قبول القبول إلينا عنهم بطاقه، ولا حصلت للتطلعين لهذا العلم على تلك الأبواب طاقه، ولا رأينا بعد أن أنطمست تلك الشموس المشرقة، وأندرست طبقة تحترق الفرقة، ولم يبق إلا رسوم هي من فضائلهم مسترقه. من أطلع غصن قلمه من روض الأذهان زهرة على ورقه، ولا من علق شنه بطبقته فيقال وافق شئ طبقه، بل ركبت بينهم في هذا الزمان ريحه، وخبث مصايجه، وناداهم الأدب سواكم أعني: و”رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ دَعْنِي“.

وما بعض الإقامة في ديار \* يهاُن بها الفتى إلا بلاء

فعند ذلك أزمع هذا العلم الترحل، وآذن بالتحول.

وإذا الكريم رأى الخمول تزيله \* في منزل فالرأى أن يتحول

وفزع إلى مصر فألقى بها عصا التسيار، وأنشد من نادى من تلك الديار.

أفقت بأرض مصر فلا ورأى \* تحبُّ بي الركاب ولا أمامي

ولقد أحسن رحمه الله في بيان السبب، والتعويل في أنجبال أهل مصر على هذا العلم على علاقة الصهر والنسب. حيث قال في أوائل خطبته في إنشاء الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما خففت للبلاغة راية

مُجِدِّ فِي بَنِي غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ ، وَتَعَلَّقَتْ بِأَزْمَةِ الْفَصَاحَةِ أَهْلُ مِصْرَ : لِمَا لَهُمْ مِنْ نَسَبٍ وَصِهْرٍ ” .

قال الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في كتابه ” حسن التوسل إلى صناعة الترسل “ : وهذه العلوم وإن لم يُضْطَرَّ إليها ذو الذَّهنِ الثاقب ، والطبع السليم ، والقَرِيحَةُ المطاوعة والفكرة المنقَّحة ، والبديهة المُجَيِّبة ، والروية المتصَرِّفة ، لكن العالم بها مُمْتَكِنٌ من أَزْمَةِ المعاني ، وصناعة الكلام ؛ يقول عن علم ، ويتصرف عن معرفة ، وينتقد بِجُحَّة ، ويتخير بدليل ، ويستحسن ببرهان ، ويصوغ الكلام بترتيب ” .

وحقيق ما قاله . فإن الأديب والكاتب العارِفينَ عن هذه العلوم قاصرانِ عن أدنى رُتَبِ الكمالِ يحيدان ، ولا يَدرِيان كيف يُجَيِّبان . فلو سئل كل منهما عن علة معنيٍّ أَسْتَحْسَنَهُ أو لفظٍ أَسْتَحْلَاهُ أو تركيبٍ أَسْتَجَادَهُ ، لم يَقْدِرْ عَلَى الإتيانِ بدليلٍ على ذلك .

وقد حكى الإمام عبد القادر الجُرْجَانِيُّ قال : ” ركب الكِنْدِيُّ الْمُتَفَلِّسُفُ إلى أَبِي الْعَبَّاسِ وقال له : إني أَجِدُ في كلام العرب حَشْوًا — فقال له أبو العباس في أيِّ موضع — قال : وجدت العرب تقول عبد الله قائمٌ ثم يقولون إن عبد الله قائمٌ ثم يقولون إن عبد الله لقائمٌ فالألفاظ متكررة والمعنى واحد — فقال له أبو العباس : لا ، بل المعاني مختلفة لِأَخْتِلَافِ الألفاظ ، فقوْلُهُم عبدُ الله قائمٌ إخبار عن قيامه ، وقوْلُهُم إن عبد الله قائمٌ جواب عن سؤال سائل ، وقوْلُهُم إن عبد الله لقائمٌ جواب على إنكار منكر قيامه ، فما أحرار المتفلسفُ جواباً . فإذا ذهب مثلُ هذا على الكِنْدِيِّ فما الظنُّ بغيره ؟ وإن كان من محاسن الكلام ما لا يحكم في أمتراجه بالقلوب غيرُ الذوق الصحيح كما قال الشاعر :

شَيْءٌ بِهِ قُتِرَ الْوَرَى غَيْرُ الَّذِي \* يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أُدْرِى مَا هُوَ  
لكن الغالب فى الكلام أن يعلم سبب تحسينه ، وتعليل موادّ تمكينه . ويُجاب  
عن العلة فى انحطاطه وارتفاعه ، ويذكر المعنى فى ارتفاعه من حضيض القول  
إلى يقاه .

قلت : وهذا العلم وإن شُحْنُ أئمة الكُتُب <sup>(١)</sup> — كما قال أبو هلال العسكري فى كتابه  
”الصناعتين“ والوزير ضياء الدين بن الأثير فى ”المثل السائر“ والشيخ شهاب الدين  
محمود الحلبي فى ”حسن التوسل“ فإنه ليس مختصا بفن الكتابة بل هو آلة لكل  
كلامٍ تقتضى البلاغة ، كما أن المنطق آلة لكل العلوم العقلية ، التى يُحتاج منها إلى  
تصحيح الفكر .

وقد أكثر الناس من المصنّفات فيه كالرّمّانى والجرجانى وغيرهما ؛ وأكثر اعتماد  
أهل الزمان فيه على تلخيص المفتاح للقاضى جلال الدين القزوينى فأغنى ما وضع  
فيه عن إirاده هنا .

## المقصود الثانى

( فى كيفية انتفاع الكاتب بهذه العلوم )

غير خاف أنه إذا مهر فيها وعرف طرقها ، أتى فى كلامه بالسحر الحلال ؛ وصاغ  
من ألفاظه ومعانيه ما يقضى له بالفصاحة التامة ، والبلاغة الكاملة ، من وجوه تحقيق  
الكلام ، وتحسينه وتدبيجه وتنقيحه . وإذا فائت هذه العلوم ، أو كان ناقصا فيها ،  
نقصت صناعته بقدر ما ينقص من ذلك . ثم كما يحتاج إلى هذه العلوم بطريق  
الذات ، كذلك يحتاج إليها بطريق العرض من جهة المعرفة بالبلقاء الذين يضرب

(١) لعله وإن شُحْنُ به أئمة الكُتُب كتبهم وحرر .

بهم المثل في البلاغة كقُصِّ بن ساعدة ، وسحبان وائل ، وعمرو بن الأهتم ، ونحوهم من بلغاء العرب ؛ وآبن المقفع ونحوه من المحدثين . وكما قيل في عيّ باقل - وهو رجل انتهى به العيّ إلى أنه اشترى ظيباً بأحد عشر درهما ، فسأله سائل في الطريق ، وهو ممسك الظبي : بكم اشتريته ؟ فلم يُحسن التعبير عن أحد عشر ، ففزق أصابعه العشرة وأخرج لسانه مشيراً إلى أحد عشر فتفطت الظبي وفزهارباً - . وكعرفة أئمة الصنعة : كالجرجاني والرّماني . وكذلك المعرفة بالأسماء التي أصطلح عليها أهلها : من الفصل ، والوصل ، والتشبيه كما تقدم ، والمقابلة ، والمطابقة ، وغير ذلك من أنواعها .

أما احتياجه إلى المعرفة بأسماء البلغاء ولغة أهل الصنعة ، فلائنه ربما احتاج إلى تفضيل بعض من يكتب له ممن يُنسب مثله إلى البلاغة فيفضله بمساواته بليغ من البلغاء ، أو إمام من أئمة الصنعة : كما كتب الوزير ضياء الدين بن الأثير في ذم كاتب : هَذَا وهو يدعى أنه في الفصاحة أئمة وحده ، ومن قُصَّ إياد وسحبان وائل عنده ؛ وكما قال بعضهم يهجو ضيفاً له :

أَنَا وَمَا دَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلٌ \* بَيَانًا وَعِلْمًا بِالذِي هُوَ قَائِلٌ  
فَمَا زَالَ عِنْدَ اللَّقْمِ حَتَّى كَانَهُ \* مِنَ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقِلُّ

ومما أتى على ذكر جماعة من أهل هذا الشأن قولِي في كلام قليل جاء ذكره في آخر رسالة كتبتُ بها في تقرّيط المقرّ الفتحي ، صاحب دواوين الإنشاء الشريف ، بالأبواب السلطانية بالديار المصرية - وهو : "على أني أستقيل من التقصير في إطرائه ، والتعرّض في مدحه لما لا أنهض بأعبائه . فلو أن الحافظ نصيري ، وآبن المقفع ظهيري ، وقُصِّ بن ساعدة يُسعدني ، وسحبان وائل يُخجّدي ، وعمرو

آبن الأهم يُرشدنى ؛ لكان أعترا فى بالتقصير أبلغ مما آتبه ، وإقرارى بالقصور أولى مما أخفيه ، من توالى طوله وأياديه .

وأما احتياجه إلى معرفة ألفاظ أهل الصناعة ، فلا أنه ربما ورى بها فى تفاصيل كلامه ونحو ذلك — كما كتب الشيخ زين الدين أبو بكر بن العجمى على البديعية التى نظمها عيسى العالية الشاعر ، مضاهيا بها بديعية الصفى الحلى فقال :

”وبعد فقد وقفت على هذه المعجزة التى أحيا بها عيسى ميت البديع ، وجود ماشاء فيها من التصريح والترصيع ، ورقم لأعطافها حلل التوشيح والتوشيع ، ونظم لأجياذ أبياتها فرائد المعانى المستخرجة من بحر فكره على يد يراعه المريع ، وقلدها من درر لفظه بما هو أزهى من زهر الزهر على نهر المجرة وهالات البدور ، وشف المسامع منها بما هو أبهى من النور فى العيون وأوقع من الشفاء فى الصدور ؛ وأولج الليل فى النهار بما طرس به الطروس ، وأطلع فى ذلك الليل من ناصع معانيه نجوما تزهى على الشمس ، وأودع المهارق شذورا تزيّف ذهب الأصائل ؛ وتُسفر عن وجوه حسان تفوق أنسّام تُغور الأزاهر بين الخمائل ؛ وسلك فى البديع طريقة مثلى ، أظهر فيها من شهد ألفاظه وجواهر معانيه ماحلا وحلى ؛ ولم يدع للحلى فى بهجتها محلا ؛ وأحسن التذييل والترشيح والتهكم عليه ، من غير التفات لما أهمله ولم يتعرض إليه ؛ وعادت المعانى تأوى من حسن تصرفه إلى ركن شديد ، وتحوى بشبا أقلامه كل مارامه من تأبيد التأييد ؛ وتلقى مقاليدها منه إلى ملى بحسن التحيل والتحول فى نظمه ونثره ، وتحكم لمن حكم له بكمال وصفه ووصف كماله بأنه نسيج وحده وفريد عصره ؛ وأجرى فى حلبة البديع جياذ أقلامه خاز قصب الرهان ، وأصفى لها موارد النفس فارتوت وأستخرجت من ظلماته جواهر البيان ؛ ونطقت بما هو

المالوف من غرائب حِكْمِهِ الحسان ؛ وتأملتُها فوجدتها قد أجاد فيها براعة المَطْلَع ،  
وبالغ في تحسين المَنْزَعِ والمَقْطَع ؛ ودخل جنان الجناس فاجتنى من قُطوفها الدانية  
مaraq ، وأطردت له أنهاؤها فاستطرد منها في أعلى الطَّبَاق ؛ وقابل وجوه حُورها  
أحسن المقابلة ، آمناً فيها من الاشتراك والممانلة ؛ وأوضح الفروق بين التَّوْرِيَةِ والإِبْهَامِ ،  
والتوجيه والاستخدام ؛ وأبان في التتميم نقص أبي تمام ، وأوجب في إبهامه  
عقد الخناصر على نظمه ، وفوض بزاهته النسليم له وطلب سائمه ؛ ولم يقنع بما فيه  
الاكتفاء من التذليل والتذنب ، بل أتى في الاستدراك على من تقدمه بالعجب  
العجيب ؛ معتمداً في تكميل مقاصده الاقتصار والإيجاز ، ولو ادعى الإعجاز على  
الحقيقة لا المجاز لجاز ؛ وتحققت أن ليس له في هذا الفن مُقاو ولا مقاوم ، ولا مساوٍ  
ولا مساوم ؛ فكم جلب من بحر براعته دُرّة أشرقت في ليالي الفترة المسوَّدة ، وكم  
جلب من ثدى براعته دِرّة لها ألف زُبده ؛ وكم بلغ الناظر من وصف بيانه مجمع  
البحرين ، وسمع ورأى من فضله الجزل وفضله الجزيل ما هو عين المراد ومراد  
العين ؛ وكم جلا من عرائس أفكاره وأبتكاره صَبَاحَ الوجوه الصُّباح ، وخَفَقَ  
في الخافقين لمقاصده وبصائر جناح النجاح . قد أصبحت كلماته نُحُصور الفرائد  
مناطق ، ولبُدُور الفوائد مَشَارِق ؛ ولطلائع أسرار المَبَانِي ، آلات ، ولمَطالِع أقمَر  
المعاني ، هالات ؛ وقد وقعت حين وقعت على بديعته هذه بين داءين كل منهما  
الأخطر ، وبين أمرين أمرين كل منهما الأعسر ؛ إن لم أكتب عليها شيئاً فقد  
أخللت بالفرض الواجب ، وإن كتبت فقد فضحت نفسي وعرضتها للعائب ؛  
ولكني رُحْتُ على ظُلُمي متعاملاً ، وغدوتُ على حسب طاقتي في هذا الباب قائلاً :

(١) الدرّة بالفتح المرة وبالكسرية الدر وكثرته . مصباح [وقد أعجم الذال في الأصل وهو من إهمال



عَاشَ الْبَدِيعُ وَكَانَ مَيِّتًا وَأَنْتَى \* بَادَى الْمَحَاسِنِ زَاهِيًا مَحْرُوسًا  
أَحْيَاهُ عَيْسَى نَجَلُ حَجَّاجٍ وَكَمْ \* مِنْ مَيِّتٍ أَحْيَاهُ قَدَمَا عَيْسَى

## النوع السادس

( حفظ كتاب الله العزيز؛ وفيه مقصدان )

### المقصد الأول

( في بيان احتياج الكاتب إلى ذلك في كتابته )

قال في "حسن التوسل" ولا بد للكاتب من حفظ كتاب الله تعالى، وإدامة قراءته، وملازمة درسه، وتدبر معانيه، حتى لا يزال مصورًا في فكره، دائرًا على لسانه، مثلًا في قلبه ليكون ذا كراه في كلامه وكل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ وكفى بذلك مُعِينًا له على قصده، ومُغْنِيًا له عن غيره. قال تعالى ﴿مَا فَرَّقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وقال جل وعز ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ . قال في "المثل السائر" كان بعضهم يقول : لو ضاع لي عقل لوجدته في القرآن الكريم . قال في "حسن التوسل" وقد أخرج من الكتاب العزيز شواهد لكل ما يدور بين الناس في محاوراتهم، ومخاطباتهم، مع قصور كل لفظ ومعنى عنه، وعجز الإنس والجن عن الإتيان بسورة من مثله — كما حكى أن سائلًا سأل بعض العلماء أين تجد في كتاب الله معنى قولهم "الجار قبل الدار"؟ قال في قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فطلبت الجار قبل الدار، ونظائر ذلك كثيرة .

وقد اختلف في جواز الاستشهاد بالقرءان الكريم في المكاتبات ونحوها : فذهب أكثر العلماء إلى جواز ذلك ما لم يُحَلَّ عن لفظه ولم يتغير معناه . فقد ثبت في الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ إِلَى هِرَقْلَ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ إلى قوله مسلمون ؛ وروى ذلك عن غير واحد من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في عهده لعمر بن الخطاب ﴿وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ على ما سيأتى في ذكر عهود الخلفاء عن الخلفاء إن شاء الله تعالى .

وكتب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في آخر كتاب إلى معاوية "وقد علمت مواقع سيوفنا في جدك وخالك وأخيك" ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ . وقال للغيرة ابن شعبة لما أشار عليه بتولية معاوية ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ .

وكتب إلى عامل من عماله بعد البسملة ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ . وقال الحسن بن علي لمعاوية حين نازعه في الخلافة ﴿وَأِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ . ويروى عن ابن عباس مثله . وكتب الحسن إلى معاوية : أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

وكتب محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي إلى المنصور في صدر كتاب ﴿طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ؛ تَتْلُو عَلَيْهِ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ . ولم يزل العلماء وفضلاء الكتاب يستشهدون بالقرءان الكريم في مكاتباتهم في القديم والحديث ، من غير تكبر ؛ وذلك كله دليل الجواز . ونقل عن الحسن البصري ما يدل على كراهة ذلك

حيث بلغه أن الحجاج أنكر على رجل آستشهد بآية فقال : أنسى نفسه حين كتب إلى عبد الملك بن مروان : بلغني أن أمير المؤمنين عطس فشتمته من حضر فرد عليهم ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ . قال في "حسن التوسل" : وإذا صححت هذه الرواية عن الحسن فيمكن أن يكون إنكاره على الحجاج لكونه أنكر على غيره ما فعله هو . وذهب بعضهم إلى أن كل ما أراد الله به نفسه لا يجوز الاستشهاد به إلا فيما يضاف إلى الله سبحانه مثل قوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ وقوله ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ونحو ذلك مما يقتضيه الأدب مع الله تعالى .

فأما تغيير شيء من اللفظ أو إحالة معنى عما أريد به فلا يجوز بحال .

قال في "المثل السائر" وإذا ضُمَّت الآيات في أماكنها اللاتقة بها ، وموضعها المناسبة لها ، فلا شبهة فيما يصير للكلام من الفخامة والجزالة والرونق . قال في "حسن التوسل" : ومن شرف الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الحجّة ، وقطعُ النزاع ، وإذعانُ الخصم . قال في "حسن التوسل" : وأين قول العرب — القتل أنفى للقتل — لمن أراد الاستشهاد في هذا المعنى من قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ . وقد روى أن الحجاج قال لبعض العلماء : أنت تزعم أن الحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتني على ذلك بشاهد من كتاب الله تعالى وإلا قتلتك فقرأ عليه ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ فعيسى ابن بنته فأسكت الحجاج . وأيضا فإن الآية الواحدة تقوم في بلوغ الغرض ، وتوفية المقاصد ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة .

فمن أخصر ما وقع في ذلك وأبلغ أنه كان على الروم بهرقلة في أيام الرشيد امرأة منهم ، وكانت تلاتف الرشيد ولها ابن صغير ، فلما نشأ فوضت الأمر إليه فعاث

وأفسد وخاشن الرشيد؛ فخافت على ملك الروم فقتلت ولدها، فغضب الروم لذلك، فخرج عليها رجل منهم يقال له يَقْفُور فقتلها وأستولى على الملك وكتب إلى الرشيد : أما بعد، فإن هذه المرأة وضعتك موضع الشاه، ووضعت نفسها موضع الرُخ، وينبغي أن تعلم أنى أنا الشاه وأنت الرُخ فأد إلى ما كانت المرأة تؤدى إليك ! فلما قرأ الكتاب . قال للكتاب : أجيئوا عنه فأتوا بما لم يرتضه، وكان الرشيد خطيبا شاعرا . فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى يَقْفُور كلب الروم . أما بعد، فقد فهمت كتابك، والجواب ما تراه لا ماتسمعه، والسلام على من أتبع الهدى .

ثم خرج في جمع له لم يُسمع بمثله فتوغل في بلاده وفك وسي . فأوقد يَقْفُور في طريقة نارا شديدة فحاضها محمد بن يزيد الشيباني، وتبعه الناس حتى صاروا من ورائها، فلما رأى يَقْفُور أنه لا قبل له به، صالحه على الجزية يؤديها عن رأسه وعن سائر أهل مملكته .

وكتب ملك الروم إلى المعتصم يتوعده ويتهدده فأمر الكتاب أن يكتبوا جوابه فلم يُعجبه مما كتبوا شيء فقال لبعضهم اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فقد قرأت كتابك، وفهمت خطابك، والجواب ما ترى لا ماتسمع (وسيعلم الكافر لمن عُقبى الدار) . هذا مع ما ينسب إليه المعتصم من ضعف البصر بالعربية كما تقدم في الكلام على اللغة . ولا يستكثر مثل ذلك على الطبع السليم، والرجوع إلى سلامة العنصر وطيب المختار .

ومثل ذلك في الجواب وأخصر منه أن الأدفونش ملك الفرنج بالأندلس . كتب إلى يعقوب بن عبد المؤمن أمير المسلمين بالأندلس ، بخط وزيره يقال له

أَبْنُ الْفَخَارِ : بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةِ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ  
 أَبْنِ مَرْيَمَ الْفَصِيحِ ، أَمَا بَعْدُ : فَلَا يَخْفَى عَلَى ذِي ذَهْنٍ ثَاقِبٍ ، وَعَقْلٍ لَازِبٍ ، أَنِّي أُمِيرُ  
 الْمَلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ ، كَمَا أَنَّكَ أُمِيرُ الْمَلَّةِ الْحَنَفِيَّةِ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ رُؤَسَاءُ جَزِيرَةِ  
 الْأَنْدَلُسِ مِنَ التَّخَاذُلِ وَالتَّوَاكُلِ وَالْإِخْلَادِ إِلَى الرَّاحَةِ وَأَنَا أَسُومُهُمُ الْخُسْفَ وَأُخْلِي  
 مِنْهُمْ الدِّيَارَ ، وَأَجُوسُ الْبِلَادَ ، وَأَسْبِي الذَّرَارِيَّ ، وَأَقْتُلُ الْكُهُولَ وَالشُّبَّانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ  
 دِفَاعًا ، وَلَا يُطِيقُونَ آمْتِنَاعًا ، فَلَا عَذْرَ لَكَ فِي التَّخَلُّفِ عَنْ نَصْرِهِمْ ، وَقَدْ أَمَكَّتَكَ يَدُ  
 الْقُدْرَةِ ، وَأَنْتُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَيْكُمْ قِتَالَ عَشْرَةٍ مِنْ بَوَاحِدٍ مِنْكُمْ ،  
 وَالْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ، فَلْتَقَاتِلْ عَشْرَةَ مِنْكُمْ الْوَاحِدَ مِنْكُمْ ،  
 ثُمَّ بَلِّغْنِي أَنَّكَ أَخَذْتَ فِي الْإِحْتِفَالِ ، وَأَشْرَفْتَ عَلَى رِبْوَةِ الْإِقْبَالِ ، وَتَمَاطِلَ نَفْسِكَ عَامًا  
 بَعْدَ عَامٍ : وَأَرَاكَ تُقَدِّمُ رَجُلًا وَتُوَخِّرُ أُخْرَى ، وَلَسْتُ أَدْرِي إِنْ كَانَ الْجُبْنُ أَبْطَاكَ  
 أَوِ التَّكْذِيبُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ رَبُّكَ ، ثُمَّ حُكِيَ لِي أَنَّكَ لَا تَجِدُ إِلَى الْجَوَازِ سَبِيلًا لَعَلَّ  
 لَا يَجُوزُ لَكَ التَّفَخُّمُ بِهِ مَعَهَا ؛ فَأَنَا أَقُولُ مَا فِيهِ الرَّاحَةُ لَكَ ، وَأَعْتَذِرُ لَكَ وَعَنْكَ ، عَلَى  
 أَنْ تَقْبَلْ لِي بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاقِيقِ وَالْأَسْتِكْثَارِ مِنَ الرِّهْنِ ، وَتَرْسِلَ إِلَيَّ بِجَمَلَةٍ مِنْ عِيْدِكَ  
 بِالْمَرَكَبِ وَالشَّوَانِي ، وَأَجُوزَ بِجَهْتِي إِلَيْكَ ، وَأَبَارِزُكَ فِي أَعْرَ الْأَمَاكِنِ عَلَيْكَ ، فَإِنْ كَانَتْ  
 لَكَ فَغَنِيمَةٌ وَجَّهْتَ إِلَيْكَ ، وَهَدِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْكَ . وَإِنْ كَانَتْ لِي كَانَتْ  
 يَدِي الْعُلْيَا عَلَيْكَ وَأَسْتَوْجِبُ سِيَادَةَ الْمَلَتَيْنِ ، وَالْحَكْمَ عَلَى الدِّينَيْنِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْهِّلُ  
 مَا فِيهِ الْإِرَادَةُ ، وَيُوفِّقُ لِلْسَّعَادَةِ ، لِأَرْبِ غَيْرِهِ ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُهُ .

فَكَتَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ جَوَابًا عَلَى أَعْلَى كِتَابِهِ ﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّنَهُمْ يَخُونُ إِلَّا قِبَلَ لِهْمِهَا  
 وَلَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ بِالْفَاءِ وَالْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ وَيُظْهَرُ أَنَّهُ تَصْحِيفٌ عَنِ التَّقْوِيمِ بِالْقَافِ وَالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ  
 وَالتَّقْوِيمُ فِي الشَّيْءِ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ رُيُوءٍ وَلَا تَدَبُّرٍ وَتَأَمُّلٍ .

ونظير ذلك أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كتب إلى الديوان العزيزبيغداد كتابا يعدد فيه موافقه في إقامة دعوة بنى العباس بمصر . فكتب جوابه من ديوان الخلافة ﴿ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامُكُمْ بِلِ اللَّهِ مِنْكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

### المقصد الثاني

( في كيفية استعمال آيات القرآن الكريم )

وَأَعْلَمُ أَنْ تَضْمِينَ الْكَلَامَ بَعْضُ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ إِلَى قَسْمِينَ :

أحدهما — الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وهو أقلهما وقوعاً في الكلام ودوراناً في الاستعمال : وهو أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم وينبه عليه مثل قول الحريري في مقاماته : فقلت وأنت أصدق القائلين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ . وقول أبي إسحاق في عهدٍ لملك عن خليفة بعد الأمر بالتقوى والحث عليها : فإذا أطلع الله منه على نقاء جبيه ، وطهارة ذيله ، وصحة مروءته ، واستقامة سيرته ، أعانه على حفظ ما استحفظه ، وأنهضه بثقل ما حمله ، وجعل له مخلصاً من الشبهة ، ومخرجاً من الحيرة . فقد قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ وقد قال الله تعالى عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ وقال عز اسمه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ إلى أي كثيرة حصنها على كرم الخلق ، وأسلم الطرق ، فالسعيد من نصبها رأى ناظره ، والشقي من نبذها وراء ظهره ، وأشقى منه من يحث عليها وهو صائدٌ عنها ، فأجاب إليها وهو بعيد منها . وله ولأمثاله يقول الله عز وجل ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ

وَنَسَوْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَأَنْتُمْ تُنْتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وأكثُر مشى الصابى فى كتابه على هذا الأسلوب من الاستشهاد ، والتنبيه على آى القرآن فى خلال كلامه ، دون الإشارة إليه ؛ والاقتصار على اقتباس معناه .

ومن ذلك قول علاء الدين بن غانم من خطبة <sup>(١)</sup> قدمة كتب بها لمظفر الدين موسى بن أقوش وقد صرع لغلغة ، وأدعى بها للملك المؤيد صاحب حماه : نحمده على توفيقه الذى ساد به من ساد وسمأ ، وأصاب بتفويقه بمعونة ربه طير السماء ، فحسن أن يتلى ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ .

ومن ذلك قولى فى المقامة التى أنشأتها فى كتابة الإنشاء ، فى الكلام على فضل الكتابة : فقد نطق القرآن الكريم بفضلها ، وجاءت السنة الغراء بتقديم أهلها ، فقال جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فأخبر تعالى أنه علم بالقلم ، حيث وصف نفسه بالكرم ، إشارة إلى أن تعليمها من جزيل نعمه ، وإيذاناً بأن منحها من أوفر جوده وفائض ديمه ؛ وقال جل قدرته ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ فأقسم بالقلم ، وما سطرته الأقلام ، وأتى بذلك فى آكد قسم ، فكان من أعظم الأقسام . وقال جل عظمته ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ . فجعل الكتابة من وصف الكرام ، كما قد جاء فعلها عن جماعة الأنبياء عليهم السلام ، وإنما منحها النبى صلى الله عليه وسلم معجزة قد بين الله تعالى سببها ، حيث ذكر أخبارهم بقوله ﴿ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِّبَهَا ﴾ .

وقولى من هذه المقامة فى التعبير عن المقر البدري بن فضل الله :

(١) أى ان الخطبة عملت لنقال تحية لقدم المظفر بعد صرع العتو المسمى لغلغة .

قلت حَسْبُكَ قد دُلِّي عليه عُرْفُهُ ، وأرشدني إليه وَصْفُهُ ؛ وبأن لي مَحْتَدُهُ الفَاخِرَ  
وَحَسْبُهُ الصَّمِيمَ ، وعرفت أصلَهُ الزَّاكِيَ وفرعَهُ الكَرِيمَ ﴿ ذَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ  
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وقولِي في اخْتِتامِ هذهِ المَقَامَةِ معْبَرًا عن المَقَرِّ البَدْرِيِّ المشارِ إليه : فلما تَحَقَّقْتُ  
أَنِّي قد أَثْبَتُ في دِيوانِهِ ، وكنت من جُمْلَةِ غُلَمَانِهِ ، رجَعْتُ القَهْقَرَى عن طَلَبِ  
الكَسْبِ ، وتساوَيْتُ عندِي المَحَلُّ والخِصْبُ ؛ فَاسْتَغْنَيْتُ بِنَظَرِي إليه عن الطَّعَامِ  
والشَّرَابِ ، وتَحَقَّقْتُ أن نَظَرَةَ مِنْهُ تُرَقِّبُنِي إلى السَّحَابِ ، وتَلَوْتُ بِلِسَانِ الصَّدَقِ عَلَى  
المَلَأِ وهم يَسْمَعُونَ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا  
يَجْمَعُونَ ﴾ .

وقولِي في بَيْعَةِ خَلِيفَةِ أَنْشَأَتِهَا بعد ذكر تخليفِ أَهْلِ الْبَيْعَةِ : وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمَ بِذَلِكَ  
مَنْ حَضَرَ مَجْلِسَ الْعَقْدِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ ، والشُّهُودِ وَالْحُكَّامِ ، وجعلوا الله على  
ما يَقُولُونَ وكَيْلاً ، فَاسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْوَفَاءُ بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ  
تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وهم يَرْغَبُونَ إلى الله تعالى أن يُضَاعَفَ  
لَهُمْ بِحَسَنِ نِيَّتِهِمُ الْأَجُورَ ، وَيَلْجَأُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَلَهُمْ مِنْ أَشَارِ تَعَالَى إِلَيْهِ بقوله  
﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ .

وقولِي في بَيْعَةِ أُخْرَى : والله يجعل أَمْتَقَالَهُمْ مِنْ أَدْنَى إِلَى أَعْلَى ، وَمَنْ يُسْرِى إِلَى  
يَمْنَى ، وَيَحَقِّقْ لَهُمْ بِمَنْ أَسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِمْ وَعَدَهُ الصَّادِقُ بقوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ  
آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ .



الثانى - الأقباس وهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن، ولا ينبه عليه :  
 كقوله فى خطبة "التعريف" : نحمده على فواضل زادت محاسن العلوم . وعرفت  
 تفاوت درجات الأولياء اذ قالوا ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ . وقوله بعد ذلك :  
 وسماء الشيبية بضحي المشيب قد تجلّت ، والنفس قد ﴿ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَنَحَلَّتْ ﴾ .  
 وقول ابن نباتة السعدى فى بعض خطبه : فىأياها الغفلة المطرقون . أما أتم  
 بهذا الحديث مصدقون . ماكم لاتسمعون . ﴿ فَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ  
 مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ . وقوله يوم يبعث الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل الظالمين  
 لنار جهنم وقودا . يوم تكونوا<sup>(١)</sup> شهداء على الناس ويكون الرسول<sup>(٢)</sup> عليكم شهيدا .  
 ﴿ يَوْمَ يُجَادِلُ كُلُّ نَفْسٍ مَا مَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا  
 وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .  
 وقول غيره : أظنون أنكم دون غيركم مخلدون ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ  
 تَعْلَمُونَ ﴾ .

وقول الحريرى : فلم يكن ﴿ إِلَّا كَلَامُ الْبَصْرِ أَوْ هُوَ أَقْرَب ﴾ . حتى أنشد فأغرب .  
 وقوله : ﴿ أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ . وأميز صحيح القول من عليه .

وقول ضياء الدين بن الأثير فى فصل من كتاب فى مدح الجود وذم البخل :  
 وقد علم أن المال الذى يُحْتَرَن ، كالماء الذى يُحْتَقَن ، فكما أن هذا يَأْجُنُ بتعطيل<sup>(٢)</sup>  
 الأيدى عن امتياح مشاربه . فكذلك يَأْجُنُ هذا بتعطيل الأيدى عن امتناع<sup>(٢)</sup>  
 مواهبه . وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تملك به القلوب . وتفل به الخطوب .  
 ويركب به ظهر العزم الذى ليس بركوب ؛ ومن بسط يده فيه ثم قبضها بجملته ، فإنه

(١) فى الضوء . ثم تكونون شهداء . الخ .

(٢) لعله امتناع بالخاء المهملة .

يقف دون الرجال مغموراً . ويقعد عن نيل المعالي محسوراً . وإذا أدركته منيته مضى وكأنه لم يكن شيئا مذكورا \* وقوله في وصف كاتب : له بنت فكر ما تحضت بمعنى إلا أتعجت من غير ما تمهله . و (أتت به قومها تجمله) . ولم تعرض على ملا من البلغاء إلا ألقوا أعلامهم أيهم يستعيره لا أيهم يكفله .

وقول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي من عهد لسلطان : وجمع بك شمل الأمة بعد أن كاذ يزيغ قلوب فريق منهم ، وعَضَدك لإقامة إمامته بأولياء دولتك الذين رضى الله عنهم ، وخَصَّك بأنصار دينه الذين نهضوا بما أمروا به من طاعتك وهم فارهون (وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) . وقوله من عهد السلطان الملك المنصور لاجين : وجعل عدوه وإن أعرض بجيوش الرعب محصورا . وكفاه بالنصر على الأعداء التوغل في سفك الدماء فلم (يسيرف في القتل إنه كان منصورا) . وقوله في خطبة صداق في وصف نكاح : وأحيا به الأئم وقد قضى دينهم . وجمع بين متفرقين (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) . وقوله من توقيع بإمامة صلاة : ولعلم أنه في المحراب مناج لربه . واقف بين يدي من (يحول بين المرء وقلبه) .

وقولى في خطبة هذا الكتاب في الإشارة إلى فتح الديار المصرية : فتوجهت إليها عزائم الصحابة زمن الفاروق بخاسوا خلال الديار ، وعمرها وسهلها . وأقطعتها أيدي المسلمين من الكفار ، وكانوا أحق بها وأهلها . وقولى في المقامة المتقدمة الذكر : قال إذن قد تعلقت من الصنعة بأسبابها . وأتيت السيوت من أبوابها . وقولى فيها : قلت قد بانت لى علومها . فما رؤسومها ؟ — قال إن أعباءها لباهظة حملا . وإنها لكيرة إلا . ولكن سأحدث لك ذكرا . وأنبئك بما لم تحط به خبرا .

وقولى فى المفارقة بين السيف والقلم فى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين قامت بنصرتهم دولة الإسلام فسمت بهم على  
سائر الدول . وكرعت فى دماء الكفر سيوفهم فعادت بحلوق النصر لا بجمرة النجل .  
صلاة ينقضى دون آنقضائها تعاقب الأيام . وتكل السنة الأقالم عن وصفها  
ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام .

وربما اقتصر على التلويح والإشارة خاصة : كقول القاضى الفاضل فيما كتب به  
عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الديوان العزيز ببغداد فى الاستصراخ  
وتهويل أمر الفرنج : رَبِّ إِنِّى لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى ، وهاهى فى سبيلك مبذوله ،  
وأنى وقد هاجر إليك هجرة يرجوها مقبولة .

وقول ضياء الدين بن الأثير فى وصف غبار الحرب : وعقد العجاج سقفا فانهقد .  
وأرانا كيف رفع السماء بغير عمد . غير أنها سماء بنيت بسنابك الجياد . وزينت  
ببحر الصعود . ففيها ما يوعد من المنايا لا ما يوعد من الأرزاق . ومنها تُقَدَفُ  
شياطين الحرب لا شياطين الأستراق .

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير رحمه الله : ”والطريق فى استنباط المعانى من  
القرءان الكريم وأستعمال الآيات فى خلال الكلام أن تعمد إلى سورة من القرءان ،  
وتأخذ فى تلاوتها وكلما مر بك معنى أثبتته فى ورقة مفردة حتى تنتهى إلى آخرها ،  
ثم تأخذ فى أستعمال تلك المعانى التى ظهرت وإدخالها فى خلال الكلام وكلما عاودت  
التلاوة وكررتها ظهر لك من المعانى ما لم يظهر لك فى المرة التى قبلها“ .

ولتعلم أن الآية الواحدة قد تقع فى الأستعمال على عدة وجوه يورده النائر  
فى معنى ثم ينقله لمعنى آخر غيره كما فعل ضياء الدين بن الأثير فى قوله تعالى حكاية

عن يوسف عليه السلام ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ . فقال في دعاء كتاب : وصل كتاب من الحضرة السامية أحسن الله أثرها ، وأعلى خطرها ، وقضى من العلياء وطرها ، وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها ، وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقرها . ثم أبرزه في معنى آخر فقال أكرم النعم ما كان فيه ذكرى للعابدين . وتقدمه إلى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ . فهذه النعمة هي التي تأتي بتيسير العسير . وتجلو ظلمة الخطب بإيضاح المنير . فأنظر إلى أثر رحمة الله كيف يُحيي الأرض بعد موتها إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ثم نقله إلى معنى آخر فقال من تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء : وقد علم أن أمير المؤمنين أدنى مجلسه من سمائه ، وآنسه على وحدة الأفراد بحفل نعائه . ورفعته حتى ودت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من نُدماه . وذلك مقام لا تستطيع الجُدود أن ترقى إلى رتبته . ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ، ولا الشفاه أن تتشرف بتقبيل تربته . فليردد إعجابا بما نالته من مواطئ أقدامه ، ولينظر إلى سجود الكواكب له في يقظته لا في منامه .

قال في ” حسن التوسل “ والناس في استخراج المعاني من القرآن الكريم ، وأستعملها في الكلام على قدر طبقاتهم وتفاوت درجاتهم . ففطر في الحسن ومفطر وفوق كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

قلت : وكما يحتاج الكاتب إلى حفظ كتاب الله تعالى والعلم بتفسيره ليقبض من معانيه كذلك يحتاج إلى معرفة العلوم المختصة به كالعلم بالقراءات السبع والشواذ ، ومعرفة رجالها ، ومن أشهر منهم وعرف بجودة القراءة ، ومعرفة أعيان المفسرين ورءوسهم ؛ ليمثل بأفاضلهم ويقايس بأعيانهم ؛ في خلال ما يعرض له من الكلام

مطابقاً لذلك كما قال في "التعريف" في وصية مقرئ في القسم الثالث من الكتاب :  
 وليدُمْ على ما هو عليه من تلاوة القرآن ، فإنه مصباح قلبه . وصَلاح قُربه ، وصَباح  
 القبول المؤذن له برضا ربه ؛ وليجعل سُوره له أسواراً ، وآياته تظهر بين عينيه  
 أنواراً . وليلت القرآن بحروفه وإذا قرأ استعاذ ، وليجمع طُرقه وهي التي عليها الجمهور  
 ويترك الشواذ . ولا يرتدّ دون غاية لإقصار ، ولا يقف فبعد أن أتمّ لم يبق بحمد الله  
 إحصاء ، وليتوسع في مذاهبه ولا يخرج عن قراءة القراء السبعة أئمة الأمصار ، وليبذل  
 للطلبة الرّغاب ، وليُشبع فإن ذوى النّهمة سغاب . وليُرّ الناس ما وهبه الله من  
 الاقتدار فإنه آحتضن السّبع ودخل الغاب ، وليتمّ مباني ما أتمّ ابن عامر وأبو عمرو  
 له التعمير ، ولقّه الكسائي في كسائه ولم يقل جدّى ابن كثير ، وحُمّ به لحمة أن يعودَ  
 ذاهب الزمان ، وعرف أنه لا عاصم من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطوفان ، وتدقّق  
 يتفجّر علماً وقد وقفت السيول الدوافع ، وضراً أكثر قراء الزمان لعدم تفهيمهم  
 وهو نافع ، وليقبل على ذوى الإقبال على الطلب ، وليأخذهم بالترية فما منهم إلا  
 من هو إليه قد آتسب . وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النعماء ،  
 ووصل سببه منه بحبل الله الممتد من الأرض إلى السماء . فليقدّر حق هذه النعمة  
 بحسن إقباله على التعليم ، والإنصاف إذا سئل فعلم الله لا يتناهى وفوق كلّ ذي علم عليم .

### النوع السابع

(الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام ، وفيه مقصدان)

### المقصد الأول

( في بيان وجه احتياج الكاتب إلى ذلك )

قال "في حسن التوسل" لابد للكاتب من حفظ الكثير من الأحاديث النبوية ،  
 والآثار المروية عن الصحابة رضوان الله عليهم ؛ وخصوصاً في السير ، والمغازي ،

والأحكام؛ وتأمل فصاحتها، والنظر في معرفة معانيها وغريبها؛ وفقه ما لا بد من معرفته من أحكامها لينفق منها على سعة، ويستشهد بكل شيء في موضعه، ويحتج بمكان الحجّة، ويستدل بموضع الدليل، ويتصرف عن علم بموضوع اللفظ ومعناه، ويبني كلامه على أصل لا يزول، ويسوق مقاصده إلى سبيل لا يضل عنه، فإن الدليل على المقصد إذا استند إلى النص قويت فيه الحجّة، وسلم له الخصم، وأدعى له المعاند؛ والفصاحة والبلاغة إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم وقال: "أنا أفصح من نطق بالضاد".

وقد كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم يحتجون بالحديث، ويستدلون به في مواطن الخلاف والنزاع، فينقاد الجموح ويستسهل الصعب، وقد رجع الأنصار يوم السقيفة إلى حديث "الأئمة من قریش" حيث رواه لهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وأذعنوا له، وبايعوه بعد ما اجتمعوا إلى سعد بن عبادة وقالوا: "منا أمير ومنا أمير". على ما سيأتى بيانه في موضعه إن شاء الله. ورجع عمر رضى الله عنه لحديث النهى عن دخول بلد الطاعون فعاد إلى المدينة بعد أن قارب الشام حين بلغه أن به الطاعون. وقال على رضى الله عنه في حق الأنصار: "لو زألوا لزلت معهم" لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أزول معكم حيث ما زلتم".

ثم الذى أشار إليه ابن قتيبة في "أدب الكاتب" أن الأحاديث التى ينبغى للكاتب حفظها الأحاديث المتعلقة بالفقه وأحكامه: كقوله صلى الله عليه وسلم: "البينة على المدعى، واليمين على المدعى عليه". والخراج بالضمان. وبحرج العجماء جبار.

(١) ولا يَنْقَلِقُ الرهنُ . والمنحةُ مردودة . والعارية مؤداة . والزَّعيمُ غارِم . ولا وصيةٌ لوارث . ولا قَطْعٌ في ثمرٍ ولا كَثَر . ولا قودٌ إلا بمحذية . والمرأة تُعاقِل الرجل إلى ثلثِ ديتها . ولا تعقِلُ العاقلةُ عمدا ولا عبدا ولا صلحا ولا أعترافا . ولا طلاقٌ في إغلاق ، والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا . والجارُ أحقُّ بصقبة . والطلاقُ بالرجال والعدة بالنساء . وكنهيه في البيوع عن المخاربة والمحاقلة ، والمزابنة ، والمعاومة ، والثنيا ، وعن ربحٍ ما لم يُضْمَن ، وعن بَيْعٍ ما لم يُقْبَض ، وعن بَيْعَتَيْنِ في بَيْعة ، وعن شرطَيْنِ في بَيْعٍ ، وعن بَيْعٍ وسَلَفٍ ، وعن بَيْعِ الغرر وبيعِ الموصافة ، وعن الكالئ بالكالئ ، وعن تلقى الركبان . وما أشبه ذلك ليغتني بحفظها وتدبر معانيها عن إطلاات الفقهاء ” .

قلت : والتحقيق أن حاجة الكاتب لا تختص بأحاديث الأحكام ودلائل الفقه ، بل تتعلق بما هو أعم من ذلك خصوصا الحكم والأمثال والسير وما أشبه ذلك مما يكثر الاستشهاد به في الكتابة والاقتباس من معانيه . قال في ” المثل السائر ” : وينبغي أن يكون أوّل ما يحفظه من الأخبار ما تضمنه كتاب ” الشهاب في المواعظ والآداب ” للقضاعي ، فإنه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لأنه يتضمن حكما وآدابا ، فإذا حفظته وتدرّبت بأستعماله ، حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل في الاستعمال وما لا يدخل ، وعند ذلك نتصفّح كتاب صحيح البخارى ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذى ، وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وغيرها من كتب الحديث ، وتأخذ ما تحتاج إليه ، و” أهل مكة ” أخبر بـ” شعابها ” . قال والذي تأخذه إن أمكنك

( ١ ) الحديث في المصباح لا يَنْقَلِقُ الرهن بما فيه . أى لا يستحقه المرتهن بالدين الذى هو

درسه وحفظه فهو المراد لأن ما لا تحفظه فلست منه على ثقة؛ وإن كان لك محفوظات كثيرة: كالقرءان الكريم، ودواوين كثيرة من الشعر، وما ورد من الأمثال السائرة، وغير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه وما يأتي ذكره، فعليك بمداومة المطالعة للأخبار، والإكثار من استعمالها في كلامك، حتى ترتقم على خاطرك فتكون إذا احتجت منها إلى شيء وجدته، وسهل عليك أن تأتي به آرتجالاً؛ فتأمل ذلك وأعمل به. ثم قال وكنت جردت من الأخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر تدخل كلها في الاستعمال، وما زلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشرين سنين، فكنت أنهي مطالعته في كل أسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظاً لا يشذ منه عنى شيء.

### المقصد الثاني

(في بيان كيفية استعمال الأحاديث والآثار في الكتابة)

قال الوزير ضياء الدين بن الأثير: وأعلم أن أكثر الأحاديث تدخل في الاستعمال، ولا يخرج عنه إلا القليل النادر، ولقد دار بيني وبين بعض علماء الأدب في هذا الأسلوب كلامٌ فاستوعره وأستنكره، وقال: هذا لا يتنبأ إلا في الشيء اليسير من الأخبار النبوية — فقلت لا؛ بل يتنبأ في الأكثر منها — فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنه أختصم إليه في جنين فقضى على من أسقطه بغزة عبد أو أمة" فأين تستعمل هذا؟ فأفكرت فيما ذكره، ثم أنشأت هذا الفصل من الكلام، وأودعته فيه وهو: "قد كثُر الجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وضرب المثل بياقل وكم في هذه الصورة المثلثة من باقل، ولو عرف كل إنسان قدره لما مشى بدنً إلا تحت رأسه، ولا أنتصب رأساً إلا على بدنه، ولكان صاحبُ العمامة



أحقَّ بعلمته وصاحب الرسن أحقَّ برسنه . وكنت سمعتُ بكاتب من الكُتَّاب كَلِمَةً إلى غُثَّائِهِ ، وَقَلَمُهُ بُعَاثَةٌ لَا يَسْتَنْسِرُ وَأَيُّ بَطْشٍ لُبَّاعَةٌ . وإذا وجب الوضوء على غيره بالخارج من السبيلين ، وجب عليه من سُبُلِ ثلاثه . هذا وهو يدعى أنه في الفصاحة أُمَّةٌ وحده ، وَمَنْ قُسَّ إِيَادٍ أَوْ سَحْبَانُ وَائِلٍ عِنْدَهُ ؛ وَإِذَا كُشِفَ خَاطِرُهُ وَجَدَ بَلِيدًا لَا يَخْرُجُ عَنِ الْعَمَةِ وَالْكَمَةِ ، وَإِنْ رَامَ أَنْ يَسْتَنْجِهَ فِي حِينٍ مِنَ الْأَحْيَانِ قَضَى عَلَيْهِ بَغْزَةٌ عَبْدٍ أَوْ أُمَةٍ ؛ وَكَثِيرًا مَا يَتَقَدَّمُ وَنَقِصَتُهُ هَذِهِ عَلَى الْأَفْضَلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَقَدْ صَارَ النَّاسُ إِلَى زَمَانٍ يَعلُوفِهِ حَضِيضُ الْأَرْضِ عَلَى هَامِ السَّمَاءِ . فلما أوردته عليه ، ظهرت أَمَارَةُ الْحَسَدِ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ مَعَ إعْجَابِهِ بِهِ وَاسْتِغْرَابِهِ فِيهِ إِيَاهُ .

ثم قال : وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وهو "لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا تَمَثَّلُ" فهذا أين يُسْتَعْمَلُ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ ؟ فَتَرْوِيهِ فِي قَوْلِهِ تَرْوِيَا يَسِيرًا ثُمَّ قُلْتُ : هَذَا يَسْتَعْمَلُ فِي كِتَابٍ إِلَى دِيَوَانِ الْخِلَافَةِ ، وَأَمْلَيْتُ عَلَيْهِ الْكُتَّابَ ، بِخَاءِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي فَصْلِ مِنْهُ ، وَهُوَ : "إِذَا أَفَاضَ الْخَادِمُ فِي وَصْفٍ وَلَآئِهِ ، نَكَصَتْ هُمُ الْأَوْلِيَاءُ عَنْ مَقَامِهِ ؛ وَعَلِمُوا أَنَّهُ أَخَذَ الْأَمْرَ بِزِمَامِهِ ؛ فَقَدْ أَصْبَحَ وَلَيْسَ بَقَلْبِهِ سِوَى الْوَلَاءِ وَالْإِيمَانِ ، فَهَذَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي طَاعَةِ السَّرِّ وَهَذَا فِي طَاعَةِ الْإِعْلَانِ ؛ وَمَا عَادَاهُمَا فَإِنْ دَخَلَ إِلَى قَلْبِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَحْظُورَةِ ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ تَمَثُّالٌ وَلَا صُورَةٌ ، فَيَعُولُ الدِّيَوَانَ الْعَزِيزُ مِنْهُ عَلَى سَيْفٍ مِنْ سِوْفِ اللَّهِ يَفْرِي ، بِلَا ضَارِبٍ ؛ وَيَسْرِي ، بِلَا حَامِلٍ ؛ وَلَا يُسَلُّ إِلَّا بِبَيْدِ حَقٍّ ، وَلَا يُغْمَدُ إِلَّا فِي ظَهْرِ بَاطِلٍ . وَلَيَعْلَمُ أَنَّ كَرِشَهُ وَعَيْبَتَهُ فِي تَضَمُّنِ الْأَسْرَارِ ، وَأَنَّهُ أَحَدُ سَبْعِيهِ إِذَا عُدَّتْ مَوَاقِفُ الْأَنْصَارِ " . فلما رَأَيْتُ هَذَا الْفَصْلَ بُهِتَ لَهُ وَنَجِبَ مِنْهُ . قَالَ : وَلَمْ أَقْنَعْ بِإِيرَادِ الْحَدِيثِ الَّذِي ذَكَرْتُ حَتَّى أَضَفْتُ إِلَيْهِ حَدِيثًا آخَرَ ، وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي" .

ثم تضمين الكلام شيئاً من الأحاديث على ما تقدم في القرآن الكريم؛ فينقسم إلى الاستشهاد والاقتباس على ما تقدم .

فأما الاستشهاد فهو أن يضمّن الكلام شيئاً من الحديث، وينبه عليه : كقول أبي إسحاق الصابي في وصية عهد من خليفة لسلطان : وأن يقوم بما يعقده الرجل من عرض المسلمين ، فإن ذمته ذمة جميع المؤمنين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” الْمُسْلِمُونَ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَذْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ” .

وكما كتب بغض الكتاب في صدر كتاب لديوان الخلافة : والحمد لله على أن صار إلى أمير المؤمنين ميراث الطاهرين من آبائه، وخصّه بما حازله من جزيل الفضل وحبائه، وحقق للدولة العباسية وعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول لعنه العباس رضوان الله عليه ” أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا عَمُّ ! بِإِخْتِمَاتِ النَّبُوَّةِ وَيُولَدُكَ تُخْتَمُ الْخِلَافَةُ “ . وكفوله من عهد آخر : وأمره أن يضع الرصد على من يختار في الحالة من أباقي العبيد، والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم : إلى أن قال وأن يعرفوا اللقط ويتبعوا أثرها، ويشيعوا خبرها، فإذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها، سلمت إليه ، ولم يعترض فيها عليه . والله جل وعز يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ” ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَرَقَ النَّارِ “ إلى غير ذلك من الاستشهادات .

وأما الاقتباسات فهو أن يضمّن الكلام شيئاً من الحديث ولا ينبه عليه .  
فن ذلك، ما ذكره الحريري في مقاماته من قوله : وَكِتَابُ الْفَقْرِ زَهَادُهُ ، وَانتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادُهُ . وقوله : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، وَقَبِحَ اللَّكُّعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ .

وقد أكثر الوزير ضياء الدين بن الأثير من هذا الباب .

فمن ذلك قوله في دعاء كتاب: "أعاذ الله أيامه من الغير، وبين بخطره مجده نقص كل خطر . وجعل ذكره زاداً لكل ركب ، وأنساً لكل سمر . ومنحه من فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر". أخذ ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف نعيم الجنة "فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" فنقله إلى الدعاء .

ومن ذلك ما ذكره في النصر على العدو في مواطن القتال ، وهو : "أخذنا بسنة رسول الله في النصر الذي نزجوه ، ونبذنا في وجه العدو كفاً من التراب وقلنا شأهت الوجوه؛ فثبت الله ماتزلزل من أقدامنا، وأقدم حيزوم فأغنى عن إقدامنا" . أخذ المعنى الأول من حديث غزوة حنين وأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ قبضة من التراب وألقى بها في وجوه الكفار وقال : "شأهت الوجوه" . وأخذ المعنى الثاني من حديث غزوة بدر : وذلك أن رجلاً من المسلمين لاقى رجلاً من المشركين وأراد أن يضربه فخر على الأرض ميتاً قبل أن يصل إليه ، وسمع الرجل المسلم صوتاً من فوقه وهو يقول أقدم حيزوم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : "ذلك من مدد السماء الثالثة" .

ومن ذلك ما ذكره في ضيق مجال الحرب ، وهو : "وضاق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور ، وتصاحت الغرر بالغرر والصدور بالصدور . وأستظل حينئذ بالسيوف لأشتباك مجالها وتبوتت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلها" . أخذ ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم "الجنة تحت ظلل السيوف" .

ومن ذلك ما ذكره في وصف بعض البلاد الوخمة ، وهو : "ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينه ، مجموع لها بين حرمكة ولأواء المدينة . إلا أنها لم يؤمن

حرَّها من الخَطْفَةِ، وَلَا تُنْقِلُ حُمَّاهَا إِلَى الْجَحْفَةِ . أخذ المعنى الأول من قوله صلى الله عليه وسلم ”مَنْ صَبَرَ عَلَى حَرِّ مَكَّةَ وَلَأَوَاءِ الْمَدِينَةِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ“ . والمعنى الثانى من قوله صلى الله عليه وسلم فى دُعائه للمدينة : ”اللَّهُمَّ حَبِّبْهَا إِلَيْنَا كَمَا حَبَبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ وَأَنْقِلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجَحْفَةِ“ . ورشح ذلك بمعنى قوله تعالى ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ حيث قال إلا أنها لم يؤمن حرَّها من الخطفة .

ومن ذلك ما ذكره فى وصف كريم ، وهو : ”فَأَغْنَى بِجُودِهِ إِغْنَاءَ الْمَطَرِ، وَسَمَّا إِلَى الْمَعَالِي سُمُو الشَّمْسِ وَسَارَ فِي مَنَازِلِهَا مَسِيرَ الْقَمَرِ . وَنَبَّجَ مِنْ أَبْكَارِ فُضَائِلِهِ مَا إِذَا أَدْعَاهُ غَيْرُهُ قِيلَ لِلْعَاهِرِ الْجَرَّ“ . أخذ ذلك من قول النبى صلى الله عليه وسلم ”الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْجَرَّ“ . إلى غير ذلك من مقتبساته المستكثرة، وأستنباطاته التى هى غير قاصرة ولا مستنكرة .

ومن ذلك ما ذكرته أنا فى المفاخرة بين السيف والقلم ، وهو : ”وَبَدَأَ الْقَلَمُ فَتَكَلَّمَ، وَمَضَى فِي الْكَلَامِ بِصَدَقِ عَزْمٍ فَمَا تَوَقَّفَ وَلَا تَلَعَّمْ ، فَقَالَ بِأَسْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَسْتَفْتَحُ، وَبِحَمْدِهِ أَتَيْتُنْ وَأَسْتَبْجِحُ ؛ إِذْ مِنْ شَأْنِي الْكِتَابَةُ، وَمِنْ فَنِّي الْخَطَّابَةُ ، وَكُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِأَسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَجْذَمُ ، وَكُلُّ كَلَامٍ لَا يُفْتَتَحُ بِحَمْدِ اللَّهِ فَأَسَاسُهُ غَيْرُ مُحْكَمٍ“ . أخذت ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم ”كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِأَسْمِ اللَّهِ أَوْ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْذَمُ“ على اختلاف الرواية فى ذلك .

وأعلم أنه كما يحتاج الكاتب إلى حفظ الأحاديث والآثار بطريق الذات للأستشهاد بها، والاعتباس من معانيها على ما تقدم بيانه : كذلك يحتاج إلى المعرفة بأنواع الحديث وأقسامها : كالصحيح، والحسن ، والمرسل، والمرفوع، والمُسند ، والمتصل، والمنقطع ، ونحو ذلك . وكذلك المعرفة بأسماء الرجال، والمشاهير من المحدثين :

كالبخارى، ومسلم، وأبى داود، والنسائى وغيرهم : ليورد ما يحتاج إليه من ذلك  
 فى غُضُون كلامه عند احتياجه إليه فى كتابة ما يتعلق بذلك من توقيع محدث ونحوه  
 كما قال فى " التعريف " فى وصية لمحدث فى قسم الوصايا من الكتاب " وقد أصبح  
 بالسنة النبوية مضطرباً ، وعلى ما جمعه طُرُق أهل الحديث مُطْلَعاً ، وصح الصحيح  
 أن حديثه الحسن ، وأن المرسل منه فى الطلب مقطوع عنه كل ذى لسن . وأن  
 مسنده هو المأخوذ عن العوالى ، وسماعه هو المرقص منه طول الليالى . وأن مثله  
 لا يوجد فى نسبه المعرق ، ولا يعرف مثله للمحافظين : ابن عبد البر بالمغرب وخطيب  
 بغداد بالمشرق . وهو يعرف مقدار طلب الطالب فإنه طال ما شد له النطاق ،  
 وسعى له سعيه وتجشم المشاق . ورحل له يشتد به حرصه والمطايا مزمنة ، وينبّه  
 له طلبه والجفون مقلقة والعيون مهمومة . ووقف على الأبواب لا يضجره طول  
 الوقوف حتى يؤذن له فى ولوجها ، وقعد القرفصاء فى المجالس لا تضيق به فروجها .  
 فليعامل الطلبة إذا أتوه للفائدة معاملة من جرب ، وليستط للأقرباء منهم ويؤنس  
 الغرباء فما هو إلا ممن طلب آونة من قريب وآونة تغرب . وليسفر لهم صباح قصده  
 عن النجاح ، وليفتق لهم من عقوده الصحاح ، وليوضح لهم الحديث ، وليرخ خواطرهم  
 بتقريبه ما كان يسار إليه السير الحديث ، وليؤتهم مما وسع الله عليه فيه المجال ،  
 ويعانهم ما يجب تعليمه من المتون والرجال ، ويصبرهم بمواقع الجرح والتعديل ،  
 والتوجيه والتعليل ، والصحيح والمعتل الذى تنتثر أعضاؤه سقماً كالعليل .  
 وغير ذلك مما لرجال هذا الشأن به عناية ، وما يُنقب فيه عن دراية أو يقنع فيه  
 بجزء روايه . ومثله ما يزداد حملاً ، ولا يعترف بمن رخص فى حديث موضوع  
 أو كتم علماً . وسيأتى ذكر هذه الوصية فى موضعها إن شاء الله تعالى .

وكما قال الشيخ جمال الدين بن نباتة من جملة توقيع لبعض مدرّسي الشام :  
 ”ولأنه الحافظ الذي أحيا ذكر ابن نُقْطَة بعد ما دارت عليه الدوائر، وأغنى وحده  
 دمشق عن أتى في النسب بعساكر“ .

## النوع الثامن

(الإكثار من حفظ حُطَب البلقاء، والتفنُّن في أساليب الخطباء؛ وفيه مقصدان)

## المقصد الأول

(في وجه احتياج الكاتب إلى ذلك)

قال أبو جعفر النحاس : ”وهي من آكد ما يحتاج إليه الكاتب ، وذلك أن  
 الخطب من مستودعات سرّ البلاغة ، ومجامع الحكم ؛ بها تفاخرت العرب  
 في مشاهدهم ، وبها نظقت الخلفاء والأمراء على منابرهم ؛ بها يُمَيِّز الكلام ، وبها  
 يُخاطَب الخاص والعام ، وعلى منوال الخطابة تُسَجِّت الكتابه ، وعلى طريق الخطباء  
 مَشَتْ الكُتَّاب . وقد قال أبو هلال العسكري رحمه الله في ”الصناعتين“ : والرسائل  
 والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ، وقد يتشاكلان أيضا  
 من جهة الألفاظ والفواصل ، فالفاظ الخطب تشبه ألفاظ الكُتَّاب في السهولة  
 والعدوبة ؛ وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل“ . قال : ”والفرق بينهما  
 أن الخطبة يُشَافَه بها بخلاف الرسالة ، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة  
 في أسير كلمة“ .

واعلم أنه كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب ”الريحان  
 والريعان“ : إن ما تكلمت به العرب من أهل المدّر والوبر من جيّد المنشور ومزّد وج

الكلام أكثر مما تكلمت به من الموزون إلا أنه لم يُحَفَظْ من المنشور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره . لأن الخطيب إنما كان يخطب في المقام الذى يقوم فيه في مشافهة الملوك ، أو الحالات ، أو الإصلاح بين العشائر ، أو خطبة النكاح ، فإذا آنقضى المقام حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه . بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد . قال : ” ولولا أن خطبة قُتِّ بن ساعدة كان سندُها مما يتنافسُه الأنام ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذى رواها عنه فأطارد كرها ، ما تميزت عما سواها “ .

قلت : وليس ما أشار إليه لرفض الثَّعْنَعْدِمْ وقلة اعتنائهم به ، بل لسهولة حفظ الشعر وشيوعه في حاضرهم وباديهم ، وخاصَّصهم وعامَّهم ، بخلاف الخطابة فإنه لم يتعاطها منهم إلا القليل النادر من الفصحاء المصَّاقع : فلذلك عَزَّ حِفْظُهَا وَقَلَّ عَنْهُمْ تَقْلُّهَا . وقد كانت تقوم بها في الجاهلية سادات العرب ، ورؤسائهم ممن فاز بِقِدْحِ الفضل ، وسبق إلى دُرَى المجد ، ويَحْصُونَ ذلك بالمواقف الكرام ، والمشاهد العظام ، والمجالس الكريمة ، والمجامع الحفيلة ، فيقوم الخطيب في قومه فيحمد الله ويثني عليه . ثم يذكّر ما سنع له من مطابق قصده وموافق طلبه : من وعظ يذكّر أو يفرأ أو إصلاح أو نكاح ، أو غير ذلك مما يقتضيه المقام .

فمن خطبهم في الجاهلية خطبة كعب بن لؤى جد النبي صلى الله عليه وسلم فيما ذكره أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل . وهى : اسْمَعُوا وَعُوا ، وتَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا ، وَتَفَهَّمُوا تَفَهَّمُوا ، لَيْلٌ سَاج . ونهارٌ صَاحُجٌ ، والأَرْضُ مِهَادٌ ، والجبال أوتاد ، والأولون كالآخرين ، كُلُّ ذَلِكَ إِلَى بَلَاءٍ ، فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ، وَأَصْلَحُوا أَمْوَالَكُمْ ، فَهَلْ رَأَيْتُمْ مَنْ

(١) لعله ضاح من قولهم ضج القوم يضجون إذا صاحوا وجلبوا . وفي الضوء ليل داج ونهار ساج تأمل

هلك رجع، أوميتا نُثِير، الدار أَمَامَكُم وَالظَنِّ خِلَافَ مَا تَقُولُونَ، زَيْنُوا حَرَمَكُم وَعَظُمُوهُ،  
وَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تُفَارِقُوهُ، فَنَسِيَ أَنِّي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، وَسَيَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ كَرِيمٌ . ثُمَّ قَالَ :  
نَهَارٌ وَلَيْلٌ وَاختِلَافُ حَوَادِثٍ \* سَوَاءٌ عَلَيْنَا حُلُوهَا وَمَرِيرُهَا  
يَتُوبَانِ بِالْأَحْدَاثِ حَتَّى تَأْتِيَا \* وَبِالنَّعْمِ الضَّائِفِ عَلَيْنَا سُبُورُهَا  
صُرُوفٌ وَأَنْبَاءٌ تَقْلَبُ أَهْلُهَا \* لَهَا عُقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا  
عَلَى غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ \* فَيُخْبِرُ أَخْبَارًا صَدُوقًا خَيْرُهَا  
ثُمَّ قَالَ :

يَا لَيْتَنِي شَاهِدُ خَوَاءَ دَعْوَتِهِ ! \* حِينَ الْعَشِيرَةِ تَبْغِي الْحَقَّ خِذْلَانَا

وَمِنْ ذَلِكَ خُطْبَةُ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ ، بِسُوقِ عُكَازٍ فِيمَا نَقَلَهُ أَصْحَابُ  
السَّيْرِ عَنْ إِبْخَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ وَهِيَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْمَعُوا وَعُودُوا ، مَنْ  
عَاشَ مَاتَ ، وَمَنْ مَاتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ، لَيْلٌ دَاجٍ ، وَنَهَارٌ سَاجٍ ، وَسَمَاءٌ  
ذَاتُ أَرْجَاجٍ ، وَنُجُومٌ تَزْهَرُ ، وَبِحَارٌ تَزْهَرُ ، وَجِبَالٌ مُرْسَاهُ ، وَأَرْضٌ مُدَحَاهُ ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاهُ .  
إِنَّ فِي السَّمَاءِ نَجَبًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا ! مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ .  
أَرْضُوا فَأَقَامُوا ، أَمْ تَرَكُوا فَنَامُوا . يُقْسِمُ قُسٌّ بِاللَّهِ قَسْمًا لَا إِثْمَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ دِينًا هُوَ أَرْضِي  
لَهُ وَأَفْضَلُ مِنْ دِينِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ ، إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ مِنَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ! . وَيُرْوَى أَنَّ  
قُسًّا أَنْشَأَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ \* نَ مِنْ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ  
لَمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا \* لِلْوَيْ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ  
وَرَأَيْتُ قَوْمِي نَحْوَهَا \* تَمِضُ : الْأَكْبَرُ وَالْأَصَاغِرُ  
لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي إِلَى وَلَا مِنَ الْبَاقِينَ غَايِرُ  
أَيَقْنَتُ أَنِّي لَا مَحَا \* لَهْ حَيْثُ صَارَ الْقَوْمُ صَايِرُ



قال صاحب الأوائل : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ”يُعرضُ هذا الكلام يوم القيامة على قُصِّ بن ساعدة فإن كان قاله الله فهو من أهل الجنة“ .

ومن ذلك خطبة أبي طالب حين خطبَ النبي صلى الله عليه وسلم خديجةً وهى : الحمد لله الذى جَعَلَنَا من زَرْعِ إبراهيم ، وَدُرِّيَّةِ إسماعيل ، وجعل لنا بيتاً مَحْجُوجاً ، وَحَرَمًا آمناً . ثم إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أُمِّى مَنْ لَا يُوزَانُ بِأَحَدٍ إِلَّا رَجَحَهُ ، وَلَا يُعَدَّلُ بِأَحَدٍ إِلَّا فَضَّلَهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ ، وَلَهُ فِي خَدِيجَةَ رَغْبَةٌ وَلَهَا فِيهِ مِثْلُهَا ، وَمَا كَانَ مِنْ صَدَاقٍ فَنِّى مَالِي ، وَلَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَبْرٌ شَائِعٌ .

ومن خطب النبي صلى الله عليه وسلم ”أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كُتِبَ ، وكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا قَدْ وَجَبَ ، وكَأَنَّ الذى تُشَيِّعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبُوءُهُمْ أَجْدَادُهُمْ ، وَنَاكُلُ مِنْ تُرَاهِمُ كَأَنَّا مَخْلُودُونَ بَعْدَهُمْ ، وَنَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَقْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالًا أَكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَجَالَسَ أَهْلَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ ، وَخَالَطَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَسْكِنَةِ ، طُوبَى لِمَنْ زَكَتْ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَطَابَتْ سِرِيرَتُهُ ، وَعَزَلْ عَنِ النَّاسِ شَرُّهُ ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَوَسِعَتِ السَّنَةُ وَلَمْ تَسْتَهْوِ الْبِدْعَةُ !“

ومن خطب أبي بكر الصديق رضى الله عنه فيما ذكره أبو جعفر النحاس فى ”صناعة الكتاب“ وهى : ألا إن أشقى الناس فى الدنيا والآخرة المملوك ، الملك إذا مَلَكَ زَهْدَهُ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ فيما عنده ، وَرَغْبَهُ فيما فى يَدَيْ غَيْرِهِ ، وَانْتَقَصَهُ شَطْرُ أَهْلِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِسْفَاقَ ، وَإِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ ، وَنَضَبَ عَمْرُهُ وَصَحَا ظَلُّهُ ،

حاسبه الله جل ثناؤه وأشدَّ حسابَه ، وأقلَّ عَفْوَه ؛ وسَتَرُونْ بَعْدِي مُلْكًا عَصُوضًا ،  
وأُمَّةً سِيَّاحًا ، ودَمًا مُبَاحًا ؛ وإنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ نَزْوَةٌ ، ولَأَهْلُ الْحَقِّ جَوْلَةٌ ، يَعْقُوبُهَا  
الْأَثَرُ وَتَمُوتُ السَّنَنُ ، فَالْزَمُوا الْمَسَاجِدَ وَاسْتَشِيرُوا الْقُرَّانَ ، وَلِيَكُنَ الْإِبْرَامُ بَعْدَ التَّشَاوُرِ ،  
وَالصَّفْقَةُ بَعْدَ التَّنَاطُرِ .

ومن خطب عمر رضى الله عنه : أيها الناس ! إِنَّهُ أَتَى عَلَى حِينٍ وَأَنَا أَحْسَبُ  
أَنْ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ وَمَا عِنْدَهُ ؛ أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنْ أَقُومًا يَقْرَءُونَ  
الْقُرْآنَ يُرِيدُونَ مَا عِنْدَ النَّاسِ ! أَلَا فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِقِرَاءَتِكُمْ ، وَأَرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ ، فَإِنَّمَا  
كُنَّا نَعْرِفُكُمْ إِذَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ وَإِذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، فَقَدْ رُفِعَ الْوَحْيُ  
وَذَهَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَإِنَّمَا أُعْرِفُكُمْ بِمَا أَقُولُ لَكُمْ : أَلَا فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ظَنَّنَا  
بِهِ خَيْرًا وَأُثْنِينَا بِهِ عَلَيْهِ ! ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ ! ، أَقْدَعُوا  
هَذِهِ النَّفُوسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا ، فَإِنَّمَا لَمَلَقَةٌ ، وَإِنكُمْ إِلَّا تَقْدَعُوهَا تَنْزِعُ بِكُمْ إِلَى شَرِّ غَايَةٍ .  
إِنَّ هَذَا الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَيِئْسَ ، وَتَرَكْنَا الْخَطِيئَةَ خَيْرًا مِنْ  
مُعَاجَلَةِ التَّوْبَةِ ؛ وَرُبَّ نَظْرَةٍ زَرَعَتْ شَهْوَةً ، وَشَهْوَةً سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْنَا طَوِيلًا ! .

ومن خطب عثمان رضى الله عنه : وقد أنكروا عليه تقديم بنى أمية على غيرهم :  
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً ، وَآفَةُ هَذَا الدِّينِ وَعَاهَةٌ هَذِهِ الْمِلَّةِ قَوْمٌ عِيَابُونَ ،  
طَعْمَانُونَ ، يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَا تُحِبُّونَ وَيُخْفُونَ مَا تُكْرَهُونَ . أَمَّا وَاللَّهِ يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ ! لَقَدْ عَيْبُتُمْ عَلَى أَشْيَاءَ وَنَقَمْتُمْ مِنِّي أُمُورًا قَدْ أَقْرَرْتُمْ لِابْنِ الْخَطَّابِ بِمِثْلِهَا  
وَلَكِنَّهُ وَقَمَكُمْ وَقَمًا ، وَدَمَغَكُمْ حَتَّى لَا يَجْتَرِئَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَمْلَأُ بَصْرَهُ مِنْهُ وَلَا يُشِيرُ بِطَرَفِهِ

(١) كذا في الأصول بالشين المعجمة ولعله تصحيف عن التاء المثلثة في اللسان وثور القرآن بحث عن معانيه  
وعن عليه . وأورد في ذلك حديث عبد الله أنثروا القرآن فان فيه خير الأولين والآخرين . وحديثنا آخر . من  
أراد العلم فليثور القرآن . (٢) في غير هذا الكتاب وقمكم والوقم والمدغم والفهر والإذلال .

إلا مُسَارَقَةً إِلَيْهِ ، أما والله لَأَنَا أَكْثَرُ مِنْ أَبْنِ الْخَطَّابِ عَدَدًا ، وَأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَجْدَرُ  
 إِنْ قَالَ هَلُمَّ أَنْ يُجَابَ . هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ حَقُوقِكُمْ وَأَعْطِيَاتِكُمْ شَيْئًا فَإِنِّي إِلَّا أَفْعَلُ<sup>(١)</sup>  
 فِي الْفَضْلِ مَا أُرِيدُ فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا إِذَنْ ؟ أما والله ما عَابَ عَلَيَّ مَنْ عَابَ مِنْكُمْ أَمْرًا  
 أَجْهَلُهُ وَلَا أَتَيْتُ الَّذِي أَتَيْتُ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ .

ومن خطب على كرم الله وجهه : حين بُوِيعَ بالخِلافة : إِنْ اللَّهَ أَنْزَلَ كِتَابًا  
 هَادِيًا بَيَّنَّ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، نَحْدُوا بِالْخَيْرِ وَدَعَوْا الشَّرَّ ، الْفَرَاغُ أَذَوَهَا إِلَى اللَّهِ  
 تَوْدِيَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ . إِنْ اللَّهَ حَرَّمَ حَرْمًا غَيْرَ مَجْهُولَةٍ ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحَرَمِ  
 كُلِّهَا ، وَسَدَّدَ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حَقُوقَ الْمُسْلِمِينَ . فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ  
 لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ ؛ لَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ ، فَأَذُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ ، وَخَاصَّةً  
 أَحَدِكُمُ الْمَوْتَ . فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّمَا خَلَقَكُمْ السَّاعَةَ تُذَكِّرُكُمْ . تَحَقَّقُوا تَلَحُّقُوا ، فَإِنَّمَا  
 يَنْتَظِرُ بِالنَّاسِ أَنْزَاهُمْ . اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنْ  
 الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ ؛ أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ . وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ نَحْدُوا بِهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ  
 الشَّرَّ فَدَعُوهُ ، وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ .

ومن خطب الحسن بن علي رضي الله عنه : اعلموا أَنَّ الْحِلْمَ زِينٌ ، وَالْوَقَارَ  
 مَوَدَّةٌ ، وَالصَّلَاةُ نِعْمَةٌ ، وَالْإِكْتَارُ صَلَفٌ ، وَالْعَجَلَةُ سَفَهٌ ، وَالسَّفَهَ ضَعْفٌ ، وَالْقَلَقُ  
 وَرِطَةٌ ، وَمَجَالَسَةُ أَهْلِ الدَّنَاءَةِ شَيْنٌ ، وَمَخَالَطَةُ أَهْلِ الْفُسُوقِ رِيبةٌ .

ومن خطب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بصفيين : أَيُّهَا النَّاسُ !  
 إِنَّ الْحَرْبَ صَعْبَةٌ ، وَإِنَّ السَّلَامَ مَنٌّ وَمَبَرَّةٌ ! أَلَا وَقَدْ زَبَنْتُنَا الْحَرْبُ وَزَبَّنَاهَا

(١) فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَقْنِ إِنْ قُلْتَ هَلُمَّ أَنْ تَجَابَ دَعْوِي مِنْ عَمْرٍ . وَالرَّوَايَاتُ مُتَقَارِبَةٌ .

وَأَلْفَتْنَا وَأَلْفَنَاهَا، فَنَحْنُ بَنُوهَا وَهِيَ أُمْنَأُ . أَيُّهَا النَّاسُ ! اسْتَقِيمُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى ،  
وَدَعُوا الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ ، وَالْبِدَعَ الْمُرْدِيَةَ ، وَلَسْتُ أَرَاكُمْ تَرْدَادُونَ بَعْدَ الْوَصَاةِ  
إِلَّا اسْتَجْرَاءُ ، وَلَنْ أَزْدَادَ بَعْدَ الْإِعْذَارِ وَالْحِجَةِ عَلَيْكُمْ إِلَّا عِقُوبَةٌ ! ، وَقَدْ أَلْتَقَيْنَا نَحْنُ  
وَأَنْتُمْ عِنْدَ السَّيْفِ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْحَرْكَ أَوْ يَتَقَهَّقِرْ وَمَا مَنِّي وَمِثْلُكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ ابْنُ قَيْسٍ  
ابْنُ رِفَاعَةَ الْأَنْصَارِيُّ .

مَنْ يَصِلْ نَارِي بِلا ذَنْبٍ وَلَا تِرَةٍ \* يَصِلْ بِنَارِ كَرِيمٍ غَيْرِ غَدَّارٍ  
أَنَا النَّذِيرُ لَكُمْ مَنِّي جُحَاهِرَةٌ \* كُنْ لَا أَلَامَ عَلَى نَهْيِي وَإِنْ ذَارِي

ومن خطب عتبة بن أبي سفيان ، وهو يومئذ أمير مصر وقد بلغه عن أهلها  
أُمُورٌ أَنْ صَعِدَ الْمَنْبِرَ وَقَالَ : <sup>(١)</sup> يَا حَامِلِي الْأُمِّ أَنْوِفِ رُكِبْتُ بَيْنَ أَعْيُنٍ ! إِنَّمَا قَلَّمْتُ  
أُظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسَى إِيَّاكُمْ ، وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ لَكُمْ إِذَا كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ ؛  
فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْعَتَبَ عَلَى السَّلَفِ وَالْخُلَفَاءِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَقْطَعَنَّ  
بُطُونَ السَّيَاطِ عَلَى ظُهُورِكُمْ ! فَإِنْ حَسَمْتُ مُسْتَشْرَى دَائِكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ  
وَرَائِكُمْ . فَكَمْ مِنْ عِظَةٍ لَنَا قَدْ صَمَّتْ عَنْهَا آذَانُكُمْ ، وَزَجَرَةٌ مِنَّا قَدْ مَجَّتْهَا قُلُوبُكُمْ ؛  
وَلَسْتُ أَبْجُلَ عَلَيْكُمْ بِالْعِقُوبَةِ إِذَا جَدْتُمْ عَلَيْنَا بِالْمَعْصِيَةِ ، وَلَا مَوْسِلًا لَكُمْ مِنَ الْمَرَاجِعَةِ  
إِلَى الْحَسَنِ إِنْ صَرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ أَبَرُّ وَأَتْقَى .

ومن خطب زياد بن أبيه حين قدم إلى البصرة : أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْجَهْلَالَ  
الْجَهْلَاءَ ، وَالضَّلَالَةَ الْعُمَاءَ ، وَالغَىَّ الْمُؤَفَّى بِأَهْلِهِ عَلَى النَّارِ مَا فِيهِ سُفْهَائُكُمْ ، وَيَشْتَمِلُ  
عَلَيْهِ حُلُمَاؤُكُمْ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَنْبُتُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَلَا يَتَحَاشَى عَنْهَا الْكَبِيرُ ؛ كَأَنَّهُمْ  
لَمْ تَقْرَأُوا كِتَابَ اللَّهِ وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا أَعَدَّ اللَّهُ مِنَ الثَّوَابِ الْكَرِيمِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْعَذَابِ

(١) لعل عامل أن محذوف والأصل فما كان منه إلا أن الخ .

الأيام لأهل معصيته ، في الزمن السرمدي الذي لا يزول . إنه ليس منكم إلا من  
 طرقت عينه الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، وأختار الفانية على الباقية ؛ ولا  
 تذكرون أنكم أهدتم في الإسلام الحداث الذي لم تسبقوا إليه : من ترككم الضعيف  
 يُقهر<sup>(١)</sup> ، والضعيفة المسلوقة في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق .  
 ألم يكن منكم نهاية يمنعون الغواة عن دبح الليل وغارة النهار ! قربتم القرابة ! وابعدم  
 الدين ؛ تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على النكر . كل أمرئ منكم يرذ عن سفيهه  
 صنع من لا يخاف عقابا ولا يرجو معادا . فلم يزل بهم ما ترون من قيامكم دونهم  
 حتى آتتهوا حرم الإسلام ثم أطرفوا وراءكم كُنُوسا في مكائس الرب ، حرام على  
 الطعام والشراب حتى أضع هذه المواخير بالأرض هذما وإحراقا ! . إني رأيت آخر هذا  
 الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف ،  
 وإني لأقسم بالله لا أخذن الولي بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمطيع بالعاصي ، حتى يلقي  
 الرجل أخاه فيقول ” آتج سعد فقد هلك سعيد “ أو تستقيم لي قناتكم . إن كذبة  
 الأمير بقاء مشهورة ، فإذا تعلقت على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي ؛ وقد كان بيني  
 وبين قوم إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي . إني لو علمت أن أحكم قد  
 قتله السِّل من بغضى لم أكشف له قناعا ، ولم أهتك له سترًا ، حتى يُبدى لي صفحته ،  
 فإذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم وراعوا على أنفسكم<sup>(٢)</sup> ، فرب مبتئس  
 بقدمونا سيئس ، ومسرور بقدمونا سيبتئس ! . أيها الناس إنا قد أصبحنا لكم  
 ساسة ، وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي  
 خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا  
 عدلنا وقيتنا بمناصحتكم لنا ،

(١) في العقد الفريد والصفقة المسلوقة في النهار الميصر . (٢) وقع في الأصل المناخير وهو تصحيف  
 عن المواخير انظر اللسان والعقد الفريد . (٣) في العقد الفريد وأعينوا .

فقام إليه عبد الله بن الأَهم قال : "أشهد أيها الأمير لقد أُوتيتَ الحِكمةَ وفصلَ الخطاب" قال : "كذبت" ذاك نبيُّ الله داود !

ومن خطب عبد الملك بن مروان ، لما قتل عمرا الأشدق بن سعيد بن العاص : إرمُوا بأبصاركم نحو أهل المعصية ، وأجعلوا سلفكم لمن غَبرَ منكم عِظَة ، ولا تكونُوا أغفالا من حُسن الاعتبار ، فَتَنَزَلَ بكم جائحةُ السَّطوات ، وتَجُوسَ خِلالكم بَواذِرُ النِّفَاط ، وتَطَّأَ رِقابكم بِثِقَلها العقوبة فتجعلكم هَمِّدا رُفانا ، وتشتمل عليكم بطون الأرض أمواتا . فإيَّاي من قول قائل ، ورَشقة جاهل ! فإنما بيني وبينكم أن أسمع النعوة فأتصم <sup>(١)</sup> فأصم تصميم الحسام المطرور ، وأصول صيال الحرق الموتور ، وإنما هي المصاحفة والمكاشفة بظلمات السيوف وأسنة الرماح ، والمعاودة لكم بسوء الصَّباح ، فتاب تائب ، وهذل خائب ، والتوب مقبول ، والإحسان مبذول ، لمن عرف رُشدَه وأبصر حظه . فأنظروا لأنفسكم ، وأقبلوا على حظوظكم ، ولتكن أهل الطاعة يدا على أهل الجهل من سفهائكم ، وأستديموا النعمة التي آبتدأتكم برغيد عيشها ونفيس زيتها ، فإنكم من ذلك بين فضيلتين : عاجل الخلفُض والدَّعة ، وأجل الجزاء والمثوبة عصمكم الله من الشيطان وقتلته ونزغه ، وأمدكم بحسن معزته وحفظه . انهضوا رحمكم الله إلى قبض أعطياتكم غير مقطوعة عنكم ، ولا مكذَّرة عليكم .

نخرج القوم من عنده يدارا كُلُّهم يخاف أن تكون السطوة به .

ومن خطب الحجاج بن يوسف الثقفي عند قدومه الكوفة أميرا على العراق : يا أهل العراق أنا الحجاج بن يوسف ! .

(١) كذا في الأصل الإهمال وهو تصحيف عن المعجمة . والنقوة والغنية أول الخير قيل أن تستبينه .

(٢) المطرور برا من المحدود المشحوذ وفي الأصل بالدال المهملة وهو تصحيف .

(٣) في الأصل بالها . واهمال الدال وإعجام حائب ولعله بالميم وإعجام الذال بمعنى ضجر وقلق واهمال الخاء من حائب فخر .

أَنَا أَبْنُ جَلَا وَطَّلَاعُ النَّسَايَا \* متى أضع العمامة تعرفوني

والله يا أهل العراق: إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها! والله لكأنى أنظر إلى الدماء بين العائم واللى . يا أهل العراق ما يُغمز جانبي كتغماز التنين، ولا يُقعقع لى بالشنان. ولقد فُيرت عن ذكاء، وقُششت عن تجربة، وأجريت من الغاية؛ وإن أمير المؤمنين عبد الملك ترك كائنته بين يديه فعجم عيدانها عودا عودا فوجدنى أمرها عودا . وأشدّها مكسرا، فوجهنى اليكم وربما كم بى يا أهل الكوفة، أهل الشقاق والنفاق، ومساوى الأخلاق: لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة، وأضطجعتم فى منام الضلال، وسننتم سنن العمى، وأيم الله لأخوّنكم لحو العود، ولأفرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السامة، ولأضربنكم ضرب غريبة الإبل . إني والله لأحلف إلا صدقت، ولا أعد إلا وفيت . إياى وهذه الزرافات، وقال وما يقول، وكان وما يكون . وما أنتم وذاك يا أهل العراق . إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكيفمترت بأنعم الله، فأتاها وعيد القرى من رها . فاستوثقوا واعتدلوا ولا تميلوا، وأسمعوا وأطيعوا، وشايعوا وبايعوا .

وآعلموا أن ليس منى الإكثار والإلهذار ولا مع ذلك التفار ولا الفرار؛ إنما هو انتضاء هذا السيف، ثم لا يغمد الشتاء ولا الصيف، حتى يندل الله لأمر المؤمنين عنكم، ويقيم له أودكم وصعركم . ثم إني وجدت الصدق من البر، ووجدت البر فى الجنة، ووجدت الكذب من الفجور، ووجدت الفجور فى النار . وإن أمير المؤمنين أمرنى أن أعطيكم أعطيانكم، وأشخصكم لمجاهدة عدوكم وعدو أمير المؤمنين؛ وقد أمرت لكم بذلك وأجلتكم ثلاثا، وأعطيت الله عهدا يؤاخذنى به ويستوفيه منى: لئن تخلف منكم بعد قبض عطائه أحد لأضربن عنقه وأنهن ماله .

ثم ألتفت الى أهل الشام فقال أتم البطانة والعشيرة ! والله لريحكم أطيّب من ريح المسك الأذقر، وإنما أتم كما قال الله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ الآية .  
والتفت الى أهل العراق فقال والله لريحكم أنتم من ريح الأبخر، وإنما أتم كما قال الله ﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ الآية .

ومن خطبه لما قدم البصرة يتهدد أهل العراق ويتوعدهم :  
أيها الناس : من أعياه داؤه فعندى دواؤه ! ، ومن آستطال أجله ، فعلى أن أعجله ؛  
ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ، ومن آستطال ماضى عمره قصرت عليه  
باقية . إن للشيطان طيفا ، وللسلطان سيفا ! ، فمن سقيمت سريرته ، صحت عقوبته ؛  
ومن وضعه ذنبه ، رفعه صلبه ؛ ومن لم تسعه العافية ، لم تضق عنه الهلكة ؛ ومن سبقته  
بادرة فمه ، سبق بدنه بسفك دمه ؛ إني أنذر ثم لا أنظر ، وأحذر ثم لا أعذر ؛ وأتوعد  
ثم لا أعفو . إنما أفسدكم ترنيق ولاتكم ؛ ومن آسترخى لبه ، ساء أدبه . إن الحزم  
والعزم سكا في وسطى ، وأبدلاني به سيفى : فقائم في يدي ، ونجاده في عنقي ، وذبابه  
قلادة لمن عصانى ! ؛ والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد  
فيخرج من الباب الذى يليه إلا ضربت عنقه .

ولعمر بن عبد العزيز ، وسليمان بن عبد الملك من خلفاء بنى أمية ؛ وأبى جعفر  
المنصور ، وهارون الرشيد ، وأبى المأمون من خلفاء بنى العباس وغيرهم ، من خلفاء  
الدولتين وأمرائهم خطب فائقة ، وبلاغات معجبة رائقة ، يضيق هذا الكتاب  
عن إيرادها ، وقد أوردنا من ذلك ما فيه كفاية للبيب ، ومقنع للأريب .

ومن خطب أبى بكر بن عبد الله أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل  
الصلاة والسلام ، والتحية والإكرام ، وقد بلغه عن قوم من أهل المدينة أنهم ينالون  
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُسَعِفُهُمْ آخرون على ذلك :



أيها الناس ! إني قائل قولاً فمن وعاه وأداه فعلى الله جزاؤه ، ومن لم يعه فلا يعد من ذمامها ؛ إن قصرت عن تفصيله ، فلن تعجزوا عن تحصيله . فأرعوه أبصاركم وأوعوه أسماعكم وأشعروه قلوبكم ؛ فالموعظة حياة ؛ والمؤمنون إخوة ؛ وعلى الله قصد السبيل ولو شاء لهداكم أجمعين . فأتوا الهدى تهتدوا ، واجتنبوا النى ترشدوا . وأنيبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون . والله جل جلاله . وتقدست أسمائه أمركم بالجماعة ورضيها لكم . ونهاكم عن الفرقة وخطها منكم . فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . جعلنا الله وإياكم من يتبع رضوانه ويحجب سخطه إنا نحن به وله . وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين ، واختاره على العالمين ، واختار له أصحاباً على الحق وزرء دون الخلق . اختصهم به وانتخبهم له ، فصدقوه ونصروه وعزروه ووقروه ؛ فلم يقدموا إلا بأمره ، ولم يجمعوا إلا عن رأيه ، وكانوا أعوانه بعده ، وخلفاءه من بعده . فوصفهم فأحسن وصفهم وذكركم فاشئ عليهم فقال وقوله الحق ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ﴾ إلى قوله ﴿ مغفرة وأجر عظيم ﴾ فمن غاظه كفر وخاب وبغر وخسر . وقال الله جل وعز ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ إلى قوله ﴿ ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ فمن خالف شريطة الله عليه لهم وأمره إياه فيهم فلا حق له في النى ، ولا سهم له في الإسلام في آى كثيرة من القرآن ، ففرق مارقة من الدين . وفارقوا المسلمين وجعلوهم عِصيين . وحزبوا أحزاباً ، أشابات وأوشاباً . نخالفوا كتاب الله فيهم نخابوا وخسروا

(١) كذا فى الأصل . ولكن باهمال الباء من يعد ولعل مراده فلا يخرج عن حرمها أى المقالة .

الدنيا والآخرة . ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين . أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كُنْ زَيْنًا لَهُ  
سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ . مَا لِي أَرَىٰ عُيُونَ تُخْرَأُ ، وَرِقَابًا يُصْعَرُ ، وَبُطُونَ يَجْرَىٰ ،  
شَجَى لَا يَسِيغُهُ الْمَاءُ ، وَدَاءٌ لَا يُشْرَبُ فِيهِ الدَّوَاءُ . أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ  
كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ . كَلَّا وَاللَّهِ بَلْ هُوَ الْهِنَاءُ وَالطَّلَاءُ حَتَّىٰ يُظْهِرَ الْعُذْرَ ، وَيُوحِ  
السِّرَّ ، وَيَضْحَكُ الْعَيْبُ ، وَيَشُوشُ الْجَيْبُ . فَإِنْ كُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عِبْنَا وَلَمْ تَتْرَكُوا سُدَىٰ ،  
وَيَحْكُمُ إِنِّي لَسْتُ أَتَاوِيًا أُعْلَمُ ، وَلَا بَدْوِيًّا أَفْهَمُ . قَدْ حَبَبْتُكُمْ أَشْطَرًا ، وَقَلْبَتُكُمْ أَبْطَنًا  
وَأَظْهَرًا . فَعَرَفْتُ أَنْحَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعَلِمْتُ أَنْ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسُّتْهِمْ ،  
وَأَسْرَوْا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
بِبَعْضٍ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَىٰ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ  
الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَانًا يَأْذُنُونَ لَهُمْ ، وَيَصْغَوْنَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا ! قَبْلَ وَقُوعِ  
الْقَوَارِعِ وَطُولِ الرِّوَايَةِ . هَذَا لِهَذَا وَمَعَ هَذَا ، فَلَسْتُ أَعْتَشُ أَنْبَا وَلَا تَائِبًا ، عَقَّا اللَّهُ  
عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ . فَاسِرُّوا خَيْرًا وَأَظْهَرُوهُ ،  
وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخَاصُّوه . وَطَالَمَا مَشَيْتُمُ الْقَهْقَرَىٰ نَاكِسِينَ . وَلِيَعْلَمَ مِنْ أَدْبَرٍ وَأَصَرٍّ  
أَنَّهَا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوَكُمْ إِلَىٰ هَوَىٰ يَتَّبِعُ ، وَلَا إِلَىٰ رَأْيٍ يَتَدَعُ .  
إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيَّةِ ، الَّتِي فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ، فَمَنْ أَجَابَ فَلِيَ رُشْدُهُ ،  
وَمَنْ عَمِيَ فَعَنْ قَصْدِهِ . فَهَلُمَّ إِلَى الشَّرَائِعِ ، الْجَدَائِعِ ، وَلَا تَوَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ (يُنْسِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) . إِيَّاكُمْ وَبُنْيَاتِ  
الطَّرِيقِ ، فَعِنْدَهَا التَّرْنِيقُ وَالتَّرْهِيْقُ . وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَةِ فَهِيَ أَسَدٌ وَأُورِدَ ، وَدَعُوا الْأُمَانِيَّ

(١) لعله يُجْرَى جمع أبحر والبحر عظم البطن .

(٢) الأتَاوَى الغريب الذي ليس في وطنه .

(٣) أى أظلم راجعاً ولا تائباً مما حصل . ووقع في الأصل أعيش وهو تصحيف لا معنى له هنا .

فقد أودت من كان قبلكم . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . والله الآخرة والأولى .  
ولا تفتروا على الله الكذب فيسحقكم بعدايب وقد حاب من أفتري . ربنا لا ترغ قلوبنا  
بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

ومن خطب خالد بن عبد الله أمير البصرة : أيها الناس ! نافسوا في المكارم  
وسارعوا إلى المغامم . واشتروا الحمد بالجود ، ولا تكسبوا بالمطل ذمًا ، ولا تعتدوا  
بالمعروف ما لم تُعجلوه ، ومهما يكن لأحد منكم عند أحد نعمة فلم يبلغ شكرها ، فאלله  
أحسن لها جزاء ، وأجزل عليها عطاء . وأعلموا أن حوائج الناس إليكم ، نعمة من  
الله عليكم ؛ فلا تملؤا النعم فتحوّلوا نقيًا . وأعلموا أن أفضل المال ما أُنسب أجرا ،  
وأورث ذكرا . ولورأيت المعروف رجلا ، رأيتوه حسنا جميلا يسر الناظرين .  
ولو رأيت البخل رجلا ، رأيتوه مشوها قبيحا تنفر عنه القلوب ، وتغضى عنه الأبصار .  
أيها الناس ! إن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه ، وأعظم الناس عفوا من  
عفا عن قدرة ، وأوصل الناس من وصل من قطعه ؛ ومن لم يطب حرثه لم يزك  
نبتة ، والأصول عن مغارسها تنمو ، وبأصولها تسمو . أقول قولي هذا وأستغفر الله  
لي ولكم .

ومن خطب قطري بن الفجاءة خطبته المشهورة في ذم الدنيا والتحذير  
عنها ، وهي :

أما بعد : إني أهدركم الدنيا ، فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت  
بالقليل . وتحببت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزينت بالغرور . لا تدوم نضرتها ،  
ولا تؤمن بجمعها . غرارة ، ضرارة . وخائلة ، زائلة . ونافسة ، بائدة . أكالة ،  
غولة . لا تعدوا إذا تاهت إلى أمنيّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال  
الله تعالى ﴿ كجاء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروهُ

الرَّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿١﴾ مع أن أمراً لم يكن منها في حبة، إلا أعقبته بعدها عبرة؛ ولم يلق من سرائها بظنا، إلا منحتة من ضرائها ظهراً. ولم تصله غيبة<sup>(١)</sup> رخاء، إلا هطلت عليه مزنة بلاء. وحرية إذا أصبحت له منتصرة أن تسمى له خاذلة متحركة. وأى جانب منها أعدوذب وأحلولى، أمر عليه منها جانب وأوبا. فإن آتت أمراً من غصونها ورقاً أرهقته من نوائها تعباً. ولم يمس منها أمراً في جناح أمن إلا أصبح منها على قوادم خوف؛ غرارة غرور ما فيها؛ فانية، فإن من عليها؛ لا خير في شيء من زادها إلا التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمنه. ومن استكثر منها، استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه، ويبكى عينه. كم واثق بها قد بفعته، وذى حُكم ثنته إليها قد صرعت، وذى أختيال فيها قد خدعته. وكم ذى أبهة فيها قد صيرته حقيراً، وذى نخوة قد رذته ذليلاً. ومن ذى تاج قد كبته للدين والغنى. سلطانها دُول. وعيشها رنق، وعذبها أجاج، وحلواها صبر، وغذاؤها سمام، وأسبابها رمام. قِطافُها سَلَع. حَيْثُهَا بَعْرَضُ مَوْت، وصَحِيحُهَا بَعْرَضُ سُقْم. منيعها بَعْرَضُ اهْتِضَام. ومُلْكُهَا مَسْلُوب، وعزيزها مَغْلُوب. وسليمها مَكُوب، وجارها مَحْرُوب. مع أن وراء ذلك سكرات الموت، وهول المَطْلَع، والوقوف بين يدي الحَكَمِ العَدْلِ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾. أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَوْضَحَ مِنْكُمْ آثَاراً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً. وَأَشَدَّ عُنُوداً. تَعْبُدُوا لِلدُّنْيَا أَى تَعْبُدْ، وَآثَرُوهَا أَى إِثَارْ، وَظَنُّوا عَنْهَا بِالْكِرْهِ وَالصَّخَارِ. فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لِمَنْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَغْنَتْ عَنْهَا فِيمَا قَدْ أَهْلَكْتُمْ بِنَحْطِهَا بِلْ أَرْهَقْتُمْ بِالْقَوَادِحِ، وَضَعَضْتُمْ بِالنَوَائِبِ،

(١) في غير هذا الكتاب ولم تطله من الطل. و يظهر أن غيبة مصحفة عن غيبة. والغيبة الدفعة من المطر.

(٢) في نسخة وأولى.

وَعَقَرْتَهُمْ بِالْفَجَائِعِ . وقد رأيتم تتكروها لمن رادها وآثرها وأخلد إليها ، حين ظعنوا عنها  
لفراقٍ إلى الأبد إلى آخر الأمد . هل زودتهم إلا السَّغب ؟ ، وأحلتهم إلا الضنك ،  
أو نورت لهم إلا الظلمة ، أو أعقبتهم إلا الندامة ؟ أفهذه تُؤثرون ، أم على هذه تحرصون  
أم إليها تطمئنون ؟ . يقول الله جل ذكره ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ  
إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴾ بنست الدار لمن أقام فيها ! فاعلموا إذ أنتم  
تعلمون أنكم تاركوها الأبد ، فإنما هي كما وصفها الله تعالى باللعب واللهو ، وقد قال  
تعالى ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ  
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ .

إلى غير ذلك من خطب خلفاء الدولتين وأمرائهم مما يطول القول بإيراده ،  
ويخرج الكتاب بذكره عن حده .

## المقصد الثاني

( في كيفية تصرف الكاتب في الخطب )

قد تقدم في أول المقصد الأول من هذا النوع قول أبي هلال العسكري : إن الرسائل  
والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية والمشاكل في الفواصل  
وإن الخطب يُشافه بها بخلاف الرسالة ، والرسالة تجعل خطبة والخطبة تجعل رسالة  
في أيسر كلفة . وحينئذ فإذا أراد الكاتب نقل الخطبة إلى الرسالة أمكنه ذلك ، فإذا  
أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الخطب البليغة ، وعلم مقاصد الخطابة وموارد  
الفصاحة ومواقع البلاغة ، وعرف مصاقع الخطباء ومشاهيرهم ، اتسع له المجال  
في الكلام وسهأت عليه مستوعرات النثر ، ودللت له صعاب المعاني ، وفاض على  
لسانه في وقت الحاجة ما كُن من ذلك بين ضلوعه فأودعه في ثره ، وضمنه في رسائله ،

فاستغنى عن شغل الفكر في استنباط المعاني البديعة، ومشقة التعب في تتبع الألفاظ الفصيحة، التي لا تنهض فكرته بمثلها ولو جهد، ولا يسمع خاطره بنظيرها ولو دأب. إن الخطب جزء من أجزاء الكتابة، ونوع من أنواعها، يحتاج الكتاب إليها في صدور بعض المكاتبات، وفي البيعات والعهود والتقاليد والتفاويض وكرار التواقيع والمراسيم، والمناشير، على ماسياتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى؛ وما لعله ينشئه من خطبة صدق أو رسالة أو نحو ذلك. وكذلك يعرف مصاقع الخطباء، ومشاهير الفصحاء، والبلغاء، كقُس بن ساعدة الإيادي الذي تقدمت خطبته آنفا في صدر الخطب. وسحبان الوائلي: وهو رجل من بني وائل، لسن بليغ يضرب به المثل في البيان، وغيرهما ممن يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة؛ ومن يُنسب إلى العي والغباوة بكامل: وهو رجل من العرب آشرى ظيبا بأحد عشر درهما فقيل له بكم آشريته ففتح كفيه وفرق أصابعه العشرة وأخرج لسانه؛ يشير بذلك إلى أحد عشر ولم يحسن التعبير عنها، فانفلت الظبي فضرب به المثل في العي. فإذا عرف البليغ وغير البليغ، وعالي الرتبة وسافلها، عرّض حينئذ بذكر من أراد منهم مقاييسا للفاضل بمثله، وللغبي بنظيره: كما قال القاضي الفاضل في بعض رسائله، في جواب كتاب ورد عليه من بعض إخوانه:

فأما شوقه لعبده فالمولى قد أبقاها الله قد أوتي فصاحة لسان. وسحب ذيل العي على سحبان.

وكما قال الشيخ ضياء الدين أحمد القرطبي من رسالة كتب بها للشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، يصف رسالة وردت منه عليه: إن كلمها يَميس في صدورها وأعجازها، وتنثال عليها أعراض المعاني بين إسهابها وإيجازها؛ فهي فرائد آتلفت في أبكار الوائلي والإيادي.

## النوع التاسع

(مما يحتاج إليه الكاتب من حفظ جانب جيد من مكاتبات الصدر الأول،  
ومحاوراتهم، ومراجعاتهم، وما آدعاه كل منهم لنفسه أو لقومه، والنظر  
في رسائل المتقدمين : من بلغاء الكتاب ، وفيه ثلاثة مقاصد)

## المقصد الأول

(في وجه احتياج الكاتب إلى معرفة ذلك )

أما حفظ مكاتبات الصدر الأول ورسائلهم فلأنها مع <sup>(٢١)</sup> مبتدع البلاغة  
وكثر الفصاحة غير ملائمة لطريقة الكتاب في أكثر الأمور ؛ فيستعان بحفظها على  
مواقع البلاغة ولا يطمع الخاطر بالأتكال على إيراد فصل منها برمته لمخالفته لأسلوب  
الكتاب في أكثر الأمور .

وأما النظر في رسائل البلغاء من فضلاء الكتاب ، فلما في ذلك من تنقيح القريحة ،  
وإرشاد الخاطر ، وتسهيل الطرق ، والنسج على منوال المجيد ، والاقتداء بطريقة  
المحسن ، وأستدراك مافات ، والاحتراز مما أظهره النقد ، ورد ما بهرجه السبك .  
وأقتصر على النظر فيها دون حفظها لئلا يتكل الخاطر على ما يأتي به بأصله مما ليس  
له فيتشبع بما لم يعط فيكون كلابس ثوبي زور . اللهم إلا أن يريد بحفظها المحاضرة  
دون الإنشاء فإن اللائق به الحفظ دون غيره .

(١) كذا بالأصل بزيادة من وفي الضوء إسقاطها وهو الصواب .

(٢) بياض بالأصل .

## المقصد الثاني

(في ذكر شيء من مكاتبات الصدر الأول يكون مدخلا إلى معرفة

ما يحتاج إلى حفظه من ذلك)

أما مكاتباتهم المشتملة على المحاورة والمراجعة ، فمنها ما كتب به معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه في زمن المشاجرة بينهما<sup>(١)</sup> ، وهى :

أما بعد ، فإن الله أصطفى محمدا ، وجعله الأمين على وحيه ، والرسول إلى خلقه ؛ وأختار له من المسلمين أعوانا أيده بهم ، وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ؛ فكان أفضلهم في الإسلام ، وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة ، وخليفة الخليفة ، والخليفة الثالث ؛ فكلهم حسدت ، وعلى كلهم بغيت . عرفنا ذلك في نظرك الشزر ، وتتفكك الصعداء ، وإبطائك على الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تُقاد كما يُقاد البعير الخشوش حتى تُبايع وأنت كاره ، ولم تكن لأحد منهم أشد حسدا منك لأبن عمك عثمان ، وكان أحقهم أن لا نفعل ذلك به ، في قرابته وصهره ؛ فقطعت رحمه ، وقبحت محاسنه ، وألبت عليه الناس حتى ضربت إليه أباط الإبل ، وشهر عليه السلاح في حرم الرسول ، فقتل معك في المحلة وأنت تسمع في داره الهائعة ؛ لا تؤدى عن نفسك في أمره بقول ولا فعل ير ؛ أقسم قسما صادقا ! لو قتت في أمره مقاما واحدا تنهين الناس عنه ، ما عدل بك ممن قبلنا من الناس أحد ، ولمحا ذلك عنك ما كانوا يعرفونك به : من المجانبة لعثمان والبغى عليه . وأخرى أنت بها عند أولياء

(١) كتاب معاوية بيض له في الأصل فتقنائه من العقد الفريد لأبن عبد ربه جزء ٢ صحيفة ٢٨٥

(٢) أى المجهول فيه الخشاش . وهو عود يجعل في عظم أنف البعير . مصباح .

(٣) الهائعة الصوت المفزع .



ابن عفان ضنين ، إيوائك قتلة عثمان ، فهم بطانتك ، وعضدك وأنصارك . فقد بلغني أنك تنفي من دمه فإن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته تقتلهم به . ثم نحن أسرع الناس إليك ، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف ! والذي نفس معاوية بيده لأطلبن قتلة عثمان في الجبال ، والرمال ، والبر ، والبحر ؛ حتى تقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله ! .

فكتب إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه في جواب ذلك :

أما بعد فقد أتاني كتابك ! تذكرفيه أصطفاء الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم لدينه وتأييده إياه بمن أيده به من أصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً ! أطفقت نخبرنا بألاء الله عندنا ، فكنت ككافل التمر إلى هجر أو داعي مדרه إلى النضال ؛ وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان فذكرت أمراً إن تم أعتلك كله ، وإن نقص لم يلحقك قلبه ، وما أنت والفاضل والمفضول والسائل والمسئول ! . وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييزين المهاجرين الأولين ، وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ؛ هيئات أفدحت قدح إيس منها ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ، ألا ترُبُّع على ظلمك ، وتعرف قصور ذرعك ، وتتأخر حيث أتحرك القدر ، فما عليك غلبة المغلوب . ولا لك ظفر الظافر . وإنك لذهاب في التيه ، رواغ عن القصد . ألا ترى غير مخبرك ولكن بنعمة الله أحدث ، أن قوماً استشهدوا في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء ، وخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ، ألا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل بواحد منا ما فعل بواحد منهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ، ولولا ما نهى عن تزكية المرء نفسه لذكر ذا كرفضائل جمّة ،

تعرفها قلوبُ المؤمنين ، ولا تمجّها آذان السامعين . فدع عنك من مالت به الرمية  
 فإنّا صنائع ربنا ، والناس بعدُ صنائع لنا ، لم يمنعنا قديمُ عزنا ، ومديد طَوْلنا على قومك  
 أن خلطناهم بأنفسنا : فنكحنا وأنكحنا ، فَعَلَ الأَكفاء ولستم هناك ، وأنى يكون  
 ذلك كذلك ! ومنا النبي ومنكم المكذب ، ومنا أسدُ الله ومنكم أسدُ الأحلاف ، ومنا  
 سيدا شبابِ أهل الجنة ، ومنكم صبية النار ، ومنا خير نساء العالمين ، ومنكم حمالة  
 الخطب ، فإسلامنا قد سمع وجاهليتنا لا تدفع ، كتابُ الله يجمع لنا ما شَدَّ عنا وهو قوله  
 سبحانه وتعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ وقوله تعالى  
 ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ لِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾  
 فتحن مرة أُولى بالقرابة وتارة أُولى بالطاعة . ولما احتج المهاجرون على الأنصار  
 يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وسلم فَلَجُّوا عليهم ، فإن يكن الفَلَجُ به فالحقُّ  
 لنا دُونكم ، وإن يَكُنْ بغيره فالأنصار على دَعْوَاهُمْ . وزعمت أنى لكل الخلفاء  
 حَسَدَت ، وعلى كلهم بَغِيَتْ ، فإن يك ذلك كذلك فليست الجنايةُ عليك ، فتكون  
 المَعْدِرَةُ إليك \* وتلك شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عنك عارها \*

وقلت إني كنتُ أقاد كما يُقاد الجملُ الخُشُوشُ حتى أبايح . ولعمرك الله ! لقد  
 أردت أن تدم فحمدت ، وأن تفضح فأقتضجت ؛ وما على المسلم من غَضَاضَةٍ  
 في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مُرتاباً في يقينه . وهذه حجتي إلى  
 غيرك قصدها ، ولكنى أطلقتُ لك منها بقدر ما سنع لك من ذكرها .

ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمر عثمان ، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مَقَاتِلِهِ :  
 أَمَنْ بَذَلْ لَهُ نُصْرَتَهُ فَأَسْتَعْدَّه وَأَسْتَكْفَه أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فترأخى عنه وبَثَّ المنونَ  
 إليه ، حتى أتى قدره عليه . كلا والله ! لقد علم الله المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ  
 هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا . وما كنتُ أعْتَذرُ من أنى كنتُ أنقم عليه

أحدانا فإن يكن الذنب إليه إرشادى وهدايتى له "فُرُبَّ مُلُومٌ لَازِنٌ لَهُ . وقد يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ" وما أردتُ إلا الإصلاحَ ما أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

وذكرت أنه ليس لى ولأصحابى إلا السيف فلقد أضحكت بعد أستعبار ! متى ألفت بنى عبد المطلب عن الأعداء ناكليْن ؟ أو بالسيوف مخوفين .  
(وَلَبَّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلٌ \* سَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي تَحْفَلٍ مِنَ الْمَاهِجِينَ ، وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، شَدِيدٍ زَحَامِهِمْ ، سَاطِعٍ قَتَامِهِمْ ، مُسْرِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ . أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ . قَدْ صَحَبْتَهُمْ ذُرِّيَّةَ بَدْرِيَّةٍ وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ قَدْ عَلِمْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ ، وَجَدَكَ ، وَأَهْلَكَ ( وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ) .

وكما كتب "أبو جعفر المنصور" ثانى خلفاء بنى العباس ، وهو يومئذ خليفة ، إلى محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، حين بُويع له بالخلافة وخرج على المنصور يريد أتراعها منه . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله . أما بعد : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . ولك ذمة الله وعهده وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم إن بُت من قبل أن يُقدَّرَ عليك أن أؤمّنك على نفسك وولدك وإخوتك ومن بايعك وجميع شيعتك ، وأن أعطيك ألف ألف درهم ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأقضى لك ما شئت من الحاجات ، وأن أطلق من فى سجنى من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ، ثم لا أتيسع أحدا منكم بمكروه

وإن شئت أن تتوثق لنفسك فوجهه إلى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والأيمان ما أحببت . والسلام .

فأجابه محمد بن عبد الله بما نصه :

من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن محمد . أما بعد : ﴿ طسم ، تلك آيات الكتاب المبين تتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض وتجعلهم أئمةً وتجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى أعطيتني ، فقد تعلم أن الحق حقنا ، وأنكم إنما أعطيتموه بنا ، ونهضم فيه بسعينا وحطمتموه بفضلنا ، وأن أبانا عليا عليه السلام ، كان الوصى والإمام ، فكيف ورثتموه دوننا ، ونحن أحياء ! وقد علمت أنه ليس أحد من بنى هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا ، وإنا بنو أم أبي رسول الله : فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم ، وبنو آبنته فاطمة في الإسلام من بينكم ، فأنا أوسط بنى هاشم نسباً ، وخيرهم أما وأبا ، لم تلدنى العجم ، ولم تُعرق في أمهات الأولاد . وإن الله عز وجل لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم : محمد صلى الله عليه وسلم . ومن أصحابه أقدمهم إسلاما ، وأوسعهم علما ، وأكثرهم جهادا : علي بن أبي طالب ، ومن نسائه أفضلهن : خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى إلى القبلة ، ومن بناته أفضلهن ، وسيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . ثم قد علمت أن هاشما ولد عليا مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن والحسين مرتين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قَبْلِ جَدِّي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَمَا زَالَ الْإِلَهُ يُخْتَارُنِي حَتَّى اخْتَارُنِي فِي النَّارِ فَوَلَدَنِي أَرْفَعُ النَّاسَ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْوُنُ أَهْلَ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَأَنَا ابْنُ خَيْرِ الْأَخْيَارِ، وَابْنُ خَيْرِ الْأَشْرَارِ، وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِ النَّارِ. وَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ إِنْ دَخَلْتَ فِي بَيْعَتِي أَنْ أَؤْمِنَكَ عَلَى نَفْسِكَ وَوَلَدِكَ وَكُلِّ مَا أَصَبْتَهُ إِلَّا حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ أَوْ مَعَاهِدٍ. فَقَدْ عَلِمْتَ مَا يَلْزَمُكَ فِي ذَلِكَ فَأَنَا أَوْفَى بِالْعَهْدِ مِنْكَ، وَأَنْتَ آخِرُي بِقَبُولِ الْأَمَانِ مِنِّي. فَأَمَّا أَمَانُكَ الَّذِي عَرَضْتَ عَلَيَّ فَأَيُّ الْأَمَانَاتِ هُوَ؟ أَمَانُ ابْنِ هَبِيرَةَ، أَمْ أَمَانُ عَمِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، أَمْ أَمَانُ مُسْلِمٍ وَالسَّلَامُ.

فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَمَا بَعْدَ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ، وَبَلَّغْنِي كَلَامُكَ، فَإِذَا جُلُّ نَخْرِكَ بِالنِّسَاءِ، لَتُضِلَّ بِهِ الْجُفَاةُ وَالْغَوَاةُ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ النَّسَاءَ كَالْعُمُومَةِ، وَلَا الْآبَاءَ كَالْعَصْبَةِ وَالْأَوْلِيَاءِ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَمَّ أَبَا، وَبَدَأَ بِهِ عَلَى الْوَالِدِ الْأَدْنَى. فَقَالَ جُلُّ ثَنَاؤِهِ عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمُومَتُهُ أَرْبَعَةٌ فَأَجَابَ اثْنَانِ أَحَدَهُمَا أَبِي، وَكَفَرَ اثْنَانِ أَحَدَهُمَا أَبُوكَ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ النَّسَاءِ وَقُرَابَاتِهِنَّ، فَلَوْ أُعْطِينِ عَلَى قَدْرِ الْأَنْسَابِ، وَحَقِّ الْأَحْسَابِ، لَكَانَ الْخَيْرُ كُلُّهُ لَأَمْنَةِ بِنْتِ وَهْبٍ، وَلَكِنْ اللَّهُ يُخْتَارُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ أُمِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَفَاطِمَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ وَأَنْ هَاشِمًا وَلَدَ عَلِيًّا مَرَّتَيْنِ، وَأَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَدَ الْحُسَيْنَ مَرَّتَيْنِ، خَيْرُ الْأَوَّلِينَ

والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَلِدْه هاشم إلا مرة واحدة ، ولم يَلِدْه عبد المطلب إلا مرة واحدة .

وأما ما ذكرت من أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل قد أبى ذلك فقال ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ولكنكم قرابة آبنته ، وإنها قرابة ذريته ، غير أنها امرأة لا تحوز الميراث ، ولا يجوز أن تقوم فكيف تُورث الإمامة من قبلها ! ولقد ظلمها أبوك من كل وجه فأخرجها تُخَاصِمَ ، ومَرَضَهَا سَرًّا ، ودفعها ليلا ، فأبى الناس إلا تقديم الشيخين . ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره . ثم أخذ الناس رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم . ثم كان في أصحاب الشورى فكل دفعه عنها ، وبايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ، ودعا سعدا إلى بيعته فأغلق بابه دونه . ثم بايع معاوية بعده ، وأفضى أمر جدك إلى أبيك الحسن فسلمه إلى معاوية بخرق ودرهم وخرج إلى المدينة ، فدفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير حله . فإن كان لكم فيها شيء فقد بتموه .

وأما قولك إن الله اختار لك في الكُفْرِ فجعل أبوك أهون أهل النار عذابا فليس في الشر خيار ، ولا من عذاب الله هين ، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفتخر بالنار . سترد فتعلم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

وأما قولك إنه لم تلدك العجم ، ولم تُعرق فيك أمهات الأولاد ، وإنك أوسط بنى هاشم نسبا ، وخيرهم أمًّا وأبًا ، فقد رأيتك نُحِرْتَ على بنى هاشم طرًّا ، وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرًا ، وأصلا وفصلا . نُحِرْتَ على إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ، فانظر ويحك أين تكون من الله تعالى غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عليّ

ابن الحسين وهو لأم ولد، ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن . ثم ابنه محمد بن  
 علي خير من أبيك وجدته أم ولد . ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولدته أم ولد .  
 ولقد علمت أن جدك عليا حَكَمَ حَكِيمِينَ وأعطاهما عَهْدَهُ وميثاقه علي الرضا بما حَكَمَ  
 به فأَجْتَمَعَا علي خَلْعِهِ ، ثم خرج عَمَّكَ الحسين علي ابن مرجانة وكان الناس معه  
 عليه حتى قتلوه ، ثم أتوا بكم علي الأفتاب من غير أوطية كالسبي المجلوب إلى الشام .  
 ثم خرج منكم غير واحد فقتلكم بنو أمية وحرَقوكم بالنار وصلَبوكم علي جذوع النخل  
 حتى خرجنا عليهم فأدركنا بشاركم إذ لم تُدْرِكوه ، ورفعنا أقداركم ، وأورثناكم أرضهم  
 وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فنحناهم  
 وكفّرناهم ، وبيننا فضله وأشدنا بذكره ، فأتخذت ذلك علينا حجة ، وظننت أنا بما  
 ذكرنا من فضل علي قدمناه علي حمزة والعباس وجعفر ، كل أولئك مضوا سالين  
 سلما منهم وأبْتَلِي أبوك بالكرماء . ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحاج  
 الأعظم ، وولاية زمزم ، وكانت للعباس دُونَ إخوته فزاع فيها أبوك إلى عمر  
 فقضى لنا عمر بها . وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حياً  
 إلا العباس فكان وارثه دُونَ بني عبد المطلب ، فطلب الخلافة غير واحد من بني  
 هاشم فلم يَنْلُهَا إلا ولده . فأَجْتَمَعَ للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم  
 الأنبياء ، وبَنُوهُ القادة الخلفاء ، فقد ذهب بفضل القديم والحديث ، ولولا العباس  
 أُخْرِجَ إلى بدر كُرْها لمات عَمَّاكَ طالب وعقيل جوعاً أو يتجشَّمان جِفَان عُبَّة وشيبة ،  
 فأذهب عنهما العار والشَّار . ولقد جاء الإسلام والعباس يَمُون أبا طالب للأزمة  
 التي أصابتهم . ثم فدى عَقِيلًا يوم بدر فقد مُنَّاكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ،  
 وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وحزنا شرف الآباء ، وأدركنا بشاركم إذ عجزتم عنه  
 ووضعناكم حيث لم تَضَعُوا أنفسكم والسلام .

ومن مكاتبات ملوك الفرس البلغاء ما كتب به أرسطوطاليس إلى الإسكندر :  
 إنه إنما تملك الرعية بالإحسان إليها، وتظفر بالمحبة منها؛ فإن طلبك ذلك بإحسانك،  
 هو أدوم بقاء منه باعتسافك بعنفك. وأعلم أنه إنما تملك الأبدان، فأجمع إليها القلوب  
 بالمحبة. وأعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول قدرت أن تفعل؛ فأجتهد أن لا تقول  
 تسلم من أن تفعل .

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه يوصيه بالرعية كتابا فيه : ليكن من تختاره  
 لولايتك رجلا كان في وضيعة فرفعته، وذا شرف كان مهملا فأصطنعته . ولا تجعله  
 امرأ أصبته بعقوبة فأتضع لها ، ولا أحدا من يقع بقلبك أن إزالة سلطانك أحب  
 إليه من ثبوته؛ وإياك أن تستعمله ضريعا، غمرا، كثيرا إعجابه بنفسه، قليلا تجربته  
 في غيره، ولا كبيرا مديرا، قد أخذ الدهر من عقله، كما أخذت السن من جسمه .

ومما كتب به أبرويز إلى ابنه شيرويه أيضا : إن كلمة منك تسفك دما، وأخرى  
 تحقن دما، وإن سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه، وإن رضاك بركة مفيدة  
 على من رضيت عنه، وإن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك، فأحترس في غضبك من  
 قولك أن يخطئ، ومن لونك أن يتغير، ومن جسدك أن يخف؛ فإن الملوك تعاقب  
 جرما، وتعفو حُلما .

ومما كتب به أردشير إلى رعيته : من أردشير المؤيد، ملك الملوك، وراث العطاء،  
 إلى الفقهاء الذين هم حملة الدين ، والأساورة الذين هم حفظة البيضة ، والكُتاب  
 الذين هم زين المملكة، وذوى الحروب الذين هم عمدة البلد . السلام عليكم، فإننا نحمد  
 إليك الله سالمين، وقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا بها إتاوتها للموظفة عليها، ونحن  
 مع ذلك كاتبون بوصية : لا تستشعروا الحق فَيَدَّهَمَكُم العدو، ولا تحتكروا فيشملكم



القحط ؛ وتزوجوا القرائب فإنه أمس للرحم ، وأثبت في النسب ، ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا ، ولا ترفضوها ، فإن الآخرة لا تدرك إلا بها .

وأما رسائلهم ومخاطباتهم . فن ذلك رسالة الصديق رضى الله عنه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين تلکاً عن مبايعته ، على لسان أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، مع ما أنضم إلى ذلك من كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما كان من جواب على عنها .

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى البغدادى : سَمَرْنَا لَيْلَةً عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي حَامِدٍ أَحْمَدَ بْنِ بَشْرِ الْمُرُورُودِيِّ بِبَغْدَادَ ، فَتَصَرَّفَ فِي الْحَدِيثِ كُلِّ مَتَصَرَّفٍ ؛ وَكَانَ غَزِيرُ الرِّوَايَةِ ، لَطِيفُ الدَّرَايَةِ ، بَخْرِي حَدِيثُ السَّقِيفَةِ ، فَرَكَبَ كُلُّ مَرْبَكَا ، وَقَالَ قَوْلًا ، وَعَرَّضَ بَشْيً ، وَنَزَعَ إِلَى فَقْ . فَقَالَ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْفَظُ رِسَالَةَ الْأَبِيِّ بَكْرِ الصَّدِيقِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَجَوَابَ عَلَى عَنْهَا ، وَمَبَايَعَتِهِ إِيَّاهُ عَقِيبَ تِلْكَ الْمُنَازَعَةِ . فَقَالَ الْجَمَاعَةُ : لَا وَاللَّهِ ، فَقَالَ : هِيَ وَاللَّهِ مِنْ بَنَاتِ الْحَقَائِقِ ، وَمَحَبَّاتِ الصَّنَادِقِ ؛ وَمِنْذَ حَفِظْتُهَا مَارَوَيْتُهَا إِلَّا لِأَبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ فِي وَزَارَتِهِ ، فَكِتَبْتُهَا عَنْ يَدِهِ ، وَقَالَ : لَا أَعْرِفُ رِسَالَةَ أَعْقَلَ مِنْهَا وَلَا أَيْبَنَ ؛ وَإِنَّمَا لَتَدُلُّ عَلَى عِلْمٍ وَحِلْمٍ ، وَفَصَاحَةٍ وَنَبَاهَةٍ ، وَبُعْدِ غُورٍ ، وَشِدَّةِ غَوْصٍ — فَقَالَ لَهُ الْعَبَّادَانِي : أَيُّهَا الْقَاضِي فَلَوْ أَتَمَمْتَ الْمِنَّةَ عَلَيْنَا بِرَوَايَتِهَا ، أَسْمِعْنَاهَا ، فَنَحْنُ أَوْعَى لَكَ مِنَ الْمُهَلَّبِيِّ ، وَأَوْجِبَ ذِمَامًا عَلَيْكَ ، فَأَنْدَفَعَ وَقَالَ :

” حَدَّثَنَا الْخَزَاعِيُّ بِمَكَّةَ ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي فُلَيْحٍ عَنْ عَيْسَى بْنِ دَوَّابٍ بْنِ الْمُنَاحِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مُوَلَايَ أَبَا عُبَيْدَةَ يَقُولُ : لَمَّا أَسْتَقَامَتِ الْخِلَافَةُ لِأَبِيِّ بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، بَعْدَ فِتْنَةِ كَادِ الشَّيْطَانِ بَيْنَهُمَا ، فَدَفَعَ اللَّهُ شَرَّهَا وَيَسَّرَ خَيْرَهَا ، بَلَغَ أَبَا بَكْرٍ عَنْ عَلِيٍّ تَلَكُّوْهُ وَشِمَاسُ ، وَتَهَمُّهُ وَنِفَاسُ ،

فكره أن يتمادى الحال فتبدؤ العورة، وتشتعل الجمرة، وتنفترق ذات البين؛ فدعاني بحضرته في خلوة، وكان عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحده فقال: يا أبا عبيدة ما أئمن ناصيتك، وأئمن الخيرين عينك؛ وطالما أعز الله بك الإسلام وأصلح شأنه على يديك، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط، والمحل المغبوط؛ ولقد قال فيك في يوم مشهود "لُكِّلَ أُمَّةٌ أَمِينٌ وَأَمِينٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ" ولم تزل للدين ملتجا، وللمؤمنين مُرتجيا؛ ولأهلك ركنا، ولإخوانك رداً. قد أردت لك لأمرٍ خطر مخوف، وإصلاحه من أعظم المعروف، ولئن لم يندمل جرحه بيسارك ورفقك، ولم تُجِبْ حيته برقيتك، وقع اليأس، وأعضل البأس؛ واحتيج بعد ذلك إلى ما هو أمرٌ منه وأعلق، وأعسرُ منه وأغلق؛ والله أسأل تمامه بك، ونظامه على يديك. فتأت له أبا عبيدة وتلطف فيه، وأنصح لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذه العصابة غير آل جهدا، ولا قال حمدا، والله كالك وناصرك، وهاديك ومبصرك، إن شاء الله. أمض إلى على وأخفِض له جناحك، وأغضض عنده صوتك، وأعلم أنه سلاله أبي طالب، ومكانه ممن فقدناه بالأمس صلى الله عليه وسلم مكانه، وقل له البحر مغرقة، والبر مفرقة، والحق أكلف، والليل أغدق، والساء جلاء، والأرض صلعاء، والصعود متعذر، والهبوط متعسر، والحق عطوف رؤوف، والباطل عنوف عسوف، والعجب قذاحة الشر، والضغن رائد البوار؛ والتعريض شجار الفتنة، والقيحة ثقب العداوة، وهذا الشيطان متكى على شِمَالِهِ، متحيل يمينه، نافخ خُصِيَّهِ لأهله، ينتظر الشَّتَات والفُرْقَة، ويدب بين الأئمة بالشحناء والعداوة، عناداً لله عز وجل أولاً، ولآدم ثانياً، ولنبيه صلى الله عليه وسلم ودينه ثالثاً، يوسوس بالفجور، ويُدلي بالغرور، ويمنى أهل الشرور. يوحى إلى أوليائه زُخْرَفَ القول غرورا بالباطل، دأبا له منذ

(١) تأتي فلان للا مرتهباً له وأتاه من وجهه .

كان على عهد أبينا آدم صلى الله عليه وسلم ، وعادة له منذ أهانه الله تعالى في سالف  
 الدهر لا منجى منه إلا بعض الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووظء  
 هامة عدو الله بالأشد فالأشد ، والآكد فالآكد ، وإسلام النفس لله عز وجل في آبتغاء  
 رضاه . ولا بُد الآن من قول ينفع إذا ضرَّ السُّكوت وخيف غيبه ؛ ولقد أرشدك  
 من أفاء ضالتك ، وصافاك من أحياء مودته بعتابك ، وأراد لك الخير من أثر البقاء  
 معك ؛ ما هذا الذي تُسول لك نفسك ، ويدوى به قلبك ، ويلتوى عليه رأيك ،  
 ويتخاوض دونه طرفك ، ويسرى فيه ظعنك ، ويرادّ معه نفسك ، وتكثر عنده  
 صعداؤك ، ولا يقيض به لسانك . أُنجمة بعد إفصاح ؟ أتلبيس بعد إيضاح ؟  
 أدين غير دين الله ؟ أخلق غير خلق القرآن ؟ أهدي غير هدى النبي صلى الله عليه  
 وسلم ، أمثلى " تمشى له الضراء وتدب له النحر " ، أم مثلك ينقيض عليه الفضاء ،  
 ويكشف في عينه القمر ، ماهذه الققعة بالشنان ؟ وما هذه الوعوة باللسان ؟  
 إنك والله جد عارف بأستجابتنا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبخروجنا  
 عن أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبتنا ، هجرة إلى الله عز وجل ، ونصرة لدينه  
 في زمان أنت فيه في كن الصبا ، وخدر الغرارة ، وعنفوان الشيبة ، غافل عما يُشيب  
 ويُرِيب ، لاتبعي ما يراد ويُشاد ، ولا تحصّل ما يساق ويُقاد ، سوى ما أنت جارية عليه  
 إلى غايته التي إليها عدل بك ، وعندها حط رحلك ، غير مجهول القدر ولا محدود  
 الفضل ؛ ونحن في أثناء ذلك نُعاني أحوالا تُزِيل الرّواسى ، وتُفاسي أهوالا تُشيب  
 النواصي ، خائضين غمارها ، راكبين تيارها ، نتجرع صابها ، ونُشرج عيائها ، ونُحكم  
 أساسها ، ونُبرم أمراسها ، والعيون تُحدّج بالحسد ، والأنوف تعطس بالكبر ، والأصدور  
 تستعير بالغيظ ، والأعناق تتطاوّل بالفخر ، والشّفار تُشحد بالمكر ، والأرض تُمسد

بالخوف ؛ لا تنتظر عند المساء صباحا ، ولا عند الصباح مساء ، ولا تدفع في نحر  
 أمرئ إلا بعد أن نحسو الموت دونه ، ولا نبلغ مرادا إلا بعد الإياس من الحياة  
 عنده ؛ فادين في جميع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأب والأم ، والخال  
 والعم ، والمال والنشب ، والسبد واللبد ، والهلة والبلة ، بطيب أنفس ، وقوة  
 أعين ، ورخب أعطان ، وثبات عزائم ، وصحة عقول ، وطلاقة أوجه ، ودلاقة  
 ألسن ؛ هذا مع خفيات أسرار ، ومكنونات أخبار ، كنت عنها غافلا ، ولولا سنك  
 لم تكن عن شيء منها ناكلا ، كيف وفؤادك مشهور<sup>لوا</sup> ؟ ، وعودك معجوم . والآن  
 قد بلغ الله بك وأنهض الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول  
 ماتسمع ؛ فارتقب زمانك ، وقلص أردانك ، ودع التقعس والتجسس لمن لا يطلع  
 لك إذا خطا ، ولا يترخح عنك إذا عطا ؛ فالأمر غض ، والنفوس فيها مص ،  
 وإنك أديم هذه الأمة فلا تحلم بلحاجا ، وسيفها العضب ، فلا تنب أعوجاجا ، وماؤها  
 العذب ، فلا تحل أجاجا . والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا  
 الأمر ، فقال لي يا أبا بكر هو لمن يرغب عنه لامن يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل عنه  
 لامن يتنفج إليه ؛ هو لمن يقال هو لك لامن يقول هو لي .

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصهر ، فذكر فينا من قريش  
 فقلت أين أنت من علي ، فقال صلى الله عليه وسلم : إني أكره لفاطمة ميعة شبابه ،  
 وحدائث سنه . فقلت له متى كنهته يدك ورعته عينك ، حفت بهما البركة ،  
 وأسبغت عليهما النعمة ؛ مع كلام كثير خاطبته به رغبة فيك ، وما كنت عرفت  
 منك في ذلك لاحوجاء ولا لوجاء ، فقلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك ، وأجد راحة  
 سواك ؛ وكنت إذ ذاك خيرا لك منك الآن لي ؛ ولئن كان عرض بك رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر ، فلم يكن معرضا عن غيرك ، وإن كان قال فيك

فما سكت عن سواك؛ وإن تلجلج في نفسك شئ، فهلم فالحكم مرضى، والصواب مسموع، والحق مطاع. ولقد ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل، وهو عن هذه العصابة راض وعليها حذر: يسره ماسرها، ويسوءه ماساها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويُسَخِطُه ما أسخطها. أما تعلم أنه لم يدع أحدا من أصحابه، وأقاربه، وسُجَرَّائِهِ<sup>(١)</sup>، إلا أبانه بفضيلة، وخصَّه بمزية، وأفرده بحالة. أتنظن أنه صلى الله عليه وسلم ترك الأئمة سُدَى بَدَا، عِبَاهِلَ، مَبَاهِلَ، طَلَا حِي مفتونةً بالباطل، مغبونةً عن الحق، لا رائد ولا زائد، ولا ضابط ولا حائط، ولا ساقى ولا واقى، ولا هادى ولا حادى كلا!، والله ما أشتاق إلى ربه تعالى، ولا سأله المصير إلى رضوانه وقُربِهِ، إلا بعد أن ضرب المدى، وأوضح الهدى، وأبان الصُّوَى، وأتمن المسالك والمطارح، وسهل المبارك والمهايج، وإلا بعد أن شَدَحَ يافوخ الشرك بإذن الله، وشرم وجه النفاق لوجه الله سبحانه، وجَدَعَ أنف الفتنة في ذات الله، وتفل في عين الشيطان بعون الله، وصدع بملء فيه ويده بأمر الله عز وجل.

وبعد، فهذه المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة واحدة، ودار جامعة، إن استقالوني لك، وأشاروا عندى بك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائرٌ إلى رأيهم فيك. وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والقاتح لمآلِقهم، والمرشد لضآلتهم، والرادع لغوايتهم. فقد أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى، والتناصر على الحق. ودعنا نقضى هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل، ونلقى الله تعالى بقلوب سليمة من الضغن.

وبعد فالناس ثَمَامَةٌ فَارَّقُوا بهم، وأحنُّ عليهم ولينُّ لهم، ولا تُشَقُّ نفسك بنا خاصة

(١) بالسين المهملة جمع سَجَرٍ كأمير وهو الصديق

(٢) بالباء الموحدة في الوزنين ومعناها مهملة. أنظر اللسان

فيهم ، وأترك ناجم الحقد حصيدا ، وطائر الشر واقعا ، وباب الفتنة مغلقا ، فلا قال ولا قيل ولا لوم ولا تباع والله على ما تقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير .

قال أبو عبيدة : فلما تأهبت للنهوض ، قال عمر رضى الله عنه كن لدى الباب هنية فلي معك دور من القول ، فوقفت وما أدري ما كان بعدى ، إلا أنه لحقنى بوجه يندى تهلا ، وقال لى قل لعل الرقاد محلمه ، والهوى مقحمه ، وما منا إلا له مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم ، ونبا ظاهر أو مكتوم ، وإن أكيس الكيس من منح الشارد تألفا ، وقارب البعيد تلطفا ، ووزن كل شىء بيزانه ، ولم يخاطب خبره بعيانه ، ولم يجعل فتره مكان شبره ديناً كان أو دُنْيَا ، ضلالا كان أو هدًى . ولا خير فى علم مستعمل فى جهل ، ولا خير فى معرفة مشوية بئكر . ولسنا بكلمة رُفِعَ البعير بين العِجَانِ والذنب ، وكل صالٍ فبناره ، وكل سيل فإلى قراره . وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لى وشى ، ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق . وقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذى كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كدوب ، فمأذا بعد الحق إلا الضلال . ما هذه الخُزْوانة التى فى قرأش رأسك ؟ ما هذا الشجا المعترض فى مدارج أنفاسك ؟ ما هذه القداة التى تغشت ناظرى ؟ وما هذه الوحة التى أكلت شراسيفك ؟ وما هذا الذى ليست بسببه جلد النمر ، وأشتلت عليه بالشحناء والنكر ، ولسنا فى كسروية كسرى ، ولا فى قيصرية قيصر ! تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر ! قد جعلهم الله جزرا لسؤفنا ، ودرية لرياحنا ، ومرمى ليطعنا ، وتبعا لسُطاننا ، بل نحن فى نور نبوة ، وضياء رسالة ، وثرة حكمة ، وأثرة رحمه ، وعنوان نعمه ، وظل عصمه ، بل أمة مهدية بالحق والصدق ، مأمونة على الرُتق والفتق ، لها من الله قلب أبى ، وساعد قوى ، ويد ناصره ، وعين باصره . أظن ظنا ياعلى أن أبا بكر وثب على هذا الأمر مُقتاتا على الأمة خادعا لها ،

أو متسلطا عليها ؟ أترأه حل عُقُودها وأحال عقولها ؟ أترأه جعل نهارها ليلا ، ووزنها  
 كيلا ، ويقظتها رُقادا ، وصَلَحها فسادا ، لا والله سلا عنها فولَّهَتْ له ، وتطامن لها  
 فالصقت به ، ومال عنها فمالت إليه ، وأشماز دونها فاشتملت عليه ، حَبُوة حباه الله  
 بها ، وعاقبة بَلَّغه الله إليها ، ونعمة سَرَّبله بِجَآلها ، وَيَدُّ أوجب الله عليه شكرها ، وأمة  
 نظر الله به إليها . والله أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده ، يختار ما كان لهم الخيرة .  
 وإنك بحيث لا يُجهل موضعك من بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ولا يُحدد حقك  
 فيما آتاك الله ، ولكن لك مَنْ يزاحك بمنكب أضخم من منكبك ، وقُرْبِ أَسَّ من  
 قرابتك ، وسنّ أعلى من سننك ، وشيية أروع من شيتتك ، وسيادة لها أصل  
 في الجاهلية ، وفرع في الإسلام ، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة ، ولا تُذكر  
 منها في مقدمة ولا ساقه ، ولا تَضْرِبُ فيها بذراع ولا إصبع ، ولا تخرج منها بيازل  
 ولا هُبع . ولم يزل أبو بكر حَبَّة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلاقة نفسه ،  
 وعيبة سره ، ومفزع رأيه ومشورته ، وراحة كفه ، ومَرْمَقَ طَرَفِه . وذلك كله  
 يحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار ، شُهرته مغنية عن الدليل عليه .  
 ولعمري إنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ، ولكنه أقرب منك  
 قُرْبَة ، والقربة لحم ودم ، والقربة نفس وروح . وهذا فرق عرفة المؤمنون ولذلك  
 صاروا إليه أجمعون ، ومهما شككت في ذلك ، فلا تشك أن يد الله مع الجماعة ،  
 ورضوانه لأهل الطاعة ، فأدخل فيما هو خير لك اليوم ، وأنفع لك غدا ، وألفظ من  
 فيك ما يعلق بِلَهَاتِكَ ، وَأَنْفَتْ سَخِيمةَ صدرك عن تُقَاتِكَ ، فإن يك في الأمد طول ،  
 وفي الأجل فسحة ، فستأكله مريئا أو غير مريء ، وستشربه هنيئا أو غير هنيء ،  
 حين لا راد لقولك إلا من كان آيسا منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعا فيك  
 يَمُضُ إهابك ، ويعرك أديمك ، ويُزرى على هديك . هنالك تقرع السن من ندم ،

وتَجَرَّعَ الماءَ ممزوجاً بدم ، وحينئذ تأسى على ما مضى من عمرك ، ودارج قوتك ، فتود أن لو سُقيت بالكأس التي أبيتها ، ورُدِدَتْ إلى حالتك التي آستغويتها ، والله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لسراها وضرائها ، وهو الولي الحميد ، الغفور الودود .

قال أبو عبيدة ، فتمشيت مترملاً أنوء كأنما أخطو على رأسي ، فرقاً من الفرقة ، وشفقاً على الأمة ، حتى وصلت إلى علي رضي الله عنه في خلاء ، فأبتثته بئى كله ، وبرئت إليه منه ، ورفقت به . فلما سمعها ووعاها ، وسرت في مفاصله جُميها ، قال : ” حَلَّتْ مُعْلَوِّطُهُ ، وولَّتْ مُحْرَوِّطُهُ “ ، وأنشأ يقول :

إحْدَى لِيَالِيكَ فَهَيْسَى هَيْسَى \* لَا تَنْعَمِ اللَّيْلَةَ بِالتَّعْرِيسِ

نعم يا أبا عبيدة أكل هذا في نفس القوم ، ويحسونه ، ويضطربون عليه ؟ قال أبو عبيدة : فقلت لأجواب لك عندي إنما أنا قاض حق الدين ، ورائق فتق المسلمين ، وساد ثلثة الأمة . يعلم الله ذلك من جُلْجُلان قلبي ، وقرارة نفسي .

فقال علي رضي الله عنه : والله ما كان قُعودي في كِنِّ هذا البيت قصداً للخلاف ، ولا إنكاراً للعروف ، ولا زيارته على مسلم ؛ بل لما قد وقَدَّني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده . وذلك أني لم أشهد بعده مشهداً إلا جدد علي حُرْنا ، ودَكرني شَجْنا . وإن الشوق إلى اللّاق به كافي عن الطمع في غيره . وقد عكفتُ على عهد الله أنظر فيه ، وأجمع ما تفرَّق ، رجاء ثواب معدٍّ لمن أخلص لله عمله ، وسلمَ لعلمه ومشيتته ، وأمره ونهيه . على أني ما علمت أن التظاهر على واقع ، ولا عن الحق الذي سبق إلى دافع ؛ وإذ قد أقم الوادي بي ، وحشد النادی من أجلي ، فلا مَرَّحبا بما أساء أحدا من المسلمين وسرني . وفي النفس كلام لولا



سابق عقد ، وسالف عهد ، لشفيت غيظي بجنصري وبنصري ، وخضت لجته  
بأنحصى ومفريق ، ولكنني ملجئ إلى أن ألقى الله ربي ، وعنده أحسب ما نزل بي .  
وإني غاد إلى جماعتكم ، مبايع صاحبكم ، صابر على ما ساءني وسركم ( ليقضى الله  
أمرًا كان مفعولاً ) .

قال أبو عبيدة : فعدت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقصصت عليه القول على  
غيره ، ولم أختل شيئاً من حُلوه وصره ، وبكرت غدوة إلى المسجد ، فلما كان صباح  
يومئذ وإذا على مخترق الجماعة إلى أبي بكر رضي الله عنهما ، فبايعه ، وقال خيراً ،  
ووصف جميلاً ، وجلس زميتاً<sup>(١)</sup> ، وأستاذن للقيام فضى وتبعه عمر مكرماً له ، مستأثراً  
لما عنده .

فقال على رضي الله عنه : ما قعدت عن صاحبكم كارهاً ، ولا أتيته فرياً ، ولا أقول  
ما أقول تعلقة . ولا إني لأعرف منتهى طرفي ومحط قدمي ومنزع قوسي ، وموقع  
سهمي ؛ ولكن قد أزممت على فأسى ثقة بربي في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر رضي الله عنه : كفكف غربك ، وأستوقف سربك ، ودع العصى  
بلحائها ، والدلاء على رشائها . فإننا من خلفها وورائها ، إن قدحنا أورينا ، وإن متحنا  
أروينا ، وإن قرحنا أدمينا ، ولقد سمعت أمانيلك التي لغزت بها عن صدر أكل  
بالجوى ، ولو شئت لقلت على مقاتلك ما إن سمعته ندمت على ما قلت . وزعمت أنك  
قعدت في كن بيتك لما وقذك به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتيده ، فهو  
وقذك ولم يقذ غيرك ؟ بل مصابه أعظم وأعم من ذلك ، وإن من حق مصابه أن  
لا تصدع شمل الجماعة بفرقة لا عصام لها ، ولا يؤمن كيد الشيطان في بقائها . هذه

(١) أى حلياً وقوراً .

العرب حولنا ، والله لو تداعت علينا في صُبح نهار لم نلتقي في مسائه . وزعمت أن الشوق إلى الخالق به كافٍ عن الطمع في غيره ! فمن علامة الشوق إليه نصرة دينه ، وموازرة أوليائه ، ومعاونتهم . وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ؛ فمن العكوف على عهد الله النصيحة لعباد الله ، والرأفة على خلق الله ، وبذل ما يصلحون به ، ويرشدون عليه . وزعمت أنك لم تعلم أن التظاهر واقع عليك وأى حق لظ<sup>(١)</sup> دُونك . قد سمعت وعلمت ما قال الأنصار بالأمس سرًا وجهراً ، وتقلبت عليه بطنًا وظهراً ، فهل ذكرت أو أشارت بك أو وجدت رضاهم عنك ؟ هل قال أحد منهم بلسانه إنك تصلح لهذا الأمر ؟ أو أوما بعينه ؟ أو هم في نفسه ؟ أتظن أن الناس ضلوا من أجلك ، وعادوا كفقاراً زهداً فيك ، وباعوا الله تحاملاً عليك ؟ . لا والله ! لقد جاءني عقيل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه ومعهم شرجيل بن يعقوب الخزرجي وقالوا : إن علياً ينتظر الإمامة ، ويزعم أنه أولى بها من غيره ، وينكر على من يعقد الخلافة ، فأنكرت عليهم ، ورددت القول في نحرهم حيث قالوا : إنه ينتظر الوحى ويتوَكَّف مناجاة الملك . فقلت ذاك أمر طواه الله بعد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، أكان الأمر معقوداً بأنشوطه ، أو مشدوداً بأطراف ليطه ؟ كلا ! والله لا أعجاء بحمد الله إلا أفصحت ، ولا شوكاء إلا وقد تفتحت . ومن أعجب شأنك قولك : ولولا سالف عهد وسابق عقد ، لشفيت غيظي ؛ وهل ترك الدين لأهله أن يشفوا غيظهم بيد أو بلسان ؟ تلك جاهلية وقد استأصل الله شاققتها وأقتلع جرثومتها ، وهور ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها الروح والريحان ، والهدى والبرهان . وزعمت أنك ملجَم ؛ ولعمري إن من آتق الله ، وآثر رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسك لسانه وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما وراه .

(١) لظ . أى محمد . ووقع في بعض النسخ لك وفي بعضها ليط وكلاهما تصحيف .

فقال عليّ رضي الله عنه : مَهْلًا يَا أَبَا حَفْصِ وَالله مَابَدَلْتُ مَا بَدَلْتُ وَأَنَا أُرِيدُ نَكَدَهُ ، وَلَا أَقَرَّرْتُ مَا أَقَرَّرْتُ وَأَنَا أَبْتَنِي حَوْلًا عَنْهُ . وَإِنْ أَخْسَرَ النَّاسَ صَفْقَةً عِنْدَ اللهِ مِنْ آثَرِ النِّفَاقِ ، وَأَحْتَضَنَ الشَّقَاقِ وَفِي اللهِ سَلْوَةٌ عَنْ كُلِّ حَادِثٍ ، وَعَلَيْهِ التَّوَكُّلُ فِي جَمِيعِ الْحَوَادِثِ . ارْجِعْ يَا أَبَا حَفْصِ إِلَى مَجَاسِكَ نَاقِعِ الْقَلْبِ ، مَبْرُودِ الْغَلِيلِ ، فَصِيحِ اللَّبَانِ ، فَصِيحِ اللِّسَانِ ، فَلَيْسَ وَرَاءَ مَا سَمِعْتَ وَقَلْتَ إِلَّا مَا يَشُدُّ الْأَزْرَ ، وَيَحِطُّ الْوِزْرَ ، وَيَضَعُ الْإِصْرَ ، وَيَجْمَعُ الْأَلْفَةَ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَحَسَنِ تَوْفِيقِهِ .

قال أبو عبيدة رضي الله عنه : فَأَنْصَرَفَ عَلِيٌّ وَعَمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا . وَهَذَا أَصْعَبُ مَا مَرَّ عَلَى بَعْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومن ذلك كلام عائشة رضي الله عنها في الانتصار لأبيها .

يروى أنه بلغ عائشة رضي الله عنها أن أقواما يتناولون أبا بكر رضي الله عنه ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَزْفَلَةٍ مِنَ النَّاسِ فَلَمَّا حَضَرُوا ، أَسْدَلَتْ أَسْتَارَهَا ، وَعَلَتْ وِسَادَهَا . ثُمَّ قَالَتْ أَبِي : وَمَا أَيْبَهُ ! أَبِي وَالله لَا تَعْطُوهُ الْأَيْدِي ، ذَاكَ طَوْدٌ مَنِيْفٌ ، وَفَرْعٌ مَدِيدٌ ، هِيَّاتَ كَذَبَتِ الظُّنُونُ ، أَنْجَحَ إِذَا كُدْتُمْ ، وَسَبَقَ إِذَا وَنَيْتُمْ \* سَبَقَ الْجَوَادِ إِذَا أَسْتَوْلُوا عَلَى الْأُمْدِ \* فَنِيَ قَرِيْشٌ نَاشِئًا ، وَكَهَفَهَا كَهْلًا ، يَفُكُ عَانِيَهَا وَيَرِيْشُ مُمْلِقَهَا ، وَيَرَأُبُ شَعْبَهَا ، وَيُلْمُ شَعْبَهَا حَتَّى حَلَبَتْهُ قُلُوبُهَا ، ثُمَّ أَسْتَشْرَى فِي دِينِ اللهِ فَمَا بَرَحَتْ شَكِيمَتُهُ فِي ذَاتِ اللهِ عِزٌّ وَجَلٌّ حَتَّى أَخَذَ بِنِجْنَانِهِ مَسْجِدًا يَحْيِي فِيهِ مَا أَمَاتَ الْمَبْطُلُونَ ، وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ ، وَقَيْدَ الْجَوَانِحِ ، شَجِيئَ النَّشِيْجِ ، فَاَنْقَضَتْ إِلَيْهِ نِسْوَانُ مَكَّةَ وَوُلْدَانُهَا يَسْتَخْرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) فَأَكْبَرَتْ ذَلِكَ رِجَالَاتٌ مِنْ قَرِيْشٍ خَفَتَ قَسِيْهَا وَفَوَقَتْ سِهَامَهَا وَأَنْتَلَوْهُ غَرَضًا ، فَمَا فَلَوْ لَهُ صَفَاةٌ ، وَلَا قَصْفُورٌ لَهُ قَنَاقَةٌ ، وَمَرَّ عَلَى سَيْسَانِهِ ، حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الدِّينَ بِحِرَانِهِ ،

ورسّت أوتاده ، ودخل الناس فيه أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، اختار الله لنبيه ما عنده ؛ فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم ضرب الشيطان رؤوفه ، ومد طنبه ، ونصب حباله ، وأجاب بحيله ورجله ، وأضطرب حبل الإسلام ، ومرج عهده ومآج أهله ، وبغى الغوائل ، وظنّت رجال أن قد أكتبت أطاعهم نهزها ولات حين الذي يرجون ، وأنى والصدّيق بين أظهرهم . فقام حاسرا مشمرا ، بجمع حاشيته ورفع قطريه ، فردّ رسن الإسلام على غربه ، ولم شعثه بطبه ، وأتتاش الدين فنعشه ، فلما أراح الحق على أهله ، وقرّر الرؤوس على كواهلها ، وحقن الدماء في أهيها ، أنته منيته ، فسدّ ثلمته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمعدلة . ذاك ابن الخطاب لله دَرّ أُم حملت به ودرّت عليه ! لقد أوجدت به ، ففَنخَّ الكفرة وديحها ، وشردّ الشرك شذر مذر ، وبعج الأرض وجمعها فقاءت أكلها ، ولفظت خباها ، ترأّمه ويصّدف عنها ، وتصدّى له ويأبأها . ثم وزّع فيها فيأها وودّعها كما صحبها . فأروني ماذا ترتئون وأى يومى أبى تنقُمون : أيوم إقامته إذ عدل فيكم أم يوم ظعنه إذ نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئا ؟ قالوا اللهم لا .

ومن ذلك كلام أم الخير : بنت الحريش البارقية يوم صفّين في الانتصار لعلى رضى الله عنه .

روى أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش البارقية برحها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه بالخير خيرا وبالشرّ شرّا . فلما ورد

(١) فى بعض الكتب فردّ نشر الدين على غره ولم شعثه بطبه .

عليه كتابه ، ركب إليها فأقرأها الكتاب ، فقالت أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة  
بكذب ! ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدرى . فلما شيعها  
وأراد مفارقتها قال لها يا أم الخير : إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه يجازيني بقولك  
في بالخير خيرا وبالشر شرا ، فما عندك ؟ قالت يا هذا لا يطعمنك بركى أن أسرك  
بباطل ، ولا تؤنسك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق . فسارت خير مسير حتى  
قدمت على معاوية فأنزلها مع حريمه ، ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع ، وعنده  
جلساؤه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . قال لها وعليك  
السلام يا أم الخير ، وبالرغم منك دعوتينى بهذا الاسم . قالت مه يا أمير المؤمنين !  
فإن بديهة السلطان مدحضة لما يجب علمه ﴿ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ . قال صدقت .  
فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ . قالت لم أزل في عافية وسلامة  
حتى صرت إليك فانا في مجلس أنيق ، عند ملك رفيق — قال معاوية بحسن نيتي  
ظفرت بكم — قالت يا أمير المؤمنين أعينك بالله من دحس المقال وما تردى عاقبته  
قال ليس هذا أردنا . أخبرني كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر ؟ قالت لم أكن  
والله زورته قبل ولا رويته بعد . وإنما كانت كلمات نقمن لسانى حين الصدمة  
فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت — قال لا أشاء ذلك . ثم التفت  
إلى أصحابه فقال أيكم يحفظ كلام أم الخير فقال رجل من القوم أنا أحفظه  
يا أمير المؤمنين كحفظى سورة الحمد — قال هاته — قال : نعم كأتى بها يا أمير المؤمنين  
في ذلك اليوم عليها برد زبدي كثيف الحاشية ، وهى على حمل أرمك وقد أحيط  
حولها ، وبيدها سوط منتشر الظفر ، وهى كالफल يهدير في شقيقته تقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ! إن الله قد أوضح الحق ، وأبان الدليل ، وتور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في عمياء مُهْمَة ! ولا سوداء مدْهِمَة فإلى أين تريدون رحمكم الله . أفرارا عن أمير المؤمنين ، أم فرارا من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم أردادا عن الحق . أما سمعتم الله عز وجل يقول : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول .

قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبیدك يارب أزممة القلوب فاجمع الكلمة على التقوى، وآلف القلوب على الهدى، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل، والوصى الوفي، والصديق الأكبر! إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أُحديه، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بنى عبد شمس .

ثم قالت ﴿ قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ . صبرا معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، وكأني بكم غدا قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة، فرّت من قسورة . لا تدري أين يُسلك بها من بجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى وعمّا قليل ليصبحن نادمين، حين تحلّ بهم الندامة فيطلبون الإقالة ! إنه والله من ضلّ عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة نزل في النار . أيها الناس إن الأيكاس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطئوا مدة الآخرة فسمعوا لها . والله أيها الناس لولا أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان، لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه ، فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وأبي أبنيه ؟ خلقي

من طينته ، وتفترع عن نبعته ، وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان بغضه المنافقين . فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعنته ويمضى على سنن استقامته ؛ لا يعزج لراحة اللذات ؛ وهو مُفَلِّق الهام ، ومكسر الأصنام إذ صلب الناس مشركون ، وأطاع والناس مرتابون . فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل أحد ، وفرق جمع هوازن ؛ فيا لها وقائع ! زرعت في قلوب قوم نفاقا ، ورودة وشقاقا ، وقد آجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : والله يأثم الخير ما أردت بهذا إلا قتلى ! والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك .

قالت : والله ما يسوعنى يابن هند أن يُجرى الله ذلك على يدي من يسعدنى الله بشقائه — قال هيات يا كثيرة الفضول ، ماتقولين في عثمان بن عفان ؟ — قالت وما عسيت أن أقول فيه : استخلفه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راضون — فقال إيهيا يأثم الخير هذا والله أصلك الذى تبين عليه — قالت لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا ، ولقد كان سباقا إلى الخيرات ، وإنه لرفيع الدرجة — قال فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ — قالت وما عسى أن أقول في طلحة أغتيل من مأمته ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة — قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت يا هذا لا تدعنى كرجيع الضبع يعرك في المِرْكَن — قال حقا لتقولن ذلك وقد عزمتم عليك — قالت وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سباقا إلى كل مكرمة في الإسلام . وإنى أسألك بحقي الله يا معاوية فإن قرئشا تحدث أنك من أحلمها أن تسعني بفضل حلمك ،

وأن تُعفيني من هذه المسائل، وأمض لما شئت من غيرها — قال نعم وكرامة قد أعفيتك؛ وردّها مكرمة إلى بلدها .

ونحو ذلك كلام الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية يوم صفين أيضا .  
يروى أنها ذكرت عند معاوية يوما، فقال لجلسائه أيكم يحفظ كلامها؟ — قال بعضهم نحن نحفظه يا أمير المؤمنين — قال فأشيروا على في أمرها فأشار بعضهم بقتلها — فقال بأس الرأي أيحسُن بمثل أن يقتل امرأة؟ . ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يُوفدها إليه مع ثقة من ذوى محرمها وعدة من فُرسان قومها، وأن يمهّد لها وطء لينا، ويسرّها بستر خفيف، ويوسع لها في النفقة . فلما دخلت على معاوية، قال مرحبا بك وأهلا! قَدِمْتَ خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك؟ — قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة! — قال كيف كنتِ في مسيرك؟ قالت ربيبة بيت أو طفلا مُمهّدا — قال بذلك أمرناهم . أتدريين فيم بعثت إليك — قالت وأنى لي بعلم مالم أعلم؟ وما يعلم الغيب إلا الله عز وجل — قال ألسنت الراكبة الجمّل الأحمر، والواقفة بين الصقيّين بصقيّين تحضّين الناس على القتال، وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟ — قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس، وبُتر الذنب، ولن يعود مذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر — قال لها معاوية أتحفظين كلامك يومئذ؟ — قالت : لا والله ولقد أنسيته — قال لكني أحفظه لله أبوك حين تقولين :

أيها الناس ارعوا وآرجعوا ! إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلايب الظلم، وجارث بكم عن قصد الحجّة . فإلها فتنة عمياء، صماء، بئاء لا تسمع لناعقها، ولا تسلس لقائدها . إن المصباح لا يضيء في الشمس، والكواكب لا تنير مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من استرشد أرشدناه، ومن سالتنا أخبرناه .



أيها الناس إن الحق كان يطلب ضائته فأصابها ! فصبراً يامعاشر المهاجرين  
والأنصار على الغصص ؛ فكان قد أندمل شعب الشتات ، وآلتمت كلمة التقوى ،  
ودمغ الحق باطله ! فلا يجهل أحد فيقول كيف العدل وأثنى : ليقضى الله أمراً  
كان مفعولاً . ألا وإن خضاب النساء الحنأ ، وخضاب الرجال الدماء ! ولهذا  
اليوم مابعده ، والصبر خير في عواقب الأمور . أيها الحرب قدما غير ناكسين ،  
ولا متشاكسين .

ثم قال لها يازرفاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه — قالت أحسن الله بشارتك ،  
وأدام سلامتك ؛ فثلك من بشرنجيز وسرجليسه — قال ويسرك ذلك ؟ — قالت : نعم  
سررت بالخبر فأتى لي بتصديق الفعل ؟ فضحك معاوية وقال : لو فؤؤكم له بعد  
موته أعجب عندي من حُبكم له في حياته ! اذكرى حاجتك . قالت يا أمير المؤمنين  
آليت على نفسي أن لأسأل أميرا أعنت عليه أبدا ، ومثلك من أعطى من غير مسألة ،  
وجاد من غير طلبة — قال صدقت ، وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكسا .

وقريب من ذلك كلام عكرشة بنت الأطرش يوم صفين أيضا .  
يروى أنها دخلت على معاوية متوكئة على عكاز لها فسلمت عليه بالخلافة ،  
ثم جلست — فقال لها معاوية : الآن صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم  
إذ لا على حى ! — قال ألسيت المتقلدة حمائل السيف بصفتين ؟ وأنت واقفة بين  
الصفين تقولين : أيها الناس ! عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . إن  
الجنة لا يحزن من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ؛ فآبتاعوها  
بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم هومها . وكونوا قوما مستبصرين في دينهم  
مستظهرين على حقهم ؛ إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الإيمان ،  
ولا يدرون ما الحكمة . دعاهم إلى الباطل فأجابوه ، وأستدعاهم إلى الدنيا فلبّوه .

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ ! وَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَّاعِلَ فَإِنْ ذَلِكَ يَنْقُضُ عُرَى الْإِسْلَامِ ،  
وَيُطْفِئُ نَوْرَ الْحَقِّ . هَذِهِ بَذَرُ الصَّغْرِ ، وَالْعُقْبَةُ الْآخِرَى ، يَامَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ  
أَمْضُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى غَزِيمَتِكُمْ . فَكَأَنِّي بَكُمْ غَدًا وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ  
كَالْحُمْرِ النَّاهِقَةِ تَقْصَعُ قَصْعُ الْبَعِيرِ :

ثم قال : فَكَأَنِّي أَرَاكَ عَلَى عَصَاكَ هَذِهِ قَدْ أَنْكَفَأَ عَلَيْكَ الْعَسْكَرَانِ يَقُولُونَ هَذِهِ  
عَكْرَشَةُ بِنْتِ الْأَطْرَشِ فَإِنْ كَذَبْتَ لَتُفْلِنَ أَهْلُ الشَّامِ لَوْلَا قَدَرُ اللَّهِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا  
مَقْدُورًا ، فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ — قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ الْآيَةُ ، وَإِنْ اللَّيْبُ إِذَا كَرِهَ  
أَمْرًا لِيَجِبَ إِعَادَتُهُ — قَالَ صَدَقْتَ فَاذْكُرِي حَاجَتَكَ — قَالَتْ كَانَتْ صَدَقَاتُنَا تَوْخَذُ  
مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَنُتْرَدَ عَلَى فَقْرَائِنَا وَقَدْ فَقَدْنَا ذَلِكَ ، فَمَا يُجْبِرُنَا لَنَا كَسِيرٌ ، وَلَا يُنْعِشُنَا لَنَا فَقِيرٌ .  
فَإِنْ كَانَ عَنْ رَأْيِكَ فَمَثَلُكَ مِنْ أَنْتَبَهَ مِنَ الْغَفْلَةِ وَرَاجِعِ التَّوْبَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَنْ غَيْرِ  
رَأْيِكَ فَمَا مَثَلُكَ مِنْ آسْتَعَانَ بِالْخَوْنَةِ وَلَا آسْتَعْمَلَ الظُّلْمَةَ — قَالَ مَعَاوِيَةُ : يَا هَذِهِ ،  
لَإِنَّهُ يَنْبُونَا مِنْ أُمُورِ رَعِينَتِنَا نَغُورُ نَتَفَتَّقُ ، وَنُجْوِرُ نَتَدَفَّقُ . — قَالَتْ سُبْحَانَ اللَّهِ ! وَاللَّهُ  
مَا فَرَضَ اللَّهُ لَنَا حَقًّا بَجَعَلٍ فِيهِ ضَرَرًا لَعِينِنَا وَهُوَ عَلَامُ الْغُيُوبِ — قَالَ مَعَاوِيَةُ هِيَاهُنَا  
يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ نَبْهَكُمُ عَلَى فُلْنٍ تُطَاقُوا . ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ صَدَقَاتِهِمْ فِيهِمْ وَإِنْصَافِهِمْ .

والشاهد في هذه الحكايات كلام هؤلاء النسوة مع ما فيها : من المراجعات ،  
والمخاطبات ، والمقاولات ، والمحاورات ، الصالحة للاستشهاد للفصل المتقدم قبل  
ذلك . وهذا باب متسع لا يسع استيفاءه ، ولا يمكن استيعابه وفيما ذكرنا مقنع .

ومن ذلك ما روى أُنْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ! أُرْسِلَ إِلَى مَعَاوِيَةَ  
بِالشَّامِ كِتَابًا صَحْبَةً صَعْمَةَ بِنَ صُوحَانَ ، فَسَارِبَهُ حَتَّى أَتَى دِمَشْقَ ، فَأَتَى بَابَ مَعَاوِيَةَ  
فَقَالَ لِأَذْنِهِ : أَسْتَأْذِنُ لِرَسُولِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَبِالْبَابِ جَمَاعَةٌ

من بنى أمية ، فأخذته النعال والأيدى لقوله : "أمير المؤمنين" . وكثرت عليه  
الجلبة ، فاتصل ذلك بمعوية فأذن له ، فدخل عليه ، فقال السلام عليك يابن  
أبي سفيان هذا كتاب أمير المؤمنين — فقال معاوية أما إنه لو كانت الرسل تُقتل  
في جاهلية أو إسلام ، لقتلتك . ثم اعترضه معاوية في الكلام ، وأراد أن يستخبره ليعرف  
طبعاً أو تكلفاً — فقال له ممن الرجل — قال من نزار — قال وما كان نزار قال كان  
إذا غزا انكش ، وإذا لقي اقترش ، وإذا أنصرف احترش . قال فمن أى أولاده أنت ؟ —  
قال من ربيعة — قال وما كان ربيعة ؟ — قال : كان يطيل النجاد ، ويعول العباد ،  
ويضرب ببقاع الأرض العباد — قال : فمن أى أولاده أنت ؟ — قال من جديلة —  
قال وما كان جديلة ؟ — قال كان في الحرب سيفاً قاطعاً ، وفي المدكرات غيثاً نافعاً ،  
وفي اللقاء لهباً ساطعاً — قال فمن أى أولاده أنت ؟ — قال : من عبد القيس — قال  
وما كان عبد القيس ؟ — قال كان حسناً أبيضاً وهاباً ، يقدم لضيفه ما وجد ،  
ولا يسأل عما فقد ، كثير المرق ، طيب العرق ، يقوم للناس مقام الغيث من السماء —  
قال ويحك يابن صوحان ! فما تركت لهذا الحى من قریش مجداً ولا نفراً ، — قال بلى  
والله يابن أبي سفيان ! تركت لهم ما لا يصلح إلا لهم ، تركت لهم الأحمر والأبيض  
والأصفر ، السرير والمنبر ، والملك إلى المحشر ، ففرح معاوية وظن أن كلامه  
يشتمل على قریش كلها ، قال صدقت يابن صوحان إن ذلك لكذلك فعرف صعصعة  
ما أراد ، فقال ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد . بعدتم عن أنف  
المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء — قال ولم ذلك ويحك يابن صوحان ! فقال الويل  
لأهل النار ، ذلك لبنى هاشم — قال قم فأخرجوه — فقال : صعصعة الوعد بيني

(١) أى جد . الأصمعي انكش في أمره وانشمر وجد بمعنى واحد . وقوله اقترش أى صرع . يقال لقي فلان

فلاناً فاقتشه إذا صرعه وهو مناسب هنا . وقوله احترش أى كسب أو صاد .

وبينك لا الوعيد مَنْ أراد المناجزة <sup>(١)</sup> يَتَبَلَّ المحاجزة - فقال معاوية لشيء مما سَوَّده قومه وودِدْتُ أنى من صُلِّبه ؛ ثم أَلْتَفَت إلى بنى أُمَيَّة فقال : هكذا فُلْتُكُن الرجال .

ومن ذلك ما روى أن سعيد بن عثمان بن عفَّان رضى الله عنه دخل على معاوية وابنه يزيد إلى جانبه فقال له : ائْتَمَنَكَ أبى ، وَأَصْطَنَعَكَ حَتَّى بَلَغَكَ باصْطِناعه إِيَّاكَ المدى الذى لا يحارى ، والغاية التى لا تُسَامى ؛ فما جازيت أبى بالآلته حتى قَدِمْتَ هذا على ، وجعلت له الأمر دُونى . ”وَأَوْمَأَ إلى يزيد“ والله لأبى خير من أبيه وأُمى خير من أُمته ولأنا خير منه ! - فقال له معاوية . أمّا ما ذَكَرْتَ يا بنِ أُنحى من تَوَأَّثَرِ الآئِمِّ على ، وتَظَاهَرِ نَعَائِمِكَ لَدَى ، فقد كان ذلك ووجب على المكافأة والمجازاة ، وكان من شُكْرِ إِيَّاه أن طلبْتُ بدمه حتى كابدت أهوال البلاء ، وَعَشِيتُ عَسَاكَرَ المنايا إلى أن شَفِيت حَزَازَاتِ الصدور وتَجَلَّتْ تلك الأمور . ولست لنفسى باللائم فى التَّشْمِيرِ ، ولا الزارى عليها فى التَّقْصِيرِ .

وذكرت أن أباك خير من أبى هذا ”وأشار بيده إلى يزيد“ فصَدَقَتْ لعمر الله لعثمان خير من معاوية ! أَكْرَمَ كَرِيماً ، وَأَفْضَلَ قَدِيماً ، وَأَقْرَبُ إِلَى مَجْدِ صَلى الله عليه وسلم رحماً . وذكرت أن أَمْتُكَ خير من أُمِّه فاعمرى إن أمراًة من قريش خير من امرأة من بنى كلب . وذكرت أنك خير من يزيد فوالله يا بنِ أُنحى ما يسرنى أن النُوطَةَ عليها رجال مثل يزيد . فقال له يزيد ”مَهْ يا أمير المؤمنين ! أبْنُ أَخِيكَ آسْتَعْمَلُ الدَّالَّةَ عَلَيْكَ ، وَأَسْتَعْتَبُكَ لِنَفْسِهِ ، وَأَسْتَزَادُ مِنْكَ فِرْدَهُ وَأَجْمَلَ لَهُ فى رَدِّكَ ، وَأَحْمِلُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَوَلِّهُ خُرَاسَانَ بِشِفَاعَتِي وَأَعْنَهُ بِمَا يَظْهَرُ بِهِ مَوْرُوثُهُ“ فَوَلَّاهُ معاوية خُرَاسَانَ ، وأجازه بمائة ألف درهم ؛ فكان ذلك أعجَبَ ما ظَهِرَ من حلم يزيد .

(١) الذى فى المثل من أراد المحاجزة فقبل المناجزة . ولعل ما هنا تصحيف ان لم يكن من تصرف المثنى .

ومن ذلك ما يروى أن زيد بن منبه قدم على معاوية فشكا إليه ديناً لزمه فأعطاه ستين ألف درهم، وكان عتبة بن أبي سفيان قد تزوج ابنة يعلى أنحى زيد بن منبه، وهو يومئذ عامل بمصر — فقال له معاوية : الحق بصهرك ”يعنى عتبة“ فقدّم عليه مصر فقال : ”إنى سرت إليك شهرين أخوض فيهما المتألف : ألبس أردية الليل مرةً وأخوض فى لجج السراب أخرى، موقراً من حُسن الظن بك، وهارباً من دهر قَطم، ودَيْن أزم، بعد غنى جدّنا به أنوف الحاسدين، فلم أجد إلا إليك مهرباً وعليك معولاً — فقال عتبة : مرحباً بك وأهلاً! إن الدهر أعاركم غنى وخطبكم بنا ثم آسترد وأخذ ما أمكنه أخذه، وقد أبقى لكم منا مالا ضيقة معه وأنا رافع إليك يدى بيد الله“ فأعطاه ستين ألفاً كما أعطاه معاوية .

ومن ذلك ما يحكى أن عبد العزى بن زُرارة وفد على معاوية وهو سيد أهل الوبر، فلما أذن له وقف بين يديه وقال يا أمير المؤمنين لم أزل أهرّ ذوائب الرجاء إليك ، ولم أجد معولاً إلا عليك ، أمتطى الليل بعد النهار ، وأسمُ المجاهل بالآثار ، يقودنى إليك أمل ، ويسوقنى إليك بلوى ، والمجتهد يُعذر ، وإذ بلغتكَ فقط . فقال معاوية فاحطُط عن راحلتك رَحَلها .

ونخرج عبد العزى هذا مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة وأبوه زُرارة عند معاوية فهلك هناك : فكتب يزيد إلى أبيه معاوية بذلك — فقال معاوية لزُرارة : أتانى اليوم نعى سيد شباب العرب — قال زُرارة يا أمير المؤمنين هو أبى أو أبنك؟ — قال بل أبنك فقال ”لأوت ما تلد الوالدة“ . أخذ بعضهم هذا المعنى فقال

وَلِلْمَوْتِ تَغْدُو الْوَالِدَتُ سِخَالَهَا \* كَمَا لِحَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنَى الْمَسَاكِنُ

ومن ذلك ما يروى، أن مروان بن الحكم، وهو ولى على المدينة فى خلافة معاوية حبس غلاماً من بني ليث فى جناية جناها بالمدينة ، فأنته جدّة الغلام ”وهى أمُّ

(١) سِنَانِ بِنْتُ جَشْمِيَّةِ بْنِ خَرْشَةَ الْمَذْحِجِيَّةِ، فَكَلَّمَتْهُ فِي الْغَلَامِ، فَأَغْلَظَ لَهَا مِرْوَانَ، فَخَرَجَتْ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَأَنْتَسِبَتْ لَهُ فَعَرَفَهَا، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَةِ جَشْمِيَّةِ مَا أَقْدَمَكَ أَرْضَنَا؟ وَقَدْ عَهْدْتُكَ تَسْتَمِينَا، وَتُحْضِينِ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا، قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنْ لَبِنِي عَبْدُ مَنْأَفٍ أَخْلَاقًا طَاهِرَةً، وَأَعْلَامًا ظَاهِرَةً، لَا يَجْهَلُونَ بَعْدَ عِلْمٍ، وَلَا يَسْفَهُونَ بَعْدَ حِلْمٍ، وَلَا يَسْتَمُونَ بَعْدَ عَفْوٍ، وَإِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِاتِّبَاعِ مَا سَنَّ آبَاؤُهُ لَأَنْتَ، قَالَ: "صَدَقْتَ نَحْنُ كَذَلِكَ فَكَيْفَ قَوْلُكَ:

عَزَبَ الرُّقَادُ فَمُقَلَّتِي لَا تَرْقُدُ \* وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدُ  
يَا آلَ مَذْحِجٍ لَا مُقَامَ فَشَمِّرُوا \* إِنَّ الْعَدُوَّ لَالَ مَذْحِجٍ يَقْصِدُ  
هَذَا عَلَيٌّ كَالْهَلَالِ تَحْفُهُ \* وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكَوَاكِبِ أَسْعَدُ  
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَأَبْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ \* إِنْ يَهْدِكُمُ النُّورُ مِنْهُ تَهْتَدُوا  
مَا زَالَ مُدَّ شَهِدِ الْحُرُوبِ مَظْفَرًا \* وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يَفْقَدُ"

قَالَتْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا خَلْفًا بَعْدَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَهِيَ الْقَائِلَةُ:

إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الْحُسَيْنِ فَلَمْ تَزَلْ \* بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيًا مَهْدِيًا  
فَاذْهَبْ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ \* فَوْقَ الْغُصُونِ حَمَامَةٌ قُفْرِيًا  
قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا لَنَا \* أَوْصَى إِلَيْكَ بِنَا وَكُنْتَ وَفِيًا  
وَالْيَوْمَ لَا خَلْفَ يُؤْمَلُ بَعْدَهُ \* هِيَئَاتِ نَأْمَلُ بَعْدَهُ إِنْ سَيَا

قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: لِسَانُ نَطْقٍ، وَقَوْلٌ صَدَقَ، وَإِنَّ تَحْقِيقَ فَيْكَ مَا ظَنَّنَاهُ، فَحُظُّكَ الْأَوْفَرُ، وَاللَّهُ مَا أَوْزَرَكَ الشَّنَّانَ، فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَؤُلَاءِ، فَأَذْخُضْ

مقاتلتهم، وأبعد منزلتهم، فإنك إن فعلت ذلك تردد من الله قريبا، ومن المسلمين حبا. قال وإنك لتقولين ذلك؟ قالت: سبحان الله! والله ما مثلك من مدح باطل، ولا اعتذر إليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك من رأينا، وضمير قلبنا. كان على والله أحب إلينا منك، وأنت أحب إلينا من غيرك. قال ممن؟ قالت من مروان وسعيد بن العاص — قال وبم استحققت ذلك عندك؟ — قالت بسعة حليمك، وكريم عقوقك — قال وإنيهما يطمعان في ذلك — قالت هما والله من الرأي على ما كنت عليه لعثمان بن عفان — قال لقد قاربت فما حاجتك؟ — قالت: يا أمير المؤمنين! إن مروان تبك في المدينة تبك من لا يريد منها البراح، لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنة، يتبع عورات المؤمنين، حبس ابن أبي فأتيتسه فقال كيئت وكيئت، فأسمعت أخشن من الحجر، وألقمته أمر من الصبر. ثم رجعت إلى نفسي باللائمة، وقلت لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالغو منه، فأتيتك يا أمير المؤمنين، لتكون في أمري ناظرا، وعليه موعيا — قال صدقت لأسألك عن ذنبه، والقيام بحجته، اكتبوا لها بإطلاقه — قالت يا أمير المؤمنين وأنى بالرجعة وقد نفذ زادي، وكلت راحتي، فأمر لها بإحالة موطة وخمسة آلاف درهم.

ومن ذلك ما روى أن معاوية حج فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل الجحون يقال لها الدارمية، وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها بخي بها، فقال ما حالك يا أبنه حليم؟ — قالت لست لحليم أدعى، إن عبتني أنا امرأة من بنى كنانة — قال: صدقت أتدري لم أرسلت إليك؟ قالت لا أعلم الغيب إلا الله — قال: بعثت إليك لأسألك علام أحببت عليا وأبغضتيني، واليتيه وعاديتيني؟ — قالت أو تعفيني

يا أمير المؤمنين - قال لا أعفك - قالت أما إذا أبيت ، فإنى أحببت عليا على عدله  
 في الرعية ، وقسمه بالسوية ؛ وأبغضتك على قتالك من هو أولى بالأمر منك ، وطلبك  
 ما ليس لك بحق ؛ وواليت عليا على ما عقد له من الولاية ، وعلى حبه المساكين ،  
 وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك  
 بالهوى - قال ولذلك آتتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك - قالت يا هذا بهند  
 كانت تضرب الأمثال ، لابي - قال يا هذه أربعي فإنما لم نقل إلا خيرا إنه إذا آتتفخ  
 بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثديها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن  
 مجلسها فرجعت وسكنت - قال لها فهل رأيت عليا ؟ قالت لقد كنت رأيته -  
 قال كيف كنت رأيته ، قالت رأيته لم يفتنه الملك الذي فتتك ، ولم تشغله النعمة  
 التي شغلتك - قال لها : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم ، والله كان يحلو القلوب من  
 العمى ، كما يحلو الزيت الطست من الصدا - قال : صدقت فهل لك من حاجة ؟  
 قالت : وتفعل إذا سألتك ؟ - قال نعم - قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها خلها وراعيها -  
 قال تصنعين بها ماذا ؟ - قالت أغذى بألبانها الصغار ، وأستحيي بها الكبار ، وأصلح  
 بها بين العشائر - قال فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي ؟ - قالت ماء  
 ولا كصدا ، ومرعى ولا كالسعدان ، وقى ولا كاللك ، ياسبحان الله أو دونه ، فأنشأ  
 معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحل مني إليكم \* فن ذا الذي بعدى يؤمل للحلم ؟  
 خذيتها هنيئاً وأذكري فعل ماجد \* جزاك على حرب العداوة بالسلم .

ثم قال : أما والله ! لو كان عليا ما أعطاك منها شيئا - قالت والله ولا وبره واحدة

من مال المسلمين .



ومن ذلك ما يروى أن أم البراء بنت صفوان آستأذنت على معاوية فأذن لها فدخلت عليه ، وعليها ثلاثة دُرُوع بُرود تسحبها ذراعا ، قد لاثت على رأسها كورا كالمنسف فسأمت وجلست ؛ فقال لها معاوية كيف أنت يا ابنة صفوان ؟ - قالت بخير يا أمير المؤمنين - قال كيف حالك ؟ - قالت كسيت بعد نشاط - قال شتان بينك اليوم وحين تقولين :

يَا زَيْدُ دُونَكَ صَارِمًا ذَا رَوْنَقٍ \* عَضِبَ الْمَهْزَةَ لَيْسَ بِالْخَوَّارِ  
أَسْرِجَ جَوَادَكَ مُسْرِعًا وَمُسْمِرًا \* لِلْغَرْبِ غَيْرَ مُعَوِّدٍ لِفِرَارِ  
أَجِبِ الْإِمَامَ وَدُبُّ تَحْتَ لَوَائِهِ \* وَالْقَى الْعَدُوَّ بِصَارِمٍ بَتَّارِ  
يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ لَسْتُ قَعِيدَةً \* فَأَذُبَّ عَنْهُ عَسَاكِرَ الْفُجَّارِ

قالت قد كان ذلك ، ومثلك من عفا عما سلف ((وَمَنْ عَادَ فَيَتَّقِمْ اللهُ مِنْهُ)). قال هيئات ، أما والله لو عاد لعديت ، ولكنه اخترم منك - قالت أجل ! والله إنى لعلى بينة من ربى وهدى من أمرى - قال كيف كان قولك حين قتل ؟ - قالت أنسيته ؛ قال بعض جلسائه هو والله حين تقول :

يَا لِلرِّجَالِ لِعُظْمِ هَوْلِ مُصِيبَةٍ \* فَدَحَتْ فَلَيْسَ مُصَابَهَا بِالْحَائِلِ  
الشَّمْسُ كَاسِفَةٌ لَفَقْدِ إِمَامِنَا \* خَيْرِ الْخَلَائِقِ وَالْإِمَامِ الْعَادِلِ  
حَاشَى النَّبِيِّ لَقَدْ هَدَدَتْ قُوءَانَا <sup>(١)</sup> \* فَالْحَقُّ أَصْبَحَ خَاضِعًا لِلْبَاطِلِ

فقال معاوية : قاتلك الله فما تركت مقالا لقائل ، أذكركى حاجتك - قالت أما الآن فلا ، وقامت فعثرت ، فقالت تعس شانى على ! فقال زعمت أن لا ؛ قالت هو كما علمت ؛ فلما كان من الغد بعث إليها بجائزة ، وقال إذا ضيعت الحلم فَمَنْ يَحْفَظْهُ ؟

ومن ذلك أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدى بن أرطاة : أن أجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة فولّ القضاء أنفذهما ، فجمع بينهما ، وكانا غير راغبين في القضاء . فقال إياس : أيها الرجل سلّ عني وعن القاسم فقيهي المصير الحسن وأبّن سيرين ، وكان القاسم يأتي الحسن وأبّن سيرين ، وإياس لا يأتيهما ، فعلم القاسم أنه إن سألها عنه أشارا به ، فقال له : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه مني وأعلم بالقضاء ، فإن كنت كاذبا فما أشير عليك أن توليني وأنا كاذب ، وإن كنت صادقا فينبغي لك أن تقبل قولي — قال له إياس إنك جئت برجل فوقفت به على شفير جهنم فنبجني نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما كان — قال له عدى : أما إذ فهمتها فأنت لها فاستقضاء .

ومن ذلك : ما حكاه صاحب العقد عن زياد عن مالك بن أنس ، قال "خطب أبو جعفر المنصور ، حمد الله ، وأنهى عليه ؛ ثم قال : أيها الناس اتقوا الله ، فقام إليه رجل من عرّض الناس ، فقال أدّ كرك الذي ذكّرنا به . فأجابه أبو جعفر بلا فكرولا رويّة : سمعنا سمعا لمن ذكّر بالله ، وأعوذ بالله أن أدّ كرك به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم ؟ لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ؛ وأما أنت فوالله ما الله أردت بهذا ، ولكن ليقال قام فقال ، فعوقب فصبر ، وأهون بها لو كانت ؛ وأنا أذكركم أيها الناس أختها ، فإن الموعدة علينا نزلت ، وفيها أثبتت . ثم رجع إلى مكانه من الخطبة .

ومن ذلك : ما يحكي عن الربيع قال : كنا وقفا على رأس المنصور ، وقد طرّحت للهدى بن المنصور وسادة إذ أقبل صالح بن المنصور ، وكان قد رشّحه أن يولّه بعض أمره ، فقام بين السّماطين والناس على قدر أنسابهم ومواضعهم ، فتكلم فأجاد ، فبدّ

المنصور يده إليه ، ثم قال يا بُنَيَّ ! وأعتنقه ، ونظر في وجوه أصحابه هل فيهم أحد يذكر مقامه ويصف فضله ، فكلهم كره ذلك وهاب المهدي ، فقام شبة بن عقال التميمي ، فقال : "لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ! ما أفصح لسانه ! وأحسن بياناً ! وأمضى جناة ! وأبل ريقه ! وأسهل طريقه ! . وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه ، والمهدي أخوه ، وهو كما قال زهير بن أبي سلمى :

يَطْلُبُ شَأْوَ أَمْرَيْنِ قَدَمًا حَسَنًا \* بَدَأَ الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوْقَا

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَاوِهِمَا \* عَلَى تَكَالُفِهِ فَثَلَهُ لِحَقَا

أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَل \* فَمَثَلَ مَا قَدَمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

قال الربيع : فأقبل على بعض من حضر ، وقال والله ما رأيت مثل هذا تخلصاً (١) أرضى أمير المؤمنين ، ومدح الغلام ، وسلم من المهدي . فالتفت إلى المنصور ، وقال : ياربيع لا ينصرف التميمي إلا بثلاثين ألف درهم .

ومن ذلك ما حكى أن رجلاً دخل على المهدي ولي عهد المنصور ، فقال يا أمير المؤمنين إن أمير المؤمنين المنصور شتمني وقذف أمي ، فإما أمرتني أن أحلله ، وإما عوضتني فاستغفرت له — قال ولم شتمك ؟ — قال شتمت عدوه بحضرته ، فغضب — فقال ومن عدوه الذي غضب لشمته — قال إبراهيم بن عبد الله بن حسن — قال إن إبراهيم أمس به رجحاً ، وأوجب عليه حقاً ، فإن كان شتمك كما زعمت فعن رجحه ذب ، وعن عرضه دفع ، وما أساء من أنتصر لابن عمه — قال فإنه كان عدوه — قال فلم ينتصر للعداوة ، وإنما أنتصر للرحم ، فأسكت الرجل ، فلما ذهب ليوتى قال : لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعة عندك أبلغ من هذه الدعوى ؟ — قال نعم ، فتبسم وأمر له بخمسة آلاف درهم .

ومن ذلك ما حكى: أن المنصور قال لبعض قواده: صدق الذى قال "أَجْعُ كَلْبَكَ يَتَّبِعُكَ" فقال له أبو العباس الطوسى: أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يلوح له غيرك رغيفا فيتبعه ويدعك .

ومن ذلك ما يحكى: أنه وفد أهل الحجاز من قريش على هشام بن عبد الملك بن مروان، وفيهم محمد بن أبى الجهم بن حذيفة العدوى، وكان أعظمهم قدرا، وأكبرهم سنا؛ فقال — أصلح الله أمير المؤمنين، إن خطباء قريش قد قالت فيك، وأقلت وأكثرت وأطنبت، وما بلغ قائلهم قدرك، ولا أحصى مُطَنِّبهم فضلك؛ وإن أذنت فى القول قلت — قال قُلْ وأوجز — قال تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزينك بالتقوى، وجمع لك خير الآخرة والأولى! إن لى حوائج أفأذكرها، قال هاتها — قال كبرت سننى ودق عظمى، ونال الدهر منى؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى، وينفى فقرى — قال: وما الذى ينفى فقرى ويجبر كسرك؟ — قال ألف دينار، وألف دينار، وألف دينار. فأتى هشام طويلا، ثم قال: هيهات يابن أبى الجهم، بيت المال لا يحتمل ما سألت — فقال: أما إن الأمر لواحد، ولكن الله أثرك لمجلسك فإن تعطنا خفمنا أدت، وإن تمنعنا نسأل الذى بيده ما حوت؛ إن الله جعل العطاء محبة، والمنع مبغضة، ولأن أجبك أحب<sup>(١)</sup> إلى من أن أبغضك — قال: فألف دينار لماذا؟ — قال أقضى بها دينا قد حُم قضاؤه، وحناني حمله، وأضربى أهله — قال: فلا بأس تُنفَس كُرْبَة، وتودى أمانة؛ وألف دينار لماذا؟ — قال أزوج بها من بلغ من ولدى — قال: نعم المسلك سلكت، أغضضت بصرا، وأعفقت ذكرا، وروجت نسلا؛ وألف دينار لماذا؟ — قال

(١) فى الأصل . ولئن وهو خطأ فى الرسم .

أشترى بها أرضا يعيش بها ولدى ، وأستعين بفضلها على نوائب دهرى ، وتكون  
 ذُنْحًا لمن بعدى ؛ قال : فإننا قد أمرنا لك بما سألت — قال فالمحمودُ الله على ذلك ،  
 ونخرج — فقال هشام : ما رأيت رجلاً أوجز في مقال ، ولا أبلغ في بيان منه ، وإنا لنعرف  
 الحق إذا نزل ، ونكره الإسراف والبخل ، وما نُعطى تبذيراً ، ولا نمنع تقتيراً ، وما  
 نحن إلا خُرَّان الله في بلاده ، وأمناءه على عبادِهِ ، فإن أذن أعطينا ، وإذا منع أبينا ،  
 ولو كان كل قائل يصدق ، وكلُّ سائل يستحق ، ما جَبَّهنا قائلًا ، ولا ردَّدنا سائلًا ؛  
 فنسأل الذى بيده ما أَسَحَفْظُنَا أَنْ يُجَرِّيه على أيدينا فإنه يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَسَاءُ  
 ويُقدِّر ، إنه كانَ بِعِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا . فقالوا يا أمير المؤمنين لقد تكلمت فأبلغت ،  
 وما بلغ في كلامه ما قصصت ، فقال إنه مبتدى ، وليس المبتدى كالمقتدى .

والحكايات والأخبار فى ذلك كثيرة ، والإطناب يُخرج عن المقصود ، ويؤدى  
 إلى الملل ، وفيما ذكرنا من ذلك مَقْنَعٌ والله أعلم .

### المقصد الثالث

( فى كيفية تصرّف الكاتب فى مثل هذه المكاتبات والرسائل )

غير خاف على من تعاطى صناعة النثر والنظم أنه لا يستقلُّ أحد باستخراج جميع  
 المعانى بنفسه ، ولا يستغنى عن النظر فى كلام من تقدمه : لاقتباس ما فيه من المعانى  
 الرائقة ، والألفاظ الفائقة ، مع معرفة ترتيب أهل كل زمن وأصطلاحهم ، فينسج  
 على منوالهم ، أو يقترح طريقة تخالفهم ؛ وتوارد الكتاب والشعراء على المعانى غير  
 مجهول ، فإن التوارد يقع فى الشعر الذى هو مبنى على أصل واحد من وزن وقافية ،  
 فإنه إذا وقف على المعنى وترتيب الكلام ، عرف كيف ينسج الكلام ؛ مثل أن

يكتب في تهئة بمولود: قد جعلك الله من نَبْعَة طابَتْ مَغَارِسُهَا ، ورَسَخَتْ عُرْوَتُهَا ، فالزِيَادَةُ فيها زِيَادَةٌ في جَوْهَرِ الكَرَمِ ، وذَخِيرَةٌ نَفِيسَةٌ لِدَوَى الإِقْبَالِ ، فتَوَلَّى الله نِعَمَهُ عِنْدَكَ بِالْحِرَاسَةِ الْوَافِيَةِ ، وَالْوِلَايَةِ الْكَافِيَةِ . وقد بَلَغْنِي الْخَبَرُ بِحُدُوثِ الْوَلَدِ الْمُبَارِكِ ، وَالْفَرَعِ الطَّيِّبِ ، الَّذِي عَمَّرَ أَفْنِيَةَ السِّيَادَةِ ، وَأَضْحَكَ مَطْلَعَ السَّعَادَةِ ، فَنَبَّاشَرْتُ بِذَلِكَ وَأَبْتَهَجْتُ بِهِ ، بِجَعْلِهِ اللَّهُ بَرًّا تَقِيًّا ، سَعِيدًا حَمِيدًا ، يَتَقَبَّلُ سَلَفَهُ ، وَيَقْنِي أَثَرَهُمْ ؛ وَأَيَّمَنَ بِهِ عِدْدَكَ ، وَكَثَّرَ بِهِ ذُرِّيَّتَكَ ، وَأَوْزَعَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ ، وَأَجَارَكَ فِيهِ مِنَ الثَّنْكِ بِرَحْمَتِهِ .

فِيأْخِذُ آخِرَ الْمَعْنَى ، وَيُورِدُهُ بِالْفَظِّ الْآخَرِ ، يَقُولُ : قد جعلك الله من شجرة زَكَتْ غُصُونُهَا ، وَفَرَعَ شُرُفُ مَنَابِتِهَا ، فَالنَّمُو فِيهَا نِعْمَةٌ كَامِلَةٌ السَّعَادَةِ ، وَغِبْطَةٌ شَامِلَةٌ السَّرُورِ ، فَتَوَلَّى اللَّهُ فَضْلَهُ عَلَيْكَ بِالْحِفَاطِ الرَّاعِي ، وَالِدِّافِ الْكَالِي ؛ وَقَدْ أَتَصَلَ بِى خَبَرُ السَّلِيلِ الرِّضَى ، وَالْوَلَدِ الصَّالِحِ الَّذِي جَدَّدَ فَوَائِدَ السِّيَادَةِ ، وَثَبَّتَ أَسَاسَ الرِّفْعَةِ ، فَاعْتَبَطْتُ بِهِ وَأَسْتَبَشَرْتُ ، جَعْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا مَيِّمُونًا ، وَنَجْلًا سَعِيدًا ، يَسْلُكُ مَنَاجِجَ سَلَفِهِ ، وَيُجِدُّوهُ فِي الْحَاسَنِ حَذْوَهُمْ ، وَزَادَ بِهِ فِي ثَرَوَتِكَ ، وَأَرَاكَ فِيهِ غَايَةَ أَمْلِكَ ، وَسِرِّكَ بِوُجُودِهِ ، وَأَسْعَدَكَ بِرُؤْيَيْهِ .

فَالْمَعْنَى وَالْفَصْلُ وَاحِدٌ ، وَالْأَلْفَاظُ مُخْتَلِفَةٌ . وَكَذَلِكَ مَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى وَمَا فِي مَعْنَاهُ .

قلت : وَلَا يَنْهَضُ بِمِثْلِ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ رَسَخَتْ فِي صِنْعَةِ الْكِتَابَةِ قَدَمُهُ ، وَأَمْتَرَجَ بِأَجْزَاءِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ لَحْمَهُ وَدَمُهُ ؛ وَهَذَا الْمَنْهَجُ هُوَ أَحَدُ أَنْوَاعِ الْإِعْجَازِ فِي الْقِرْآنِ الْكَرِيمِ ، فَإِنَّ الْقِصَّةَ الْوَاحِدَةَ تُتَكَرَّرُ فِيهِ مَرَارًا فِي سُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، تَرْدُّ فِي كُلِّ سُورَةٍ بِلَفْظٍ وَتَرْكِيبٍ غَيْرِ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ فِي الْآخَرِ ، مَعَ اسْتِيفَاءِ حَدِّ الْبَلَاغَةِ وَنَهَايَةِ أَمَدِ الْفَصَاحَةِ ؛ وَلِذَلِكَ قَلَّ مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَنْهَجَ ، أَوْ ارْتَقَى هَذِهِ الدَّرَجَةَ ، وَقَدْ أَتَى عَلِيٌّ بْنُ

حمزة بن طلحة في كتابه "الأقتداء بالأفاضل" من ذلك بالعجب العجيب، فإنه قد استحسن كلام الخطيب ابن نباتة الفارقي، والأمير قابوس الخراساني، والوزير أبي القاسم المقرئ، والصاحب ابن عباد، وأبي إسحاق الصابي، الذين هم رؤساء الكتابة، وأئمة الخطابة، من الرسائل والعهود البديعة، والخطب الموجزة الرائقة، فجرد معانيها من ألفاظها، وأخترع لها ألفاظا غير ألفاظها، مع زيادة تنميق، ومراعاة ترصيف، على أتم نظام، وأحسن آلتنام .

وهاتان نسختا كتابين، الأولى منهما كتب بها أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة ابن بويه جوابا عن كتاب وصل إليه عن أخيه عضد الدولة يخبره بمولود ولد له .  
والثانية عارض بها علي بن حمزة المذكور أبا إسحاق الصابي في ذلك بألفاظ أخرى مع اتحاد المعنى .

فأما التي كتب بها أبو إسحاق الصابي عن عز الدولة إلى عضد الدولة فهي :

"وصل كتاب سيدي الأمير عضد الدولة أطل الله بقاءه بالخبر السار للأولياء ،  
الكاتب للأعداء، في الولد الحبيب الأثير، والسيد المقيّل الخطير، الذي زاد الله به  
في عددنا، وجدّد نعمه عندنا، وحقق فيه آمالنا والآمال لنا، فأخذ ذلك مني مأخذ  
الاعتباط ونزل عندي أعلى منازل الابتهاج، وسألت الله تعالى أن يختصه بالبقاء الطويل،  
والعمر المديد، وأن يجعل مواهبه لسيدى الأمير ناميةً بنحوه، ناشيةً بنشوّه : ليكون  
كلّ يوم من أيامه مُمّدا له من فضله عاده، وواعدة له من غده زياده، ومُحدّثا لديه  
منحةً تتضاعف إلى ما سبق من أمثاله، ومُحدّدا له عازمة تتلو ما سلف من أشكاليها،  
وأن يريه إياه غرةً في وجه دولته، ووارثا بعد سالفه البقاء لمزله، قائما لللك قيامه،  
وسادا منه مكانه، ويهّب له بعد الأكابر التجباء السابقين، أترابا من الإخوة لاحقين،

• تابع منهم من مباراة المتبوع، وشافع من مجاراة المشفوع، في فائدة تقدم بمقدمه، وعائدة ترد بمورده؛ ويحرس هذه السعادة من خلل يعترض اتصالها، أو فترة تخترم زمانها، أو نائبة تشوبها، أو تنقصها، أو رزية تثلّمها، أو تنقصها. إلا أنها الأمد الأبعد<sup>(١)</sup> والعمر الأطول؛ ثم تُفَضَّى به غَضارة هذه الدار الدنيا، إلى قرارة الدار الأخرى، مَبْوَأَ أَوْفَى مراتبها، مَبْلَغًا أَقْصَى مبالغها، حَالًا أَرْفَعَ درجاتها، مَخْتَصًا بِأَنْعُمِها، مَبْتَهَجًا بِهَا، مُسْتَمِرًّا مَا قَدَّمَهُ لِصَالِحِ سَعِيهِ، وَمُسْتَوِفًا مَا أَفَاءَهُ عَلَيْهِ مَتَجَرُّهُ الرَّاجِحَ، وَأَثَارُهُ الْبَادِيَةُ لِإِنْفَاقِهِ فِي أَيَّامِ نَظَرِي<sup>(٢)</sup> التّي آسْتَشَعَرْتُ نُورًا مِنْ سَنَائِهِ، وَأَنْسَيْتُ جَمَالَ مِنْ بَهَائِهِ، وَثَابَتَ مَصَالِحُهَا بِبَرَكَتِهِ، وَتَوَافَتْ خَيْرَاتُهَا بِبَيِّنِهِ؛ وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ السَّعَادَاتِ طَالِعَةُ عَلَيَّ بِمُطْلَعِهِ، وَأَسْبَابُهَا نَاجِمَةُ إِلَى بَمَنْجَمِهِ؛ فَلَوْ آسْتَطَعْتُ أَنْ أَكُونَ مَكَانَ كِتَابِي هَذَا مَشَافَهَا بِالْتَهْنِئَةِ لِسَيِّدِي الْأَمِيرِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَمَقْبَلًا لِبَسَاطَتِهِ، لَكُنْتُ أَوْلَى عِيْدِهِ بِالمَسَارَعَةِ إِلَى بَابِهِ، وَأَحَقُّهُمْ بِالمُبَادَرَةِ إِلَى فَنَائِهِ : لِأَنِّي مَعُوقٌ عَنْ تِلْكَ الخِدْمَةِ بِخِدْمَةِ أَنْفَائِهِ مِنْ قَبْلِهِ. وَمَقِيمٌ بِهَذِهِ الْحَضْرَةِ، إِقَامَةً الْمُتَصَرِّفِينَ تَحْتَ أَمْرِهِ، وَقَدْ وَفَّيْتُ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى، الْوَاهِبِ مِنْهُ أَيْدِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يُقَرَّرُ عَيْنَ الْوَلِيِّ، وَيُقَدَّرُ عَيْنَ الْعَدُوِّ وَيُطَرِّفُهَا، حَقَّقَهَا مِنَ الشُّكْرِ الْمُتَمَرِّئِ لِلْقَامِ وَالْمَزِيدِ، بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالتَّائِيدِ؛ وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مَقْبُولًا عَنْهُ، وَنَافِعًا لَهُ، وَعَائِدًا عَلَيْهِ وَعَلَيْنَا بِطُولِ الْعُمُرِ وَبِبَاهِي النُّشُوقِ وَالنَّمَاءِ، وَأَنْ يَعْرِفَ سَيِّدِي الْأَمِيرُ عَضِدَ الدَّوْلَةِ أَيْدِيَهُ اللَّهُ بَرَكَتَهُ مَوْلَدَهُ، وَيُؤْمِنَ مَوْرَدَهُ، وَيُفِيهِ حَتَّى يَرَاهُ وَالْأُمَرَاءَ السَّابِقِينَ أَيْدِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَبَاءَ أَمْنَاهُمْ، وَأَشْيَاخَ ذَرِيَّتِهِمْ، مَبْلَغًا فِي كُلِّ مِنْهُمْ أَفْضَلَ مَا رَشَّحْتَهُ لَهُ أَمَانِيهِ، وَأَعْلَى مَا أَنْبَسَطْتَ أَمَالَهُ فِيهِ، بِقُدْرَتِهِ. وَأَنَا أَتَوَقَّعُ الْكِتَابَ بِمَا يَقَرَّرُ عَلَيْهِ أَسْمُ الْأَمِيرِ السَّيِّدِ وَكُنْيَتِهِ، أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَسْتَأْنِفَ إِقَامَةَ الرَّسْمِ فِي مَكَاتِبِهِ، وَتَأْدِيَةَ الْفَرَضِ فِي خِدْمَتِهِ؛ وَسَيِّدِي عَضِدَ الدَّوْلَةِ،

(١) لعله الى إنها كما يفيد السياق . (٢) كذا في الأصول وليحرر .



أطال الله بقاءه ، أعلى عينا فيما يراه بمطالعتي بذلك وبكل ما يؤليه الله من مستأنف  
نعمه ، ويجتدده له في حادث مواهبه له ، لآخذ بحظي منهما ، فأضرب بسهمي فيهما ،  
وتصريف بين أمره ونهيه ، وتشريف بعوارض خدمته ، إن شاء الله تعالى .

وأما التي عارضها بها علي بن حمزة بن طلحة فهي :

وصلني كتاب سيدي الأمير عضد الدولة ، أطال الله بقاءه ، بالبشرى المتبسمة  
عن ناجذ السعد الآنف ، والتعنى المتبسمة عن صبا المجد المتضاعف ؛ التي أشرقت  
مطالع الإقبال عن محيّاها ، وتضوّعت نفحات درك الآمال عن رايّاها ، وصدقت  
من الأولياء ظنونهم المرتقبة ، وانتخبّت من الأعداء عيونهم المرتبة ؛ بالولد النجيب  
الخطير ، الأمير الحبيب الظهير ، المحيد المعمر ، المقيّل المؤمّر ، الذي كثّر الله به عدّدنا  
معشر أهليه ، وعدّدنا بما نرتقبه منه ونُراعيه ، وهو تَكْرِمَة تُحقّق ظنونا بما له نرتجيه ،  
وما نؤمّله من السعادة المقبلة فيه ؛ فاستفزّني غبطة استحوذت على جوامع لبي ،  
وتملكنتي بهجة ثوت في مرابع قلبي ، وطففت مبتهلا ، وتضرّعت متوسلا ، إلى ذي  
العرش المحيد ، الفعّال لما يُريد ، أن يجمع له بين العُمر المديد ، والحدّ السعيد ، كفاء  
ماقرن له بين المجد العتيد ، والمُلك الوطيد ؛ وأن يجعل تحيّا أياديه لدى سيدي  
الأمير متضاعفة الأعداد ، مترادفة الأمداد ، مبشرة بُجباء الأولاد ، يربى آنفها على  
السالف بسعده ، ويُلهي عن تالدها الطارف بعلو مجده ؛ وأن يريه إياه على مفرق  
دولته ، وغرة تُشرق في جبهة ذريته ، وناهضا بأعباء مملكته ، وقائما بنصرة دعوته ،  
حتى يرى أولاد أولاده جُودا ، مظفرا سعيذا ؛ وأن يُتبعه أترابا من الإخوة النجباء ؛  
الأماجد السعداء ؛ متجارين في حلّبات علو الهمم ، متبارين في مزيّات إيلاء النعم ؛  
ليترادّ أزدحام وفود السعادة في عتبات باب ، ويتراقد أقتحام جنود الإقبال رحيب  
جنابه ؛ ويحرّس لديه ماخوله من مواهبه وأياديه ، ويحفظ عليه مابه فضله من مناقبه

ومعاليه ؛ و يقيه من كيد عائد إذا عند ، ويحميه من شر حاسد إذا حسد ؛ وأن يؤتية عائدتي العاجلة والعقبى ، ويحظيه بسعادتي الآخرة والأولى ؛ وأن يجعل سعيه في مصالح عباده مشكورا ، ونظره في مناجح بلاده مبرورا ؛ وأن يغادر متاجر بره وتقواه رابحه ، كما جعل خواطر سره ونجواه صالحه ؛ فرياض الأيام بعذله نواضر ، ونواظر الأنام إلى فضله نواظر ؛ ومصالحهم يئمه وبركته موافيه ، وبراعتهم بهمته وسعادته مواتيه ؛ وإني لأعتقد أن مقبلي في أفاء السعادة ، ونبلي كل مأمول وإرادته ، وتوفيق فيما أوفق فيه ، بما أعتمدته وآتية ، جَدُول من تيار فضله وسعادته ، منوط العرى بسمو همته ؛ وأود أن أكون عوضا عن كتابي هذا إليه ، وخطابي الوارد آنفا عليه ؛ لأسعد بالألاء غرته ، وأحظى بالأشرف من خدمته ؛ أدام الله أيام دولته : لأني أجدر عبيده بالمهاجرة إلى بابه ، وأولى خدمه بالمبادرة إلى جنابه ؛ ولولا تحلي أعباء خدمته التي طوقنيها ، وكوني نائبه لدى هذه الحضرة فيها ، ثاويا بأوامره ونواهيها في مغانيها ، لما شق غباري من أم ذراه ، ولا أتبع آثارى مُسرِع رام لُقياه . ولقد قمت بالواجب على للنعمة أيده الله المتزلة إلى ، والموهبة بمقدمه كلاًه الله المُكَمَّلَة لدى ، التي أضحت بها نواجد المخلص ضاحكة مستبشرة ، وأمسّت بسببها وجوه الكاشحين عابسة مستبشرة : من وافر شكر يمتري المزيد ، وعتي الإمام والعبيد ، والصدقة الدائرة على التأبيد ؛ وأنا أرغب إلى الله تعالى رغبة متوسل إليه ، أمل بما لديه ، أن يجعل بركة كل خير دترت به أخلافه ، وكرت لأجله أحلافه ، عائدة عليه ، وميامنه ثابتة إليه ، مؤذنة بتعميره ملكا حلالا ، لا يلقى مؤملوه ليم فضله ساحلا ؛ وأن يمد لسيدى عضد الدولة في البقاء ، ويمتعه به وبسابقه من إخوته الأمراء ؛ ويريه فيهم وفيه ، قُصوى ماتسمو إليه هممه وأمانيه . وإني لمتوكف لما يصلني من كتاب ينبئ عن اسمه الكريم وكنيته ، لأعتمد ما أستوجهه في خدمته ومكاتبته ؛

وسيدى عضد الدولة أدام الله علاه، ولى ما يستصوبه ويراه : من الأمر بمكاتبتى بذلك وبمتجددات النعم ، وأوانف المواهب الغالية التقيم ، لآخذ وافر سهمى من السرور ، وجزيل قسَمى من الجَدَل والحبور ، وتصريفى بين أمره الممثل المطاع ، ونبيه المقابل بالاتباع ، إن شاء الله تعالى .

### النوع العاشر

الاستكثار من حفظ الأشعار الرائقة ، خصوصا أشعار العرب وما توفرت دواعى العلماء بها على اختياره : كالحماسة ، والمفضَّليات ، والأصمعيات ، وديوان هذيل ، وما أشبه ذلك ؛ وفهم معانيها وآستكشاف غوامضها ، والتوفر على مطالعة شروحها ؛ ويلتحق بذلك شعرُ المولدين من العرب ، وهم الذين كانوا فى أول الإسلام : بكثيرٍ والفرزدق ، والأخطل وغيرهم ؛ وكذلك حفظ جانب جيد من شعر المفلحين من المحدثين : كأبى تمام ، ومسلم بن الوليد ، والبحترى ، وأبن الرومى ، والمتنبى ونحوهم ؛ وفيه مقصدان :

### المقصد الأول

( فى بيان احتياج الكاتب إلى ذلك )

أما شعر العرب والمولدين فلما فى ذلك من غزارة المواد ، وصحة الاستشهاد ، وكثرة النقل ، وصقل مرآة العقل ، وانتزاع الأمثال ، والاحتذاء فى اختراع المعانى على أصح مثال ؛ والاطلاع على أصول اللغة وشواهداها ، والاضطلاع من نواذر العربية وشواردها . وقد كان الصدر الأول يعتنون بذلك غاية الاعتناء . قال محمد بن سلام عن بعض مشايخه " كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد

فيه بيت شعر". وذكر صاحب "الريحان والريعان" عن سعيد بن المسيب أنه قال :  
كان أبو بكر وعمر وعلىٌ يَحِيدُونَ الشعرَ وعلىٌ أشعرُ الثلاثة . قال : وكان عمر بن  
الخطاب يقول أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدّمها بين يدي حاجته  
يستعطف بها الكريم ، ويستنزل بها اللئيم . وقد ذكر عن الشافعي رضي الله عنه  
أو غيره من بعض الأئمة الأربعة : أنه كان يحفظ ديوان هذيل ، وأما قول الشافعي  
رضي الله عنه .

وَلَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يُزْرَى \* لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَيْدٍ

فإنه يريد من صرف همته إلى الشعر، بحيث صار شأنه وديدته، وهو المعنى بقوله  
صلى الله عليه وسلم "لَأنَّ يَمَلًا أَحَدُكُمْ جَوْفَهُ قَيْحًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمَلَّاهُ شَعْرًا" أى أراد  
صرف همته إليه حتى يملأ جوفه منه . وقد قال صلى الله عليه وسلم "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ  
لِحِكْمَةٍ" . وكان عمر رضي الله عنه يسمع البيت يُعْجِبُهُ فيكرره مراتٍ كما ذكره  
الحافظ وغيره . وقد ذكر أبو البركات بن الأنباري في كتاب "طبقات الأدباء"  
في ترجمة أبي جعفر أحمد بن إسحاق البهلول بن حسان الأنباري : أنه كان فقيها ،  
علما ، واسع الأدب وتقلد القضاء لعدة من الخلفاء . ثم حكى عن ولده أبي طالب  
أنه قال كنت مع والدي في جنازة بعض أهل بغداد من وجوه الناس وإلى جانبه  
أبو جعفر الطبري ، فأخذ أبي يعظ صاحب المصيبة ويسّله ، ويُشَدُّ أشعارا ،  
ويروى له أخبارا ، فداخله الطبري في ذلك ، ثم آتسع الأمر بينهما في المذاكرة ،  
ونجرا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم آتسحسها الحاضرون وأعجبوا بها ، وتعالى  
النهار وأفرقنا ، فقال لي أبي يا بُنَيَّ مَنْ هذا الشيخ الذي داخلنا في المذاكرة؟ فقلت :  
يا سيدي كأنك لم تعرفه ، فقال لا ، فقلت : هذا أبو جعفر الطبري ، فقال إنا لله !  
ما أحسنْتُ عِشْرَتِي معه ، فقلت كيف ياسيدي ؟ قال : ألا نَبَهْتَنِي في الحال ،

فكنت إذا كره بغير تلك المذاكرة؟ هذا رجل مشهور بالحفظ والاتساع في صنوف العلوم ، ماذا كرته بحسبها ، ومضت على ذلك مدة فحضرنا في حق آخر وجلسنا ، وإذا بالطبرى قد دخل إلى الحق . فقلت له : أيها القاضي هذا أبو جعفر الطبرى قد جاء مقبلا ، فأوماً إليه بالجلوس عنده ، فعدل إليه وجلس إلى جانبه ، وأخذ يحاربه ، فكما جاء إلى قصيدة ذكر الطبرى منها أبياتا ، قال أبى : هاتها يا أبا جعفر إلى آخرها فيتلعثم الطبرى فينشدها أبى إلى آخرها ، وكلما ذكر شيئا من السير ، قال أبى هذا كان في قصة فلان ، ويوم بنى فلان ، مرّ يا أبا جعفر فيه فربما مرّ فيه ، وربما تلعم ، فيمرّ أبى في جميعه . ثم قلنا ، فقال لى أبى : الآن شفيتُ صدرى .

وأما أشعار المحدثين ، فللطيف مأخذهم ، ودوران الصناعة في كلامهم ، ودقة توليد المعانى في أشعارهم ، وقرب أسلوبهم من أسلوب الخطابة ، والكتابة ، وخصوصا المتنبي ، الذى كأنه ينطق عن ألسنة الناس في محاوراتهم ، وكثير الاستشهاد بشعره حتى قلّ من يحمله ، فإذا أكثر المترشح للكتابة من حفظ الأشعار وتدبر معانيها ، ساقه الكلام إلى إبراز ذخيرة ما فى حفظه منها ، فاستعملها فى محلها ، ووضعها فى أماكنها ، على حسب ما يقتضيه الحال فى إيرادها وأقتباس معانيها .

## المقصود الثانى

( فى كيفية استعمال الشعر فى صناعة الكتابة )

علم أن للكاتب فى استعمال الشعر فى كتابته ثلاث حالات :

## الحالة الأولى

(الاستشهاد)

وهو أن يُورد البيت من الشعر، أو البيتين، أو أكثر في خلال الكلام المشور مطابقا لمعنى ما تقدم من النثر، ولا يشترط فيه أن ينبه عليه بقال ونحوه كما يشترط في الاستشهاد بآيات القرآن والأحاديث النبوية، فإن الشعر يتميز بوزنه وصيغته عن غيره من أنواع الكلام، فلا يحتاج إلى التنبيه عليه. وأكثر ما يكون ذلك في المكاتبات الإخوانيات: مثل ما كتب به القاضي الفاضل إلى بعض إخوانه يستوحش منه، ويتشوق إليه:

فِيَارَبِّ إِنِّ الْبَيْنَ أَصَحَّتْ صُرُوفُهُ \* عَلَى، وَمَالِي مِنْ مُعِينٍ فَكُنْ مَعِي  
عَلَى قُرْبِ عُدَّائِي وَبُعْدِ أَحِبَّتِي \* وَأُمُوَاهِ أَجْفَانِي وَنِيرَانِ أَضْلَعِي!

هذه تحية القلب المعدب، وسريرة الصبر المدبذب، وظلامة عزم السلوك المكذب، أصدرتها إلى المجلس وقد وقَدَّ في الحشا نأرها، الزفير أوارها، والدموع شرارها، والشوق آثارها، وفي الفؤاد ثأرها:

لَوْ زَارَنِي مِنْكُمْ خَيَالٌ هَاجِرٌ \* لَهَدَّتْهُ فِي ظُلُمَائِهِ أَنْوَارُهَا

أسفا على أيام الاجتماع التي كانت مواسم السرور والأسرار، ومباسم الثغور والأوطار، وتذكرا لأوقات عذب مذاقها، وأمتد بالأنس رواقها، وزوجت بكرها، ودوَّعب ذكراها:

وَاللَّهِ مَا تَسَيَّتْ نَفْسِي حَلَاوَتَهَا! \* فَكَيْفَ أَذْكُرُ أَيَّ الْيَوْمِ أَذْكُرُهَا؟

ومذ فارقت الحناب، لا زال جَنَّا جَنَانِهِ نَضِيرًا، وَسَنًا سَمَانُهُ مَسْتَطِيرًا، ومُلْكُهُ في الخلفين خافق الأعلام، وعزَّه على الحديدين جديد الأيام، لم أقف منه على

كُتِبَ تَحْتَفُ سَطُورُهُ مَا غَسَلَ الدَّمْعُ مِنْ سَوَادِ نَاطِرِي ، وَيُقَدِّمُ بِيَاضِ مَنْظُومِهِ  
وَمَنْشُورِهِ مَا وَزَّعَهُ الْبَيْنَ مِنْ سُودِاءِ خَاطِرِي

وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْأَحْشَاءِ إِلَّا صُبَابَةً \* مِنَ الصَّبْرِ تَجْرِي فِي الدَّمُوعِ الْبَوَادِرِ

وَأَسْأَلُهُ الْمَنَابَ ، بِشَرِيفِ الْجَنَابِ ؛ وَأَدَاءَ فَرَضِ ، تَقْيِيلِ الْأَرْضِ ؛ حَيْثُ تَلْتَقِي  
وَفُودَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَتَعْمُرُ الْبُيُوتَ الْعَامِرَةَ ، الْمُنَى الْغَامِرَةَ ، وَفَضْلُ الظِّلِّ غَيْرِ  
مَنْسُوخِ بَهْجِيرِهِ ، وَيُنَشِّرُ الْمَجْدُ بِشَخْصٍ لَا تَسْمَحُ الدُّنْيَا بِنَظِيرِهِ :

تَظَاهَرُ فِي الدُّنْيَا بِأَشْرَفِ ظَاهِرٍ \* فَلَمْ نَرَ أَتَقَى مِنْهُ غَيْرَ صَمِيرِهِ !

كَفَانِي نَفْرًا أَنْ أُسَمِّيَ بَعْبِدِهِ \* وَحَسْبِي هَدْيًا أَنْ أُسِيرَ بِنُورِهِ !

فَأَيُّ أَمِيرٍ لَيْسَ يَشْرَفُ قَدْرُهُ \* إِذَا مَا دَعَاهُ صَادِقًا بِأَمِيرِهِ ؟

وَإِنِّي فِي السُّؤَالِ بِكُتْبِهِ أَنْ يُوَصِّلَهَا لِيُوصِلَ بِهَا لَدَى تَهَانِي تَمَلُّأَ يَدَيَّ وَيُودِعَ بِهَا  
عِنْدِي مَسَرَّةً تَقْدَحُ فِي الشُّكْرِ زَنْدِي .

عَهْدُكَ ذَا عَهْدٍ هُوَ الْوَرْدُ نَضْرَةً \* وَمَا هُوَ مِثْلُ الْوَرْدِ فِي قِصْرِ الْعَهْدِ

وَأَنَا أَتَرَقَّبُ كِتَابَهُ أَرْتَقَابَ الْهَلَالِ : لَتُفْطِرَ عَيْنَ عَنِ الْكَرَى صَائِمُهُ ، وَتَرَدَّ نَفْسُ  
عَنْ مَوَارِدِ الْمَاءِ خَائِمُهُ اهـ .

بَلْ رُبَّمَا كَانَ كُلُّ الْمَكَاتِبَةِ أَوْ جُلُهَا شِعْرًا ، وَقَدْ يَكُونُ صَدْرُ الْمَكَاتِبَةِ شِعْرًا وَذِيْلُهَا  
نَثْرًا ، وَبِالْعَكْسِ . وَقَدْ يَكُونُ طَرَفَاها نَثْرًا وَأَوْسَطُهَا شِعْرًا ، وَعَكْسُ ذَلِكَ بِحَسَبِ  
مَا يَقْتَضِيهِ التَّرْتِيبُ ، وَيَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرْكِيبُ ؛ وَرُبَّمَا أَكْتَفَى بِالْبَيْتِ الْوَاحِدِ مِنَ الشَّعْرِ  
فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصِدِ وَبَلُوغِ الْغَرَضِ فِي الْمَكَاتِبَةِ : كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مَلُوكِ الْغَرْبِ  
إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتْبَهُ وَرَسَلَهُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي :

وَلَا تُكْتُبْ إِلَّا الْمَشْرِفَةَ عِنْدَهُ \* وَلَا تُرْسِلْ إِلَّا الْخَمِيْسَ الْعِزْمَرَمَ

إلى غير ذلك من المكاتبات المتضمنة للأشعار . أما مكاتبات الملوك الآن فقلّ  
أن تستعمل فيها الأشعار، أو يستشهد فيها بالمنظوم والمثور ، وقد تجىء التليقيات  
بأبيات الشعر في غير المكاتبات من الرسائل الموضوعة لرياضة الذهن ، وتقيح الفكر  
كالرسائل الموضوعة في صيد ملك أو فتح بلد أو نحو ذلك ؛ وقد أودعت المقامة التي  
أنشأتها في كتابة الإنشاء جملةً من الأبيات الشعرية ، وأردتها مورد الاستشهاد على  
ما يقتضيه المقام ، ويسوق إليه سياق الكلام ، على ما سلف ذكره عند الكلام على  
فضل الكتابة فيما تقدم . وعند مطالعة كلامهم ، والوقوف على رسائلهم ، ترى من  
أصناف الاستشهادات ما يروقك نظره ، ويُطربك سمعه .

### الحالة الثانية

(التضمين)

وهو أن يضمّن البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة . أما  
تضمين البيت الكامل من الشعر أو نصف البيت لبعض القرينة فمثل ما كتب به  
القاضي الفاضل :

وصل من الحضرة

كُتِبَ بِهِ مَاءُ الْحَيَاةِ وَقَعُهُ السَّحَابُ فَكَأَنِّي إِذْ ظَفِرْتُ بِهِ الْخَضِرُ

فوقفت عنده منه على

عقود، هي الذر الذي أنتَ بَحْرُهُ \* وَذَلِكَ مَا لَا يَدَّعِي مِثْلَهُ الْبَحْرُ

ورفعت منه في

رياض يدٍ تجنى وعينٍ وخاطرٍ \* تَسَابِقَ فِيهَا النُّورُ وَالزَّهْرُ وَالشَّمْرُ

وكرعت منه في حياض

تَسْرُجَانِيهَا إِذَا مَا جَنَى الظَّلَامُ \* وَتُرَوَّى بِجَارِيهَا إِذَا بَجَلِ الْقَطْرِ



وما زلت منه أنشده

كأني سار في سيرة ليلة \* فلما بدا كبرت إذ طلع الفجر  
ووافي على ما كنت أعهد

نحلت بأن العين من تحب كفه \* فمن ذا ومن ذا فيه ينثر الدر  
وأسترجع فأت الدماء من موره

وما كان عندي بعد ذنب فراقه \* بأني أرى يوماً به بعد الدهر  
ونفس عن النفس بأبيض أثماده وعين العين بأسود إثمده  
به لهما سبح <sup>(١)</sup> طويل فهذه \* على خاطر برد ، وفي خطر بدر  
وجدد إليه أشواقاً جديدها

يمر به ثوب الحديدن دائماً \* فيلبي ولا يلبى وإن بلي الدهر  
وذكر أياماً لا يزال يستعيدنها :

وهيات أن يأتي من الأمر فأت \* فدع عنك هذا الأمر قد قضى الأمر  
وأما تضمين نصف البيت فمثل قول القاضى الفاضل :

وصل كتاب مولاي بعدما ... \* أجاب المنادي للصلاة فأعما  
فلما استقر لدى ... \* تجلى الذي من جانب البدر أظلم  
فقرأته ... \* بعين إذا استمطرها أمطرت دما  
وساءلته ... \* فسألت مضروفاً عن النطق أعجبا

(١) في نسخة سمح . وفي أخرى سمح . وكلاهما تصحيف كما هو ظاهر اذ يشير إلى الآية الكريمة (إن لك في النهار

سبحاً طويلاً) .

ولم يرد جواباً، ... \* ... وما ذا عليه لو أجاب المتيم؟  
 ورددته قراءة، ... \* ... فعوجلت دون الحليم أن أتحملاً  
 وحفظته، ... \* ... كما يحفظ الحر الحديث المكنماً  
 وكثرته، ... \* ... فمن حيث ما واجهته قد تبسماً  
 وقبّله، ... \* ... فقبّلت دُراً في العقود منظرماً  
 ومثله، ... \* ... فكُنْتُ بمفروض الحبة قيماً  
 وأخلصت لكتابه، ... \* ... وليس على حكم الحوادث محكماً  
 ولم أصدقه! ... \* ... ولكنّه قد خالط اللحم والدماً  
 وأزخت وصوله، ... \* ... فكان لا يدي الوسائم موسماً<sup>(١)</sup>  
 وشفيت به غليل ... \* ... فؤاد أمنيّه وقد بلغ الظما  
 ودأوت عليل ... \* ... حشاً ضرماً فيه من النار ضرماً  
 فأما تلك الأيام التي ... \* ... حماها على اللوم المقام على الحما  
 والليالي العذاب التي ... \* ... ملأت بحور الليل بيضاً وأنجماً  
 وأرسلت الزفرة ... \* ... فلو صاحفت رضوى لرّض وهماً  
 وأسبلت العبرة ... \* ... كما أنشأ الأفق السحاب المديماً  
 وخطبت السلوة ... \* ... فأسأل معدوماً وأمل معدماً  
 فأما الشكر فإنما ... \* ... أفض به مسكاً عليه محمّماً  
 وأقوم منه بفرض ... \* ... أراني به دون البرية أقوماً  
 وأوفي واجب فرض ... \* ... وكيف توفى الأرض فرضاً من السما

(١) كذا في الأصل ولعله جمع يد وأضيف للتكلم .

وربما ركبت القرينة الكاملة على البيت أو نصف البيت كما كتب به القاضى  
الفاضل أيضا :

ورد كتاب الحضرة بعد أن عدت } وقد عشت دهرًا لا أعد الليالي  
الليالي ليلة بعد ليلة لطلوع صديعه

وبعد أن أنتظرت القيظ والشتاء } فما للنوى ترمي بليلى المرامي؟  
لفصل ربيع ... ..

وأستروحت إلى نسيم سحره ... \* إذا الصيف ألقى في الديار المراسيا

ومددت يدي لأقطاف ثمره ... \* فله ما أحلى وأحلى المجايا !

ووقفت على شكواه من زمانه ... \* فبت لشكواه من الدهر شاكيًا

وعجبت لعمى اللخط عن مكانه ... \* وقد جمع الرحمن فيه المعاني

وتوقعت له دولة يعلوها الفضل ... \* إذا هن من تلك اليراع عواليا

ورتبة يرتقي صهوتها بحكم العدل ... \* فرب مراق يعتدّن مهاويا

وإلى الله أرغب في إطلاع سعوده ... \* زواهر في أفق العلاء زواها

وفي إنهاض عثرات جدوده ... \* فقد عثرت بعد النهوض العواليا

وربما ركب نصف البيت على نصف القرينة ، كما ذكرت في المفارقة بين  
السيف والقلم في الكلام على لسان السيف في مخاطبته للقلم . وهو : وأنت وإن  
ذكرت في التنزيل ، وتمسكت من الامتنان بك في قوله «عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» بشبهة التفضيل ،  
فقد حرم الله تعالى تعلم خطك على رسوله ، وحرّمك من مس أنامله الشريفة ما يؤسى  
على فوته ويسرّ بحصوله ، لكنى قد نلت من هذه الرتبة أسنى المقاصد ، وشهدت  
معه من الوقائع ما لم تُشاهد ، وحلّاني من كفه شرفًا لا يزول حلّه أبدًا ، وقتت بنصره

في كل مُعْتَرَك . ، \* فَسَلَّ حُتَيْنًا وَسَلَّ بَدْرًا وَسَلَّ أَحَدًا \* ؛ فَرَكِبْتَ نَصْفَ بَيْتِ  
البردة على نصف قرينة . وما ذكرته في الرسالة التي كتبها للمقرّ الفتحيّ صاحب  
ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية بالديار المصرية . وهو قد ليس شرفاً  
لا تطمع الأيام في خلعه ، ولا يتطّلع الزمان إلى نزع ، وأنتهى إليه المجد فوقف ،  
وعرف الكرم مكانه فانحاز إليه وعطف ، وحلّت الرئاسة بفنائنه فاستغنت به عن  
السّوى ، وأناخت السيادة بأفئانه \* فالقّت عصاها وأستقرّ بها النوى \*

وقد يضمّن الكاتب بعض القرينة نصف بيت ، ثم يستطرد فيذكر أبياتاً كاملة  
الأجزاء على نمط أنصاف الأبيات التي يوردها ، كما فعل الشيخ ضياء الدين أحمد بن  
عمر بن يوسف القرطبيّ في رسالته للشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد تعمدهما الله  
برحمته في قوله :

وينهى ورود عذرائه التي ... \* لَهَا الشَّمْسُ خِذْنُهَا وَالنُّجُومُ وَلَا تُدْ  
وحسنائه التي ... \* لَهَا الدَّرُّ لَفْظُهَا وَالدَّرَارِي قَلَانْدُ  
ومشرفته التي ... \* لَهَا مِنْ بَرَاهِينِ الْبَيَانِ شَوَاهِدُ  
وكريمته التي ... \* لَهَا الْفَضْلُ وَرَدُهَا وَالْمَعَالِي مَوَارِدُ  
وآيتها الكبرى التي دلّ فضلها \* عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ الْفَضْلَ جَا حِدُ  
وَأَنْكَ سَيْفُ سَلَهَ اللَّهُ لِلْهَدْيِ \* وَلَيْسَ لَسَيْفٍ سَلَهَ اللَّهُ غَامِدُ

وقد يخالف بين قوافي أنصاف الأبيات التي يمزجها ببعض القرائن كما يخالف بين  
فواصل القرائن : كما في قول البديع الحمداني

أنا لقرب دار مولاي ... \* كَمَا طَرَبَ النَّشْوَانُ مَالَتْ بِهِ الْخَمَرُ  
ومن الأرتياح إلى لقائه ... \* كَمَا أَنْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَلَهُ الْقَطَرُ

ومن الأمتراج بولائه ... \* كما أَلْقَيْتِ الصَّهْبَاءُ والبارِدُ العَذْبُ  
ومن الأبتهاج بمزاره ... \* كما اهْتَرَّتْ تحتَ البارحِ الغُصْنُ الرُّطْبُ

إلى غير ذلك من فنون الأمتراج التي يزاوج فيها بين المنشور والمنظوم، وينتهى فيها الكاتب إلى ما يبلغ به القدر المحتوم .

أما تضمين بعض أبيات العرب في بعض قصائد المحدثين كما فعل القاضي الأترجاني في قوله من قصيدة مدح بها بعض الوزراء :

وأهدِ إلى الوزير المدمح يُجْمَلُ \* لَكَ المِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا  
وَرَافِقُ رُفْقَةٍ رَحَلُوا إِلَيْهِ \* فَأَبُوا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايَا  
وَقُلْ لِلرَّاحِلِينَ إِلَى ذُرَاهِ \* أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا  
وَلَا تَسْلُكُ سِوَى طُرُقِي فَإِنِّي \* أَنَا أَبْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا

فإن ذلك من وظيفة الشاعر لا الكاتب، وإن كان الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله قد أشار في كتابه "حسن التوسل" إلى التمثيل بذلك لما نحن بصددده .

## الحالة الثالثة

### (الحل)

وهو أن يعمد الكاتب إلى الأبيات من الشعر ذوات المعاني فيجعلها من عقل الشعر، ويسبكها في كلامه المنشور، فإن الشعر هو المادة الثالثة للكتابة بعد القراءة الكريم والأخبار النبوية، على فائتها أفضل الصلاة والسلام، وخصوصاً أشعار العرب فإنها ديوان أدبهم، ومستودع حكمهم، وأنفس علومهم في الجاهلية، به يفتخرون، وإليه يحتكمون . فإذا أكثر من حفظ الشعر وفهم معانيه، غزرت لديه المواد، وترادفت عليه المعاني، وتواردت على فكره، فيسهل عليه حينئذ حلها، ووضعها

في مكانها اللائق بها بحسب مقتضيات الكتابة . قال صاحب "الريحان والريعان" :  
وهو شأنٌ حُذِّقَ الكُتَّابُ في زماننا ، وفيه من الجمال فنون .

منها أنه يدل على حَقالة أدب المجيد ، واتِّساع الحفظ ، والتيسير والتأني لسبك  
اللفظ .

ومنها أنه ليس يُشهر منها إلا النادر للغاية في الحُسن ، فهي إذا حُلَّت يحاورها  
المنشئ بما يناسب حسنها في البراعة ، وهذا كثير في هذه الصنائه . قال في "المثل  
النساء" وإنما جعل المنظوم مادةً للمشور بخلاف العكس لأن الأشعار أكثر ،  
والمعاني فيها أغزر ، قال : وسبب ذلك أن العرب الذين هم أهل الفصاحة كان  
جُلُّ كلامهم شعرا ، ولا يوجد الكلام المشور في كلامهم إلا يسيرا ، ولو كثُر فإنه لم  
يُنقل عنهم بل المنقول عنهم الشعر فأودعوا أشعارهم كل المعاني كما قال الله تعالى  
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ . ثم جاء الطراز الأول من المُخَضَّرِين فلم يكن لهم إلا  
الشعر . ثم استمر الحال على ذلك فكان الشعر هو الأَكْثَر ، والكلام المشور بالنسبة  
إليه قطرةٌ من بحر ، فلذلك صارت المعاني كلها مُودعة في الأشعار . قال في "حسن  
التوسل" "والحلُّ باب متسع على المجيد بمجآله ، وتتصَرَّف في كلام العارف به رويته  
وآرتجآله .

قال صاحب "الريحان والريعان" وأول من فك رقاب الشعر، وسرَّح مقيدَه إلى  
النثر، عبد الحميد الأكبر، كاتب بني أمية إلى أنقضاء خلافتهم . قال : وربما رآه  
غير المطبوع المتصَرِّف فعقده وأفسده كما قال القائل : (بعضهم يحلُّ فيعقد . قال :  
وكيفية الحل أن يتوشَّح هذا البيت المنظوم وحلَّ فرائده من سلكه . ثم ترتيب  
تلك الفرائد وما شابهها ترتيباً ممكن لم يحظره الوزن ولا أضطرَّته القافية ، ويرزها

في أحسن سلك، وأجمل قالب وأصح سبك، ويكملها بما يناسبها من أنواع البديع إذا أمكن ذلك من غير كلفة، ويتخير لها القرائن. وإذا تم معه المعنى المحلول في قرينة واحدة يفرض له من حاصل فكره، أو من ذخيرة حفظه، ما يناسبه. وله أن ينقل المعنى إذا لم يفسده إلى ما شاء؛ فإن كان نسيبا وتأثي له أن يجعله مديحا فليفعل؛ وكذلك غيره من الأنواع. وإذا أراد الحل بالمعنى فتكن ألفاظه مناسبة لألفاظ البيت المحلول غير قاصرة عنها، فتقصر ولو بلفظة واحدة، فسد ذلك الحل وعُدّ معيبا. وإذا حلّ اللفظ فلا يتصرف بتقديم وتأخير ولا تبديل، إلا مع مراعاة تدوير الفصاحة، واجتناب ما ينقص المعنى أو يحطّ رتبته.

قال: وهذا الباب لا تنحصر المقاصد فيه، ولا حجر على المتصرف فيه.

ثم حل الأبيات الشعرية وأستعملها في الشعر على ثلاثة أضرب:

### الضرب الأول

(أن يأخذ الناثر البيت من الشعر فيثّره بلفظه، وهو أدنى مراتب الحل)

قال في "المثل السائر" وهو عيب فاحش إذ لم يزد في ثره على أنه أزال روتق الوزن وطلاوة النظم لا غير. قال ومثله كن أخذ عقدا قد أثقن نظمته، وأحسن تأليفه، فأوهاه وبدّده؛ وكان يقوم عذره في ذلك لو نقله عن كونه عقدا إلى صورة أخرى مثله أو أحسن منه. وأيضا فإنه إذا ثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهورا السرقة فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شيء. وبالجملة فحل الشعر بلفظه لا يخرج عن حالين:

الحال الأول — أن يكون الشعر مما يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير بعضها، وله في حله طريقتان:

الطريق الأول — أن يحلّه بالتقديم والتأخير من غير زيادة في لفظه : كما ذكر صاحب "الصناعتين" عن بعض الكتاب أنه حلّ قول البحترى :

أُطِلَّ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وَتَهْوِينَ شَأْنِهَا \* فَمَا الْغَافِلُ الْمَغْرُورُ فِيهَا بِعَاقِلٍ  
يَرْجَى الْخُلُودَ مَعْشَرُ ضَلَّ سَعِيهِمْ \* وَدُونَ الَّذِي يَرْجُونَ غَوْلَ الْغَوَائِلِ  
إِذَا مَا حَرِيْزُ الْقَوْمِ بَاتَ وَمَا لَهُ \* مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ

فقال في نثرها : أُطِلَّ تهوينَ شأنِ الدنيا وجَفْوَتَهَا، فَمَا الْمَغْرُورُ الْغَافِلُ فِيهَا بِعَاقِلٍ .  
وَيَرْجُو مَعْشَرَ ضَلَّ سَعِيهِمْ الْخُلُودَ ، وَغَوْلَ الْغَوَائِلِ دُونَ مَا يَرْجُونَ . وَإِذَا بَاتَ حَرِيْزُ  
الْقَوْمِ وَمَا لَهُ مِنْ اللَّهِ وَاقٍ فَهُوَ بَادِي الْمَقَاتِلِ . فلم يزد في ألفاظها شيئا .

الطريق الثانى — أن يحلّه بزيادة على لفظه كما حكى الجاحظ عن قليب المعتزلى  
أنه سمع منشدا يُنشد للعتبى .

أَفَلْتَ بِطَالْتُهُ وَرَاجَعُهُ \* حِلْمٌ وَأَعْقَبَهُ الْهَوَى نَدْمَا  
أَلْقَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ كَلْكَلَهُ \* وَأَعَارَهُ الْإِقْتَارُ وَالْعَدَمَا  
فَإِذَا أَلَمَ بِهِ أَخُو ثِقَةٍ \* غَضَّ الْجَفُونُ وَبَجَجَ الْكَلِمَا

فنثرها فقال يستعطف بعض الملوك على رجل من أهله : جعلنى الله فِدَاكَ  
ليس هو اليوم كما كان ، إنه وحياتِكَ أَفَلْتَ بِطَالْتُهُ ، إِي وَاللَّهِ وَرَاجَعُهُ حِلْمُهُ ، وَأَعْقَبَهُ  
وَحَقَّقَ الْهَوَى نَدْمَا . أَخْنَى الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَاللَّهُ بِكَلْكَلِهِ ، فَهُوَ الْيَوْمَ إِذَا رَأَى أَخَا ثِقَةٍ  
غَضَّ بَصْرَهُ وَبَجَجَ كَلَامَهُ . فزاد في نثره ألفاظا على ألفاظ الشعر .

ونحو ذلك ما حكاه ضياء الدين بن الأثير عن بعض العراقيين أنه نثر قول بعض  
شعراء الحماسة :



وَأَلَدَّ ذِي حَنْقٍ عَلَى كَأْتَمًا \* تَغْلِي عَدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلٍ  
أَرْجَيْتُهُ عَنِّي فَأَبْصَرَ قَصْدَهُ \* وَكَوَيْتُهُ فَوْقَ النَّوَظِرِ مِنْ عَلٍ

فقال في ثره : فكم لقي ألد ذا حنق كأنه ينظر إلى الكواكب من عل وتغلي  
عداوة صدره في مِرْجَل فكواه فوق ناظريه ، وأكبّه لِقَمِهِ ويديه .

الحال الثاني — أن يكون الشعر مما لا يمكن حله بتقديم بعض ألفاظه وتأخير  
بعضها ، فيحتاج في ثره إلى الزيادة فيه ، والنقص منه ، وتغيير بعض ألفاظه حتى  
يستقيم كقول الشاعر :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ \* فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ

فإن المصراع الثاني من البيت لا يمكن حله بالتقديم والتأخير لأنك تقول  
في المصراع الأول : فُؤَادُ الْفَتَى نصف ولسانه نصف ولا يمكن ذلك في المصراع  
الثاني حتى تزيد فيه أو تنقص منه فتقول مثلا فُؤَادُ الْفَتَى نصف ولسانه نصف على  
ما تقدم . ثم تقول وصورته من اللحم والدم فضلة لا غناء بها دونهما ، ولا معول عليها  
إلا معهما .

قال في "الصناعتين" : وزيادة الألفاظ التي تحصل فيه ليست بضائرة لأن  
بسط الألفاظ في أنواع المنشور شائع ؛ ألا ترى أنها تحتاج إلى الأزدواج ؛ ومن  
الأزدواج ما يكون بتكرير كلمتين لهما معنى واحد وليس ذلك بقبيح ؛ إلا إذا اتفق  
لفظاهما ؛ إلا أن أكثر ما يحسن فيه إيراد المعنى على غاية ما يمكن من الإيجاز ، ومعنى  
قوله فلم يبق إلا صورة اللحم والدم داخل في قوله \* لسان الفتى نصف ونصف فؤاده \*  
والمصراع الثاني تذييل للمصراع الأول . قال : فإذا أردت أن تحله حلا مقتصرًا بغير  
لفظه ، قلت الإنسان شطران : لسان وجنان ، وقريب من ذلك قول أبي نؤاس .

أَلَا يَأْنِ الَّذِينَ فَنُوا وَبَادُوا \* أَمَا وَاللَّهِ مَازَهُبُوا لَتَبْقَى

فإن المصراع الأول يمكن حله بأن تقول ألا يأن الذين بادوا وفنوا فيكون مستقيماً . أما المصراع الثاني فإنه إن قُدم فيه أو أخر بأن قيل مازهبوا لتبقى أما والله فإنه لا يستقيم فتححتاج في نثره إلى تغيير وزيادة فنقول : ألا يأن الذين ماتوا ومضوا وظهرنا ونأوا أما والله ماظعنوا لتقيم ، ولا راموا لتريم ، ولا موتوا لتحيّا ، ولا فنوا لتبقى . قال في ”الصناعتين“ وفي هذه الألفاظ طول وليس بضائر على ما تقدم . قال : وإن أردت اختصاره قلت أما والله إن الموت لم يصيبك في أيك إلا ليصيبك فيك .

### الضرب الثاني

(وهو أعلى من الضرب الأول أن ينثر المنظوم ببعض ألفاظه ويعرم عن

البعض ألفاظاً أخر . ويحسن ذلك في حالين)

الحال الأول — أن يكون في الشعر ألفاظ لا يقوم غيرها من الألفاظ مقامها بأن

تكون مثلاً سائراً أو جارية مجرى المثل : كقول بعض شعراء الحماسة :

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِحْ إِبِلِي \* بَنُو اللَّقِيْطَةِ مِنْ دُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ

فإن لفظ بنى اللقيطة لا يقوم غيره من الألفاظ مقامه لكونه علماً على قوم مخصوصين فيحتاج النائر أن يبقيه بلفظه ، كما فعل ”ضياء الدين بن الأثير“ في قوله في نثر البيت المذكور : لست ممن تسبيح إبلة بنو اللقيطة ، ولا الذي إذا هم بأمر كانت الآمال إليه وسيطه ، ولكنني أحيى الهمل ، وأفوت الأمل ، وأقول سبق السيف العذل . وكذلك كل ما جرى هذا المجرى ونحوه .

الحال الثانى — أن يكون فى البيت لفظ رائق : قد أخذ من الفصاحة بزمامها ، وأحاط من البلاغة بجوانبها ؛ فيبقى على حاله ، ويقرنه بلفظ يماثله ويوازنه ، قال فى "المثل السائر" : وهناك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشاكلة ، ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المترجلة ؛ فإنه إذا أخذ لفظا لشاعر مجيد ، قد نقحه وصححه ، فقرنه بما لا يلائمه كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصى ؛ ولا خفاء بما فى ذلك من الانتصاب للقدح ، والاستهداف للطعن . قال : وهو عندى أصعب مثلا من نثر الشعر بغير لفظه ؛ لأنه يسلك مضيقا ، لما فيه من التعرض للمماثلة ما هو فى غاية الحسن والجودة . بخلاف نثر الشعر بغير لفظه فإن نثره يتصرف فيه على حسب ما يراه ، ولا يكون مقيدا فيه بمثل يضطر إلى مؤاخاته ؛ ومثل لذلك بقول أبى تمام فى وصف قصيد له :

حَدَّاءَ تَمْلَأُ كُلَّ أُذُنٍ حِكْمَةً \* وَبَلَاغَةً وَتَدْرُكُ كُلَّ وَرِيدٍ

ثم قال : فقلوه تملأ كل أذن حكمة من الكلام الحسن ، وهو أحسن ما فى البيت وأشهر ، فلو قال قائل لمن هذا ؟ قيل وهل يخفى القمر ، وإذا عُرِفَ الكلام صارت المعرفة له علامه ، ولم يُخَشَّ عليه سرقة إذ لو سُرِقَ لدلت عليه الوسامة ، ومن خصائص صفاته أنه يملأ كل أذن حكمه ، ويعمل فصاحة كل لسان عُجْمَه . فبقى لفظ تملأ كل أذن حكمة وأتى معها بما يناسبها من الألفاظ الحسنة الرائقة . ونحو ذلك ما ذكره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي : أنه يؤاخى القرينة المحلولة بمثلها من عنده كما فعل هو فى تقليد من التقاليد فقال : \* فكم ملَّ ضوؤُ الصُّبْحِ مِمَّا يُغْيِرُهُ \* ثم قال : وظلامُ النَّعَمِ مِمَّا يُثِيرُهُ . وقال أيضا : وفلَّ حَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا يُلَاطِمُهُ \* ثم قال : والأجل مما يسابقه إلى قبض النفوس وإزاجه . والقرينتان الأوليان نصفان بيتين للتنبي فأضاف إلى كل قرينة ما يناسبها . قال : وهذا من أكثر ما يستعمل فى الكتابة .

## الضرب الثالث .

(وهو أعلى من الضربين الأولين أن يأخذ المعنى فيكسوه ألفاظا من عنده

ويصوغه بألفاظ غير ألفاظه )

قال في "المثل السائر" : "وَمَّ يَتَيْنُ حَذَقُ الصائغِ في صياغته ؛ فإن أستطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية ، وإلا أحسن التصرف وأتقن التأليف ؛ ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .

وتعلم أن الأبيات الشعرية في حلها بالمعنى لها حالان .

الحال الأول — أن يكون البيت الشعر مما يتسع المجال لناثره في ثره فيورده بضروب من العبارات . قال ابن الأثير " وذلك عندى شبهه بالمسائل السائلة في الحساب التي يجاب عنها بعدة من الأجوبة " . فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :  
لَا تَعْدِلِ الْمُشْتَقَّ فِي أَشْوَاقِهِ \* حَتَّى تَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ

فهذا البيت يُتَصَرَّفُ في ثره في وجوه من المعاني . وقد نثر ابن الأثير هذا البيت فقال : " لَا تَعْدِلِ الْحَبَّ فِيمَا يَهْوَاهُ ، حَتَّى تَطْوِيَ الْقَلْبَ عَلَى مَا طَوَاهُ " . ونثره على وجه آخر فقال : " إِذَا اخْتَلَفَتِ الْعَيْنَانِ فِي النَّظَرِ ، فَالْعَدْلُ ضَرْبٌ مِنَ الْمَذَرِّ " . وكذلك قول المتنبي أيضا :

إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدَمَوِعِهِ \* مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ

نثره ابن الأثير فقال : " الْقَتِيلُ بِسَيْفِ الْعُيُونِ ، كَالْقَتِيلِ بِسَيْفِ الْمُتُونِ ؛ غير أن ذلك لَا يُجَرَّدُ مِنْ غِمْدِهِ ، وَلَا يُقَادُ صَاحِبَهُ بَعْمَدِهِ " . فزاد على المعنى الذي تضمنه البيت عدم القود بالعمد . ونثره على وجه آخر فقال : " دُمُ الْحَبِّ وَدَمُ الْقَتِيلِ ، مُتَّفَقَانِ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ ؛ وَلَا تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا ، سِوَى أَنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ لَوْنًا " . قال وهذا أحسن من الأول .

وعلى هذا النهج يجري قول ابن الرومي في وصف الحديث :

وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ أَوْ أَنَّهُ \* لَمْ يَجْنِ قَتْلُ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ

ثره الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في وصف السيوف فقال : وكفى السيوف  
نفرا أنها للجنة ظلال ، وإلى النصر مآل ؛ وإذا كان من بيان الحديث سحر ، فإن بيان  
حديثها عن كلمته هو السحر الحلال . ثم نقله إلى وصف الأسنّة فقال : حَسْبُ  
الْأَسِنَّةِ الْأَسِنَّةُ شَرَفًا أَنْ كَشَفَ خَبَايَا الْقُلُوبِ يُدْمُ إِلَّا مِنْهَا ، وَأَنْ بَثَّ أَسْرَارَ الضَّمَائِرِ  
تُكْرَهُ رَوَايَتُهُ إِلَّا غِنَاءٌ ؛ فَمُكْرَرٌ حَدِيثُهَا فِي ذَلِكَ لَا يُقْضَى إِلَى مَلَالٍ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ  
حُسْنُ حَدِيثِهَا الَّذِي يَسَحَرُ الْأَلْبَابَ مِمَّا يَحِلُّ ، فَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ سِحْرٌ حَلَالٌ .  
ثم نقله إلى وصف البلاغة فقال : البلاغة تَسَحَرُ الْأَلْبَابَ حَتَّى تُخِيلَ الْعَرَضَ جَوْهَرًا  
وَتُخِيلَ الْهَوَاءَ الْمُدْرَكَ بِالسَّمْعِ لَا نَسْجَامَهُ وَعُدُوْبَتَهُ فِي الذَّوْقِ نَهْرًا ؛ لَكِنَّهُ سِحْرٌ لَمْ يَجْنِ  
قَتْلُ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ ، فَيَتَأَوَّلُ فِي حِلِّهِ ، وَإِذَا كَانَ فِي الْحَدِيثِ مَا هُوَ عُقْلَةٌ لِلْمُسْتَوْفِزِ ،  
فَهَذَا أَتَشْوِطُهُ تَشَاوُطُ الْبَلِغِ وَحُلُّ عِقَالِ عَقْلِهِ . ونقله إلى وصف الكتابة . فقال :  
خَطُّهُ شَرَكُ الْعُقُولِ ، وَفَنَتُهُ تَشْغَلُ الْمُطْمَئِنِّ بِمَلَاةِ الْمُرْتِي الْمَكْتُوبِ ، عَنْ فَصَاحَةِ  
الْمَسْمُوعِ الْمَقُولِ ؛ وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْبَيَانُ سِحْرًا ، لَمَا تَجَسَّدَتْ مِنْهُ فِي طَرْسِهِ هَذِهِ الدَّرَرُ ،  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَعْضُ السَّحَرِ حَلَالًا ، لَمَا أَتَجَلَّى ظَلَامُ النَّفْسِ عَمَّا يُهْتَدَى بِهِ مِنْ هَذِهِ  
الْأَوْضَاحِ وَالْقُرَرِ .

الحال الثاني — أن يكون البيت الشعر مما يضيق المجال فيه فيعسر على الناثر  
تبديل ألفاظه ، وذلك قليل بالنسبة إلى ما يتسع في حله المجال . قال في "المثل السائر" :  
وسببه أن المعنى ينحصر في مقصد من المقاصد حتى لا يكاد يأتي إلا فذًا . فمن ذلك  
قول أبي تمام الطائي من قصيدة .

تَرْدِي ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى \* بِهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضِرِ  
فإن أبا تمام قصد المؤاخاة في ذكر لوني الثياب بين الأحمر والأخضر، وجاء  
ذلك واقعا على المعنى الذى أراده : من لون ثياب القتلى وثياب الجنة ؛ فإن ثياب  
القتلى حمر وثياب الجنة خضر .

قال ابن الأثير : فإذا فُكَّ نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير لفظه لم يمكن ؛  
فيجب على الناثر أن يحسن الصنعة في فكّ نظامه ؛ لأنه يتصدى لشره بالفاظه ؛ فإن  
كان عنده قوّة تصرّف ، وبَسْطَة عبارة ، فإنه يأتى به حسنا رائقا . وقد نثر هذا  
البيت فقال : لم تكسه المنايا نَسْجَ شِفَارِهَا ، حتى كسته الجنة نَسْجَ شِعَارِهَا : فبدّل  
أحمر ثوبه بأخضره ، وكأس حِمَامِهِ بكأس كَوَثَرِهِ . قال : وهذا من الحُسن على  
غاية يكون كمد حُسودها ، من جملة شُهودها . ومن ذلك قول أبى الطيّب :

وَكَانَ يَهَامِلُ الْجُنُونَ فَأَصْبَحَتْ \* وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ

فإن أبا الطيّب بنى بيته على واقعة مخصوصة . وذلك أن حصنا من حصون  
سيف الدولة قصده الروم ، وأنترعوه ، ونخرّبوه ؛ فهدّ سيف الدولة إليه وأسترجه ،  
وجدد بناءه ، وهزم الروم ، ونصب جملة من جُثِّ القتلى على السور ؛ فنظم أبو الطيّب  
في هذا قصيدا أوله .

\* على قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ \*

ولما انتهى إلى ذكر الحصن ، جاء بهذا البيت في جملة أبيات ، فشرح صورة  
الحال ، في آرتجاع الحصن بالقتال وتعليق القتلى عليه ؛ وأبرز ذلك في معنى التمثيل  
بالجنون والتمايم . وهذا لا يمكن تبديل لفظه ؛ فيجب على الناثر حسن الصنعة  
في حله ونثره . وقد نثره ابن الأثير أيضا فقال : سرى إلى حصن كذا مستعيذا منه  
سبيّة نزعها العدو اختلاسا ، وأخذها محادعة لا أقراسا ؛ فما نزلها حتى استقادها ؛

ولا نازلها حتى استعادها ؛ فكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمها عزائم ، وعلق عليها من رؤوس القتلى تمام ؛ ثم قال : وفي هذا من الحسن ما لا خفاء فيه . فمن شاء أن ينثر شعرا فليثر هكذا وإلا فليترك . ثم نقله إلى معنى آخر ، وأبرزه في صورة أخرى فأضاف إليه البيت الذي قبله من القصيدة فصار على هذه الصورة .

بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَقْرَعُ الْقَنَا \* وَمَوْجُ الْمَنَايَا حَوَّلَا مَتَلَاظِمُ  
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ \* وَمِنْ جُنْثِ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ

ثم نثرهما فقال : بناها والأسنه في بناها متخاصمه ، وأمواج المنايا فوق أيدي البائين متلاطمه ؛ وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها برنّض الجياد ، وأصيبت بمثل الجنون فعلقت عليها تمام من الرؤوس والأجساد . ولا شك أن الحرب <sup>(١)</sup> تعرد عن عز جانبها ، وتقول ألا هكذا فليكبس المجد كاسبه . قال وهذا أحسن من الأول وأتم معنى . ثم تصرف فيه بزيادة على هذا المعنى فقال : بناها ، ودون ذاك البناء شوك الأسل ، وطوفان المنايا الذي لا يقال سآوى منه إلى جبل ؛ ولم يكن بناؤها إلا بعد أن هُدمت رؤوس عن أعناق ، وكأنما أصيبت بجنون فعلقت القتلى عليها مكان التمايم أو شينت بعتل فعلقت مكان الأطواق . قال وهذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذي قبله .

قلت : وكما ينبغي الإكثار من حفظ الأشعار على ما تقدم ليوردها في خلال كلامه استشهدا وتضمينا أو يحلها ويقتبس معانيها في نثره على ما تقدم بيانه كذلك ينبغي له معرفة المشاهير من الشعراء الطائري السمعة : من شعراء الجاهلية كأمري القيس ابن حجر ، والناطقة الذبياني ، وطرفة بن العبد ، وأوس بن حجر ، وزهير ابن أبي سلمى ، والأفوه الأودي ، والمتلمس ، والأعشى ، وعلقمة بن عبدة ، وعمرو

(١) أى تفرّ وتجنّ يقال عرّد الرجل عن قرنه إذا فرونكل . انظر اللسان .

أَبْنُ كُثْلُومَ ، وَالْمَرْقَشُ ، وَالنَّمِرُ بْنُ تَوَلْبَ ، وَمُهَلِّيلُ ، وَطَنْفِيلُ الْغَنَوِيُّ ، وَعُرْوَةُ بْنُ الْوَرْدِ ،  
وَقَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ ، وَالشَّمَاخُ بْنُ ضِرَارٍ ، وَعَنْتَرَةُ ، وَالسَّمُوعِلُ بْنُ عَادِيَا ، وَمَنْ  
جَرَى بُجَاهَهُمْ .

وَمَنْ الْمُخَضَّمِينَ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ جَمِيعًا : حَكَّاسُ بْنُ ثَابِتٍ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَلَيْدُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَكَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ ، وَزَيْدُ الْخَيْلِ الطَّائِيُّ ، وَالنَّابِغَةُ  
الْجَعْدِيُّ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، وَالْحُطَيْثَةُ ، وَعَمْرُو بْنُ مَعْدَى كَرْبَ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ  
أَبْنِ بَدْرِ التَّمِيمِيِّ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسِ السَّامِيِّ ، وَالْخُنَسَاءُ بِنْتُ عَمْرُو بْنِ الشَّرِيدِ ،  
وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

وَمَنْ الْمَوْلَدِينَ ، وَهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا مِنَ الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ : كَالْفَرَزْدَقِ ، وَجَرِيرِ  
وَالْأَخْطَلِ ، وَالْقَطَامِيِّ ، وَالْحَكِيمُ بْنُ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ ، وَالْمَسَاوِرُ بْنُ هَنْدٍ ، وَعَدِيُّ بْنُ  
الرَّقَاعِ ، وَكَثِيرُ عَزَّةَ ، وَعُمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَالرَّاعِي ، وَأَبْنُ مُقْبِلٍ ، وَأَبْنُ مَفْرَغٍ ، وَلَيْلَى  
الْأَخِيلِيَّةُ ، وَمَنْ أَنْخَرَطَ فِي سَلَكِهِمْ .

وَمَنْ الْمُحَدَّثِينَ ، وَهُمْ الَّذِينَ أَتَوْا بَعْدَ الْمَوْلَدِينَ كِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هِرْمَةَ ، وَأَبْنِ أُذَيْنَةَ ،  
وَأَبِي نُوَّاسٍ ، وَأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ، وَطُفَيْلُ الْكَثَّانِيِّ ، وَسَلْمُ الْخَاسِرِ ، وَأَبْنُ مَيَّادَةَ ، وَصَالِحُ  
أَبْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ، وَأَبِي عَيْنَةَ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ ، وَالْعَتَّابِيُّ ، وَأَشْجَعُ السَّامِيِّ ،  
وَالْعَكَّوكُ ، وَأَبْنُ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيِّ ، وَأَبِي الشَّيْصِ ، وَالْحَمْدُونِيُّ ، وَالْعُتْبِيُّ ، وَدَعْبِلُ  
الْخَزَاعِيِّ ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقِ الْمَوْصِلِيِّ ، وَأَبِي عَلِيٍّ  
الْبَصِيرِ ، وَأَبِي تَمَّامِ الطَّائِيِّ ، وَأَبِي عَبَّادَةَ الْبُحْتَرِيِّ ، وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِيِّ ، وَأَبْنُ  
بَسَّامٍ ، وَالسَّرِيُّ الْمَوْصِلِيُّ ، وَأَبِي الْفَتْحِ كُشَّاجِمٍ ، وَأَبِي الْفَتْحِ الْعَبْسِيِّ ، وَأَبِي الْفَرَجِ  
الْبَغِغَا ، وَأَبْنُ السَّاعَاتِيِّ ، وَأَبْنُ قَلَاقِسَ ، وَالْوَاوِيُّ الدَّمَشْقِيُّ ، وَالْعَفِيفُ التَّلَمَسَانِيُّ ، وَأَبْنُهُ ،  
وَأَبْنُ سَنَّا الْمَلِكِ ، وَأَبْنُ شَمْسِ الْخِلَافَةِ ، وَأَبْنُ النَّبِيهِ ، وَالصَّفْنِيُّ الْحَلِّيُّ وَنَحْوُهُمْ .



ومعرفة الفرسان منهم : كأمريء القيس ، وخُفاف بن نُدبة ، والزُّبرقان بن بدر وعنترة ، وعمر بن معدى كرب ، ودريد بن الصَّمة .

ومن كان منهم راجلا يسعى على رجله كسليك بن السلكة ، وآبن براقه ، وتأبط شراً ، والشَّنْفَرى وغيرهم .

ومن تقدّم منهم في نوع من الشعر، كمعرفة طفيل الغنوى بوصف الخيل ، وأمية بن أبى الصلت في أمر الآخرة وذكر الحرب ، وعمر بن أبى ربيعة في وصف النساء ، وعُتَيْبَة بن مُرداس بمرآكب الإبل ، وكثير في الأمثال ، والفرزدق في الأخبار ، وجريفي المعاني .

ومعرفة من هو أكثرهم حفظاً : كالأغلب الشاعر : قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة ، ومعرفة أى القبائل كانت الشعراء فيها أكثر كَهذيل ؛ فقد قيل إنه كان فيها أربعون شاعراً مُقلِّقاً كلهم يَعدُّون على رجله ، ليس فيهم فارس ؛ وأى قبيلة كان الشعراء فيها أقل : كَشِيَّانَ ، وكلب ؛ فقد قيل إنه ليس في الدنيا قبيلة أقل شعراء منهما وإنه ليس لكلب في الجاهلية شاعر قديم على أنها مثل شيبان أربع مرات .

وقد ذكر ابن رشيقي في "عمدته" عن عبيد الله بن سلام الجَحِيّ وغيره : أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة فكان منهم مُهلِهل بن ربيعة ، وهو خال أمريء القيس بن حُجْر ، ويقال إنه أول من قصّد القصائد والمُرَقَّشان الأكبر والأصغر ، وطرفة بن العبد ، وعمر بن قَيْمَّة ، والحارث بن حِزَّاة ، والمتلمس ، والأعشى ، والمسئب بن عَلس وغيرهم ؛ ثم تحوّل الشعر إلى قيس فكان منهم النابغة الذبياني والجمعدى ، وزُهَيْر بن أبى سُهَيْم ، وأبْنُه كعب ، ولييد ، والحطيئة ، والشماخ . ثم استقر الشعر في تميم فكان منهم أوس بن حَجْر ، ولم يتقدّمه أحد حتى كان النابغة وزهير فأحلاه .

قلت : والمراد أن الشعر غلب في هذه القبائل وظهر فيها ، وكان فيها الشعراء المحيدون ؛ وإلا فالشعر موجود في قبائل العرب قبل ذلك : كحُمير وكَهْلان من اليمن ؛ بل في عاد وثمود على ما تشهد به كتب السير والأخبار . فإذا عرف الكاتب ذلك ، أستعان به في المساواة بمن شاء منهم في التقریظات والتفضيل عليه كما كتبت في تقریظ شاعر : فاهرو القيس يَفَرِّق في مِقياس معانيه ، والنابعة الدُّبَيَانِي يُقْصِر عن أن يبلغ مدى شأوه أو يُدَانِيه ، وزُهَيْر يقتطف زَهرات البلاغة من أفانينه ، وأوس بن حجر يَنْسِج على مِنْواله ويَأْتُم بقوانينه ، وطُفَيْل الغنوى يَتَطَقَّل على موائد شعره ، وطَرْفة بن العبد يقصُر عنه في شيوع ذِكْره ، والأعشى يعشو إلى ضوء ناره ، وعمرو بن كلثوم يسعى إلى بابه ويقف بفناء داره ، وكثير في أمثاله لا يعد من أمثاله ، وجرير في مفاخره يتمسك من الفَخَّار بأذياله ، والفَرَزْدَق في أوصافه يقلبه ما بين يمينه وشماله ؛ فلورآه عبد الملك بن مروان لا يختاره على الأخطل ، أو آجتماع مع أبي نواس لدى الأمين لقال هذا هو المقدم الأفضل ؛ أو أدركه أبو تمام ، لأعترف له بالتام ؛ أو بصُربه أبو عبادة لقال أنا له عبد و غلام ؛ أو عاصره المتنبي لأعترف بفضله ، أو ابن الساعاتي لقال لا يأتي الزمان دون قيام الساعة بمثله . ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى .

وكذلك ينبغي أن يعرف مصطلح أهل العروض الذي هو ميزان الشعر مثل الوتد ، والسبب ، والفاصلة ، والعروض ، والضرب ؛ وأسماء البحور : من الطويل ، والمديد ، والبسيط ، وأخواتها ؛ وألقاب الزحاف : كالخَبْن ، والخبَل ، والقبض وغيرها : ليدخلها تضاعيف كلامه عند احتياجه إلى ذلك كما قال صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثاري في أول ألفيته في العروض .

الحمد لله المليك الغافر \* ذى الطول والفضل المديد الوافر  
 سبحانه ماذا يقول البارء \* فى كامل ليس له مضارع  
 ورزقه فى عدله بسيط \* وعلمه بخلقه محيط  
 وما يخطر فى هذا السلك من الكلام المنشور أيضا .

### النوع الحادى عشر (الإكثار من حفظ الأمثال ؛ وفيه مقصدان)

#### المقصد الأول

(فى وجه احتياج الكاتب إلى ذلك)

اعلم أن الكاتب يحتاج إلى النظر فى كتب الأمثال الواردة عن العرب نثرا ونظما والنظر فى الكتب المصنفة فى ذلك : كأمثال الميدانى ؛ والمفضل بن سلمة الضبيّ ، وحمزة الأصبّهانى ، وغيرهم . وكذلك أمثال المولدين الواردة فى أشعارهم : كالأمثال الواردة فى شعر جرير ، والفرزدق ونحوهما ، إلى غير ذلك من الأمثال الواردة نثرا ونظما ، والنظر فى أمثال المحدثين الواردة فى أشعارهم : كأبى العتاهية ، وأبى تمام ، والمتنبي ؛ فحكم ما ورد من الأمثال فى شعر المولدين والمحدثين حكم أمثال العرب الشعرية ؛ أما فى شعر المولدين فلجريهم على أسلوب العرب ، وركوب جادتهم ؛ وأما المحدثين فللطافة مأخذهم ، وأستطراف ما يأتون به مما يجرى مجرى النثر والنظم : من الأمثال الموضوعة على ألسنة الحيوان عن العرب وغيرهم ؛ فيستشهد به فى موضعه ، ويورده فى مكانه عارفا بأصل ذلك وما بُنى عليه ، وذلك أن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت ، وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم ؛ وهذه

(١) لعل لفظ كتب زائد من قلم النسخ .

الألفاظ الواردة في المثل دالة عليها، معبرة عن المراد بها، بأخصر لفظ وأوجز، ولولا تلك المقدمات المعلومة، والأسباب المعروفة، لما فهم من هذه الألفاظ القلائل تلك الوقائع المطولات؛ وأما الأمثال الواردة نثرا، فإنها كلمات مختصرة، تورّد للدلالة على أمور كناية مبسطة، كما تقدّمت الإشارة إليه، وليس في كلامهم أوجز منها. ولما كانت الأمثال كالرموز والإشارة التي يُلَوِّح بها على المعاني تلويحا، صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا. وحيث كانت بهذه المكنانة لا ينبغي الإخلال بمعرفتها، قال صاحب العقد "والأمثال هي ونشئ الكلام، وجوهر اللفظ، وحل المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء كسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قالوا: أسير من مثل، قال الشاعر:

ما أنت إلا مثل سائر \* يعرفه الجاهل والخبير

وقد ضرب الله تعالى الأمثال في كتابه فقال ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وقال تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ الآية، وقال ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْتَمَّ يُوَجِّهُهُ لَيَاتٍ بَحِيرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ الآية، وقال ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ الآية وقال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ إلى غير ذلك من آي القرآن.

وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال فقال "ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داع يقول أَدْخُلُوا الصَّارِطَ وَلَا تُعْرِجُوا: فالصراط الإسلام، والستور

حدودُ الله ، والأبوابُ محارِمُ الله ، والداعى القرآنُ ، إلى غير ذلك من الأمثال التي ضربها صلى الله عليه وسلم . ومحل الكلام على أمثال القرآن وأمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما تقدّم من الكلام على القرآن الكريم والأخبار .

ثم هي على ضربين : قريب الفهم بظهور معناه ، وكثرة دورانه بين الناس ؛ وبعيد الفهم لخفائه ، وقلة دورانه بين الناس . فالقريب من الفهم الكثير الدوران على الألسنة مثل قولهم ، ”عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى“ ، وهو مثل يُضْرَبُ للترغيب في السير في الليل ، والحث عليه ؛ وأول من أرسله مثلاً خالد بن الوليد رضى الله عنه ، قاله في صبح ليلة قطع فيها مفازةً كانت في طريقه من العراق إلى الشام ؛ وقولهم ”أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً“ . وأول من قال ذلك سُهِيلُ بْنُ عَمْرٍو وكان تزوجَ صَفِيَّةَ بِنْتِ أَبِي جَهْلٍ فولدت له أبنه أُنْسًا ، فرآه الأخنسُ بن شَرِيْقٍ الثقفى معه فقال من هذا ؟ فقال سُهِيلُ ابْنِي — فقال الأخنسُ حَيَّاكَ اللهُ يَا بُنَى ! أين أمك ؟ فقال : لا والله ما أُمِّي ثُمَّ ، أَنْطَلَقْتُ إِلَى بَيْتِ أُمِّ حَنْظَلَةَ تَطْحَنُ دَقِيقًا — فقال أبوه أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً — فلما رجعا قال أبوه فَضَحْنِي أَبْنِكَ الْيَوْمَ قَالَ كَذَا وَكَذَا — فقالت إنما أبني صبيٌّ وأنت لا تحبه — فقال ”أشبهَ أمرُؤُ بعضَ بَرٍّ“ فأرسلها مثلاً . والبعيد من الفهم ، مثل قولهم ”إِنْ يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ“ . وهو مثل يضرب لمن ينكر الأمر الظاهر عنادا . والأصل في ذلك كما ذكره المفضل بن سلمة الضبِّيُّ أَنَّ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضُبَّةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَرَاهُنُوا عَلَى الشَّمْسِ ، فقالت طائفة : تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَى ، وقالت طائفة : يَغِيبُ الْقَمَرُ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فتراضوا برجل جعلوه بينهم حَكَمًا ، فقال واحد منهم : إِنْ قَوْمِي يَبِغُونَ عَلَى ، فقال الحَكَمُ إِنْ يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ ، فجرت مثلاً . ومن المعلوم أن قول القائل إِنْ يَبِغْ عَلَيْكَ قَوْمُكَ لَا يَبِغْ عَلَيْكَ الْقَمَرُ ، إِذَا أَخَذَ عَلَى حَقِيقَتِهِ

من غير نظر إلى القرائن المنوطة به ، والأسباب التي قيل من أجلها ، لا يعطى من المعنى ما قد أعطاه المثل ؛ بل ما كان يُفهم من هذا القول معنى يفيد لأن البنى هو الظلم ، والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحدا ، فكان يصير معنى المثل — إن كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر — وهو كلام مختل المعنى ليس بمستقيم .

وقد أكثر الناس في تصنيف كتب الأمثال ، فمن ذلك الأمثال لأبى عبيد ، وهو مرتب على ترتيب الوقائع التي تقع فيها الأمثال . ومن ذلك أمثال الميداني ، وهي مرتبة على حروف المعجم وفي آخرها جملة من أيام حروب العرب ، إلى غير ذلك من كتب الأمثال المصنفة في هذا الباب : كأمثال الضبي ، والقمي ، وغيرها .

وأما الأمثال الواردة نظما ، فهي كلمات استحسننت في الشعر . وطابقت وقائع عامة جارية بين الناس ، فتداولها الناس ، وأجروها مجرى الأمثال النثرية . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يتمثل بقول طرفة .

\* وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ \*

وهو نصف بيت مجموعه :

سُبْدِي لَكَ الْيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا \* وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يُخرجه عن الوزن ، ويُحيله عن طريق الشعر فكان يقول : ” وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ بِالْأَخْبَارِ ” فرارا من قول الشعر المنزه عنه مقامه العلى ، وشرفه الرفيع ، لكن ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : ” أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ :

\* أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ \* ”

والمحرم عليه صلى الله عليه وسلم ، إنما هو نظم الشعردون إنشاده وسماعه . وقد بسطت القول على ذلك في كتابي المسمى ”بالغيوث الهوامع“ ، في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع“ ، في الفقه فراجعه هناك ، ويروى أن عمر رضى الله عنه تمثل بقول النابغة :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَحَا لَا تَلُمُّهُ \* عَلَى شَعَثِ أَى الرَّجَالِ الْمُهْدَّبِ

ثم قال : لمن هذا؟ فقليل له للنابغة ، فقال : ذاك أشعر شعرائكم ، والمثل السائر فيه في قوله : أَى الرَّجَالِ الْمُهْدَّبِ ، وأمثال ذلك مما تمثل به الصحابة رضوان الله عليهم كثير ، ولذلك وقع في أمثال المحدثين الواردة في أشعارهم ما يستظرف ويستحلى كقول القاضي الأزرجاني :

تَأَمَّلْ مِنْهُ تَحْتَ الصُّدُغِ خَالَا \* لِتَعْلَمَ كَمْ خَبَايَا فِي الزَّوَايَا

يشير بذلك إلى المثل الجارى على ألسنة الناس في قولهم ”في الزوايا خبايا“ وهو من الأمثلة المستفيضة على ألسنة العامة الشائعة بينهم ، وقول ابن عبد ربه .

قَالُوا شَبَابُكَ قَدْ وَلَّى فَقُلْتُ لَهُمْ : \* هَلْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ ؟  
صَلْ مِنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبْدَى مُعَاتِبَةً \* فَأَطِيبُ الْعَيْشَ وَصَلِّ بَيْنَ الْفَيْنِ !  
وَأَقْطَعْ حَبَائِلَ خَذَنِ لَا تَلَامُهُ \* فَرُبَّمَا ضَاقتِ الدُّنْيَا بِإِثْنَيْنِ .

وقول الآخر :

وَعَادَ مَنْ أَهْوَاهُ بَعْدَ الْقَلَى \* شَقِيقَ رُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ  
وَأَصْبَحَ الدَّاخِلُ مَا بَيْنَنَا \* كَسَا قِطْبَيْنِ فِرَاشَيْنِ  
قَدْ أُلِيسَ الْبَغْضَاءُ مِنْ ذَا وَذَا \* لَا يَصْلُحُ الْغَمْدُ لِسَيْفَيْنِ  
مَا بَالُ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ حَاجَةٌ \* يَكُونُ أَنْفًا بَيْنَ عَيْنَيْنِ ؟

قال الأصمعي : ولم أجد في شعر شاعر بيتاً أوله مثل وآخره مثل ، إلا ثلاثة أبيات بيت الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَدْعُمُ جَوَازِيَهُ \* لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
وبينا أمرئ القيس :

وَأَفْلَتَهُنَّ عِلَاءُ جَرِيضًا \* وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ صَفَرَ الْوِطَابِ  
وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَنَى أَيْيَهُمْ \* وَبِالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعِقَابُ

قال صاحب العقد : "ومثل هذا كثير في القديم والحديث ، ولا أدرى كيف أغفل القديم منه الأصمعي ، ومنه

\* سَتَبْدِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا \*

البيت المتقدم ؟ وهو من أشرف الأبيات وأعظمها بابا .

وأما الأمثال الموضوعة على السنة الحيوانات ، فكما روى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، حين رأى خلاف أصحابه وتخاذلهم ، تمثل بقولهم "إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلَ الثَّورُ الْأَبْيَضُ" يعني إنما خذلت يوم خذل عثمان ؛ وحكاية هذا المثل أنهم قالوا : أصطحب أسد ، وثور أحمر ، وثور أبيض ، وثور أسود في أجمه ؛ فقال الأسد للأحمر والأسود : هذا الأبيض يفضحنا بلونه ، ويُطْمِعُ فِينَا مَنْ يَقْصِدُنَا ! فلو تركتاني آكله ، أمتنا فضيحة لونه ؛ فأذن له في ذلك فأكله ؛ ثم قال للأحمر : هذا الأسود يخالف لوني ولونك ولو بقيت أنا وأنت ، ظنك من يراك أسدا مثل فدعني آكله ، فسكت عنه فأكله ؛ ثم قال للثور الأحمر : لم يبق إلا أنا وأنت ، وأريد أن آكلك ! فقال إن كنت فاعلا ولا بد ، فدعني أصعد تلك الهضبة ، وأصيح ثلاثة أصوات ، فقال : أفعل ماتريد ، فصعد وصاح ثلاثة أصوات : "أَلَا إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلَ الثَّورُ الْأَبْيَضُ" فغرت مثلا .



ويحكى أن عبد الملك بن مروان حج وقدم المدينة ، فقال على المنبر : يا أهل المدينة إنكم قُتلَ عثمانُ بين أظهركم فنحن لآنحِبكم ! وأرسلنا مسلمة بن عقبة فقتلكم في وقعة الحرة ، فأنتم لاتحبُّوننا ، فمَلنا ومثلكم كما قال النابغة :

كَمَا لَقِيتُ ذَاتَ الصَّفَامِ حَلِيفَهَا \* وَكَانَتْ تُرِيهِ الْمَالَ غِيَا وَظَاهِرَةً  
فَلَمَّا رَأَى أَنَّ قَدْ تَمَثَّرَ مَالُهُ \* وَأَثُلَ مَوْجُودًا وَسَدَّ مَفَاقِرَهُ  
أَكْبَّ عَلَى فَاسٍ يَحْدُ غُرَابَهَا \* مُدَّ كَرَّةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بَاتِرَهُ  
فَلَمَّا وَقَاهَا اللَّهُ ضَرْبَةً فَاسُهُ \* وَلِلَّهِ عَيْنٌ لَا تُغْمَضُ نَاطِرَهُ  
فَقَالَ تَعَالَى تَجْعَلِ اللَّهُ بَيْنَنَا \* عَلَى مَالِنَا أَوْ تُخْجِزِي لِي آخِرَهُ  
فَقَالَتْ يَمِينَ اللَّهِ أَفْعَلُ إِنِّي \* رَأَيْتُكَ سُخْرِيًّا يَمِينُكَ فَاجِرَهُ  
أَبَى لِي قَبْرٌ لَا يَزَالُ مُقَابِلِي \* وَضَرْبُهُ فَاسٍ فَوْقَ رَأْسِي فَاقِرَهُ

وهذه الحكاية مشهورة في الموضوعات على ألسن الحيوان ، وهى أن أخوين هبطا بغنمهما واديا يريان فيه ، فخرجت حية من تحت الصفا وفى فيها دينار فألقته إليهما وأقامت كذلك أياما ، فقال أحدهما لابد من قتل هذه الحية وأخذ هذا الكنز ! ففأه أخوه فلم يقبل ، فخرجت فضربها بفأس فى يده ، فشجها وشدت عليه فقتلته ، فدفنه أخوه مقابِلها ، فلما خرجت قال لها هل لك أن نتعاهد على المودة وعدم الأذية ، وتعطينى ذلك الدينار كل يوم ؟ فقالت : لا ! — قال ولم ؟ — قالت لأنك كلما نظرت إلى قبر أخيك لاتصفولى ، وكلما ذكرت الشجرة التى فى رأسى لأصفوك .

### المقصود الثانى

( فى كيفية استعمال الأمثال فى الكتابة )

فإذا أكثر صاحب هذه الصناعة من حفظ الأمثال السائغ استعمالها ، آنقادت إليه معانيها ، وسيقت إليه ألفاظها ، فى وقت الاحتياج إلى نظائرها من الوقائع

والأحوال ، فأودعها في مكانها ، وأستشهد بها في موضعها . والطريق في استعمالها في النثر ، كما في حل الأشعار واستعمالها ، إلا أن الأمثال لا يجوز تبديل ألفاظها ، ولا تغيير أوضاعها : لأنها بذلك قد عُرِفَت واشتهرت .

فما أستعمله أهل الصناعة من الأمثال المثورة وأوردوه في كلامهم قول المقر الشهابي "آبن فضل الله في "التعريف" في وصية أمير مكة المعظمة "ولأنه أحقُّ بنى الزَّهراء بما أبَقَتْه له آباءه ، وألَقَتْه إليه من حديث قُصِيَ جَدُّه الأَقْصَى أبنائه ؛ وهو أجدر مَنْ طَهَّرَ هذا المسجد من أشياء تَنَزَّهَ أن يلحق به فُحْشُ عابِها ، وشَعَاءُ هو يَعْرِفُ كيف يَتَّبِعُهَا "وأهل مكة أَخْبَرُ بِشَعَابِهَا" ، فاستعمل المثل السائر في قوله : وأهل مكة أَخْبَرُ بِشَعَابِهَا ؛ وقد وقع هذا المثل في كلامه أحسن موقع ، وجاء على أبجل نظام : لأنه قد أتى به في مكانه اللائق به ، ومحله المخصوص بوصفه ؛ وقد نقله الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله فاستعمله في غير هذا المعنى ، بقاء منحنطاً عن هذه الدرجة ، وقاصراً عن رتبها ، فقال في وصية خطيب ، : ووصايا هذه الرتبة متشعبة ، وهو كأهل مكة أَخْبَرُ بِشَعَابِهَا ، وأحوالها مترتبة ، وهو على كل حال أدرب وأدرى بها ؛ إلا أنه قد ظَرَفَ بذكر الجناس الاشتقاق في قوله متشعبة مع قوله بشعابها .

ومن ذلك قول الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله في خطبة تقليد بفتوة عن ملك : "ونشهد أن محمدا عبده ورسوله" ، الذي نُورُ شريعته جَلَى ، وجاهُ شفاعته مَلَى ، وبسيفه وبه جاء النصر والشرف من آتَمائنا إليه ، فلا سَيْفَ إلا ذو الفقار ولا قَتَى إلا على . وهذا على ما هو شائع على الألسنة ، وأن ذلك قيل في يوم ضَرَبَ على رضى عنه كافرا أسمه مَرَحَب ، فشَقَّ البيضة على رأسه نصفين ، وتمادى السيف فيه وفي جواده فشَقَّهُما كذلك وخلص السيف بينهما فغاص في الأرض شبرين ؛ إلا أن المعروف عند المحدثين وأصحاب السير أن ذا الفقار أسم سيف للنبي صلى الله عليه

وسلم، أصطفاه من خير لنفسه حين أصطفى صفية بنت حبي بن أخطب رضى الله عنها، ولعله صلى الله عليه وسلم، أعطاه علياً رضى الله عنه بعد ذلك .

ومن ذلك ما ذكرته في المفارقة بين السيف والقلم في الكلام على لسان القلم : وهو "أنا جُذيلُها المحكك، وعَدَيْقُها المُرَجَّب، وكَرِيمُها المِجَل، وعالمُها المِهْذَب". فالقرينة الأولى فيها مثلاًن، وأقول من قالها الحُباب بن المنذر الأنصارى يوم السَّقِيفَة، حين أجمع الأنصار إلى سعد بن عبادة، يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة، وأرادوا تأميره فذهب إليهم أبو بكر وعمر، وأبو عبيدة ابن الجراح<sup>(١)</sup>، وقال الحُباب بن المنذر : مِنَّا أمير ومنكم أمير، إلى أن كان من كلامه هذان المثالان . والجذيل تصغير جذل، واحد الأجدال، وهى أصول الشجر العظام، وكانت العرب إذا جربت الإبل نصبت لها جذلاً فى باطن الوادى تحتك فيه، فلذلك قال جُذيلُها المحكك، أراد أنه يُستشفى برأيه، كما تستشفى الإبل بالحك فى ذلك الجذْل، والعَدَق بفتح العين النخلة يحملها، وكان من عادتهم أن النخلة الكريمة يبنى حولها بناءً يمنعها من السقوط، فذلك هو الترجيب، أراد أنه كريم فى قومه عزيز عليهم . وما ذكرته فى المفارقة بين السيف والقلم أيضاً على لسان السيف وهو : "فالشمس من شعاعى فى نَجَل، والليل من ضوئى فى وَجَل، وما أسرع فى طلب ثار إلا قيل فات ما دُبح، وسبق السيفُ العَدْل". ففى القرينة الأخيرة مثلاًن أحدهما "فات ما دُبح" وهو مثل يضرب لمن طلب الشئ بعد قوّاته، وأصله أن بعض الملوك رأى مع أعرابى بازياً، فأعجبه فأرسل فى طلبه قاصداً، فأتى الأعرابى ولم يكن عنده ما يضيفه به، فدبج البازى وطبخه وقدمه إليه، غير عالم بقصده، فلما فرغ من أكله ذكر للأعرابى

(١) فى الأصل هذين المثالين ولعله سبق قلم من النسخ .

أمر البازي وما كان من طلب الملك له ، فقال ”فات مأذبح“ إنك أتيتني ولم يكن عندي ما أضيفك به ، فذبحت البازي وطبخته ؛ وهو الذي قدمته إليك .  
والمثل الثاني ”سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ“ وهو مثل لمن يلوم على فعل شيء بعد وقوعه وفوات أمره .

ومما حلَّ من الأمثال الواردة نظماً، وأستعمل في النثر، قول القاضي شهاب الدين ابن فضل الله في ”التعريف“ في وصية أمير مكة المعظمة أيضاً في الوصية على وفود الحجيج : ”وكل هؤلاء إنما يأتون في ذِمَامِ اللَّهِ بَيْتِهِ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وإلى محل ابن بنت نبيِّه الذي يلزمه من طريقِ الرَّضِيفِ ما أَخَذَ لَهُمْ ، وإن لم يكن ضامنًا ؛ فليأخذ بمن أطاع مَنْ عَصَى ، وليردع كل مفسد ولا سيما العبيد ، فإن العبد لا يردعه إلا العبا ، فقله فإن العبد لا يردعه إلا العبا يشير به إلى قول ابن دريد في مقصورته .

وَاللَّوْمُ لِلْحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ \* وَالْعَبْدُ لَا يَرُدُّهُ إِلَّا الْعَصَا

وقد اشتهر النصف الثاني من هذا البيت حتى جرى مجرى المثل ولعله كان مثلاً سائراً قبل أن ينظمه ابن دريد .

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله من توقيع بنظر مدرسة بعد أن قدم أن أهلها رفعوا قصصهم في طلب ذلك الناظر : ”وكيف لا وهو نعم الناظر والإنسان ، وفي مصالح القول والعمل ذو اليمين واللسان ، وذو العزائم الذي تقيدت في حبه الرُتَب ومن وجد الإحسان“ يريد البيت المشهور :

\* وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قِيدًا تَقِيدًا \*

وقد أتى فيه بالألفاء ، فزاد في كلامه حسناً وطلاوة .

وأعلى منه وأوقع في النفوس قوله بعد ذلك في التوقيع المذكور ”فاقتضى علو الرأي أن يجاب في طلبه إليهم سؤال القوم ، وأن يتصل أمس الإقبال باليوم ؛ وأن

يَعْرُب ، بن يَسْجُب ، بن نابت ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم الخليل عليهما السلام  
 ابن تَارح ، وهو آزر ، بن أَرْغُو ، بن فالغ ، بن عابر ، بن أَرْفَخْشَد ، بن سام ، بن نوح عليه  
 السلام ، ابن يرد ، بن مهليل ، بن قين ، بن تاتش ، بن شيث ، بن آدم عليه السلام .  
 قال النووي : ” والاتفاق على هذا النسب الشريف إلى عدنان ، وليس فيما بعده  
 إلى آدم طريق صحيح ” وفيما بعد عدنان ، إلى إسماعيل عليه السلام خلاف كثير ،  
 قال القضاة في ” عيون المعارف في أحكام الخلائف ” وقد روى أن النبي صلى الله  
 عليه وسلم قال ” لا تُجَاوِزُوا مَعَدَّ بنَ عَدْنَانَ ، كَذَبَ النَّسَابُونَ ، ثم قرأ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ  
 كَثِيرًا ولو شاء أن يعلمه لعلمه ” قال : والصحيح أنه من قول ابن مسعود رضي  
 الله عنه .

## المقصد الثاني

( في أنساب العرب ؛ وفيه مهيعان )

## المهيع الأول

( في أمور تجب معرفتها قبل الخوض في النسب )

وأول ما تجب معرفته من ذلك مَنْ يقع عليه لفظ العرب ، قال الجوهري ” العرب  
 جيل من الناس وهم أهل الأمصار ، والأعراب سُكَّانُ البادية ، والنسبة إلى العرب  
 عَرَبِيٌّ ، وإلى الأعراب أعرابيٌّ ” والتحقيق إطلاق لفظ العرب على الجميع ، وأن  
 الأعراب نوع من العرب ، ثم اتفقوا على تنويع العرب إلى نوعين عَرَبِيَّةٌ وَمُسْتَعَرَبَةٌ .  
 فالعَرَبِيَّةُ هم العرب الأول الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداءً فتكلموا بها . قال

(١) في القاموس قينان بن أنوش بن شيث .

الجوهري "وقد يقال فيهم العرب العرباء". والمستعربة هم الداخلون في العربية بعد العجمية. قال الجوهري "وربما قيل لهم المتعربة". وقد اختلف في العاربة والمستعربة فذهب ابن إسحاق والطبري إلى أن العاربة هي عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعييل والمالقة وعبد ضخم وجرهم الأولى، ومن في معناهم. والمستعربة بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وبنو إسماعيل عليه السلام لأن لغة عابرو إسماعيل كانت سريانية أو عبرانية، فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كان في زمانهم كعاد ونحوهم، وتعلم إسماعيل العربية من جرهم من بني قحطان النازلين على إسماعيل وأمه بمكة. وذهب آخرون منهم المؤيد صاحب حماء إلى أن بنى قحطان هم العاربة، وأن المستعربة هم بنو إسماعيل فقط، والذي رجحه صاحب العبر الأول.

ثم قد قسم المؤرخون العرب أيضا إلى بائدة وغيرها، فالبائدة هم الذين بادؤوا ودَرسَت آثارهم كعاد، وثمود، وطسم، وجديس، وغير البائدة هم الباقيون في القرون المتأخرة بعد ذلك من القحطانية: كطي، ولخم، وجذام ونحوهم، ومن العدنانية كقزارة وسليم وقريش، ومن في معناهم. ثم قد عدّ الماوردي وغيره طبقات أنساب العرب ست طبقات:

الطبقة الأولى — الشعب بفتح الشين وهو النسب الأبعد الذي تُنسب إليه القبائل كعدنان، ويجمع على شعوب، وسمى شعبا لأن القبائل تنتسب منه.

الطبقة الثانية — القبيلة، وهي ما أنقسم فيه الشعب كربيعة ومضر، وتجمع على قبائل، وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها، وربما سميت القبائل بجماعم.

الطبقة الثالثة عد العمارة بكسر العين، وهي ما أنقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة وتجمع على عمائر وعمارات.

الطبقة الرابعة — البطن وهى ما أنقسم فيه أنساب العِمارة كبنى عبد مناف ،  
وبنى مخزوم وتجمع على بطون وأبطن .

الطبقة الخامسة — الفخذ ، وهى ما أنقسم فيه أنساب البطن : كبنى هاشم ،  
وبنى أمية ، وتجمع على أخخاذ .

الطبقة السادسة — الفصيلة — بالصاد المهملة — وهى ما أنقسم فيه أنساب  
الفخذ كبنى العباس وبنى أبى طالب ، وتجمع على فصائل ؛ فالفخذ يجمع الفصائل ،  
والبطن تجمع الأخخاذ ، والعمارة تجمع البطون ، والقبيلة تجمع العمار ، والشعب يجمع  
القبائل . قال النووى وزاد بعضهم العشيرة قبل الفصيلة ، قال الجوهري "وعشيرة  
الرجل رهطه الأدنون" وحكى أبو عبيدة عن ابن الكلبي عن أبيه تقديم الشعب  
على القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم الفخذ ، فأقام الفصيلة مقام العمارة فى ذكرها  
بعد القبيلة ، والعمارة مقام الفصيلة فى ذكرها قبل الفخذ . وبالجملة فأكثر ما يدور على  
الألسنة من الطبقات الست المذكورة القبيلة ، ثم البطن ، وقيل أن تذكر العمارة  
والفخذ والفصيلة ، وربما عبروا عن كل من الطبقات الست بالحى ، إما بالعموم مثل  
أن يقال حى من العرب ، وإما على الخصوص مثل أن يقال حى من بنى فلان .

ومما يجب على الناظر فى الأنساب أن يعرف عشرة أمور :

الأول — قال الماوردى إذا تباعدت الأنساب ، صارت القبائل شعوبا ، والعمار  
قبائل ؛ يعنى وتصير البطون عمار ، والأخخاذ بطونا ، والفصائل أخخاذا ، والحادث من  
النسب بعد ذلك فصائل .

الثانى — قد ذكر الجوهري أن القبيلة هم بنو أب واحد ، وقال ابن حزم جميع  
قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل : وهى تنوخ ، والعنق ، وغسان

فإن كل قبيلة منهم مجتمعة من عدة بطون ، وذلك أن تنوخا أسم لعشر قبائل  
اجتمعوا وأقاموا بالبحرين ، فسُموا بتنوخ أخذوا من التنوخ وهو المقام ، والعنق جمع  
اجتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم فظفريهم فأعتقهم فسُموا بذلك . وغسان  
عدة بطون من الأزدي نزلوا على ماء يسمى غسان فسُموا به .

الثالث — تخصيص الرجل من رجال العرب بانتساب القبيلة إليه دون غيره من  
قومه بأن يُشهر اسمه بهم لرياسة ، أو شجاعة ، أو كثرة ولد ، أو غيره فنُسب بنوه  
وسائر أعقابه إليه ، وربما انضم إلى النسبة إليه غير أعقابه من عشيرته كإخوته  
ونحوهم ، فيقال فلان الطائي ، فإذا أتى من عقبه من أشهر منهم أيضا بسبب من  
الأسباب المتقدمة نُسبت إليه بنوه ، وجعلت قبيلة ثانية ؛ فإذا اشتمل النسب على  
طبقتين فأكثر كهاشم ، وقريش ، ومُضَر ، وعدنان ، جاز لمن في الدرجة الأخيرة من  
النسب أن يُنسب إلى الجميع : فيجوز لبني هاشم أن يُنسبوا إلى هاشم ، وإلى  
قريش ، وإلى مُضر ، وإلى عدنان : فيقال في أحدهم الهاشمي ، والقُرشي ، والمُضري ،  
والعدناني ؛ بل قال الجوهري : إن النسبة إلى الأعلى تغني عن النسبة إلى الأسفل  
فإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وَرّة الكَلبيّ استغنيت أن تُنسبه إلى شيء من  
أصوله . وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى .  
ثم بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى : مثل أن يقال القرشيّ العدويّ وبعضهم  
يرى تقديم السفلى على العليا ، فيقال العدويّ القرشيّ .

الرابع — قد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والمؤالة فينسب إليهم : فيقال  
فلان حليف بني فلان أو مولاهم .

الخامس — إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى ، جاز أن ينسب



إلى قبيلته الأولى، وأن ينسب إلى القبيلة الثانية التي دخل فيها، وأن ينسب إليهما جميعا مثل أن يقال التيميّ ثم الوائليّ، أو الوائليّ ثم التيميّ وما أشبه ذلك .

السادس — القبائل في الغالب تسمى باسم أبي القبيلة : كربيعة ومُضَرَ، والأَوْس والخَزْرج، وما أشبه ذلك . وقد تسمى القبيلة باسم الأم : تَخْدَف، وبَجِيلَة ونحوهما ؛ وقد تسمى باسم خاصّة خَصَّت أصل تلك القبيلة ونحو ذلك . وربما وقع النسب على القبيلة لحدوث سبب كغَسَّان<sup>(١)</sup> ، حيث نزلوا على ماء باليمن كسعد والحارث وغيرهما .

السابع — أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب :

أولها — أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد، وثمود، ومَدْيَن، ومَنْ شا كلهم ؛ وبذلك ورد القرآن الكريم (وإلى عادٍ . وإلى ثمودَ . وإلى مَدْيَنَ) يريد بني عاد، وبني ثمود، وبني مَدْيَنَ ، ونحو ذلك . وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام بخلاف البطون والانخاد ونحو ذلك .

وثانيها — أن يطلق على القبيلة لفظ البنوة : فيقال بنو فلان ؛ وأكثر ما يكون ذلك في البطون والانخاد .

وثالثها — أن يرد ذكر القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيين والجمعاءفة ونحوهما ؛ وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم .

ورابعها — أن يعبر عنها بال فلان : كآل ربيعة، وآل فضل، وآل مُرّ، وآل على ، وما أشبه ذلك ؛ وأكثر ما يكون ذلك في الأزمنة المتأخرة، لاسيما في عرب الشام في زماننا . والمراد بالآل الأهل .

(١) كذا في الأصل ويظهر أن فيه سقطا .

وخامسها — أن يعبر عنها بأولاد فلان؛ ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أخذ العرب على قلة : كقولهم أولاد زعازع، وأولاد قريش ونحو ذلك .

الثامن — أسماء غالب العرب منقولة عما يدور في خزانة خيالهم مما يتخاطبونه ويُجاورونه ؛ إما من الحيوان المفترس كأسد، ونمر؛ وإما من النبات كنبث، وحنظلة؛ وإما من الحشرات كحية، وحش؛ وإما من أجزاء الأرض كفهز، وصخر ونحو ذلك .

التاسع — الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء : ككلب، وحنظلة، ومرة، وضرار، وحرب، وما أشبه ذلك؛ وتسمية عبيدهم بحبوب الأسماء : كفلاح ونجاح، ونحوهما. والمعنى في ذلك ما حكى أنه قيل لأبي الدقيش الكلابي<sup>(١)</sup> : لِمَ تَسْمُونُ أبناءكم بِشَرِّ الأسماء نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا (يريد أن الأبناء مُعدّة للأعداء فاختاروا لهم شر الأسماء، والعبيد مُعدّة لأنفسهم فاختاروا لأنفسهم خير الأسماء) .

العاشر — إذا كان في القبيلة آسمان متوافقان : كالحارث والحارث، وأحدهما من ولد الآخر أو بعده في الوجود عبّروا عن الوالد أو السابق منهما بالأكبر، وعن الولد أو المتأخر منهما بالأصغر؛ وربما وقع ذلك في الأخوين إذا كان أحدهما أكبر من الآخر .

## المهيع الثاني

(في معرفة تفاصيل أنساب العرب)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَرَبَ عَلَى قِسْمَيْنِ :

(١) أهمله في الأصل وصوابه الإجماع .

## القسم الأول

(العرب البائدة)

وهم الذين بادؤا ، ودرست آثارهم ، وأتقطعت تفاصيل أخبارهم إلا القليل ؛  
والمشهور منهم قبائل :

القبيلة الأولى — عاد ؛ وهم بنو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه  
السلام ، وكانت منازلهم بالأحقاف بين اليمن وعمان : من البحرين إلى حضرموت  
والشحر ؛ وهم الذين بعث الله تعالى إليهم هودا عليه السلام فلم يؤمنوا فأهلكهم  
بالريح كما ورد به القرآن الكريم .

القبيلة الثانية — ثمود ، وهم بنو ثمود بن جاث ، (ويقال كاث بالكاف بدل الجيم)  
أبن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت منازلهم بالجحر ووادي القرى ، بين  
الحجاز والشام ؛ وكانوا يَنْحِتُونَ بُيُوتَهُمْ من الجبال مراعاةً لطول أعمارهم . بعث الله  
تعالى إليهم صالحا عليه السلام فلم يؤمنوا ، فأهلكهم الله بصيحة من السماء كما ورد به  
القرآن الكريم .

القبيلة الثالثة — العَمَلقة ، وهم بنو عَمَلِيق ، (ويقال عَمَلِاق) بن لاوذ بن إرم بن  
سام بن نوح ؛ وهم أمة عظيمة يُضْرَبُ بِهِم المثل في الطول والجثمان . قال الطبري  
وتفرقت منهم أمم في البلاد ، فكان منهم أهل عُمان ، والبحرين ، والحجاز ، وملوك  
العراق ، والحزيرة ، وجبارة الشام ، وقراة مصر .

القبيلة الرابعة — طسم ، وهم بنو طَسم . قال ابن الكلبي وهم بنو طسم  
أبن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . وذكر الجوهرى أنهم من عاد ،

قال : وكانت منازلهم الأحقاف باليمن . وذكر في "العبر" أن ديارهم كانت باليمامة ؛ وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين إخوانهم جديس الآتي ذكرهم .

القبيلة الخامسة — جديس وهم بنو جديس بن إرم بن سام بن نوح .  
وقال الطبري جديس بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت مساكنهم بجوار طسم المقدم ذكرهم ؛ وكان هلاكهم بالحرب بينهم وبين المذكورين أيضا .

القبيلة السادسة — عبد ضخم ، وهم بنو عبد ضخم بن إرم بن سام بن نوح .  
قال في "العبر" : كانوا يسكنون الطائف فهلكوا فيمن هلك . قال : ويقال إنهم أول من كتب بالخط العربي .

القبيلة السابعة — جرهم الأولى . قال ابن سعيد : وهم قبيلة من العرب كانوا على عهد عاد فبادوا .

القبيلة الثامنة — مدين ، وهم بنو مدين بن إبراهيم عليه السلام ؛ وهم أمة كبيرة قبائل وشُعوب ؛ وكانت ديارهم ديار عاد وأرض مَعان من أطراف الشام مما يلي الحجاز قريبا من عشيرة قوم لوط<sup>(١)</sup> بعث الله إليهم شُعيبا فلم يؤمنوا .

## القسم الثاني

(من العرب الباقية أعقابهم على تعاقب الزمان)

وأكثر من تدعو حاجة الكاتب إلى معرفته من بقي أعقابه منهم متفرقة في أقطار الأرض إلى الآن ، وهم على ثلاثة أضرب :

(١) في سبائك الذهب من أرض قوم لوط فتنه .

## الضرب الأول

(العرب العاربة)

قال الجوهري : ويقال فيهم العرب العاربة، وهم بنو قحطان، بن عابر، بن شالخ  
 ابن أرفخشذ، بن سام، بن نوح عليه السلام، وهم عرب اليمن. والمشهور منهم شعبان.  
 الشعب الأول — جرهم (بضم الجيم وسكون الراء وضم الهاء) وهم بنو جرهم بن  
 قحطان، وهم غير جرهم الأولى المقدم ذكرها في جملة العرب البائدة .

وكانت منازلهم أولاً اليمن، ثم أنتقلوا إلى الحجاز فزلوه، فأقاموا به حتى كان من  
 نزول إسماعيل عليه السلام مع أبيه مكة ما كان، فزلوه عليه بمكة، وأستوطنوها على  
 ما سيأتي ذكره في الكلام على العرب المستعربة إن شاء الله تعالى .

الشعب الثاني — يعرب، وهم بنو يعرب بن قحطان المقدم ذكره . ويقال إن  
 العرب إنما سُميت عرباً به، وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به ومنه تناسلوا  
 فولد له يشجب، وولد يشجب سبأ، ومنه تفرعت جميع قبائلهم .

ومرجع المشهور فيه إلى قبيلتين :

القبيلة الأولى — حمير وهم حمير بن سبيل (بكسر الحاء وأسمه العرنجج) . وقد ذكر  
 ابن الكلبي : أنه كان لحمير عشرة أولاد من عقبه وكان غالب وجُلُّ قبائل حمير من  
 أبنيّه : الهميسع، ومالك ملوك اليمن؛ وكانت بلادهم مشارف اليمن فظفار وما  
 حولها . ولحمير بقايا موجودون إلى الآن، ومنه غالب قبائل قضاة، ومنه غالب  
 قبائل حمير، وهو قضاة، بن مالك، بن عمرو، بن مرة، بن زيد، بن مالك، بن حمير؛  
 وقيل قضاة بن مالك بن حمير . وذهب بعض النسابة إلى أن قضاة من العدنانية  
 الآتي ذكرهم . قال السهيلي : والصحيح أن أم قضاة (وهي جكرة) مات عنها مالك

أَبْنُ حَمِيرٍ وَهِيَ حَامِلٌ ، فَتَرَوُجَهَا مَعْدُنَ بْنَ عَدْنَانَ ، فَوَلَدَتْ قُضَاعَةَ عَلَى فَرَاشِهِ فَتَبَنَاهُ  
فَنُسِبَ إِلَيْهِ . قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاهُ : ”وَكَانَ قُضَاعَةُ مَالِكًا لِبِلَادِ الشَّحْرِ وَقَبْرُهُ بِجَبَلِ  
الشَّحْرِ مَوْجُودٌ“ . وَلِقُضَاعَةُ بَقَايَا إِلَى الْآنَ يَنْسَبُ إِلَيْهِمْ ، وَإِلَيْهِمْ يُنْسَبُ الْقُضَاعِيُّ  
الْمِصْرِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ ”الشَّهَابِ فِي الْمَوَاعِظِ وَالْآدَابِ“ فِي الْحَدِيثِ ، وَخَطَطَ مِصْرَ  
وغيرهما .

والمشهور من قضاة سبعة أحياء :

الحَيَّ الْأَوَّلُ — بَلَى (بفتح الباء) وهم بنو بَلَى ، بن عمرو ، بن الحَافِي ، بن قُضَاعَةَ ،  
ولهم بَقَايَا بِالْأُيُودِ الْمِصْرِيَّةِ بِصَعِيدِهَا الْأَعْلَى ، مِنْهُمْ بَنُو نَابٍ وَغَيْرُهُمْ ، وَبَقَايَا بِالْحِجَازِ  
وغيرهما ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمْ بَلَوِيٌّ بِزِيَادَةِ وَاوْ مَكْسُورَةً قَبْلَ يَاءِ النَّسَبِ .

الحَيَّ الثَّانِي — جُهَيْنَةُ (بضم الجيم وفتح الهاء والنون) ، وهم بنو جُهَيْنَةَ ، بن زَيْدٍ ،  
أَبْنُ لَيْثٍ ، بن سُودٍ ، بن أَسْلَمٍ ، بن الحَافِي ، بن قُضَاعَةَ ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَلَهُمْ بَقَايَا  
بِبِلَادِ الصَّعِيدِ مِنَ الْأُيُودِ الْمِصْرِيَّةِ وَبِالْحِجَازِ وَغَيْرِهِمَا . وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمْ جُهَيْنِيٌّ بِمَحْذَفِ  
الْيَاءِ بَعْدَ الْهَاءِ .

الحَيَّ الثَّلَاثَ — كَلْبٌ ، وهم بَنُو كَلْبٍ ، بن وَبَرَةَ ، بن ثَعْلَبَةَ ، بن حُلْوَانَ ، بن عِمْرَانَ ،  
أَبْنُ الْحَافِي ، بن قُضَاعَةَ ، وَمِنْهُمْ حَارِثَةُ الْكَلْبِيِّ أَبُو زَيْدٍ بنِ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قَالَ صَاحِبُ حِمَاهُ : وَكَانَ بَنُو كَلْبٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَنْزِلُونَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ ، وَتَبُوكَ ،  
وَأَطْرَافَ الشَّامِ . قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَمِنْهُمْ الْآنَ خَلَقَ عَظِيمٌ عَلَى خَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ  
مُسْلِمُونَ . قَالَ فِي «مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ» : وَبَشِيرَ ، وَحَلَبَ وَبِلَادَهَا ، وَتَدْمُرَ ، وَالْمَنَاظِرَ  
أَقْوَامَ مِنْهُمْ ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمْ كَلْبِيٌّ .

الحَيَّ الرَّابِعَ — عُذْرَةُ (بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة) وهم بنو عُذْرَةَ

(١) ابن سعيد، بن هذيم، بن زيد، بن ليث، بن سود، بن أسلم، بن الحافي، بن قضاة، وإلى عُدرة هؤلاء ينسب العشق والتيم؛ ومنهم عُمرو بن حزام صاحب عَفراء أحد المتيمين وجميل صاحب بُيئة . ومن أحسن ما يحكى أنه قيل لرجل منهم : ما بَالُ العِشق يقتلكم يا بني عُدرة ؟ قال لأنّ فينا جمالا وعِفّة : وقيل لآخر منهم : ما بَالُ الرجل منكم يموتُ في هوى امرأة ؟ إنما ذلك ضَعف فيكم يا بني عُدرة — فقال : أما والله ! لو رأيتم النواظر الدُّعج ، تحتها المَباسِمُ الفُجج ، فوقها الحَوَاجِبُ الرُّجج ، لاَتَّخِذْتُمُوهَا اللَّاتَ والعُرَى ؛ ولهم بقايا بالدَّقْهَلِيَّةِ والمُرْتاحِيَّةِ من الديار المصرية ، وبقايا بالشام أيضا .

الحى الخامس — بهراء (بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء وألف بعد الراء المهملة) ، وهم بنو بهراء ، بن عمرو، بن الحافي : بن قُضاة ؛ ومنهم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ، منهم المقداد بن الأسود ، أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويقال : إن خالد بن برمك من آل بهراء . قال في العبر : وكانت منازلهم شمالي منازل بلّ من الينبع إلى عقبة أيلة ، ثم جاور بحر القُزُم منهم خلق كثير ، وأنشروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر ، وكثروا هناك ، وغلبوا على بلاد النوبة ، وهم يحاربون الحبشة إلى الآن .

الحى السادس — بنونهد ، بن زيد ، بن ليث ، بن سود ، بن أسلم ، بن الحافي ، بن قُضاة ؛ وكانت منازلهم باليمن ، وإليهم كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابه المشهور ؛ وكان منهم طائفة بالشام أيضا فيما ذكره أبو عبيد . ومن مشاهير نهد الصّقّعب ؛ قال صاحب حماه : وكان رئيسا في الإسلام .

(١) في القاموس سعد بن هذيم بدون ياء وهو الصواب وهذيم عبد حبشي تحضن سعدا فنسب إليه وإلا فهو سعد بن زيد بن ليث فليس زيد جدّا له كما قد يتوهم من العبارة فتنبه .

الحى السابع — جَرْمٌ، وهم بنو جَرْمٍ وأسمه عِلَافٌ، بن زَبَّانَ، بن حُلُوانَ، بن عِمْرانَ،  
 ابن الحافى، بن قُضَاعَةَ . قال الحمدانى : ومنهم بنو جُشَمَ، وبنو قُدَامَةَ، وبنو عَوْفٍ .  
 قال فى العبر : ومنهم جماعة من الصحابة رضى الله عنهم . قلت ووهم القاضى ولى  
 الدين بن خلدون فجعلهم هم الذين ببلاد غَزَّةَ ، وقد تقدّم أن أولئك هم جرم طيئ  
 لا جرم قُضَاعَةَ . وعدّ صاحب حمّاه فى تاريخه منهم تَنُوخَ (بفتح التاء المثناة فوق  
 وضم النون وخاء معجمة فى الآخر) قال الجوهري : ولا تشدّد نونه ، والتحقيق  
 ما قاله أبو عبيد : أنهم ثلاثة أبطن من القحطانية زَرَارَ، والأحلاف<sup>(١)</sup> . قال : وسُمُّوا بذلك  
 لأنهم حلفوا على المّقام بمكان بالشام والتَّنَخِ المّقام . قال ابن سعيد : ومن الناس  
 من يطلق تَنُوخَ على الضّجاعة، ودَوُسَ الذين تَنَخُوا بالبحرين . قال صاحب  
 حمّاه : وكان بينهم وبين التّميميين ملوك الحيرة حروب ؛ ولتنوخ بقايا بالمعزة من بلاد  
 الشام فيما ذكره الحمدانى .

القبيلة الثانية — من القحطانية كهَلانَ (بفتح الكاف وسكون الهاء)، وهم بنو  
 كهَلانَ بن سبيل . قال أبو عبيد : وشعوبهم كلها متشعبة من زيد بن كهَلانَ ،  
 وكانوا متداولين المّلك باليمن مع بنى حمير، انفرد بنو حمير بالملك، وبقيت بطون كهَلانَ  
 على كثرتها تحت ملكهم . قال فى العبر : ثم تقاصر مّلك حمير وبقيت الرياسة على  
 العرب بالبادية لبني كهَلانَ، وهم أحياء كثيرة .  
 والمشهور منهم أحد عشر حيّا :

الحى الأول — الأزْد (بفتح الهمزة وسكون الزاى وبالذال المهملة) ، قال  
 أبو عبيد : ويقال بالسين بدل الزاى . قال الجوهري : بالزاى أفصح ، وهم بنو  
 الأزْد، بن الغوث ، بن نَبْتٍ ، بن مالك ، بن أدَدَ، بن زيد ، بن كهَلانَ، وهم من أعظم  
 الأحياء وأكثرهم بطونا . وقد قسّم الجوهري الأزْد إلى ثلاثة أقسام :

(١) أى أسد وغطفان فهما آثنان وزار الثالث .



أحدهما - أزدُ شُوءة، وهم بنو نصر بن الأزد، وشُوءة لقب لنصر غلب على بنيه .  
الثاني - أزد السَّراة، بإضافة أزد إلى السَّراة (بالسين المهملة)، وهو موضع  
بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعرفوا به .

(١)  
الثالث - أزدُ عَمَّان بإضافة أزد إلى عمان (بفتح العين المهملة وتشديد الميم)،  
وهي مدينة بالبحرين نزلها قوم منهم فعرفوا بها . وللأزد بقايا ببلاد الشام بزُرْع  
وَبُصْرَى فيما قاله في "مسالك الأبصار" .

ثم الأزد بطون كثيرة . منها غَسَّان (بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة  
ونون في الآخر)، قال أبو عبيد : وهم بَنُو جَفْنَةَ، والحارث وهو مُحَرِّق، وَثَعْلَبَةُ وهو  
العَتَقَاءُ، وحارثَةُ، ومالك، وَكَعْب، وخارجة، وَعَوْفُ بْنُ عَمْرٍو، بن عامرٍ ماء السماء،  
أَبْن حارثَةَ الغَطْرِيف، بن امرئ القيس البَطْرِيق ويقال البُهْلُول، أبْن ثَعْلَبَة، بن  
مازن، بن الأزد؛ وإنما سُمُوا غسان لماء نزلوا عليه اسمه غَسَّان فشرَبوا منه فُسِمُوا  
به . قال في العبر : وهو على القرب من بلاد اليمن . قال أبو عبيد : وفي ذلك يقول  
بعض الأنصار :

إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعَشَرٌ نَجَبٌ \* الْأَزْدُ نَسَبُنَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ

ولغسان هؤلاء كان مُلْكُ العرب بالشام بعد سَليحِ المقَدَّم ذَكَرَهُمْ إلى أن كان  
آخِرُهُمْ جَبَلَةُ بن الأيهم الذي أسلم في زمن عمر ثم آرتد، ولحق ببلاد الكُفَر . وقد  
ذكر في «مسالك الأبصار» أن لهم بقايا ببلاد الشام بالبَلْقَاء واليَرْمُوكَ وَحِمَص . ومنها  
الْأَوْس والخَزَرَج أبنا حارثَةَ، بن ثَعْلَبَة، بن عَمْرٍو مَزْيِقِيَا، بن عامرٍ ماء السماء، بن حارثَةَ  
الغَطْرِيف، بن امرئ القيس البَطْرِيق، بن ثَعْلَبَة، بن مازن، بن الأزد؛ وكانت منازلهم

(١) هذا الضبط مخالف لما ضبطه الجوهري بالقلم والقاموس أيضا وضبطه شارحه بالعبرة . فقال :  
كغراب بلد بالبحرين وكذا ياقوت وفيه أيضا أن المفتوح المشدّد بلد بأطراف الشام فخر .

(٢) لقب بذلك لطول عتقه ووقع في الأصل بالمشناة وهو تصحيف .

يَثْرِبَ، ومنهم كانت أنصارُ النبي صلى الله عليه وسلم، ولهم بقايا كثيرة متفرقة بالمشرق والمغرب . وقد ذكر الحمداني : أن منهم جماعةً بمنقُوط من صعيد مصر من عقب حَسَّان بن ثابت، وسعد بن معاذ سيد الأوس رضى الله عنهما .

الحى الثاني — من كهلان طيٍّ ( بفتح الطاء وتشديد الياء بهمزة فى الآخر ) أخذنا من الطاعة على وزن الطاعة : وهى الإيغال فى المرمى، وهم بنو طيٍّ، بن أدَدَ ابن زيد، بن يَشْجَب، بن عَرِيب، بن زيد، بن كهلان، والنسبة إليهم طائى، وإليهم ينسب حاتم الطائى المشهور بالكرم، وأبو تمام الطائى الشاعر المشهور، وهم كثير . قال فى العبر : وكانت منازلهم باليمن فخرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقتهم بسيل العرم، فتركوا بنجد والمجاز على القرب من بنى أسد، ثم غلبوا بنى أسد على جبلٍ أجأ وسامى من بلاد نجد، فنزلوهما فعرفا بجبل طيٍّ إلى الآن، ثم أفتروا فى أول الإسلام زمن الفتوحات فى الأقطار، ولهم بطون كثيرة . منهم ثعل ( بضم ) الناء المثناة وفتح العين المهملة ولام فى الآخر ) وهم بنو ثعل، بن عمرو، بن الغوث، ابن طيٍّ . قال أبو عبيد : ومنهم البيت والعدد . قال صاحب حماه : ومنهم زيد النخيل .

ومنها جديلةُ ( بفتح الجيم وكسر الدال وسكون الياء وفتح اللام وهاء فى الآخر )، ذكرهم الجوهري ولم يرفع نسبهم، ثم قال : وجديلةُ أمُّهم عرفوا بها : وهى جديلة بنت سبيح بن عمرو من حمير .

ومنها نهبان ( بفتح النون وسكون الباء الموحدة ونون بعد الألف )، وهم بنو نهبان، واسمه سودان، بن عمرو، بن الغوث، بن طيٍّ .

ومنها بولان ( بفتح الباء الموحدة وسكون الواو ونون بعد اللام ألف ) وهم بنو بولان، واسمه غصين، بن عمرو، بن الغوث، بن طيٍّ . ومنهم الثلاثة نفر الذين يقال

إنهم وضعوا الخط العربي على ما سيأتى ذكره فى الكلام على الخط فيما بعد  
إن شاء الله .

ومنها هِئَاء، وهم بنو هِئَاء، بن عمرو، بن القَوْث، بن طيئ .  
ومنهم إِيَّاس بن قَيْصَمَة الذى ملك بعد النُّعْمَان بن المنذر .

ومنها سُدُوس (بضم السين والdal المهملتين وسين مهملة فى الآخر) ، وهم بنو  
سُدُوس بن أَصَمَّع من بنى سعد، بن نَبْهَان، بن عمرو، بن القَوْث، بن طيئ .  
ومنهم جعفر بن عَطِيَّة الذى يقول :

مَدَحْتَ نَسِيبِي جَعْفَرًا إِنْ جَعْفَرًا \* تُحَلِّبُ كَفَّاهَ النَّدى وَأَنَا مِلهُ

ومنها سَلَامَانُ (بفتح السين المهملة ونون فى الآخر) ، وهم بنو سَلَامَان، بن ثَعْل،  
أبن الغوث، بن طيئ .

ومنها بُحْتَرُ (بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وضم التاء المثناة فوق وراء  
مهملة فى الآخر) ، وهم بنو بُحْتَر، بن عَتُود، بن عُنَيْز، بن سَلَامَان، بن ثَعْل،  
أبن عمرو، بن الغوث، بن طيئ؛ منهم أَبُو عُبَادَةَ البَحْرِيُّ الشاعر الإسلامى المشهور.

ومنها زُبَيْدُ (بضم الزاى وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وdal مهملة  
فى الآخر) ، وهم بنو زُبَيْد، بن مَعْن، بن عَمْرُو، بن عُنَيْز، بن سَلَامَان، بن عمرو، بن  
القَوْث، بن طيئ . قال ابن سعيد : وزُبَيْد هؤلاء هم الذين يبرية سِنْجَار من الجزيرة  
الْقُرَاتِيَّة، وهم الذين ذكرهم المقرئ الشهابى بن فضل الله، وسماهم زُبَيْد الأَحْلَاف .

ومنها سُنْبُسُ (بضم السين المهملة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسين مهملة  
فى الآخر) وهم بنو سُنْبُس بن معاوية، بن جَرُول، بن ثَعْل، بن عمرو، بن الغوث، بن

(١) ضبطه السويدي فى سبائك الذهب فقال بفتح السين وذكر فى القاموس أنه بالكسر وكذلك هو  
فى الصحاح واللسان بضبط القلم فتنبه .

طيئ. وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة بشغردميّاط، وأنه كان لهم شأن أيام الخلفاء الفاطميين، وعدّ منهم ثلاثة بطون: وهم الخزاعلة، وعبيد، وجحّوح. والإمارة في زماننا هذا فيهم، في الخزاعلة، في بنى يوسف بمدينة سخا من الأعمال الغربية. قال الحمداني: ومنهم طائفة بالبطائح من بلاد العراق.

ومنها جرم (بفتح الجيم وسكون الراء وميم في الآخر)، وهم بنو ثعلبة بن عمرو، بن الغوث، بن طيئ. وقال الحمداني جرم أمه غلب عليه: وهى جرم بنت الغوث ابن طيئ؛ وهؤلاء هم جرم الذين ببلاد غزّة من البلاد الشامية. قال الحمداني: وكانوا متفقين مع ثعلبة بالشام على تدافع الفرنج عن المسلمين، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد، دخلت طائفة منهم مصر، وبقي بقاياهم بمكانهم ببلاد غزّة. وقد ذكر الحمداني منهم ثلاثة بطون: وهم شمجان، وقران، وجيآن. ثم قال: والمشهور من جرم الآن جدّيمة؛ ويقال إن لهم نسبا في قریش؛ وزعم بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم، وقيل بل من جدّيمة بن مالك، بن حنبل، بن عامر، بن لؤى، بن غالب، بن فيهر. ثم قال وجدّيمة هؤلاء هم آل عوسجة، وآل أحمد، وآل محمود. ثم قال: ومنهم أسلم، وشبل، ورضيعة، ونيور، والقذرة، والأحامدة، والرفثة، وكور، وموقع. ومنهم من بنى غوث العاجلة، والعبادلة، وبنو تمام، وبنو جميل، وبنو مقدم، وآل نادر. ومنهم من بنى غوث بنو بها، وبنو خولة، وبنو هرماس، وبنو عيسى، وبنو سهيل؛ وأرضهم الداروم؛ وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببنى فهيد. ثم اختلطوا بهم.

ومنها ثعلبة، وضبطه معروف؛ وهم بنو ثعلبة بن سلامان، بن ثعل؛ بن عمرو؛ بن الغوث، بن طيئ، وهم رعيان درما وزريق، أبني عوف بن ثعلبة، وقيل أبنا ثعلبة وآسم درما عمرو، ودرما آسم أمه غلب عليه. قال الحمداني: وكانوا مع جرم بالشام يدا مع

الفرنج على المسلمين، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد آتتقلت طائفة منهم إلى مصر ونزلوا أطراف بلاد الشرقية؛ فمن بطون دَرُما سلامة، والأحمر، وعمرو، وقصير، وأويس، وشبل، والحنابل، والمرانة، والحَيَّانِيون؛ ومن بطون زريق بها بنو وهم الطليحيون؛ ومن الطليحيين آل حجاج، وآل عمران، وآل حفصان، والمصاحفة؛ ومن بنى زريق أيضا الصبيحيون، ومن الصبيحيين الغيوث، والزُموت، والروايات، والنمورة، والشمخيون، والسَّعالى، والرمالى، والمعامرة، والسَّنْدِيَّون، والبَحَّاجَة، والعُقَيْليون، والمساهرة، والمعافرة؛ ومنهم أيضا العليميَّون . قال الحمداني: وكان مقدّمهم قديما عمرو بن عسيلة أُمّر بالبوق والعلم . ومن العليميَّين القمعة، والرياحين، والغوفة . قال الحمداني: وكان فيهم رجال ذوو ذكرونباهة، خدموا الدول، وعضدوا الملوك، وقاموا ونصروا . ومنهم من أُمّر بالبوق والعلم . ومن بطون ثعلبة هؤلاء أيضا الجواهرية .

ومنها غَزِيَّة ( بفتح الغين المعجمة وكسر الزاى وتشديد الياء المثناة تحت وهاء فى الآخر )، وهم بنو غَزِيَّة بن أَفْلَتَ، بن ثعل، بن عمرو، بن سَلَّامان، بن ثعل، بن عمرو، بن الغوث، بن طيئ . قال الحمداني: وهم بالشام والعراق والحجاز، وفيما بين العراق والحجاز . قال فى العبر: وفيهم الإمارة فى العراق إلى الآن ولهم صولة عظيمة . وهم بطون كثيرة: فمن بطونهم البطين، وأنخاذهم، آل دعيج، وآل روق، وآل رفيع، وآل سرية، وآل مسعود، وآل تميم، وآل شرود . ومن بطونهم الأجود وأنخاذهم آل منيع، وآل سنيد، وآل منال، وآل أبى الحزم، وآل على، وآل عقيل، وآل مسافر . هذا ما ذكره الحمداني . وزاد فى مسالك الأبصار عن نصر بن برجس المشرقى، وأولاد الكافرة، وساعدة، وبنى جميل، وآل أبى مالك . قال فى "المسالك": "وديار

آل أجود منهم الرخيمية، والرقبي، والفردوس، ولينة، والحدق. وديار آل عمرو بالحوف. وديار بقاياهم النصيف، والكن، واليحموم، والأم، والمعينة. ويلهم مساعدة. وديارهم من الحضر إلى بركة زرد، إلى سقارة، إلى البقعاء، إلى التيب، إلى الساسة، إلى حضر.

ومنها لام. وهم بنو لام بن عمرو، بن طريف، بن عمرو، بن بجيلة، بن مالك، بن جدعاء، بن ذهل، بن رومان، بن جندب، بن خارجة، بن سعد، بن قطرة، بن طيء. قال ابن سعيد: ومساكنهم المدينة النبوية وما حولها. وقال الحمداي: ديارهم جبل أجا وسلمى. ثم قال وظفير من لام، ومنازلهم الظعن قبالة المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

ومنها آل ربيعة، عرب الشام. وهم بنو ربيعة، بن حازم، بن علي، بن مفرج، بن دغفل، بن جراح، بن شبيب، بن مسعود، بن سعيد، بن حرب، بن السكّن، بن ربيع، ابن علقم، بن حوط، بن عمرو، بن خالد، بن معبد، بن عدى، بن أفلت، بن سلسلة، بن غنم، بن ثوب، بن معن، بن عتود، بن عنيز، بن سلامان، بن ثعل، بن عمرو، بن القوث، ابن طيء. قال في "مسالك الأبصار": وتقول بنو ربيعة الآن إنهم من ولد جعفر ابن يحيى، بن خالد، بن برمك من العباسية بنت المهدي، أخت الرشيد، ويزعمون أنه كان يحضر مع الرشيد مجلسه الخاص وأنه كلمه في تزويجها ليحلّ له نظرها لأجتماعهما بمجلسه فعقد له عليها بشرط أن لا يطاها، فعانقها على حين غفلة من الرشيد، فحملت منه بولد كان ربيعة هذا من ولده. قال: ويقولون في نسبه إنه ربيعة بن سالم، ابن شبيب، بن حازم، بن علي، بن جعفر، بن يحيى، بن خالد، بن برمك، ويزعمون أن نكبة البرامكة كانت بسبب ذلك. ثم قال: وأصلهم إذا نسبوا إليه أشرف لهم:

لأنهم من سلسلة بن عُنَيز، بن سلامان، بن طيئ، وهم كرام العرب وأهل البأس  
والنجدة؛ والبرامكة وإن كانوا قوماً كراماً فإنهم قوم عجم وشتان بين العرب والعجم؛  
وقد شرف الله تعالى العرب أن بعث منهم محمداً صلى الله عليه وسلم، وأنزل فيهم كتابه،  
وجعل فيهم الخلافة والملك، وأبترَّ لهم ملك فارس والروم، ونزع بأسنتهم تاج كسرى  
وقيصر، وكفى بذلك شرفاً لا يُطَاوَل، ونفراً لا يُتَنَاوَل. وذكر في "التعريف" نحوه  
قال في العبر: وكانت رياسة طيئ في أيام الفاطميين لبني الجراح، ثم صارت لآل  
ربيعة. قال الحمداني: وكان ربيعة هذا قد نشأ في أيام الأتابك زنكى وأبنة نور الدين  
الشهيد صاحب الشام ونبغ بين العرب وولد له أربعة أولاد: وهم فضل، ومرا،  
وثابت، ودغفل، ومنهم تفرَّعت بطون آل ربيعة. ثم المشهور من آل ربيعة الآن  
ثلاثة بطون: وهم آل فضل، وآل مرا، وآل علي: قال فضل هم بنو فضل بن ربيعة  
وآل مرا بنو مرا بن ربيعة. وأما آل علي فمن آل فضل، وهم بنو علي بن حديثة، بن  
عُقبة بن فضل المتقدم ذكره؛ وقد صارت آل فضل أيضاً بعد ذلك بيوتا أرفعها قدراً  
بيت عيسى بن مُهَنَّأ، بن مائع، بن حديثة، بن عقبة، بن فضل. قال في "مسالك  
الأبصار" وفيهم الإمرة دون سائر آل فضل. قال: ثم صار آل عيسى بيوتا، بيت  
مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى، وبيت حارث بن عيسى، وبيت محمد  
أبن عيسى، وبيت هبة بن عيسى. وسيأتى الكلام على تقسيم الإمرة فيهم في الكلام  
على عرب الشام في المسالك والممالك إن شاء الله.

الحى الثالث — من كهلان مَذْحِج (يفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء  
المهمله وجيم فى الآخر)، وهم بنو مَذْحِج وأسمه مالك، بن أدَد، بن زيد، بن يَشْجُب،  
أبن عَرِيب، بن زيد، بن كهلان هكذا قاله أبو عبيد، وقال الجوهرى: مَذْحِج

أَبْنُ يُحَارِ، بن مالك، بن زيد، بن كهلان. وقد ذكر الحمداني: أنهم إنما سَمُوا مَذْحِجَ لشجرة تحالفوا عندها أسمها مَذْحِج، فُسَمُوا بِأَسْمِهَا. ثم لمذحج بطون كثيرة:

منها خَوْلَان، (بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ونون بعد اللام ألف)، وهم بنو خَوْلَانَ بن مالك، وهو مَذْحِج وإليهم ينسب أبو إدريس الخَوْلاني. قال في العبر: وبلاد خَوْلَانَ في بلاد اليمن من شرقيها، قال: وقد آفترقوا في الفتوحات، وليس منهم اليوم ذرية إلا باليمن؛ ثم قال وهم غالبون على أهلها.

ومنها جَنْب (بفتح الجيم وسكون النون وباء موحدة في الآخر)، وهم بنو مُنْبَه، والحارث، والغلي، وسبحان، وشمران، وهفان بن يزيد، بن حرب، بن عَلَّة، ابن جَلَد، بن مَذْحِج. قال أبو عبيد: وُسَمُوا بِجَنْب لأنهم جانبوا عَمَّهم صُدَاءَ، وحالفوا سعد العشيرة، وحالفت صُدَاءُ بنى الحارث بن كعب. ومن جَنْب معاوية الخير الجنبى صاحب لواء مَذْحِج في حرب بني وائل.

ومنها سعد العشيرة، وهم بنو سعد العشيرة بن مَذْحِج، وُسِّمَ بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلثائة رجل، فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتي دفعا للعين عنهم، فقبل له سعد العشيرة. ثم من بطون سعد العشيرة أَوْذ (بفتح الهمزة وسكون الواو وذال معجمة في الآخر)، وهم بنو أَوْذ بن صَعْب بن سعد العشيرة، وإليهم ينسب الأفوه الأوذى الشاعر المشهور. ومن بطون سعد العشيرة أيضا جُعْفَى (بضم الجيم وسكون العين المهملة وكسر الفاء وياء مثناة تحت في الآخر) وهم بنو جُعْفَى بن سعد العشيرة والنسبة إليهم جُعْفَى على مثل لفظه، وإليهم ينسب الإمام البخارى بالمؤالاة، فيقال الجُعْفَى مولاهم. ومن بطون سعد

(١) صوابه ودال مهملة أنظر القاموس وشرحه في مادة أود على أنه لم توجد مادة أود بالمعجمة فإنا بأبدينا من المعاجم فتنه.



العشيرة زُبَيْد (بضم الزاي وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة في الآخر)، وهم بنو مُنَبِّه بن صَعْب بن سعد العشيرة، وتُعرف زُبَيْد هؤلاء بِزُبَيْد الأكبر، وهم زُبَيْد الحجاز. قال في مسالك الأبصار: وعليهم دَرَك الحاج المصري من الصَّفرَاء إلى الجحفة ورايح. ومن زُبَيْد هؤلاء بطن تُعرف بِزُبَيْد الأصغر، وهم بنو مُنَبِّه الأصغر بن ربيعة بن سلمة بن مازن بن ربيعة بن مُنَبِّه الأكبر. قال أبو عبيد ومن زُبَيْد هؤلاء عمرو بن معدى كرب.

ومنها النَّخَع <sup>(١)</sup> (بفتح النون وسكون الخاء المعجمة وعين مهلة في الآخر)، وهم بنو النَّخَع وأسمه جَسْر بن عمرو بن عِلَّة بن جَلْد بن مَذْج. قال أبو عبيد: وسمى النَّخَع لأنه آتَنَخ عن قومه أي بَعْد، ومنهم الأَشتر النَّخَعِيُّ أحد تابعي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي ولاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه مِصر، وكتب له بها عهداً على ماسياتى ذكره في الكلام على العهود عند ذكر الولايات فيما بعد إن شاء الله تعالى. وإليهم ينسب إبراهيم النَّخَعِيُّ الإمام الكبير المشهور.

ومنها عَنَس (بفتح العين المهملة وسكون النون وسين مهملة في الآخر)، وهم بنو عَنَس بن مَذْج، منهم عَمَّار بن ياسر الصحابي المشهور؛ وإليهم ينسب الأسود العنسي الكذاب، الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بخروجه فأدعى النبوة باليمن بعد ذلك.

ومنها بنو الحارث، ويقال بَلْحَارِث بن كعب، وهم بنو الحارث بن كَعْب بن عمرو بن عِلَّة بن جَلْد بن مَذْج. قال في "العبر": وديارهم بنواحي نَجْرَانَ من اليمن مجاورون لبني ذُهَل بن مُزَيْقِيَاء، منهم بَشِير الحارثي الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ما أسمك قال: أكير، قال: بل أنت بَشِير.

(١) الذي في القاموس النَّخَع بالتحريك قبيلة وفي المصباح والنخع بفتح نين قبيلة من مَذْج فليظن.

الحى الرابع — من بني كهلان همدان ( بفتح الهاء وسكون الميم وodal مهملة ثم ألف ونون ) ، وهم بنو همدان ، بن مالك ، بن زيد ، بن أوسلة ، بن ربيعة ، بن الحيار ، ابن زيد ، بن كهلان ، . قال فى "العبر" : وكانت ديارهم بايمن من شرقه ، ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق منهم ، وبقى من بقى بايمن . قال : وكانت همدان شيعه لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه عند وقوع الفتن بين الصحابة ؛ وفيهم يقول رضى الله عنه :

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ \* لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ أَدْخُلِي بَسَلَامٍ

قال فى "مسالك الأبصار" : وبالجل المعروف بالطييين من الشام فرقة من همدان .  
الحى الخامس — من بنى كهلان كندة ( بكسر الكاف وسكون النون وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر ) ، وهم بنو كندة ، وأسمه ثور ، بن عفير ، بن عدى ، بن الحارث ، بن مرة ، بن أدد ، بن زيد ، بن يشجب ، بن عريب ، بن زيد ، بن كهلان . قال صاحب حماة : وسى كندة لأنه كند أباه أى كفر نعمته . قال : وبلادهم بايمن قبل حَضْرَمَوْت ، وكان لهم ملك بالحجاز واليمن ؛ ومنهم الأشعث بن قيس الصحابى المشهور ؛ ومنهم أيضا القاضى شريح قاضى على رضى الله عنه . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن باللوى من بلاد الشام قوما ينسبون إلى كندة ، ولهم بطون منها السكون ( بضم السين المهملة والكاف ونون بعد الواو ) ، وهم بنو السكون ابن أشرس بن كندة ؛ ومنهم معاوية بن حديج قاتل محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم ؛ وعد منهم صاحب حماة السكاسك أيضا ( بفتح السين الأولى وكسر الثانية ) ، والذي ذكره أبو عبيد أنه من حمير ، وقال : هم بنو السكاسك بن وائلة بن حمير . قال الجوهري : والنسبة إلى السكاسك سَكْسَكِي ردا له إلى أصله كما ينسب إلى مساجد مسجدي .

الحى السادس — من بنى كهلان مُراد (بضم الميم وفتح الراء المهملة ودال مهملة بعد الألف)، وهم بنو مراد، بن مالك، بن أدد، بن زيد، بن يشجب، بن عريب، ابن زيد، بن كهلان، قال الجوهري : ويقال إن اسمه يُحْابِر فتمرد فسمى مُرادا . وجعلهم في العبر بطنًا من مَدَحِج ، فقال مراد بن مذحج . قال صاحب حماء : وبلادهم إلى جانب زَبِيد من بلاد اليمن ، قال : وإلى مراد هذا ينسب كل مُرادى من عرب اليمن .

الحى السابع — من بنى كهلان أَمَارٌ (بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم وراء مهملة بعد الألف)، وهم بنو أَمَار، بن أراش، بن عمرو، بن الغوث، بن نَبْت، بن مالك، بن زيد، بن كهلان . ولهم بطنان — الأولى بِحِيلَة (بفتح الباء الموحدة وكسر الجيم وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر)، وهم بنو عَبْقَر، والغوث، وصُهَيْبَة، وحَزِيمَة <sup>(١)</sup> بن أَمَار، بن أراش . قال أبو عبيد : وبجيلة أمهم، عُرفوا بها — وهى بجيلة بنت صَعْب بن سعد العشيرة، قال في العبر : وكانت بلادهم في سَرَوَات اليمن والمجاز إلى تَبَالَة . ثم أفترقوا أيام الفتح الإسلامى في الآفاق، فلم يبق منهم فى مواطنهم إلا القليل ، قال الجوهري : ويقال إنهم من العدنانية ، لأن نزار بن معد بن عدنان وُلِدَ له مُضَرُّ وربيعة وإياد وأَمَار ، وولد لأَمَار بجيلة وخَنَم فصاروا إلى اليمن ، وإلى بجيلة هؤلاء ينسب جرير بن عبد الله البجلي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جميلا فائق الجمال ، حتى إنه كان يقال له يُوسُف الأمة، وفيه يقول بعض الشعراء يمدحه :

لَوْلَا جَرِيرٌ هَلَكْتَ بِجِيلِهِ \* نَعِمَ الْفَتَى وَبُسْتِ الْقَبِيلِهِ

الثانية — خَنَمٌ (بفتح الخاء المعجمة وسكون التاء المثناة وفتح العين المهملة وميم في الآخر)، وهم بنو خَنَم بن أَمَار بن أراش المقدم ذكره ابن هند بنت مالك

(١) بفتح الخاء المهملة وكسر الزاي كما ضبطه كذلك في سبائك الذهب .

أَبْنُ الْغَافِقِ بْنِ الشَّاهِدِ بْنِ عَدٍ ، وَفِيهِمْ مِثْلُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ الْجَوْهَرِيِّ فِي الْكَلَامِ عَلَى بَيْحِلَةَ أَنَّهُمْ مِنَ الْعَدْنَانِيَّةِ : لِأَنَّ خَنْعَمَ وَبَيْحِلَةَ يَرْجِعُونَ إِلَى أُنْمَارٍ . وَكَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ مَعَ إِخْوَتِهِمْ بِبَيْحِلَةَ بَسْرَوَاتِ الْيَمَنِ فَافْتَرَقُوا فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ . وَمِنْ خَنْعَمَ هَؤُلَاءِ أَكْلُبُ (بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الْكَافِ وَضَمِّ اللَّامِ وَبَاءِ مُوَحَّدَةٍ فِي الْآخِرِ) ، وَهُمْ بَنُو أَكْلُبَ ، بْنِ عُقَيْرَ ، بْنِ خَلْفَ ، بْنِ خَنْعَمَ . قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : وَيُقَالُ إِنَّ أَكْلُبَ مِنْ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارٍ . قَالَ الْهَمْدَانِيُّ : وَهُمْ بَطُونَ كَثِيرَةٌ ، وَمَنَازِلُهُمْ بِبِشَّةَ ، شَرْقِيَّ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ . وَمِنْ خَنْعَمَ أَيْضًا بَنُو مُنَبِّهٍ وَالْفُرْعَ ، وَبَنُو نَضْلَةَ وَمَعَاوِيَةَ ، وَآلُ مَهْدَى ، وَبَنُو نَصْرٍ ، وَبَنُو حَامٍ ، وَالْوَرْدَ ، وَنَادِرَ ، وَآلَ الصَّعَافِيرِ ، وَالشَّامِ ، وَبَلُوسَ ، قَالَ الْهَمْدَانِيُّ : وَمَنَازِلُهُمْ عَلَى الْقَرَبِ مِنْ بِبِشَّةَ شَرْقِيَّ مَكَّةَ أَيْضًا .

الْحَيُّ الثَّامِنُ — مِنْ بَنِي كَهْلَانَ جُدَامَ (بِضْمِ الْجِيمِ وَفَتْحِ الذَّالِ الْمَعْجَمَةِ وَأَلْفِ ثَمِيمٍ) ، وَهُمْ بَنُو جُدَامَ ، بْنِ عَدِيٍّ ، بْنِ الْحَارِثِ ، بْنِ مُرَّةَ ، بْنِ أَدَدَ ، بْنِ زَيْدَ ، أَبْنِ يَشْجُبَ ، بْنِ عَرِيبَ ، بْنِ زَيْدَ ، بْنِ كَهْلَانَ ، هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ : وَجَعَلَهُمْ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ مِنْ وَلَدِ عَمْرُو بْنِ سَبِيحٍ . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ ، وَتَزَعَمَ نِسَابَةُ مُضَرٍّ أَنَّهُمْ مِنْ مُضَرِّ يَعْنِي مِنَ الْعَدْنَانِيَّةِ ، وَأَنَّهُمْ أُنْتَقَلُوا إِلَى الْيَمَنِ فَتَزَلُّوْهَا ، فَحُسِبُوا مِنَ الْيَمَنِ ، وَأَسْتَشْهَدُ لَهُ بِقَوْلِ الْكُمَيْتِ يَذْكُرُ أُنْتَقَالَهُمْ إِلَى الْيَمَنِ بِانْتِسَابِهِمْ فِيهِمْ :

نَعَاءُ جُدَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلٍ \* وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ !

وَأَسْتَشْهَدُ لَهُ الْهَمْدَانِيُّ أَيْضًا بِقَوْلِ جُنَادَةَ بْنِ خَشْرَمٍ الْجُدَامِيِّ :

وَمَا قَطَطَانِ لِي بِأَبٍ وَأُمٍّ \* وَلَا تَصْطَادُنِي شُبُهَةُ الضَّلَالِ

وَلَيْسَ إِلَيْهِمْ نُسَبِي وَلَكِنْ \* مَعْدِيًّا وَجَدْتُ أَبِي وَخَالِي

(١) أَعْجَمَهُ فِي الْأَصْلِ . وَقَالَ فِي سَبَائِكَ الذَّهَبِ « حَلَفَ بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ بَنُوهُ بَطْنُ مَنْ خَنْعَمَ » .

قال الحمداى : ويقال إنهم من ولد أعصر بن مدين بن إبراهيم عليه السلام ،  
 وأستشهد لذلك بما رواه محمد بن السائب أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وفد جُدَام ، فقال ” مَرَحَبًا بِقَوْمِ شُعَيْبٍ وَأَصْهَارِ مُوسَى “ . قال صاحب حماة :  
 وكان فيهم العَدُدُ والشَّرَفُ . قال الحمداى : وهو أول من سكن مصر من العرب حين  
 جاءوا فى الفتح مع عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وأقْطَعُوا فيها بلادا بعضها بأيدي  
 بنينهم إلى الآن . وكان لجُدَام ولدان : هما حِشْم (بكسر الحاء المهملة وسكون الشين  
 المعجمة وميم فى الآخر) ، وحرَام (بفتح الحاء والراء المهملتين وألف ثم ميم) ؛ ومن  
 ولد حِشْم عَتِيت (بفتح العين المهملة وكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت  
 (٢) وتاء مثناة فوق فى الآخر) وهم بنو عَتِيت بن أسلم ، بن مالك ، بن شُئُوعة ، بن تَدِيل ،  
 ابن حِشْم بن جُدَام . قال أبو عبيد : وهم اليوم يتنسبون فى بنى شِيان ، ويقولون  
 عَتِيت بن عَوْف بن شِيان . قال وإليهم تنسب حُفْرة عَتِيت بالبصرة ، قال  
 الجوهري : أغار عليهم بعض الملوك فسبى الرجال ، فكانوا يقولون إذا كبر صبياننا  
 لم يتركونا ، حتى يفتكونا ، فلم يزلوا عنده حتى هلكوا فضرَب لهم العرب مثلا  
 فقالوا : أودى عَتِيت ، وفى ذلك يقول الشاعر :  
 تَرْجِيها وقد وَقَعَتْ بِقُرٍّ \* كما تَرْجُوا صَاغِرَهَا عَتِيت (٢)

ثم لجُدَام الآن بطون كثيرة متفرقة فى الأقطار؛ منهم بالشرقية من الديار  
 المصرية من بنى زيد بن حرَام بن جُدَام ، وبنى مُحَرمة بن زيد بن حرَام بن جُدَام ؛  
 فأما بنو زيد فمنهم بنو سُويد ، وبعجة ، وبردعة ، ورفاعة ونائل ، من بنى زيد بن  
 حرَام بن جُدَام ، فمن ولد سُويد هَلْبا سويد ، وهم بنو هَلْبا بن سُويد بن زيد بن حرَام

(١) فى سبائك الذهب . يعفر . (٢) كذا رسم فى السبائك أيضا وهو بالباء الموحدة فى الصحاح والقاموس  
 وأنشد الأول البيت بالياء الموحدة ومثله فى باقوت فتنه .

أَبْنُ جُدَامَ . قال الحمداني . ومنهم العَطَوِيُّونَ ، والجَابِرِيُّونَ ، والقَتَاوَرَةُ ، وَحَمْدَانُ ،  
وَرُومَانُ ، وَصَمْرَانُ ، وَأَسُودُ . والحَمِيدِيُّونَ ، ومن الحمِيدِيِّينَ ، أولاد رَاشِدَ ، ومنهم البرَاجِسَةُ ،  
وأولاد يَبرِينَ والجَرَّاشَنَةُ ، والكَعُوكُ ، وأولاد غَانِمَ ، وآل حَمُودَ ، والأَخِيوَهْ ، والزَّرْقَانُ ،  
والأَسَاوَرَةُ ، والحَمَارِيُّونَ . ومن بَنِي رَاشِدَ أَيْضَا الحَرَّاقِيصُ ، وَالخَنَافِيسُ ، وأولاد  
غَالِي ، وأولاد جَوَّالَ ، وآل زَيْدَ ، ومن النَجَابِيَّةِ أولاد نَجِيبَ وَبَنُو فَضِيلَ .

ومن هَلْبَا سُؤِيدَ أَيْضَا بَنُو الْوَلِيدِ ، وهم بَنُو الْوَلِيدِ بَنِ سُؤِيدِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ . ومنهم  
الْحَيَّادَةُ ، وهم بَنُو حَيْدَرَةَ ، بَنِ يَعْرَبَ ، بَنِ حَبِيبَ ، بَنِ الْوَلِيدِ ، بَنِ سُؤِيدَ .  
قال الحمداني : وهم طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ ، ومنهم بَنُو عِمَارَةَ ، وهو عِمَارَةُ بَنِ الْوَلِيدِ . ومنهم  
عَدَدٌ ، وَالْحَيَّوْنُ : وهم بَنُو حَبَّةَ بَنِ رَاشِدَ بَنِ الْوَلِيدِ . ومن وَلَدِ الْوَلِيدِ بَنِ سُؤِيدِ  
الْمَذْكُورِ طَرِيفَ بَنِ بَكْتُوتِ الْمَلْقَبِ زَيْنَ الدَّوْلَةِ ، كَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْعَرَبِ ، وَكَانَ  
فِي مَضِيْفَتِهِ أَيَّامَ الْغَلَاءِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا تَأْكُلُ عِنْدَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، وَكَانَ يَهْتَمُّ التَّرِيدَ  
فِي الْمَرَاقِبِ ، وَمِنْ أَوْلَادِهِ مِنْ أَمَرَ بِالْبُوقِ وَالْعَلَمِ وَعَدَّ مِنْ أَحْلَافِهِمْ أَوْلَادَ الْهَوْبَرِيَّةِ ،  
وَالرَّدَالِيْنَ ، وَالْخَلِيفِيِّينَ ، وَالْحَضِينِيْنَ ، وَالرَّبِيعِيِّينَ ، وَهُمْ أَوْلَادُ شَرِيفِ النُّجَابِيْنَ ،  
وَذَكَرَ الْحَمْدَانِيَّ أَنَّ لَهُمْ نَسَبًا فِي قَرِيْشٍ إِلَى عَبْدِ مَنَافَ ، بَنِ قُصَيٍّ . وَمِنْ هَلْبَا سُؤِيدِ  
هَؤُلَاءِ هَلْبَا مَالِكُ ، وَهُمْ بَنُو مَالِكِ بَنِ سُؤِيدَ ، وَمِنْ هَلْبَا مَالِكِ بَنُو عُبَيْدٍ وَهُمْ بَنُو  
عُبَيْدِ بَنِ مَالِكَ ، وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ الْمَذْكُورِ الْحَسَنِيُّونَ ، وَهُمْ بَنُو الْحَسَنِ بَنِ أَبِي بَكْرٍ  
مَوْهُوبِ بَنِ عُبَيْدَ ، وَالغَوَّارَةَ ، وَهُمْ بَنُو الْغَوَّرِ بَنِ أَبِي بَكْرٍ مَوْهُوبِ بَنِ عُبَيْدَ ، وَبَنُو  
أُسَيْرَ ، وَهُمْ بَنُو أُسَيْرِ بَنِ عُبَيْدَ ، وَمِنْ هَلْبَا مَالِكِ أَيْضَا اللَّيْدِيُّونَ ، وَالْبَكْرِيُّونَ ،  
وَالْعَقِيلِيُّونَ ، وَهُمْ بَنُو عُقَيْلِ بَنِ قُرَّةَ بَنِ مَوْهُوبِ بَنِ عُبَيْدَ . وَمِنْهُمْ بَنُو رَدِيْنِي ، وَهُمْ بَنُو  
رَدِيْنِي بَنِ زِيَادَ ، بَنِ حُسَيْنَ ، بَنِ مَسْعُودَ ، بَنِ مَالِكَ ، بَنِ سُؤِيدَ . وَمِنْ وَلَدِ بَعْجَةَ هَلْبَا بَعْجَةَ ،  
وَهُمْ بَنُو هَلْبَا ، وَمَنْظُورَ ، وَرَدَا ، وَنَائِلَ بَنِي بَعْجَةَ بَنِ زَيْدِ بَنِ سُؤِيدِ بَنِ بَعْجَةَ ، فَمِنْ وَلَدِ

هلبا بعجة مُفَرِّج بن سالم ، أمره المعز أليك بالبوق والعلم ، ثم خلفه على إمرته ولده حَسَّان . ومنهم أولاد الهُرَيم من بنى غياث بن عِصْمة بن نِجَاد بن هلبا بن بعجة . ومنهم جَوْشَن بن منظور بن بَعْجة ، وهو صاحب السَّراة المضروب به المشل في الكرم والشجاعة .

ومن ولد نائل مُهَنَّأ بن علوان بن علي بن زبير بن حبيب بن نائل ، كان جوادا كريما طرقة ضيُوف في شتاء ولم يكن عنده حَطَب لطعامهم فأوقد أحمال بزَّكانت عنده . ومن بنى حَرَام بن جُدَام أيضا بنو سَعْد . قال الحمداني : وفي جُدَام خمسُ سعود أختلطت بمصر ، وهم سَعْد بن إياس بن حَرَام بن جُدَام . وسَعْد ابن مالك بن أَفْصَى بن سَعْد بن إياس بن حَرَام بن جُدَام ، وإليه ينسب أكثر السَّعْدِيِّين . وسعد بن مالك بن حَرَام بن جُدَام ، وسعد بن سامة بن عَنبَس بن غَطَفَان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام ، وهم عشائر كثيرة منهم بنو فَضْل ، والسَّلاحمة ، وبرشاش ، وجَوْشَن ، وَعَدْلان ، وفَزَّارة . قال وأكثرهم مشايخ بلاد وخفراء ، ولهم مزارع وما كل ، وفسادهم كثير ، وسكنهم مُنية غمر إلى ريفها . ومنهم شاور وزير العاضد الفاطمي ، وإليه تنسب أولاد شاور كبار مُنية غمر وخفرائها ؛ على أن ابن خلكان قد ذكر أنه من سعد الذين أَرْضِعَ فيهم النبي صلى الله عليه وسلم . وأما بنو محرمة فمنهم الشَّوَاكِر ، وهم بنو شاكر بن راشد . ومنهم أولاد العجار أدلاء الحاج من زمن السلطان صلاح الدين وهلم جَرَّ .

ومن جذام أيضا بالشرقية العائد ، وهم بطن من جذام عليهم دَرَكَ الحاج إلى العقبة . ومنهم أيضا بالشرقية بنو حَرَام . وقال الحمداني : وَقَلَّ في عرب مصر مَنْ يعرفها . ومنهم بالدقهلية عمرو وزُهَيْر ، عد منهم الحمداني الحَضِينيين ، وردالة ،

(١) في الأصل الخط تكرر في الأسماء. ونقص من العدد ويؤخذ من السبائك أن الساقط هو سعد ابن دبل بن إياس بن حرام بن جذام فتنبه .

والأحامدة ، والجمارنة ، وهم بنو حُمران . قال الحمداني : وفي زهير هؤلاء من  
بنى عَمرين ، وبنى شَيْيب ، وبنى عبد الرحمن ، وبنى مالك ، وبنى عَيْيد ،  
وبنى عبد القوى ، وبنى شاكر ، وبنى حَسَن ، وبنى سَمان . وهم يتواردون في أسماء  
بعض البطون مع غيرهم .

ومن جذام أيضا ببلاد الشام بنو صَخْر بالكرك ، وبنو مَهْدَى بالبلقاء ، وبنو عُقْبَة ،  
وبنو زُهَيْر بالشوبك . ومنهم بنو سعيد بصرخد ، وحوَران ، ومنهم جماعة ببلاد  
الغَوْر ، وجماعة ببلاد البربر من بلاد السودان .

الحى التاسع — من بنى كهلان نَحْم ( بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وميم  
في الآخر ) ، وهم بنو نَحْم بن عِدَى بن الحارث بن مُرَّة بن أَدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن  
عَرِيب ، بن زيد ، بن كهلان ، ونَحْم أخو جُذَام المقدم ذكره ، وكل منهما عم لِكِنْدَة  
المقدم ذكره أيضا . وعدَّ صاحب حماة نَحْمًا من بنى عمرو بن سبإ كما عدَّ جُذَامًا إذ  
كانا أخوين كما تقدّم . وقد كان للفاويزة من النخمين مُلْك بالحيرة من بلاد العراق ،  
ثم كان لبني عَبَّاد من بقاياهم بالأندلس مُلْك بإشبيلية . وذكر القضاعى أنهم حضروا  
فتح مصر ، وأختلطوا بها ، هم ومن خالطهم من جُذَام . قال الحمداني : وبصعيد الديار  
المصرية منهم قوم يسكنون بالبر الشرق ، ذكر منهم الحمداني سبع أبطن . الأولى  
سِمَاك ، وهم المعروفون بالسماكيين ، وبنو مُرَّ ، وبنو مَلِج ، وبنو نَهَّان ، وبنو عَبَس ،  
وبنو كَرِيم ، وبنو بُكَيْر ، وديارهم من طارف بيا باليهنسا إلى مُنَحْدَر دير الجميزة  
في البر الشرق . الثانية بنو حَذَان ، وهم بنو محمد ، وبنو علي ، وبنو سالم ، وبنو  
مُدْج ، وبنو رعيش ، وديارهم من دير الجميزة ، إلى ترعة صول . الثالثة بنو راشد ،  
وهم بنو معمّر ، وبنو واصل ، وبنو مَرَا ، وبنو حَبَّان ، وبنو مَعَاد ، وبنو البِيض ،  
وبنو حُجْرَة ، وبنو شَنْوَة . وديارهم من مسجد موسى إلى أسكر ، ونصف بلاد



إطفيح . ولبنى البيض الحى الصغير ، ولبنى شنوءة من ترعة شريف إلى معصرة  
بوش . الرابعة بنو جعد ، وهم بنو مسعود ، وبنو حدير ، وهم المعروفون بالحدريين ،  
وبنو زبير ، وبنو ثمال ، وبنو نصار . ومسكنهم ساحل إطفيح . الخامسة بنو  
عدى ، وهم بنو موسى ، وبنو محرب ، ومسكنهم بالقرب منهم . السادسة بنو  
بحر ، وهم بنو سهل ، وبنو معطار ، وبنو فهم ، وهم المعروفون بالفهميين ، وبنو  
عسير ، وبنو مسند ، وبنو سباع ، ومسكنهم الحى الكبير . السابعة قيس ، وهم  
بنو غنيم ، وبنو عمرو ، وبنو حجرة ، ولبنى غنيم منهم العدوية ، ودير الطين إلى  
جسر مصر ، ولبنى عمرو الرستق ولهم نصف حلوان ، ولبنى حجرة النصف الثانى ،  
ونصف طرا .

ومن بطون نخم بنو الدار رهط تميم الدارى صاحب النبی صلى الله عليه وسلم ،  
وهم بنو الدار بن هانىء ، بن حبيب ، بن نمارة ، بن نخم . قال الحمدانى وبلد الخليل  
عليه السلام معمور من بنى تميم الدارى رضى الله عنه ، وببني تميم هؤلاء الرقعة  
التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لقيم وإخوته بإقطاعهم بيت حبرون التي هي بلد  
الخليل عليه السلام وبعض بلادها ويقال إنها مكتوبة في قطعة من آدم من خف  
أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ونخبطه .

الحى العاشر — من بنى كهلان الأشعريون . وهم بنو الأشعر بن أدد ، بن  
زيد ، بن يشجب ، بن عريب ، بن زيد ، بن كهلان . قال وسُمى الأشعر لأن أمه ولدته  
وهو أشعر . وجعله صاحب حماة من بنى أشعر بن سبيل ، وهم رهط أبى موسى  
الأشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الحى الحادى عشر — من بنى كهلان عاملة . وهم بنو عاملة ، وأسمه الحارث ، بن  
عفير ، بن عدى ، بن الحارث ، بن وبرة ، بن أدد ، بن زيد ، بن يشجب ، بن

عريب، بن زيد، بن كهلان، وذكر أبو عبيد أن بني عاملة هم بنو الحارث بن مالك،  
يعني ابن الحارث بن مرة بن أدد، وأنه كان تحتة عاملة بنت مالك بن وديع بن عفر،  
ابن عدي، بن الحارث، بن مرة بن أدد فعرفوا بها. وذكر صاحب حماة أنهم من  
ولد عاملة بن سبيل. وقد ذكر الحمداني أن يجبال عاملة من بلاد الشام منهم الجمل الغفير.

## الضرب الثاني

(من العرب الباقيين على ممر الزمان العرب المستعربة)

قال الجوهري: ويقال لهم المتعربة أيضا، وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما  
السلام، سُموا بذلك لأن لسان إسماعيل عليه السلام كان العبرانية أو السريانية، فلما  
نزل جرهم من القحطانية عليه وعلى أمه بمكة المشرفة، تزوج منهم، وتعلم هو وبنوه  
العربية من جرهم المذكورين فسموا لذلك المستعربة. وأعلم أن الموجودين من  
العرب من ولد إسماعيل عليه السلام كلهم من بني عدنان بن أدد المقدم ذكره في عمود  
النسب على خلاف في نسبه إلى إسماعيل يطول ذكره. قال في العبر: ومضى عدا عدنان  
من ولد إسماعيل قد انقرضوا، ولم يبق لهم عقب؛ ولذلك عرفت هذه العرب بالعدنانية.  
ثم العدنانية صنفان:

الصنف الأول: من بني إسماعيل المتفرعة من عمود النسب ستة أصول:

الأصل الأول: من بني معد بن عدنان؛ والمتفرع منه على حاشية عمود

النسب ثلاث قبائل:

القبيلة الأولى: إياد (بكسر الهمزة ودال مهملة في الآخر) وهم بنو إياد بن نزار  
المقدم ذكره: قال المؤيد صاحب حماة وفارق إياد الحجاز وسار بأهله إلى أطراف  
العراق فأقام به.

ومن إياد قُس بن ساعدة الإياديّ، وكعبُ بن مَامة الذي يضرب به المثل في الكرم؛ يقال إنه كان معه ماء لا يفضل عنه وله رفيقٌ فسقاه رفيقه ومات عطشا.

القبيلة الثانية — أنمار (بفتح الهمزة وراء مهملة في الآخر) وهم بنو أنمار بن نزار المقدم ذكره؛ وقد اختلف في تعقيقه، فذهب ذاهبون إلى أنه ذهب إلى اليمن ونزل بالسراوات من مشارق اليمن، وتناسل بنوه بها فعدّوا في اليمنية؛ وذهب آخرون إلى أنه لا عقب له إلا من بنت له زوجها لأراش من اليمنية، فولدت له أنمار بن أراش المقدم ذكره في اليمنية؛ فبنو أنمار المعدادون في اليمنية هم بنو أنمار بن أراش المقدم ذكره في اليمنية من بنت أنمار بن نزار؛ ولذلك وقع اللبس فيهما، قاله السهيلي.

القبيلة الثالثة — ربيعة، وهم بنو ربيعة بن نزار ويعرف بربيعة الفرس : لأن أباه نزاراً أوصى له من ماله بالخليل . قال في "مسالك الأبصار" وبالرحبة قوم منهم . ولرببعة بطنان . وهما أسد، وضبيعة أبنا ربيعة ، ولكل منهما عدة أخفاذ، وديارهم إلى الآن بالجزيرة الفراتية تُعرف بديار ربيعة . أما أسد فأكثرهما أخفاذا .

فمن أسد بنو عترة (بفتح العين المهملة والنون والزاي وهاء في الآخر) وهم بنو عترة ابن أسد المقدم ذكره؛ وكانت منازلهم خير من ضواحي المدينة . وجديلة (بفتح الجيم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر) وهم بنو جديلة بن أسد المقدم ذكره، والنسبة إليهم جدلى بحذف الياء بعد الدال .

ومن جديلة عبد القيس؛ وهم بنو عبد القيس، بن أفصى، بن دُعْمَى، بن جديلة . قال في العبر : وكانت ديارهم بتهامة حتى خرجوا إلى البحرين وزاحموا من بها من بكر بن وائل وتميم ، وقاسموهم الموطن ، والنسبة إليهم عبدي ، ومنهم من ينسب إليهم عبدي قيسي ، وبعضهم يقول عبقي .

ومن عبد القيس هؤلاء الأئبج الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنَّ فيكَ لخصلتين يُحبهما الله : الحِلْمُ والأناةُ" .

ومن جديلة أيضا بنو النمر (بفتح النون وكسر الميم) وهم بنو النمر بن قاسط بن هنب  
 ابن دُعْمَى بن جديلة . قال في العبر وديارهم رأس العين من أعمال الجزيرة الفراتية .  
 ومن جديلة أيضا بنو وائل (بالياء المثناة تحت) وهم بنو وائل بن قاسط بن هنب  
 ابن أفصى ، بن دُعْمَى ، بن جديلة المقدم ذكره .

ومن وائل بكر (بفتح الباء الموحدة وسكون الكاف) وتغلب (بالتاء المثناة في أوله  
 والغين الساكنة المعجمة وكسر اللام وباء موحدة) وهم بنو بكر وتغلب ابني وائل  
 المقدم ذكره .

ومن تغلب بن وائل كليب ملك بني وائل الذي قتله جَسَّاس ، وهاجت بسببه  
 الحرب المعروفة بالبُسُوس أربعين سنة .

ومن تغلب أقوام بزرع ، وبُصْرَى ، وبالقريتين منهم نفر .

ومن بكر أقوام بيجينين وبلادها ، وبالرحبة قوم منهم .

ومن بني تغلب كانت بنو حمدان ملوك حلب قديما .

ومن بكر بن وائل شيبان ، وهم بنو شيبان بن ثعلبة ، بن عُكَّابة ، بن صَعْب ، بن  
 علي ، بن بكر .

ومن بني شيبان هؤلاء مرة وأبنة جَسَّاس قاتل كليب المذكور . ومنهم طرفة  
 ابن العبد الشاعر .

...ومن بني شيبان أيضا سدوس (بفتح السين المهملة في أوله وسين ثانية في آخره)  
 وهم بنو سدوس بن دُهل بن شيبان .

ومن بكر بن وائل أيضا بنو حَنِيفَةَ رَهْطُ مَسِيلَمَةَ الكَذَابِ الذِي تَبَأَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقُتِلَ فِي خِلَافَةِ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُمْ بَنُو حَنِيفَةَ بْنِ الْحَيْمِ ، بْنِ صَعْبٍ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ بَكْرِ ، بْنِ وَائِلٍ .

ومن بكر أيضا بنو عِجْلٍ ، بْنِ الْحَيْمِ ، بْنِ صَعْبٍ ، بْنِ عَلِيٍّ ، بْنِ بَكْرِ ، بْنِ وَائِلٍ . قَالَ فِي الْعَبَرِ : وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ ؛ قَالَ ثُمَّ حَلَفَهُمُ الْآنَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ بَنُو عَامِرِ الْمُتَفِّقِ ، بْنِ عَقِيلٍ ، بْنِ عَامِرٍ ، بْنِ صَعْصَعَةَ . وَذَكَرَ الْحَدَّادِيُّ أَنَّ بِلَادَهُمْ فِي زَمَانِهِ الْجَزِيرَةُ مِنْ بِلَادِ حَلَبَ وَأَنَّهُ كَانَ لَهُمْ دَوْلَةٌ بِالْعِرَاقِ .

وَأَمَّا ضُبَيْعَةُ بْنُ رَبِيعَةَ (فَبُضِمَ الضَّادُ الْمَعْجَمَةُ وَفُتِحَ الْبَاءُ الْمُوَحَّدَةُ تَصْغِيرَ ضُبْعَةٍ) وَهِيَ قَبِيلَةٌ لَمْ تَكُنْ بِطُونَهَا . وَمِنْهُمْ الْمُتَمَسِّسُ الشَّاعِرُ الْبَاهِلِيُّ الْمَشْهُورُ .

الأصل الثاني — مضر (بُضِمَ الْمِيمُ وَفُتِحَ الضَّادُ الْمَعْجَمَةُ) وَهُوَ مُضَرُّ بْنُ نِزَارِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ ، وَيُعْرَفُ بِمُضَرِّ الْحِمْيَرِ : لِأَنَّ أَبَاهُ أَوْصَى لَهُ مِنْ مَالِهِ بِالذَّهَبِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ ؛ وَهِيَ قَبِيلَةٌ عَظِيمَةٌ إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَهَا أَنْدَرَجَ فِيمَا بَعْدَهَا لِكُونِهَا عَلَى عُمُودِ النِّسْبِ ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" أَنَّ بَنَابِلُسَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ بَقِيَّةٌ مِنْ مُضَرٍّ ، وَبِالرَّحْبَةِ رِجَالُ مِنْهُمْ ، وَلَهُ عَلَى حَاشِيَةِ عُمُودِ النِّسْبِ فَرْعٌ وَاحِدٌ قَدْ جُمِعَ عِدَّةُ قَبَائِلَ ، وَهُوَ قَيْسٌ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي نَسَبِهِ فَقِيلَ قَيْسُ بْنُ عِيلَانَ (بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ) وَأَسَمَهُ النَّاسُ (بِالنُّونِ) ابْنَ مُضَرٍّ ؛ وَقِيلَ هُوَ قَيْسُ بْنُ مُضَرٍّ لِصُلْبِهِ ، وَعِيلَانُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ قِيلَ فَرَسُهُ وَقِيلَ كَلْبُهُ . قَالَ صَاحِبُ حِمَاةَ : وَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَيْسٍ مِنَ الْكَثْرَةِ أَمْرًا عَظِيمًا ، وَلِكَثْرَةِ بَطُونِهِ غَلَبَ عَلَى سَائِرِ الْعَدَنَانِيَةِ حَتَّى جَعَلَ فِي الْمَثَلِ فِي مِقَابِلِ عَرَبِ الْيَمَنِ قَاطِبَةً فَيُقَالُ قَيْسٌ وَيَمِنُ .

فمن قبائل قيس هَوَازُنْ ، وهم بنو هَوَازَنَ بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهم الذين أغار عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وسباهم .

ومن هوازن بنو سعد الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضيعاً فيهم ، وهم بنو سعد بن بكر بن هوازَنَ . قال في العبر : وقد آفترق بنو سعد هؤلاء في الإسلام ولم يبق لهم حتى فيطرق إلا أن منهم فرقة بإفريقية من بلاد المغرب بنواحي باجة يعسكرون مع جُند السلطان .

وقد ذكر ابن خلكان أن شاور السعدي وزير العاضد الفاطمي خليفة مصر منهم وإن كان الحمداني قد ذكر أنه من سعد جذام من القحطانية بالشرقية من الديار المصرية على ما سبق ذكره هناك .

ومن هوازن أيضا بنو عامر بن صعصعة . وهم بنو عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازَنَ ، وإليهم يُنسب مجنون بن عامر الشاعر الذي كان يُسبب بليل . ومن بنو عامر بن صعصعة بنو كلاب ، وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . قال في العبر : وكان لهم في الإسلام دولة باليمامة ، وكانت ديارهم حمى ضريبة وهو حمى كليب ، وحمى الربدّة في جهات المدينة النبوية ، وفدك والعوالى ، ثم آتقلوا بعد ذلك إلى الشام فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيتٌ وملكوا حلب ونواحيها ، وكثيرا من مدن الشام ، ثم ضَعُفُوا . قال ، وهم الآن تحت خفارة الأمراء من آل ربيعة من عرب الشام .

وذكر في "مسالك الأبصار" أنهم يُنسبون إلى عبد الوهاب المذكور في سيرة البطال وذكر أن اسمه عبد الوهاب بن نوبخت .

ثم قال، وهم بأطراف حلب، وهم عرب غَزَّ يتكلمون بالتركية، ويركبون الأكاديش، ولهم غارات عظيمة، وأبناء الروم وبناتهم لا يزالون يباغون من سباياهم. وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بحلب وبلادها طائفة من بني كلاب.

ومن بني عامر بن صعصعة أيضا بنو هلال، وهم بنو هلال بن عامر بن صعصعة. قال الحمداني وكان لهم بلادٌ صعيد مصر كلها، وذكرهم ابن سعيد في عرب بركة، وقال منازلهم فيما بين مصر وإفريقية. قال في العبر: وكانت رياستهم أيام الحاكم العبيدي لماضي بن مقرب، ولما بايعوا لأبي ركة بالمغرب وقتله الحاكم، سلط عليهم الحبوش والعرب فأفناهم، وانتقل من بقي منهم إلى المغرب الأقصى فهم مع بني جشم هناك. وذكر الحمداني أن بحلب طائفة منهم، ثم صار لهم بلاد أسوان وما تحتها. ثم قال: وبنو نجيم منهم بنو رقة، إلى عذاب، وبساقية قلعة منهم بنو عمرو وبطنهم، وهم بنو رفاعه، وبنو حجير، وبنو عزيز. وبأصفون وإسنا منهم بنو عغبة، وبنو جميلة.

ومن بني هلال حرب فيما ذكره ابن سعيد. قال الحمداني، وهم ثلاث بطون بنو مسروح، وبنو سالم، وبنو عبيد الله. قال: ومساكنهم الحجاز ومن حرب زبيد الحجاز فيما ذكره الحمداني، وذكر أن منهم بنو عمرو. ثم قال: ومن بني عامر ثمير بن عامر ابن صعصعة. قال في العبر: وكانت منازلهم الجزيرة الفراتية والشام بعدوتني الفرات. قال وهم إحدى بحرات العرب، وكان لهم كثرة وعدة في الجاهلية والإسلام، ودخلوا الجزيرة الفراتية وملكوا حران وغيرها، ثم غلبهم عليها خلفاء بني العباس أيام المعتز بالله فهلكوا بعد ذلك وبادوا.

ومن بني عامر بن صعصعة أيضا بنو عقيل (بضم العين المهملة وفتح القاف) وهم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. قال في العبر: وكانت

مساكنهم بالبحرين في كثير من قبائل العرب ، وكان أعظم القبائل هناك بنو عُقَيْل هؤلاء ، وبنو تغْلِبَ وبنو سُليْم ، وكان أظهرهم في الكثرة والغلب بنو تغْلِبَ ؛ ثم اجتمع بنو عُقَيْل وبنو تغْلِبَ على بنى سُليْم فأخرجوهم من البحرين ؛ ثم اختلف بنو عُقَيْل وبنو تغْلِبَ بعد مدة فغلب بنو تغلب على بنى عُقَيْل فطردوهم عن البحرين ، فساروا إلى العراق ، وملكوا الكوفة والبلاد الفراتية وتغلبوا على الجزيرة والموصل ، وملكوا تلك البلاد ؛ وكان منهم المقلد وقرواش وقريش وابنه مسلم ملوك الموصل ، وبقيت بأيديهم حتى غلبهم عليها ملوك بنى سلجوق ، فتحولوا عنها إلى البحرين حيث كانوا أولا فوجدوا بنى تغلب قد ضعف أمرهم فغلبوهم على البحرين ، وصار الأمر بالبحرين لبنى عُقَيْل .

ومن بنى عُقَيْل هؤلاء آل عامر ، وهم بنو عامر بن عُقَيْل المذكور ، وهم الذين بيدهم بلاد البحرين . قال ابن سعيد : سألت أهل البحرين في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا : الملكة بها لبنى عامر بن عُقَيْل ، وبنو تغلب من جملة رعاياهم ؛ على أن الحمداني قد وهبهم فقال : وهم غير عامر المتفق ، وعامر بن صعصعة ، وتبعه على ذلك في "مسالك الأبصار" . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بحلب وبلادها طائفة من بنى عُقَيْل

ومن بنى عُقَيْل أيضا بنو عبادة (بضم العين المهملة و بالباء الموحدة والdal المهملة) وهم بنو عبادة بن عُقَيْل . قال ابن سعيد : ومنازلهم بالجزيرة الفراتية مما يلي العراق لهم عدد وكثرة . قال : ومنهم الآن بقية بين الخازر والزاب ، يقال لهم عرب شرف الدولة في تجل وعُدَد ، ولهم إحسان من صاحب الموصل . ثم قال : وهم عدد قليل نحو المسائة فارس .



ومن بنى عَقِيلَ أيضا خَفَاجَةَ (بفتح الخاء المعجمة وفتح الفاء وجم مفتوحة بعد الألف وهاء في الآخر) وهم بنو خَفَاجَةَ بن عمرو بن عَقِيلَ ، وفيهم الإمرة بالعراق إلى الآن .

ومن بطون هوازن أيضا بنو جُشَمَ (بضم الجيم وفتح الشين المعجمة وميم في الآخر) وهم بنو جُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هَوَازَنَ . قال في العبر : وكانت مساكنهم بالسَّروَاتِ ، وهى تلال تفصل بين تِهَامَةَ ونجد ، متصلة من البحرين إلى الشام كسَّروَاتِ الجبل . قال : وسَّروَاتِ جُشَمَ متصلة بسَّروَاتِ هُذَيْلَ . ثم قال : وقد أنتقل بعضهم إلى المَغْرِبِ ، وهم الآن به ، ولم يبق بالسَّروَاتِ منهم إلا من ليس له صولة . قال صاحب حماة : ومن جُشَمَ هؤلاء دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ .

ومن بطون هوازن أيضا ثَقِيفٌ (بفتح الثاء المثناة وكسر القاف وسكون الياء وفاء في الآخر) وهم رَهْطُ الحجاج بن يوسف : وهم بنو ثَقِيفِ وأسمه قَيْسُ بن مُنَبِّه بن بكر بن هَوَازَنَ ؛ ويقال إنهم من إِيَادِ بن زَرَارِ المَقْدَمِ ذكره . وعن بعض النسابة أن ثَقِيفًا من بقايا ثَمُودَ ، وكان الحجاج ينكره ويقول كذبوا ، قال الله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾ أى أهلكهم ولم يبق منهم أحدا . قال في العبر : وَثَقِيفُ بطن واسع ، وكانت منازلهم بالطائف : وهى مدينة من أرض نجد على مرحلتين من مكة فى شرقها وشمالها كانت فى القديم للعاقلة ، ثم نزلها ثمود قبل وادى القُرَى : ويقال إن الذى سكنها بعد العاقلة عدوان . ثم غلبهم عليها ثَقِيفٌ فهى الآن دارهم .

ومن قبائل قيس أيضا باهَلَةُ ، وهم بنو سَعْدِ مَنَاة بن مالك بن أعْصَرِ ، وأسمه مُنَبِّه ابن سعد بن قَيْسِ عِيْلَانِ ؛ وجعلهم فى العبر بنى مالك بن أعْصَرِ . وباهلة أم سعد مَنَاة عَرَفُوا بها : وهى باهلة بنت صَعْبِ بن سعد العشيرة من مَذْحِجٍ ، منهم أبو أمامة الباهلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن قبائل قيس بنو مازن ، وهم بنو مازن بن منصور بن خَصَفَة بن قيس عيلان . قال في العبر : وعددهم قليل .

ومن قبائل قيس أيضا بنو غطفان بن قيس عيلان . قال في العبر : وهم بطن متسع كثير الشعوب والبطون . قال : وكانت منازلهم مما يلي وادى القرى وجبلى طي أجا وسلمى ، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية ، وأستولى على مواطنهم هناك قبائل طي .

ومن بطون غطفان بنو عبس ( بفتح العين وسكون الباء الموحدة وسين مهملة في الآخر ) وهم بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان . منهم زهير بن قيس صاحب حرب داحس والغبراء . وهما فرسان كانت إحداهما وهى داحس لعبس<sup>(١)</sup> والأخرى وهى الغبراء لفزارة فأجريت فوق الحرب بسببهما .

ومن عبس هؤلاء عنترة بن شداد الشاعر الفارس المشهور .

ومن غطفان أشجع ( بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الجيم وعين مهملة في الآخر ) وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان . قال في العبر : وكانوا هم عرب المدينة النبوية ، وكان سيدهم معقل بن سنان الصباحي . قال : ولم يبق أحد منهم بنجد إلا بقايا حول المدينة . ثم قال : وبالمغرب الأقصى منهم حتى عظيم يطعنون مع عرب معقل بجهات سيحلماسة ولهم عدد وذكر .

ومن غطفان أيضا ذبيان ، قال الجوهرى ( بكسر الذا ليعنى المعجمة وضمها ) وهم بنو ذبيان بن ريث بن غطفان ومنهم النابغة الذبياني الشاعر المشهور .

ومن ذبيان فزارة ( بفتح الفاء والزاي والراء المهملة وهاء في الآخر ) وهم بنو فزارة ابن ذبيان . قال في العبر : وكانت فزارة بنجد وادى القرى ، فلم يبق منهم بنجد أحد .

(١) أنث الفرس المسمى بداحس ومقتضى القاموس تذكره وقد صرفه فيه فليحذر .

ونزل جيرانهم من طيِّ مَكَانِهِمْ . وذكر أن بأرض بَرْقَة إلى طَرَابُلُس الغرب منهم قبائل : رَوَاحَة ، وَهَيْت ، وَفَزَان . قال : وبإفريقية والمغرب منهم الآن أحياء كثيرة اختلطوا مع أهلهم ، يحتاج المعقل من عرب المغرب الأقصى إلى الاستظهار بهم . قال ومنهم مع سليم بإفريقية طائفة أخرى أحلاف لأولاد أبي الليل من شعوب بني سُليم ، يستظهرون بهم في مواقف الحرب ، وقيمونهم لأنفسهم مقام الوزراء للملوك . ثم قال وفي بركة ببلاد هَيْت جماعةٌ منهم نازلون بها ، ومنهم طائفة بصحراء المغرب . قال الحمداني : ومنهم بالديار المصرية جماعةٌ بالصعيد ، وجماعة بضواحي القاهرة في قليوب وما حولها ، وبهم عُرفت القرية المسماة بخَرَّاب فَزَارَة هناك . ومن فزارة بنو مَازِن ، وبنو بدر ، فأما بنو مازن فهم بنو مازن بن فزارة ، وأما بنو بدر فهم بنو بَدْر بن عَدِيّ بن فزارة : قال في العبر ، وفيهم كانت رئاسة بني فزارة في الجاهلية ، يرأسون جميع غطفان وتدين لهم قيس وإخوانهم بنو ثعلبة بن عدى ، ومنهم كان حذيفة بن بدر صاحب الفرس المعروفة بالغبراء المقدم ذكرها ، ومن بني بدر هؤلاء وبني عمهم بني مازن جماعةٌ بالقليوبية من الديار المصرية .

قلت : وبنو بدر هم قبيلتنا التي إليها نعتري ، وفيها نتسب ، وأهل بلدتنا قلقشندة نصفهم من بني بدر ونصفهم من بني مازن .

ومن قبائل قيس أيضا بنو سُليم (بضم السين وفتح اللام) وهم بنو سليم بن منصور ابن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان . قال الحمداني : وهم أكبر قبائل قيس . وكان سُليم من الولد بُهْتَة (بضم الباء الموحدة في أوله وفتح المثناة بعد الهاء) ومنه جميع أولاده . قال في العبر : وكانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خير .

(١) ذكره في القاموس في باب الناء المثلثة فقال وبهتة زجل من سليم فتنه .

ومن منازلهم حَرَّةٌ سُلَيْمٌ ، وَحَرَّةُ النَّارِ بين وادى الْقُرَى وَتَيْمًا . قال : وليس لهم الآن نَجْدٌ عَدَدٌ ولا بَقِيَّةٌ . ثم قال : وبِإِفْرِيقِيَّةٍ منهم حَتَّى عَظِيمٍ ، وقد تقدَّم أنه كان منهم جماعة بالبحرينِ فغلبهم عليها بنو عَقِيلِ بن كَعْبٍ وبنو تَغْلِبِ . وقال الحمداني : ومساكنهم بَرْقَةُ مما إلى المغرب ومما إلى مصر . قال : وفيهم الأبطال الأتجاد ، والخليل الحِيَادُ . قال في العبر : وقد آسَتُوا لَوَا عَلَى بَرْقَةٍ ، وهى إقليمٌ طویلٌ واسعٌ الأطرافُ ، وخرَّبوا مدنه ولم يتركوا بها ولاية ولا إمرة إلا لمشايخهم . قال في "مسالك الأبصار" : والإمرة الآن فيهم فى بنى عزاز ، وهى الآن فى زماننا لبني عريف .

ومن سُلَيْمٍ هؤلاء لَبِيدُ بَرْقَةٍ ، وهم بطون كثيرة العدد .

ومن قبائل قيسِ عَدَوَانِ ( بفتح العين وسكون الدال المهملتين ونون فى الآخر ) وهم بنو عَدَوَانَ وأسمه الحارث بن عمرو بن قيس عيلان . قال أبو عبيد : وسُمى عَدَوَانٌ لأنه عدا على أخيه فهِمَ فقتله . قال فى العبر : وهم بطنٌ متسعٌ ، وكانت منازلهم بالطائف من أرض نجد نزلوها بعد إِيَادٍ والعالمَلِقَةِ ، ثم غلبهم عليها ثَقِيفٌ ، فخرجوا إلى تِهَامَةٍ . وبِإِفْرِيقِيَّةٍ الآن منهم أحياء بادية . وقد عدَّ الحمداني عَدَوَانَ من عرب بَرِيَّةِ الحجاز من أحلاف آل فَضْلٍ من عرب الشام ، فيحتمل أنهم هؤلاء وأنهم غيرهم .

الأصل الثالث — إلياس ( بكسر الهمزة وسكون اللام وفتح الياء المشناة تحت وسين بعد الألف ) وهو إلياس بن مُضَرِّ المقَدَّم ذكروه ، وكانت تحته خِنْدِفٌ ( بكسر الخاء وسكون النون وكسر الدال المهملة وفاء فى الآخر ) وهى خِنْدِفُ بنت حُلَوَانَ ابنِ عُمَرَ بن الحافى بن قُضَاعَةَ ، فعُرفَ بنوه بها فقليل لهم خِنْدِفٌ : لأن زوجها

إلياس رآها يوما تمشى ، فقال لها : مالك تُخَنِّدِينَ ؟ وانْخَدِفْهُ أَنْ يَقلَبَ ظَهْرَ قَدَمِهِ  
إِلَى الْأَرْضِ عِنْدَ مَشْيِهِ . وله فرعان على حاشية عمود النسب .

الفرع الأول — طابخة ( بفتح الطاء المهملة وكسر الباء الموحدة بعد الألف  
وفتح الخاء المعجمة وهاء في الآخر ) وهم بنو طابخة ، وأسمه عمرو بن إلياس بن  
مُضَرٍّ ، وسمى طابخة لأنه كان هو وأخوه مدركةُ الآتي ذكره على عمود النسب ،  
وكان أسمه عامرا ، في إبل لهما فصادا صيدا ، وقعدا يطبخانه فعَدَّتْ عَادِيَةُ عَلَى  
إِبِلِهِمَا فَاسْتَاقَتْهَا ، فقال عامر لعمرو أَتَدْرِكُ الْإِبِلَ أَمْ تَطْبُخُ الصَّيْدَ ؟ فقال عمرو :  
بَلْ أَطْبُخُ الصَّيْدَ ، فلحق عامر الإبل بغاء بها فلمْ جَاءَ أَبَاهُمَا أَخْبَاهُ الْخَبَرِ ، فقال  
لعامر : أَنْتَ مُدْرِكَةٌ . وقال لعمر : أَنْتَ طَابِخَةٌ فَسَمِيَا بِذَلِكَ .

ويتفرع عن طابخة قبائل كثيرة .

فن قبائل طابخة تميم ( بفتح التاء المثناة فوق وكسر الميم وسكون الياء المثناة تحت  
وميم في الآخر ) وهم بنو تميم بن مُرٍّ بن مُرَّاد بن طابخة . قال في العبر : وكانت  
منازلهم بأرض نجد دائرةً من هنالك على البصرة واليمامة ، وامتدَّتْ إِلَى الْعُدَيْبِ مِنْ  
أَرْضِ الْكَوْفَةِ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْحَوَاضِرِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَادِيَةٌ ، وَوَرِثَ  
مَسَاكِنَهُمْ غَزِيَّةٌ مِنْ طَبِئٍ وَخَفَاجَةٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ بْنِ كَعْبٍ .

ومن بطون تميم بنو العنبر ، وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم ، وإليهم يُنسَبُ جَدِيلَةُ  
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَنْبَرِيِّ الصَّحَابِيِّ .

ومن بطون تميم بنو حَنْظَلَةَ وَضَبْطَهْ مَعْرُوفٌ ، وهم بنو حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ  
أَبْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَيُقَالُ لَهُمْ حَنْظَلَةُ الْأَكْرَمُونَ . قال الجوهري : وهم أكبر  
قبيلة في تميم .

ومن حنظلة بنو يربوع ( بفتح الياء المثناة تحت وسكون الراء المهملة وضم الباء الموحدة وسكون الواو وعين مهملة في الآخر ) ؛ وهم بنو يَرْبُوع بن حنظلة .

ومن بنى يربوع بنو العنبر بن يربوع ؛ ومنهم سَبَّاح التي تنبأت في زمن مسيلمة الكذاب وهم غير بنى العنبر المقدم ذكرهم .

ومن قبائل طابخة بنو ضَبَّة ( بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء ) . قال في العبر : وكانت ديارهم بالناحية الشمالية من نجد بجوار بنى تميم ثم أنتقلوا في الإسلام إلى العراق ، وهم الذين قتلوا المتنبي الشاعر .

ومن قبائل طابخة أيضا مُزَيْنَة ( بضم الميم وفتح الزاي وسكون الياء المثناة تحت وفتح النون وهاء في الآخر ) وهم بنو عثمان وأوس ، أبى عمرو ، بن أذ بن طابخة ، ومُزَيْنَة أمهما عُرفوا بها ؛ وهى مزينة بنت كَلْب بن وَرَة . ومنهم كَعْب بن زهير ناظم الفصيدة المعروفة ببانت سُعاد ، وإليهم يُنسب الإمام إسماعيل بن إبراهيم المزني صاحب الإمام الشافعي رضى الله عنه .

الفرع الثاني — قَمْعَة ( بفتح القاف والميم والعين المهملة وهاء في الآخر ) وهم بنو قَمْعَة بن إلياس بن مضر . قال الجوهري إن أباه سماه قَمْعَة لما أنقمع في بيته أى أقهر وذلل ولم يشتهر عقبه .

الأصل الرابع — مُدْرَكَة ( بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الراء المهملة وفتح الكاف وهاء في الآخر ) وهم بنو مدركة بن إلياس بن مضر ؛ وقد تقدم سبب تسميته مدركة . وله فرع واحد على حاشية عمود النسب وهو هُدَيْل ( بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ولام في الآخر ) وهم بنو هُدَيْل بن

مدركة . وهى قبيلة متسعة لها بطون كثيرة والنسبة إليها هُدَلَى بحذف الياء بعد الذال ، وإليهم يُنسَب عبد الله بن مسعود الصحابى رضى الله عنه .

الأصل الخامس — نُخْزَيْمَة ( بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى وسكون الياء المثناة تحت وفتح الميم وهاء فى الآخر ) وهو نُخْزَيْمَة بن مُدْرِكَة . وله فرعان على حاشية عمود النسب ، وهما الهون وأسد .

فأما الهون ( فبضم الهاء وسكون الواو ونون فى الآخر ) وهو الهون بن نُخْزَيْمَة ، وهى قبيلة مشهورة .

(١)  
ومن بطون الهون عَصَد ( بفتح العين المهملة والضاد المعجمة ودال مهملة فى الآخر ) ، وهم بنو عَصَد بن الهون .

ومن بطون الهون أيضا الديش ( بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وشين معجمة فى الآخر ) وهم بنو الديش بن مُلَيْح بن الهون ، ويقال لهاتين القبيلتين وهما عَصَد والديش القارة . قال أبو عبيد : وُسُمُوا بذلك لأن الشَّدَاخ اللبثى أراد أن يفرقهم فى بطون كئانة فقال بعضهم : دَعُونَا قَارَةً لَا تَتَفَرَّقُ فُسُمُوا القارة .

وأما أَسَدٌ وضبطه معروف ، فهم بطن كبير متسع . قال فى العبر : ومنازلهم مما يلى الكرخ من أرض نجد فى مجاورة طي . قال : ويقال إن بلاد طي كانت لبني أسد ، فلما خرج بنو طي من اليمن تغلبوا على أجما وسلمى ، وتفرق بنو أسد بسبب ذلك فى الأقطار ولم يبق لهم حى . قال ابن سعيد : وبلادهم الآن لطي . قال فى "مسالك الأبصار" : وبغسل وما ينضم إليها من بلاد الشام قوم من بنى أسد .

(١) صوابه ولام فهو عضل لا عضد أنظر القاموس .

ومن بطون أسد الكاهلية ، وهم بنو كاهل بن أسد . ومن بطونهم دُودانُ بن أسد أيضا .

الأصل السادس — كنانة (بكسر الكاف ونون بعدها ألف ثم نون مفتوحة بعدها هاء) وهو كنانةُ بن خزيمة ؛ وهى قبيلة عظيمة اشتهرت على عمود النسب . وقد ذكر الحمداني أن منهم جماعة بالإنجيمية من صعيد الديار المصرية يُعرفون بكنانة طلحة ، وذكر في "مسالك الأبصار" أن طائفة منهم قَدِمُوا الديار المصرية في وزارة الصالح طلائع بن رزيك ونزلوا دِمياطَ وما حولها . وله على حاشية عمود النسب خمسة فروع :

الفرع الأول — مَلْكان (بفتح الميم وسكون اللام ونون في الآخر) ، وهم بنو مَلْكان بن كنانة .

الفرع الثاني — عَبْد مناة بإضافة عبد إلى مناة (بميم مفتوحة بعدها نون) ، وهم بنو عبد مناة بن كنانة ، ولهم عدة بطون .

منهم غِفَار (بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء وراء بعد الألف) ، وهو بنو غِفَار ابن عبد مناة بن كنانة ، وهم رهط أبي ذر الغِفَارِيّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم "غِفَارُ غَفَر الله لها" .

ومنهم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛ ومن بكر هؤلاء الدُّئل . وهم بنو الدُّئل بن بكر ابن عبد مناة ؛ وإليهم ينسب أبو الأسود الدؤلى واضع علم النحو بأمر أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه .

ومنهم بنو لَيْث ؛ وهم بنو لَيْث بن بكر بن عبد مناة منهم الصَّعب بن جَثَّامة اللَيْثِيّ الصَّحَابِيّ رضى الله عنه . وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفةً بساقية قُلْتة بالإنجيمية من صعيد مصر .



ومنهم بنو الحارث، ويقال فيهم بلحارث؛ وهم بنو الحارث بن عبد مناة .  
ومنهم بنو مُدْج (بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام وجيم في الآخر) ،  
وهم بنو مُدْج بن مرة بن عبد مناة . وفي بنى مُدْج هؤلاء علم القيافة، وهو إلحاق  
الآبن بالأب ونحو ذلك بالشبه . ومنهم طائفة الآن بصرخد وحوران من بلاد الشام،  
وطائفة بالأعمال الغربية من الديار المصرية .

ومنهم بنو صَمْرَة (بفتح الضاد المعجمة وسكون الميم وفتح الراء المهملة وهاء  
في الآخر) وهم بنو صَمْرَة، بن بكر، بن عبد مناة، وإليهم ينسب عمرو بن أمية الضمري  
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الحمداني أن منهم طائفة بساقية  
قُلْتَة وما يليها من بلاد إنجيم من صعيد مصر .

الفرع الثالث — عمرو بن كَنانة؛ وإليه ينسب العمرِيُّون من بنى كَنانة .

الفرع الرابع — عامر بن كَنانة؛ ومنه العامريُّون من كَنانة .

الفرع الخامس — مالك بن كَنانة . ومن عقبه بنو فراس، بن غنم، بن ثعلبة، بن  
الحارث، بن مالك . وفي بنى فراس هؤلاء يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب  
رضي الله عنه لبعض من كان معه : "لَوِدِدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي بِأَلْفٍ مِنْكُمْ سَبْعَةٌ مِنْ بَنِي  
فِرَاسِ بْنِ غَنَمٍ". وقد ذكر الحمداني أن منهم جماعة بساقية قُلْتَة وما يليها من الإنجيمية  
بمصر . وذكر الحمداني أيضا أن من كَنانة بن خزيمة طائفة بصعيد مصر بالأشْمُونِيَّينَ  
وما حولها تُعرَف بِكَانَةَ طَلْحَة .

الصنف الثاني من العرب العدنانية — قُرَيْش (بضم القاف وفتح الراء المهملة)،  
وهم بنو النَّضَر (بفتح النون وسكون الضاد المعجمة) آبن كَنانة وقيل في تسميته بذلك إنه  
كان في سفينة يبحر فارس إذ خرجت عليهم دابة عظيمة يقال لها قُرَيْش فخافها أهل

السفينة على أنفسهم فأخرج سهما من كنانته ورماها فأثبتها ، ثم قُرِبَت السفينة منها فأمسكها وقطع رأسها وحملها معه إلى مكة فسُمِّيَ باسمها . وقيل سُمِّيَ بنوه بذلك لغلبتهم القبائل وقهرهم إياهم ، تشبيها بالدابة المقدم ذكرها من حيث إنها تقهر سائر دواب البحر وقيل أخذوا من التقرش ، وهو الاجتماع لأن قُصِيًّا جمعهم عليه عند ولايته أمر قريش . وقيل لتجارتهم أخذوا من التقرش ، وهو التجارة .

ثم لقريش عشرة أصول على عمود النسب :

الأصل الأول — فِهْر بن مالك ، ويتفرع عن فِهْر على حاشية عمود النسب قبيلتان :  
القبيلة الأولى — بنو الحارث ، وهم بنو الحارث بن فِهْر . ومن بنى الحارث هؤلاء بنو الجراح رهط أبي عبيدة بن الجراح ، أحد العشرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المقطوع لهم بالجنة .

القبيلة الثانية — بنو محارب بن فِهْر ، المقدم ذكره . ومنهم الضحّاك بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأصل الثاني — غالب بن فِهْر . ويتفرع عنه على حاشية عمود النسب قبيلة واحدة ، وهم بنو الأدرم بن لؤي<sup>(١)</sup> بن غالب ، والأدرم هو الناقص الذّقن .

الأصل الثالث — لؤي بن غالب . ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل :

القبيلة الأولى — سعد ، وهم بنو سعد بن لؤي بن غالب ، كان له من الولد عمار ، وعماري ، ونخزوم ، من أمه بُنَانَة (بضم الباء الموحدة) وبها يُعرفون فيقال لهم بنو بُنَانَة ، ومنهم أبو الطفيل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) فيه نظر فإن تيم الأدرم ابن غالب كما في القاموس في مادة ت ي م ففعل لفظ ابن لؤي بما طغى به فلم الناتج .

القبيلة الثانية — خُرَيْمَة (بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي) وهم بنو خزيمية بن لؤى ؛ وكان تحته عائذة (بالعين المهملة والياء المثناة تحت والذال المعجمة) بنت الخنيس بن خُافَة فعُرف ولده بها فقبل لهم بنو عائذة .

القبيلة الثالثة — بنو عامر ، وهم بنو عامر بن لؤى ، وكان له من الولد حَسَل وبَغِيض . ومن ولد حَسَل سَهيل بن عمرو الذى عقد الصُّلح مع النبي صلى الله عليه وسلم ، يوم الحُدَيْبِيَّة لقريش ؛ ومنهم عمرو بن عبد ود العامرى فارس العرب الذى قتله على بن أبى طالب رضى الله عنه .

الأصل الرابع — كعب بن لؤى بن غالب ، ويتفرع منه خارجا عن عمود النسب قبيلتان :

القبيلة الأولى — هُصَيْص (بضم الهاء وفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت وصاد مهملة فى الآخر) . ومن هُصَيْص بنو سَهْم ، منهم عمرو بن العاص رضى الله عنه ؛ وكانت خُطَّة بنى سَهْم بُقُسطاط مصر حول الجامع العتيق . وقد ذكر الحمدانى أن من بنى عمرو بن العاص أشتاتاً بالصعيد ، ولهم حصّة فى وقف عمرو على أهله بمصر .

ومنهم بنو جُمَح (بضم الجيم وفتح الميم وحاء مهملة فى الآخر) وهم بنو جُمَح بن هُصَيْص المقدم ذكره ؛ ومنهم أُمَيَّة بن خَلَف عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" أن من بنى جُمَح قوما بأذرعات من بلاد الشام .

القبيلة الثانية — بنو عَدَى ، وهم بنو عدى بن كعب ؛ ومنهم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وسعيد بن زيد أحد العشرة المقطوع لهم بالحنّة ؛ وقد ذكر القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" أنه وفد من بنى عدى جماعة إلى الديار المصرية فى وزارة الصالح طلائع بن رُزَيْك وزير الفائز الفاطمى .

ومنهم رجال من بنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومقدمهم خلف بن نصر العُمري وأنهم لقوا من الصالح طلائع بن رُزَيْك وافر الإكرام ، ونزلوا بالبُرُس<sup>(١)</sup> من سواحل الأعمال الغربية . وذكر أن من العُمريين ببلاد الشام فرقة بوادى بنى زيد وفرقة بعجلون .

الأصل الخامس — مرة بن كعب ، ويتفرع عنه قبيلتان على حاشية عمود النسب :

القبيلة الأولى — تيم ، وهم بنو تيم بن مرة بن كعب . ومنهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وطلحة أحد العشرة المقطوع لهم بالجنة . وقد ذكر الحمداني أن من بنى الصديق رضى الله عنه من بنى عبد الرحمن وبنى محمد ولدى أبى بكر رضى الله عنه جماعة بالأشْمُونِ والبَهْئَسَائِيَّة من صعيد مصر . قال الحمداني ، وهم ثلاث فرق هم وأقربائهم وأطلق على الكل بنو طلحة . فالفرقة الأولى منهم بنو إسحاق ، ويقال إن إسحاق ليس أبا لهم وإنما هو (إسحاق) مكان تحالفوا عنده فسموا به . والفرقة الثانية فضاء طلحة ، وهم بطون كثيرة ، وأكثرهم أشتات كثيرة في البلاد لاحد لهم . والفرقة الثالثة بنو محمد ، وهم بنو محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ومنازلهم بالبرجين وسفط سُكْرَة ، وطحا المدينة من بلاد الأشْمُونِ فيما ذكره الحمداني ، وأكثرهم الآن بدْهَروط من البهْئَسَائِيَّة ، وخرج منهم جماعة من العلماء على مذهبي الإمامين : مالك والشافعي رضى الله عنهما .

القبيلة الثانية — بنو يَقْظَة ، وهم بنو يَقْظَة بن مُرَّة . ومنهم بنو مخزوم (بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وضم الزاى وسكون الواو وميم فى الآخر) وهم بنو مخزوم بن

(١) قال ياقوت برلس بفتحتين وضم اللام وتشديدها وفى القاموس برلس بالضات وشدة اللام .

يَقْظَةُ بن مُرَّة بن كعب ، وبه اشتهرت القبيلة دون أبيه يَقْظَةُ لكثرة عقبه دون أبيه . منهم خالد بن الوليد أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو جهل ابن هشام عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخوه العاص بن هشام ، قُتِلَا يوم بدر كافرين ، وأخوهما سلمة بن هشام ، أسلم وكان من خيار المسلمين . ومنهم سَعِيد بن المسيب التابعي المشهور ، وقد ذكر الحمداني أن من بنى مخزوم جماعة بصعيد مصر بالأشمونين وفيهم بأس وشدة . وذكر أيضا أن منهم خالد حمص وخالد الحجاز . وذكر أن كلا منهم يدعى بنو خالد بن الوليد رضى الله عنه . ثم قال : وقد أجمع أهل العلم بالنسب على أنقراض عقبه . قال ولعلهم من سواه من بنى مخزوم فهم أكثر قریش بقیة وأشرفهم جاهلية .

الأصل السادس — كلاب بن مُرَّة ، ويتفرع منه على حاشية عمود النسب قبيلة واحدة ، وهى زُهْرَةُ (بضم الزاى وسكون الهاء وفتح الراء وهاء فى الآخر) وهم بنو زُهْرَةَ بن كلاب بن مُرَّة قاله أبو عبيد وغيره . وقد ذكر الجوهري أن زُهْرَةَ اسم امرأة كلاب نُسِبَ ولده إليها . منهم سعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف كلاهما من العشرة المقطوع لهم بالجنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم آمنَةُ بنتُ وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ذكر الحمداني أن منهم جماعة ببلاد الأشمونين بصعيد مصر .

الأصل السابع — قُصَيَّ بن كلاب بن مرة ، وكان قُصَيَّ عظيما فى قریش ، وهو الذى جمعهم بعد التفرق ، وفى ذلك يقول الشاعر :

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ حِينَ يَدْعَى جُمُعًا \* بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فِهْرٍ

وَأَرْتَجَعَ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ مِنْ خُرَاعَةٍ بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَنْتَرَعَوْهَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَتَيْفَرَّعَ مِنْهُ عَلَى حَاشِيَةِ عَمُودِ النِّسْبِ قَبِيلَتَانِ :

الْقَبِيلَةُ الْأُولَى — بَنُو عَبْدِ الدَّارِ ، وَهُمْ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ، وَبَيْدَ بَنِيهِ كَانَتْ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ دُونَ سَائِرِ بَنِي قُصَيٍّ . وَذَلِكَ أَنَّ قُصَيًّا لَمَّا أَخَذَ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ مِنْ أَبِي عَبَّشَانَ الْخُزَاعِيِّ ، أَرْسَلَهَا مَعَ ابْنِهِ عَبْدِ الدَّارِ هَذَا إِلَى الْبَيْتِ وَقَالَ : يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ هَذِهِ مِفْتَاحِ بَيْتِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَقَدْ أَعَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْكُمْ . فَبَقِيَتْ بِيَدِهِ مِنْ حَيْثُئِذْ ، وَمِنْ وَلَدِهِ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْحَجَّيِّ الَّذِي أَنْتَرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ حِينَ طَلَبَهَا مِنْهُ لَتَدْخُلَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الْبَيْتَ لَيْلًا فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : إِنْ الْكَعْبَةُ لَمْ تُفْتَحْ لَيْلًا قَطْ فَانْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ فَأَعَادَهَا إِلَيْهِ وَقَالَ ” هِيَ فِيكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ “ .

وَقَدْ ذَكَرَ فِي الْمَسَالِكِ أَنَّ بَحْمَاةَ أَقْوَامًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بَنُو شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، ابْنُ طَلْحَةَ ، بَنُ أَبِي طَلْحَةَ ، بَنُ عَبْدِ الْعُزَّى ، بَنُ عُثْمَانَ ، بَنُ عَبْدِ الدَّارِ ، وَهُمْ حَجَبَةُ الْكَعْبَةِ ، وَمِفْتَاحُهَا بِيَدِهِمْ إِلَى الْآنَ .

وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ هَؤُلَاءِ قَوْمًا بِصُعِيدِ مِصْرَ بِسُفْطٍ وَمَا يَلِيهَا مِنْ بِلَادِ الْبَهْئَسَائِيَّةِ يَعْرِفُونَ بِجَمَاعَةِ نَهَارٍ .

الْقَبِيلَةُ الثَّانِيَّةُ — بَنُو عَبْدِ الْعُزَّى ، وَهُوَ عَبْدِ الْعُزَّى بْنُ قُصَيٍّ ، مِنْهُمْ هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ كَانَ يَهْجُو النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَسْلَمَ لِحُسْنِ إِسْلَامِهِ وَمَدَحِهِ .

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الْعُزَّى هَؤُلَاءِ بَنُو أُسْدٍ ، وَهُمْ بَنُو أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ .

وَمِنْ بَنِي أُسْدٍ هَؤُلَاءِ الزَّيْبَرِيُّ بْنُ الْعَوَامِ ، أَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمَقْطُوعِ لَهُمْ بِالْحَنَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ومنها خديجة أم المؤمنين ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وورقة بن نوفل الذي  
أنته خديجة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، في ابتداء النبوة حين جاءه الملك  
بحراء . وقد ذكر الحمداني أن من بنى الزبير طائفة بصعيد مصر ببلاد البهنسا وما  
يلها . فمن ولد عبد الله بن الزبير بنو بدر ، وبنو مصلح ، وبنو رمضان .

ومن بنى مضعب بن الزبير جماعة يعرفون بجماعة محمد بن وراق . ومن ولد عروة  
أبن الزبير بنو غني .

الأصل الثامن — عبد مناف بن قصي ، ولبنى عبد مناف في قريش النسب  
الصميم ، والحسب الكريم ، وإلى هذا أشار أبو طالب بقوله :  
إِذَا أَفْتَحَرْتُ يَوْمًا قَرِيشَ بِمَفْخَرٍ \* فَعَبْدُ مَنْفٍ أَصْلُهَا وَصِمُّهَا  
ويتفرع منه على حاشية عمود النسب ثلاث قبائل :

القبيلة الأولى — بنو عبد شمس بن عبد مناف . ومن عبد شمس بنو أمية ؛ وهم  
بنو أمية الأكبر وأمية الأصغر آبن عبد شمس بن عبد مناف .

فأما أمية الأكبر ، فكان له عشرة أولاد : أربعة منهم يسمون الأعياص ؛ وهم  
العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، وستة يسمون العنابس ؛ وهم  
حرب ، وأبو حرب ، وسفيان ، وأبو سفيان ، وعمرو ، وأبو عمرو .

ومن بنى أمية الأكبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومعاوية بن  
أبي سفيان بن حرب ، والحكم بن العاص . ومن ولده كانت المراءنة خلفاء بنى أمية .

وأما أمية الأصغر فيقال لأولاده العبلات ، ومن عقب أمية الأصغر الثريا بنت  
عبد الله بن الحارث بن أمية ، التي كان يشب بها عمر بن أبي ربيعة ، وكان تزوجها  
سهيلاً بن عبد الرحمن بن عوف ، وفيهما يقول عمر بن أبي ربيعة :

أَيُّهَا الْمُنِكِحُ الثَّرِيَا سَهِيلاً \* عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ  
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلْتُ \* وَسَهِيلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وقد اختلف في النسبة إلى أمية على مذهبين، أحدهما أنه أموى بضم الهمزة جريا على اللفظ في أمية، وإليه يميل كلام الشيخ أثير الدين أبي حيّان في شرح التسهيل، الثانى أنه ينسب إليها أموى بفتحها لأن أمية تصغير أمة فإذا نسبت رددته إلى أصله وعليه أقصر الجوهري.

(١)  
القبيلة الثانية — نوفل، وهم بنو نوفل بن عبد مناف، ومنهم نافع بن طريب ابن عمرو بن نوفل الذى كتب المصاحف لعمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكان نوفل وعبد شمس متآلفين فجرى بنوهما على ذلك.

القبيلة الثالثة — بنو المطلب، وهم بنو المطلب بن عبد مناف، وكان المطلب متآلفا مع أخيه هاشم بن عبد مناف المقدم ذكره فجرى بنوهما على ذلك، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم "لَمْ يَفْتَرِقْ هَاشِمٌ وَالْمُطَلَبُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ". ومن بنى المطلب الإمام الشافعى رضى الله عنه.

الأصل التاسع — هاشم بن عبد مناف، وأسمه عمرو، وسمى هاشما لهشمه الثريد أيام المجاعة؛ وفي ذلك يقول الشاعر:

عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ \* وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَبُونَ عِجَافُ

وأتته إلى سيادة قريش. وكان له على حاشية عمود النسب أربعة أولاد. وهم نضلة، وأسد، وصيفى، وأبو صيفى، ولم يشتهروا كل الأشتار.

الأصل العاشر — عبد المطلب بن هاشم، وكان له اثنا عشر ولدا: عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، والعباس،

(١) كذا في سبائك الذهب أيضا والذي في العقد الفريد شافى بن طرب.



وَضَرَّازَ، وَحَمْزَةَ، وَجَمَلْ، وَأَبُو لَهَبْ، وَقُثْمٌ، وَالغَيْدَاقُ الْمَلْقُومُ، وَالْحَارِثُ أَعْمَامُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خِلافٍ فِي الْعَدَدِ فِيهِمْ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَالْعَقْبُ مِنْهُمْ لِسِتَّةٍ: حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَبُو لَهَبٍ، وَأَبُو طَالِبٍ، وَالْحَارِثُ، وَعَبْدُ اللَّهِ.

فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَمِنْ وَلَدِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَلَاصَةُ الْوُجُودِ، وَزُبْدَةُ الْعَالَمِ. وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَمِنْ وَلَدِهِ الْخُلَفَاءُ مِنْ زَمَنِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ أَوَّلِ خُلَفَائِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا إِلَى الْمُسْتَعِينِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ خَلِيفَةِ الْعَصْرِ. وَأَمَّا حَمْزَةُ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ أَنَّ عَقْبَهُ أَتَقَرَّضُ. وَأَمَّا أَبُو طَالِبٍ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ، وَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، وَجَعْفَرٌ، وَعَقِيلٌ، فَمِنْ وَلَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقِبُهُمَا قَدْ مَلَأَ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ، وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّ مِنْهُمْ بِصَعِيدَ مِصْرَ جَمَاعَةً مِنَ الْجَعْفَرِيَّةِ بَنِي جَعْفَرِ الصَّادِقِ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلَىٍّ وَقَالَ مَسْكَنُهُمْ مِنْ بَحْرَى مَنفَلُوطَ إِلَى سَمْلُوطَ غَرْبًا وَشَرْقًا، وَعَدَّ مِنْ بَطُونِهِمُ الْحَيَادِرَةَ، وَهُمْ أَوْلَادُ حَيْدَرَةَ، وَالسَّلَاطِنَةَ، وَهُمْ أَوْلَادُ أَبِي بُجَيْشٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْهُمْ الشَّرِيفُ حِصْنُ الدِّينِ بْنِ تَغْلِبٍ صَاحِبُ دَرَوْزَةَ سَرَبَامَ مِنَ الْأَشْمُونِينَ، وَبِهِ عَرَفَتْ بَدْرُوزَةُ الشَّرِيفُ، وَكَانَ قَدْ سَمَتْ نَفْسَهُ إِلَى الْمُلْكِ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ وَبَقِيَ حَتَّى مَلَكَ الظَّاهِرُ بَيْبَاسَ، فَأَعْمَلَ لَهُ غَوَائِلَ الْغَدَرِ حَتَّى قَبِضَ عَلَيْهِ وَشَنَقَهُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ. قَالَ وَمِنْ بَنِي الْحُسَيْنِ قَوْمٌ بِحَرَجَةِ مَنفَلُوطَ، وَبَنِي الْحُسَيْنِ هَؤُلَاءِ تَعْرِفُ الْقَرْيَةَ الْمَسْمَاةَ بِبَنِي الْحُسَيْنِ. وَفِي أَسْيُوطَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَوْلَادِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ يُعْرِفُونَ بِأَوْلَادِ الشَّرِيفِ قَاسِمٍ. وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْإِبْصَارِ" أَنَّ بَسَامِيَّةً وَحَلَبَ وَبِلَادَهُمَا جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي الْحُسَيْنِ.

ومن ولد جعفر بن أبي طالب أقوام ببلاد الشام بوادي بنى زيد، وبصرخدا  
وبلادها جماعة من عامر بن هلال، يدعون أنهم من بنى جعفر بن أبي طالب أيضا.  
وفي بعض قرى أذربعات قوم يدعون أنهم منهم . وأما الحارث وأبو لُهب فقد ذكر  
في العبر أن لهما عقبا موجودا ولم يصرح بمجمله .

### الضرب الثالث

(من العرب الموجودين المتردد في عروبتهم)

وهم البربر (ببائين موحدتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة وراء مهملة  
في الآخر) . قال الجوهرى : ويقال فيهم البريرة والهاء للعجمة والنسب ولا يمتنع  
حذفها . وقد اختلف في نسبهم اختلافا كثيرا فذهبت طائفة من النساين إلى أنهم  
من العرب . ثم اختلف في ذلك فقليل أوزاع من اليمن ، وقيل من غسان وغيرهم  
تفرقوا عند سبيل العرم قاله المسعودى ؛ وقيل خلفهم أربة ذو المنار أحد تباعة اليمن  
حين غزا المغرب ؛ وقيل من ولد لقمان بن حمير بن سبأ ، بعث سرية من بنيهِ إلى  
المغرب ليعمروه ، فزولوا وتناسلوا فيه ؛ وقيل من لحم وجدّام ، كانوا نازلين بفلسطين  
من الشام إلى أن أخرجهم منها بعض ملوك فارس فلبجوا إلى مصر فمنعهم ملوكها  
من نزولها فذهبوا إلى المغرب فنزلوه ؛ وذهب قوم إلى أنهم من ولد لقشان بن  
إبراهيم الخليل عليه السلام . وذكر الحمداني أنهم من ولد بربر بن قيذار بن إسماعيل  
عليه السلام ، وأنه ارتكب ذنبا فقال له أبوه البرّ البرّ أذهب يا برفا أنت يبرّ ، وقيل  
هم من ولد بربر بن ثميلا بن مازيع بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل  
من ولد بربر بن كسلاجيم بن حام بن نوح ؛ وقيل من ولد ثميلا بن ماراب بن عمرو  
ابن عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ؛ وقيل من ولد قبط بن حام بن نوح ؛

وقيل أخلاط من كنعان والعالق ؛ وقيل من جبر ومصر والقبط ؛ وقيل من ولد جالوت ملك بنى إسرائيل ، وإنه لما قتله داود تفرقوا في البلاد فلما غزا إفريقيش البلاد نقلهم من سواحل الشام إلى المغرب ، وهو الذى رجه صاحب العبر . وبالجملة فأكثر الأقوال جانحة إلى أنهم من العرب وإن لم يتحقق من أى عرب هم ، وهم قبائل متشعبة وبطون متفرقة ، وأكثرهم ببلاد المغرب ؛ وبديار مصر منهم طائفة عظيمة ، قال فى العبر : وهى على كثرتها راجعة إلى أصلين لا تخرج عنهما : أحدهما البرانس ، وهم بنو برنس بن بربر . والثانى البتر ، وهم بنو مادغش الأبت بن بربر . وبعضهم يقول إنهم يرجعون إلى سبعة أصول ، وهى اردواحة ، ومصمودة ، وأوربة ، وعجبة ، وكامة ، وصنهاجة ، وأوريغة . وزاد بعضهم لمطة ، وهسكورة ، وكرولة . وقد ذكر صاحب العبر منهم الجم الغفير ؛ والذى تدعو الحاجة إلى ذكره من ذلك طائفتان :

الطائفة الأولى — الذين كان منهم ملوك المغرب للحاجة إلى ذلك لمعرفة أنساب الملوك عند المكاتبه إليهم ، وهم ثلاث قبائل :

القبيلة الأولى — مصمودة ( بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وضم الميم وفتح الدال المهملة وهاء فى الآخر ) وهم بنو مصمودة بن برنس بن بربر . قال فى العبر : وهم أكبر قبائل البربر ، وأكثرهم عددا ، وأوسعهم شعوبا ، ومنهم الموحدون أصحاب المهدي بن تومرت القائم بقاياهم بإفريقية إلى الآن .

ومن مصمودة هتانة ( بفتح الهاء وإسكان النون وفتح التاء المثناة فوق وبعدها ألف ثم تاء ثانية مفتوحة وهاء فى الآخر ) ومنهم أبو حفص أحد أصحاب المهدي بن تومرت المقدم ذكره ، وهو الذى ينسب إليه الحفصيون ملوك إفريقية القائمون بتونس إلى الآن على ما سيأتى ذكره فى الكلام على المسالك والممالك .

القبيلة الثانية — زِنَاة ( بكسر الزاى وفتح النون وبعد الألف تاء مشناة فوق مفتوحة وهاء فى الآخر ) وهم بطن من البُتر بن البربر . قال فى العبر : وأسم زِنَاة جانا بالحم ويقال شانا بالشين ، أبى يحيى ، بن صولات ، بن ورساك ، بن ضرى ، بن رحيك ، بن مادغش ، بن بربر . ونقل أبى حزم عن بعضهم أن ضرى ، بن شقعو ، بن تبدواد ، بن ثملا ، بن مادغش ، بن هوك ، بن برسق ، بن كداد ، بن مازيع ، بن هراك ، أبى هريك ، بن بدآ ، بن بديان ، بن كنعان ، بن حام ، بن نوح عليه السلام . وقيل : جانا أبى يحيى ، بن ضريس ، بن جالوت ، بن هريك ، بن جديلات ، بن جالود ، بن رديلات ، أبى عصى ، بن بادين ، بن رحيك ، بن مادغش الأبر ، بن قيس عيلان ، وحينئذ تكون من العرب العدنانية . وقيل : جالوت ، بن جالود ، بن ديال ، بن قحطان ، بن فارس فتكون من الفرس . قال فى العبر : وتزعم نَسَابَة زِنَاة الآن أنهم من حمير من التبابعة فيكونون من القحطانية ؛ وبعضهم يقول إنهم من العالقة . وقد تقدّم عددهم فى العرب .

ومن زِنَاة بنو مَرِين ( بفتح الميم وكسر الراء المهملة وسكون الياء المشناة تحت ونون فى الآخر ) وهم بنو مَرِين ، بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن وجريج ، بن فاتن ، أبى بدر ، بن يحفت ، بن عبد الله ، بن زرتييص ، بن المعز ، بن إبراهيم ، بن رحيك ، بن واشين ، بن نصبين ، بن سراء ، بن احيا ، بن ورسيك ، بن اديت ، بن جانا ، وهو زِنَاة . ومن بنى مَرِين هؤلاء بنو عبد الحق ملوك فاس القائمون بها إلى الآن على ما يأتى ذكره فى الكلام على المسالك والممالك إن شاء الله .

ومن زِنَاة أيضا بنو عبد الواد ملوك تلمسان من المغرب الأوسط القائمون بها إلى الآن .

القبيلة الثالثة — صَنْهَاجَة ( بفتح الصاد المهملة وسكون النون وفتح الهاء وألف بعدها جيم مفتوحة وهاء فى الآخر ) وهم بنو صَنْهَاجَة ، بن برنس ، بن بربر .

وقيل صنهاج، بن أوريغ، بن برنس، بن بربر. ويقال إنهم من خير من عرب اليمن  
قاله ابن الكلبي والطبري والبيهقي والمسعودي وعبد العزيز الجرجاني .

وحكى ابن حزم : أن صنهاج إنما هو ابن امرأة أسماها بصلى وليس له أب معروف  
وأنها تزوجت بأوريغ، وهو معها، فولدت له هؤارة، فكان صنهاج أخا هؤارة لأمة .  
ومن صنهاجة لمتونة ( بفتح اللام وسكون الميم وضم التاء المثناة فوق وفتح النون  
وهاء فى الآخر ) ، ومن لمتونة ملوك المراتطين الذين كان منهم أمير المسلمين يوسف  
ابن تاشفين باني مدينة مراکش من الغرب الأقصى ، وهم الذين أنقرض ملكهم  
بدولة الموحدين .

الطائفة الثانية — الذين منهم بالديار المصرية . قال فى العبر : وهم قبيلتان :  
القبيلة الأولى — هؤارة ( بفتح الهاء وتشديد الواو وفتح الراء المهمله بعد الألف  
وهاء فى الآخر ) ، وهم بنو هؤارة بن أوريغ ، بن برنس ، بن بربر . وذكر الحمداني أنهم  
من ولد بر ، بن قيذار ، بن إسماعيل عليه السلام . قال فى العبر : ونسأبتهم يقولون  
إنهم من عرب اليمن . فتارة يقولون إنهم من عاملة إحدى بطون قضاة ، وتارة  
يقولون إنهم من ولد المسور ، بن السكاسك ، بن وائل ، بن حمير ، وتارة يقولون من ولد  
السكاسك ، بن أشرس ، بن كندة ، فيقولون هؤار ، بن أوريغ ، بن حيور ، بن المثنى ،  
ابن المسور . وقد عد الحمداني من بطونهم بالديار المصرية بنى مجريش ، وبنى  
اسرات ، وبنى قطران ، وبنى كريب ، ولكنهم الآن قد آتست بطونهم ، وكثرت  
شعوبهم ، وصار لهم بطون كثيرة .

منها بنو محمد ، وأولاد مامن ، وبندار ، والعرايا ، والشللة ، وأشخوم ، وأولاد  
مؤمنين ، والرابع ، والروكة ، والبروكية ، والبهايل ، والأصاغة ، والدناجلة ، والمواسية .

(١) فى العبر بدون هاء التأنيث وقد اختلف الأصل الذى بيدنا فتارة يثبتها وتارة يحذفها .

والبلازد ، والصوامع ، والسدادرة ، والزبانية ، واخيافشة ، والطرده ، والأهله ،  
وازلتين ، واسلين ، وبنو قير ، واثيه ، والتبابعة ، والغنائم ، وفزارة ، والعبادة ،  
وساورة ، وغلبان ، وحديد ، والسبعة . وذكروا في "مسالك الأبصار" أن لهم بالديار  
المصرية البحيرة ، ومن الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة ، ولم يزل الأمر على  
ما ذكره إلى آخر المائة الثامنة في الدولة الظاهرية الشهابية برقوق فغلهم على البحيرة  
زنارة وحلفاؤهم من بقية عرب البحيرة ، فخرجوا عنها إلى صعيد مصر ، ونزلوا به  
بالأعمال الإنخيمية في جرجا وما حولها . ثم قَوِيَ أمرهم ، واشتد بأسهم ، وكثر  
جمعهم ، حتى أنتشروا في معظم الوجه القبلي فيما بين أعمال قوص ، وإلى غربي الأعمال  
البهنسية ، وأقطعوا بها الإقطاعات ، وصارت الإمرة في بلاد إنخيم لأولاد عمر ،  
وفي أعمال البهنا وما حولها لأولاد غريب ، والأمر على ذلك إلى الآن .

(١)  
القبيلة الثانية — لَوَّائَة ( بفتح اللام والواو والناء المثناة وهاء في الآخر ) قال  
الحمداني : ويقال لَوَّائَة بالألف ، وهم بنو لَوَّائَة الأصغر ، بن لَوَّائَة الأكبر ، بن رحيك ،  
أبن مادغش الأبتري ، بن بربر . قال الحمداني : وهم يقولون إنهم من قيس من  
غطفان ، بن سعد ، بن قيس عيلان . وذكروا عن بعض النسابين أنهم من ولد برّ ، بن  
قَيْدَار ، بن إسماعيل عليه السلام ، وأنه تزوج امرأة من العاليق فولدت له أولادا  
منهم لَوَّائَة .

وحكى ابن حزم عن بعض النسابة : أن لَوَّائَة من القبط . ثم قال : وليس بصحيح .  
قال الحمداني : ولهم بمصر بطون كثيرة ، منهم بنو بلار ، وجد وخاص ، وبنو مجدول  
وبنو جديدي ، وقطوفة ، وبركين ، ومالو ، ومزورة . قال : وبنو جديدي تجمع أولاد

(١) ذكرها صاحب القاموس بهذا الضبط في باب الناء المثناة من فوق فليتبّه .

قريش، وأولاد زَعَاذِعَ، وهم أشهر مَنْ في الصعيد . وقطوفة تجمع مَغَاةً وواهلة .  
وبركين تجمع بنى زيد وبنى روحين . ومزورة تجمع بنى وركان وبنى غرواسن .  
ثم قال : فأما بنو بلار ففرقتان فرقة بالبهنسية، وهم بنو محمد، وبنى على، وبنو زار،  
ونصف بنى شهلان .

وأما الفرقة التي بالحيزية ، فبنو مجدول ، وسقارة، وبنى أبى كَثير، وبنى  
الحلالس <sup>(١)</sup> . قال : ويقال لهذه الفرقة جد وخاص ، ويقال للأولى البلارية ؛ ومنهم  
مَغَاة ، ولهم سَمْلُوط إلى الساقية، وبنى بركين قُلُوسًا وما معها إلى بحرى طَنْبَدَى <sup>(٢)</sup>،  
وبنى جد وخاص الكفور الصولية، وسَفْط أبو جرجا إلى طنبدى <sup>(٢)</sup>، وإهريت . ومنهم  
بنو محمد، وبنى على المقدم ذكرهما، وأمراؤهم بنو زعاذع .

وأما مزورة، فبنو وركان ، وبنى غرواسن ، وبنى جحاز، وبنى الحكم ،  
وبنو الوليد، وبنى الحجاج، وبنى الحرمة .

وأما بنو زار . فن بنى زرية ؛ ومنهم نصف بنى عامر، والحماسنة، والضباعنة ؛  
وهم في إمارة بنى زعاذع . ومنهم أيضا بنو زيد وأمراؤهم أولاد قريش، ومساكنهم  
النَّوْزِيَّةُ ؛ وبالحيزة منهم صلامس : عرب البدرشين ، وبنى منصور : عرب مينة  
رهينة، وبنى بكم : عرب سقارة، وبنى مجدول، وبنى يرنى، وبنى يوسف، وبهم  
تعرف الكفور الثلاثة المسماة باسمهم . وبالمنوفية منهم بنو يحيى، والسوة، وعبيد،  
ومصلة، وبنى مختار . ومن لَوَاثَة هؤلاء زُتَّارَة (بضم الزاى وتشديد النون وألف  
ثم راء مهملة مفتوحة وهاء فى الآخر)، وهم بنو زُتَّارَة من ولد بر، بن قيذار، بن إسماعيل  
عليه السلام، وقال : إنه أخو هَوَّارَة ، وأكثر زُتَّارَة ببلاد المغرب ؛ ومنهم جماعة

(١) فى السبائك بنو الجلاس بالجيم وحرر .

(٢) فى معجم ياقوت طنبدة بالذال المعجمة وهاء التأنيث .

بالبحيرة وجماعة بالمنوفية . وقد عدّ الحمدانيّ من بطونهم بالبحيرة بنى مزديش ، وهم مزداشة ، وبنى صالح ، وبنى سام وزمران ، وأوريقة ، وعزهان ، ولقان . وزاد بعضهم بنى حبون ، وواكدة ، وفرطيطة ، وغرجومة ، وطازولة ، ونفات ، وناطورة ، وبنى السعوية ، ومزداشة ، وبنى أبى سعيد ، وهم عرب بدر بن سلام . ومن لوائه أيضاً مزاتة ( بضم الميم وفتح الزاى والتاء المثناة فوق وهاء فى الآخر ) ، وهم بنو مزاتة ، بن لوائه الأصغر ، ومنازلهم من البحيرة غرباً إلى العقبة الكبيرة ببرقة .

### المقصد الثالث

( فى معرفة أنساب العجم )

وهم منّ عدا العرب من الفُرس ، والتُرك ، والرُّوم ، وغيرهم . ويحتاج إلى ذلك فى المكاتبات إلى ملوكهم ، وعقد الهدن معهم ، ونحو ذلك .

والمشهور من الأُمم العجمية ست وعشرون أمة :

الأولى — التُرك ( بضم التاء المثناة فوق وسكون الراء المهملة وكاف فى الآخر ) ، وهم الأُمّة المشهورة الذين منهم مُلُوك الديار المصرية الآن ، وهم من بنى تُرك ، بن كומר بن يافث ، بن نوح عليه السلام ؛ وقيل من بنى طيراش ، بن يافث ، ونسبهم ابن سعيد إلى ترك ، بن عابر ، بن شمويل ، بن يافث . قال فى العبر : ويدخل فى جنس التُرك القفجاق ، وهم الخفشاج ، والطغرغر ؛ وهم التتر . ويقال فيهم التتار بزيادة ألف ، والططر بإبدال التاء طاء ، والخطا ، والخزليخة والخزرب ؛ وهم الغز الذين كان منهم ملوك السلاجقة ، والهياطلة ، وهم الصغندر والغور والعلان ، ويقال : اللان ، والشركس ، والأزكش ، والروس فكلُّهم من جيل التُرك ونسبهم داخل فى نسبهم .



الثانية — الجَرمِقة (بفتح الجيم وكسر الميم وفتح القاف وهاء في الآخر)، وهم أهل المَوْصِل في الزمن القديم . قال ابن سعيد: وهم من ولد جُرموق، بن أشور، بن سام، ابن نوح عليه السلام . وقال غيره : من ولد كاثر، بن إرم، بن سام .

الثالثة — الجليل (بكسر الجيم وسكون المشاة تحت ولام في الآخر) ، وهم أهل كيلان من بلاد الشرق . قال ابن سعيد : وهم من بنى باسل، بن أشور، بن سام، ابن نوح عليه السلام .

الرابعة — الخَزَر (بفتح الخاء والزاي المعجمتين وراء مهملة في الآخر) ، وهم التركمان . في الإسرائيليات أنهم من ولد توغرىبجا، بن كومر، بن يافث، بن نوح، وقيل هم من بنى طيرايش بن يافث، وقيل نوع من الترك .

الخامسة — الديلم (بفتح الدال المهملة وسكون الياء المشناة تحت وفتح اللام وميم في الآخر) ، وهم الذين كان منهم ملوك بنى بُويه الخارجين على خلفاء بنى العبَّاس ببغداد . قال في العبر : هم من بنى ماداي، بن يافث، بن نوح، وقال ابن سعيد : من بنى باسل، بن أشور، بن سام، بن نوح، وقيل هم من العرب وضعفه أبو عبيد .

السادسة — الرُّوم وضبطهم معروف، وهم الأمة المعروفة الذين منهم ملوك القُسْطَنْطِينِيَّة الآن، قيل هم من بنى كيثم بن يونان، وهو يابان، بن يافث، بن نوح، وقيل من ولد رعويد ابن عيصو، بن إسحاق، بن إبراهيم عليه السلام . وقال الجوهري : من ولد رُوم، بن عيصو بن إسحاق .

السابعة — السُّرِّيَّان (بضم السين وسكون الراء المهملتين وفتح الياء المشناة تحت

وألف ثم نون)، قال ابن الكلبي : من بنى سُورِيان، بن نيط، بن ماش، بن آدم،  
ابن سام، بن نوح .

الثامنة — السُّد ( بكسر السين المهملة وسكون النون ودال مهملة في الآخر )،  
في الإسرائيليات أنهم من ولد شبا، بن رعما، بن كوش، بن حام، بن نوح ؛ وحكى  
الطبري عن ابن إسحاق : أنهم من بنى كوش بن حام .

التاسعة — السُّودان وضبطهم معروف . قال ابن سعيد : جميع أحيائهم من ولد  
حام بن نوح ؛ ونقل الطبري عن ابن إسحاق : أن الحبشة من ولد كوش بن حام  
والنوبة، والزنج، والزغاوة من ولد كنعان بن حام . وذكر ابن سعيد : أن الحبشة  
من بنى حبش والنوبة من ولد نوبة أو بنى نوبى ، والزنج من بنى زنج ، ولم يرفع  
في نسبهم فيحتمل أنهم من بنى حام، وأنهم من بنى غيه .

العاشر — الصَّقَالبة ( بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وألف بعدها لامٌ مكسورة  
وباء موحدة مفتوحة وهاء في الآخر )، وهم عند الإسرائيليين من بنى بازان بن يافث  
ابن نوح، وقيل هم من بنى اشكاز، بن توغرما، بن كومر، بن يافث .

الحادية عشرة — الصِّين وضبطهم معروف، قيل هم من بنى صيني، بن ماغوغ  
ابن يافث، بن نوح ؛ وقيل من بنى طوبال بن يافث . وذكر "هرشيوش" مؤرخ  
الروم أنهم من بنى ماغوغ بن يافث .

الثانية عشرة — العِبْرانيُّون ( بكسر العين المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح  
الراء المهملة وألف بعدها نون مكسورة وياء مثناة تحتٌ مشددة مضمومة وواو  
ساكنة ثم نون )، وهم الذين يتكلم اليهود بلسانهم إلى الآن . قال الطبري : وهم من  
ولد عابر، بن شالخ، بن أرغشذ، بن سام، بن نوح .

الثالثة عشرة — الفُرس (بضم الفاء وسكون الراء المهملة وسين مهملة في الآخر) وهم الذين كان منهم ملوك الأكاسرة . قال ابن إسحاق : هم من ولد فارس ، بن لاوذ ، ابن سام ، بن نوح . وقال ابن الكلبي : هم من ولد فارس ، بن طيراش ، بن أشور ، بن سام ، بن نوح ؛ وقيل من ولد طيراش ، بن همدان ، بن يافث ، بن نوح ؛ وقيل من بنى أميم ، بن لاوذ ، بن سام . ووقع للطبري : أنهم من ولد رعويل ، بن عيصو ، بن إسحاق ، ابن إبراهيم عليه السلام . قال في العبر : ولا آلتفات إلى هذا القول لأن مُلك الفُرس أقدم من ذلك .

الرابعة عشرة — الفرنج (بفتح الفاء والراء المهملة وسكون النون وجم في الآخر) قيل من ولد طوبال ، بن يافث ؛ وقيل من ولد غطرما ، بن كומר ، بن يافث .

الخامسة عشرة — القبط (بكسر القاف وسكون الباء الموحدة وطاء مهملة في الآخر) ، وهم الذين كان منهم أهل مصر في القديم . قال إبراهيم بن وصيف شاه : هم من بنى قبطيم ، بن قفط ، بن مصر ، بن بيسر ، بن حام ، بن نوح ؛ وعند الإسرائيليين أنهم من ولد قفط بن حام .

السادسة عشرة — القُوط (بضم القاف وسكون الواو وطاء مهملة في الآخر) ، وهم أهل الأندلس في القديم . قال "هرشيوش" هم من ولد ماغوغ ، بن يافث ، بن نوح ؛ وقيل هم من ولد قُوط ، بن حام ، بن نوح .

السابعة عشرة — الكُرد (بضم الكاف وسكون الراء المهملة ودال مهملة في الآخر) ، وهم الذين كان منهم بنو أيوب ملك مصر بعد الفاطميين . قال في العبر : هم من بنى إيران بن أشور ، بن سام ، بن نوح . قال المقرئ الشهابي "ابن فضل الله في كتابه "التعريف" : ويقال في المسلمين الكُرد ، وفي الكفار الكرج ، وحينئذ فيكون الكُرد والكُرج نسبا واحدا .

الثامنة عشرة — الكَنْعَانِيُّونَ ( بفتح الكاف وسكون النون وفتح العين المهملة وضم الياء المثناة تحتُ المشددة ) ، وهم الذين كان منهم جبابرة الشام من ولد كنعان ابن حام ، بن نوح .

التاسعة عشرة — أَلَمَّانُ ( بلام مفتوحة وميم بعدها ألف ونون ) ، وهم الذين كانوا قصدوا سواحل الشام في الدولة الأيوبيَّة ومواطنهم في شمالي البحر الرومي غربا بشمال . قال في العبر : وهم من ولد طوبال ، بن يافث ، بن نوح .

العشرون — النَّبِطُ ( بفتح النون والباء الموحدة وطاء مهملة في الآخر ) ، وهم أهل بابل من العراق في الزمن القديم ، وإليهم تنسب الفِلاحة النَّبِطِيَّة لِأَبْنِ وَحْشِيَّة . قال ابن الكلبي : هم من بنى نبيط ، بن ماس ، بن إرم ، بن سام ، بن نوح . وقال ابن سعيد : هم من بنى نبيط ، بن آشور ، بن سام ، بن نوح .

الحادية والعشرون — الهِنْدُ وضبطه معروف . في الإسرائيليات أنهم من ولد دادان ، بن رعماء ، بن كوش ، بن حام ، ونقل الطبري عن ابن إسحاق أنهم من بنى كوش ، بن حام ، بن نوح من غير واسطة .

الثانية والعشرون — الأَرَمُنُ ( بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم ونون في الآخر ) وهم أهل إرْمِينِيَّة الذين بقاياهم ببلاد سيس ؛ قيل هم من ولد قهويل ، بن ناحور ، بن تارخ ، وهو آزر ، وتارخ أبو إبراهيم عليه السلام .

الثالثة والعشرون — الأَشْبَانُ ( بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف ثم نون ) قيل هم من ولد ماشع ، بن يافث ، بن نوح . وعند الإسرائيليين من ولد ياولان وهو يونان بن يافث ، وعند آخرين أنهم من شعوب بني عيصو بن

إسحاق؛ وقال الطبري: أشك أنهم من ولد رعويل بن عيصو بن إسحاق، وهو قريب من الذي قبله.

الرابعة والعشرون اليونان — وهم الأمة الذين كان منهم الحكماء شرقاً الخليج القسطنطيني، وهم من ولد يونان، وهو يوان، بن يافث، بن نوح. وقال البيهقي: هم من ولد يونان، بن خلجان، بن يافث. وشذ الكندي فقال: يونان، بن عابر، بن شالخ، ابن أرفخشذ، بن سام بن نوح؛ بفعل يونان أخا لقحطان أبي عرب اليمن. وقال: إنه خرج من بلاد العرب مغاضباً لأخيه قحطان فنزل شرقاً الخليج القسطنطيني؛ ورد عليه أبو العباس الناشئ بقوله:

تُحَلِّطُ يُونَانًا بَقَحْطَانَ ضَلَّةً \* لَعَمْرِي لَقَدْ بَاعَدْتَ بَيْنَهُمَا جِدًّا

ثم اليونانية على ثلاثة أصناف اللطينيون، وهم بنو لطين بن يونان، والإغريقيون وهم بنو إغريق بن يونان، واللكيم، وهم بنو اللكيم بن يونان وهي أصل الروم فيما يقال على ما تقدم.

الخامسة والعشرون زويلة — (بضم الزاي وفتح الواو وسكون الباء المشناة تحت وفتح اللام وهاء في الآخر) وهم أهل برقة في القديم، ومنهم الطائفة الذين وصلوا صُحْبَةَ جوهر المعزى باني القاهرة المنسوب إليهم باب زويلة بالقاهرة، يقال إنهم من بني حوبلا بن كوش بن حام بن نوح.

السادسة والعشرون يأجوج ومأجوج — وضبطهما معروف. قيل إنهم من ولد ماغوغ، بن يافث، بن نوح؛ وقيل من ولد كومر، بن يافث.

## النوع الثالث عشر

(المعرفة بمفائحات الأئم ومناقراتهم ، وما جرى بينهم في ذلك من المحاورات والمراجعات والمناقضات ؛ وفيه مقصدان)

## المقصد الأول

(في بيان وجه احتياج الكاتب إلى ذلك)

(١) إخفاء أنه يتعين على الكاتب معرفة المفائحات الواقعة بينهم ، من معرفة وجوه الاختصار التي يمدح بمثلها : مما يُستعان بمثله على المدح والإطراء الواقع في الولايات وما يُفَضَّل به كل واحد من البلغاء على خصمه ، وما يردُّ عليه من الأجوبة المبطلّة له لينسج على منوال ذلك فيما يرد عليه من المخاطبات ، والمكلمات عند دعاية ضرورته إليه ، واحتياجه إلى إيراده .

## المقصد الثاني

(في ذكر أنموذج من المفائحات ، والمنافرات يُنسج على منواله)

فأما المفائحات، فمنها ما روى أنه لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفد بني تميم سنة الوفود بعد فتح مكة، فيهم عطاردة بن حاجب، بن زُرارة، بن عُدَس التميمي، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، ونعيم بن زيد، وعُتْبَةُ بن حصن ابن حذيفة بن بدر، والأقرع بن حابس، في لفّهم وليفّهمهم، ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، من وراء حجراته أن أخرج إلينا يا محمد، فتأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صياحهم فخرج إليهم — فقالوا : يا محمد جئناك

(١) لعله واتمّن من معرفة الخ كما يفيد السياق .

لِنَفْأَحِرْكَ . فَأَذِنَ لِشَاعِرِنَا وَخَطَبِنَا - قَالَ "قَدْ أَذِنْتُ لَخَطِيبِكُمْ فليَقُلْ" فقام عطارِدُ بن حَاجِبٍ فقال :

"الحمد لله الذى لَهُ عَلَيْنَا الْفَضْلُ ، وهو أَهْلُهُ ، الذى جَعَلَنَا مُلُوكًا ، ووهبَ لَنَا أَمْوَالًا عِظَامًا نفعلُ منها المعروف ، وجَعَلَنَا أَعَزَّ أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَأَكْثَرَهُ عِدَدًا ، وَأَشَدَّهُ عُدَّةً ؛ فَمَنْ مِثْلُنَا فِي النَّاسِ ؟ أَلَسْنَا بِرُءُوسِ النَّاسِ وَأَوَّلِيْ فَنَائِلِهِمْ ؟ فَمَنْ فَأَخَرْنَا فليَعُدِّدْ مِثْلَ مَا عَدَدْنَاهُ ، وَإِنَّا لَوْ نَشَاءُ لَا كَثَرْنَا الْكَلَامَ وَلَكِنَّا تَحِيَّيْنَا عَنِ الْإِكْثَارِ ، وَأَقُولُ هَذَا لِأَن تَأْتُوا بِمِثْلِ قَوْلِنَا ، وَأَمْرٍ أَفْضَلَ مِنْ أَمْرِنَا" ثم جلس

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لثابت بن قيس الخَزَرْجِيُّ : "قُمْ فَأَجِبِ الرَّجُلَ فِي خُطْبَتِهِ" فقام ثابت بن قيس فقال :

"الحمد لله الذى السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ خَلَقَهُ ، قَضَى فِيهِنَّ أَمْرَهُ ، وَوَسِعَ كُرْسِيُّهُ عِلْمَهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا مِنْ فِعْلِهِ ؛ ثُمَّ كَانَ مِنْ قُدْرَتِهِ أَنْ جَعَلَنَا مُلُوكًا وَأَصْطَفَى مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ رَسُولًا ، أَكْرَمَهُ نَسَبًا ، وَأَصْدَقَهُ حَدِيثًا وَأَفْضَلَهُ حَسَبًا ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ، وَائْتَمَنَهُ عَلَى خَلْقِهِ ؛ وَكَانَ خَيْرَةً مِنَ الْعَالَمِينَ ؛ ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، فَأَمَّنَ بِرَسُولِ اللَّهِ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قَوْمِهِ وَذَوِي رِمِهِ ، أَكْرَمُ النَّاسِ أَحْسَابًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجُوهًا ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِعَالًا ؛ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ الْخَلْقِ إِجَابَةً ، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ حِينَ دَعَاهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ ، فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ، وَوُزَرَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ، نُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ، فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُتَّعَ بِمَالِهِ وَدَمِهِ ، وَمَنْ كَفَرَ جَاهَدْنَاهُ فِي اللَّهِ أَبَدًا ، وَكَانَ قَتْلُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا ؛ أَقُولُ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالسَّلَامَ عَلَيْكُمْ" .

فقام الزبرقان بن بدر التيمي فقال :

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَى يُفَاخِرُنَا \* مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ  
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ \* عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يَتَّبِعُ  
وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعَمَنَا \* مِنْ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُنَوِّسِ الْقَزْعُ  
وهي أبيات .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحسان بن ثابت ”ثم فاجب الرجل فيما

قال“ فقال حسان رضى الله عنه :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ \* قَدْ بَيْنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ  
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ \* تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يُصْطَنِعُ  
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ \* أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا  
صَمِيحَةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ \* إِنْ الْخَلَائِقُ فَاعْلَمْ شَرَّهَا الْيَدْعُ  
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ \* فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ  
لَا يَرِيقُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ \* عِنْدَ الدَّفَاقِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا  
أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ شَيْعَتُهُمْ \* إِذَا تَفَاوَتَ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ  
وهي أبيات .

ويروى أن الزبرقان بن بدر قال :

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا \* إِذَا اخْتَلَفُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ  
فَإِنَّا فُرُوعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ \* وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كِدَارِمِ  
وَمَا بُدُورُ الْعَالَمِينَ إِذَا اتَّخَعُوا \* وَنَضْرِبُ رَأْسِ الْأَصْمِيدِ الْمُتَفَاقِمِ  
وَمَا لَنَا الْمِرْبَاعُ فِي كُلِّ غَارَةٍ \* نَغِيرُ بَنَجْدٍ أَوْ بَارِضِ الْأَعَاجِمِ



فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال :

هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودْدُ الْعَوْدُ وَاللَّيْثُ \* وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ  
نَصْرُنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا \* عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمِ  
نَصْرَانِهِ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا \* بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ  
جَعَلْنَا بَيْنَنَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا \* وَطَبْنَا لَهُ نَفْسًا بِفِيءِ الْمَغَانِمِ  
وَنَحْنُ ضَرْبَنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا \* عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَقَاتِ الصَّوَارِمِ  
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَاهَا \* وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ  
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فُخِرْكُمْ \* يَعُودُ وَبَالًا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ  
هَيْلَتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ \* لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُئْرٍ وَخَادِمِ؟  
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّقِ دِمَائَكُمْ \* وَأَمْوَالَكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِي الْمَقَاسِمِ  
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدَاءً وَأَسْلُمًا \* وَلَا تَلْبَسُوا زِيَا كَرِيٍّ الْأَعَاجِمِ

فلما فرغ حسان من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي ! إن هذا الرجل مُراد ،  
لخَطِيئِهِ أَخْطَبُ مِنْ خَطِيئِنَا ، وَلشَاعِرِهِ أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا ، وَأَصْوَاتُهُ أَعْلَى مِنْ  
أَصْوَاتِنَا ؛ فَاسْلُمُوا وَأَحْسِنُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جَوَائِزَهُمْ .

ففى هذا الوفد نزل ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ  
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

قلت : وهذه مكابرة ظاهرة ، وتجاهل فاحش من بنى تميم ، حيث طلبوا المفاخرة  
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلُّ العرب على اختلاف شعوبهم ، وتتابع قبائلهم  
معترِفون لبني هاشم بالسُّبْقِ فى الشرف ، والتقدم فى الفضل ، مع ما فضل الله تعالى به

رسوله صلى الله عليه وسلم ، وَخَصَّه به من رفيع الشَّرَف الذى لم يبلغه نبى مرسل ،  
ولا ملك مقرب .

وقد تعرض أبو نؤاس في بعض أشعاره لمدح بني تميم ، وبالغ في نفعهم فأغش ، فقال :

نُحْرِمُهُ خَيْرَ بَنِي خَازِم \* وَخَازِمٌ خَيْرُ بَنِي دَارِم

وِدَارِمٌ خَيْرُ تَمِيمٍ وَمَا \* مِثْلُ تَمِيمٍ فِي بَنِي آدَم

ونقضه عليه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس اليعمرى ، فقال رحمه الله فأجاد  
القول ، وفاز بالقدح المعلن فقال :

مُحَمَّدٌ خَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ \* فَن تَمِيمٌ وَبَنُو دَارِمٍ ؟

وَهَاشِمٌ خَيْرُ قُرَيْشٍ وَمَا \* مِثْلُ قُرَيْشٍ فِي بَنِي آدَم !

وهو مأخوذ من قول الأول :

قُرَيْشٌ خَيْرُ بَنِي آدَم \* وَخَيْرُ قُرَيْشٍ بَنُو هَاشِمٍ

وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدُ \* رَسُولُ الْإِلَهِ إِلَى الْعَالَمِ

واليه ينظر قول ابن عرسية :

لِلَّهِ مِمَّا قَدْ بَرَأَ صَفْوَةٌ \* وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ بَنُو هَاشِمٍ

وَصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ \* مُحَمَّدٌ النُّورُ أَبُو الْقَاسِمِ

ولقد أنصف إسحاق بن إبراهيم الموصلى حيث قال :

إِذَا مُضِرُّ الْجُرَاءِ كَانَتْ أُرُومَتِي \* وَقَامَ بِنَصْرِي خَازِمٌ وَأَبْنُ خَازِمِ

عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَاخٍ وَتَنَاوَلْتُ \* يَدَايَ الثُّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَانِمِ

فإنه جعل مُضِرَّ التى هى أرومة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أصل نفعه وقعدد  
سُودَدَه . فأصاب الفخر في قوله ، وفاز بالشرف في شعره .

قال المولى صلاح الدين الصفدى رحمه الله فى شرح لامية العجم "وإنما ذكر خازما لأنه مولى خزيمة بن خازم التميمى ، وإنما نزل أبوه الموصل فنُسب إليها" .

ومن لطيف ما يحكى أن معاوية بن أبى سفيان كان جالسا وعنده جماعة من الأشراف ، فقال معاوية "مَنْ أكرمُ الناس أبا وأُمًّا ، وجَدًا وجَدَّةً ، وعَمًّا وعَمَّةً ، وخالا وخالة؟" — فقام النُّعمان بن العجلان الزُّرقى بعد ما أخذ بيد الحسن فقال "هذا أبوه على بن أبى طالب ، وأُمُّه فاطمة ، وجَدُّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وجَدَّتُه خديجة ، وعَمُّه جعفر ، وعَمَّتُه أُمُّ هانئِ ابنةُ أبى طالب ، وخالُه القاسم ، وخالته زينب ، فهذا هو الشرف الذى لا يُدانى والفضل الذى لا يُبارى" .

وقريب من ذلك ما يحكى أنه جرى بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلامٌ طويل فى آخره — "فقال ابن الزبير ، ما مِثلى يَهَارِشُ ، ولكن عندك من قریش والأَنْصار ، ومن سا كِنى الجُحُون والآطام مَنْ إن سألتَه حملك على حُجَّةٍ أُبين من ظهَر الجَفِير — قال : وَمَنْ ذلك — قال هذا ؟ يعنى أبا الجَهْم بن حُذَيْفَة — فقال معاوية تكلم يا أبا الجَهْم — فقال أعفنى — فقال عزمتُ عليك لتقولن — قال : نعم : أمك هند ، وأمه أسماء بنتُ أبى بكر ، وأسماء خير من هند ، وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير ومعاذ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير ، وأما الدنيا فلك ، وأما الآخرة فله إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك ما حكاه ابن الكلبي . قال : قال كِسْرَى للنُّعمان بن المنذر بوما هَل فى العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟ قال نعم — قال فبأى شىء ؟ قال : مَنْ كانت له ثلاثة آباء متواليَّة رؤساء ، ثم اتصل ذلك بكال الرابع فاليث مَنْ قبيلته فيه ويُنسب إليه — قال فأطلبُ ذلك فطلبه فلم يصبه إلا فى آل حُذَيْفَة بن بدر ، وآل حاجِب ابن زُرارة ، وآل ذى الجَدَّين ، وآل الأشعث بن قيس بن كندة — قال فجمع هؤلاء

الرَهْطَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمُ الْحُكَّامَ وَالْعُدُولَ ، وَقَالَ لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَآثِرِ قَوْمِهِ وَلِيَصْدُقَ ، فَكَانَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيُّ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ ، وَكَانَ أَلْسَنَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمَتِ الْعَرَبُ أَنَّ فِينَا الشَّرَفَ الْأَقْدَمَ وَالْأَعَزَّ الْأَعْظَمَ ، وَمَآثِرَهُ لِلصَّنِيعِ الْأَكْرَمِ — فَقَالَ مَنْ حَوْلَهُ وَلِمَ ذَاكَ يَا أَخَا فَزَارَةَ ؟ فَقَالَ أَلْسَنُ الدَّعَائِمِ الَّتِي لَا تُرَامُ ، وَالْعَزَّ الَّذِي لَا يُضَامُ ؟ قِيلَ صَدَقْتَ . ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ فَقَالَ :

فَزَارَةُ بَيْتُ الْعِزِّ وَالْعِزِّ فِيهِمْ ! \* فَزَارَةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضَاهُهَا  
لَهَا الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ وَالْحَسْبُ الَّذِي \* بَنَاهُ لَقَيْسٍ فِي الْقَدِيمِ رِجَالُهَا  
فَهَيْهَاتَ قَدْ أَعْيَا الْقُرُونُ الَّتِي مَضَتْ \* مَآثِرُ قَيْسٍ بِجَدِّهَا وَفِعَالُهَا  
وَهَلْ أَحَدٌ إِنْ هَزَّ يَوْمًا بِكَفِّهِ \* إِلَى الشَّمْسِ فِي مَجْرَى النُّجُومِ يَنَالُهَا  
فَإِنْ يَصْلُحُوا يَصْلُحْ لَذَاكَ جَمِيعُهَا \* وَإِنْ يَفْسُدُوا يَفْسُدْ مِنَ النَّاسِ حَالُهَا

ثُمَّ قَامَ الْأَشْعَثُ الْكَنْدِيُّ ، وَإِنَّمَا أُذِنَ لَهُ أَنْ يَقُومَ قَبْلَ رَبِيعَةَ وَتَمِيمَ لِقَرَابَتِهِ مِنَ النَّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ ، فَقَالَ ، قَدْ عَلِمَتِ الْعَرَبُ أَنَا تُقَاتِلُ عَدِيدَهَا الْأَكْثَرَ ، وَزَحْفَهَا الْأَكْبَرَ ، وَإِنَّا لَغِيَاثُ الْكُرْبَاتِ وَمَعْدِنُ الْمَكْرُمَاتِ — قَالُوا وَلِمَ يَا أَخَا كِنْدَةَ ؟ قَالَ لِأَنَا وَرِثْنَا مَلِكَ كِنْدَةَ فَاسْتَظَلَّلْنَا بِأَفْيَائِهِ ، وَتَقَلَّدْنَا مِنْكَبِهِ الْأَعْظَمَ ، وَتَوَسَّطْنَا بِمُجْبُوحِهِ الْأَكْرَمِ ، ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ ، فَقَالَ :

إِذَا قِسْتَ أَبْيَاتَ الرِّجَالِ بِبَيْتِنَا \* وَجَدْتَ لَنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ يُفَانِرُ  
فَمَنْ قَالَ كَلًّا أَوْ أَنَا بِمُحْطَةٍ \* يَنَافِرُنَا فِيهَا فَتَحْنُ نُحَاطِرُ  
تَعَالَوْا فَيَفُوكُنِّي يَعْلَمُ النَّاسُ أَتَيْنَا \* لَهُ الْفَضْلُ فِيمَا أَوْرَثْتُهُ الْأَكَابِرُ

ثُمَّ قَامَ نِسْطَامُ الشَّيْبَانِيُّ فَقَالَ ” قَدْ عَلِمَتِ الْعَرَبُ أَنَا بُنَاةُ بَيْتِهَا الَّذِي لَا يَزُولُ ، وَمَغْرَسُ عِزِّهَا الَّذِي لَا يَحُولُ ، قَالُوا وَلِمَ يَا أَخَا شَيْبَانَ — قَالَ لِأَنَا أَدْرِكُهُمُ لِلثَّارِ ، وَأُضْرِبُهُمُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ ، وَأَقُومُهُمُ لِلْحُكْمِ ، وَأُلْدِّهِمُ لِلنَّصَمِ . ثُمَّ قَامَ شَاعِرُهُمْ فَقَالَ :

لَعَمْرِي بِسْطَامُ أَحَقُّ بِفَضْلِهَا \* وَأَوَّلُ بَيْتِ الْعِزِّ عِزُّ الْقَبَائِلِ  
 فَسَائِلُ (أَبَيْتَ اللَّعْنِ) عَنْ عِزِّ قَوْمِهَا \* إِذَا جَدَّ يَوْمَ الْفَخْرِ كُلُّ مُنَاقِلِ  
 أَلَسْنَا أَعَزَّ النَّاسِ قَوْمًا وَنُصْرَةً \* وَأَضْرَبَهُمُ لِلْكَبْشِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ  
 وَقَائِعُ عِزِّ كُلِّهَا رَبِيعَةٌ \* تَذِلُّ لَهَا عِزًّا رِقَابُ الْحَافِلِ  
 إِذَا ذُكِرَتْ لَمْ يُنْكِرِ النَّاسُ فَضْلَهَا \* وَعَادَ بِهَا مِنْ شَرِّهَا كُلُّ وَائِلِ  
 وَإِنَّا مُلُوكُ النَّاسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ \* إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ إِحْدَى الزَّلَازِلِ

ثم قام حاجبُ بنُ زُرارة التيمي. فقال : قد علمتَ معذرتنا فروعَ دعائنا، وقادةَ زحفها — قالوا : ولم ذاك يا أخا بني تميم؟ قال لأننا أكثر الناس عديداً، وأنجبهم طراً وليداً، وأنا أعطاهم للجزيل، وأحملهم للثقل؛ ثم قام شاعرهم فقال :

لَقَدْ عَلِمْتَ أَبْنَاءُ خِنْدَفِ أَنَّنَا \* لَنَا الْعِزُّ قَدْماً فِي الْخُطُوبِ الْأَوَائِلِ  
 وَأَنَا كِرَامُ أَهْلِ مَجْدٍ وَثَرْوَةٍ \* وَعِزٌّ قَدِيمٌ لَيْسَ بِالْمُتَضَائِلِ  
 فَكَمْ فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَأَبْنٍ سَيِّدٍ \* أَغْرَّ نَجِيبٌ ذِي فَعَالٍ وَنَائِلِ  
 فَسَائِلُ (أَبَيْتَ اللَّعْنِ) عَنَّا فَإِنَّا \* دَعَائِمُ هَذَا النَّاسِ عِنْدَ الْجَلَائِلِ

ثم قام قيسُ بنُ عاصم السعديّ فقال : لقد علم هؤلاء أننا أرفعهم في المسكومات دعائهم، وأثبتهم في النابئات مقادهم؛ قالوا : ولم ذاك يا أخا بني سعد؟ قال لأننا أدركهم للثار، وأمنعهم للجار؛ وأنا لا ننكُل إذا حملنا، ولا نُرام إذا حللنا. ثم قام شاعرهم فقال :

لَقَدْ عَلِمْتَ قَيْسُ وَخِنْدِفُ أَنَّنَا \* وَجُلُّ تَمِيمٍ وَالْجَمِيعِ الَّذِي تَرَى  
 بَأَنَّا عِمَادُ فِي الْأُمُورِ وَأَنَّنَا \* لَنَا الشَّرْفُ الضَّخْمُ الْمُرْكَبُ فِي النَّدَى  
 وَأَنَا لِيُوثُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَازِقٍ \* إِذَا جُرَّ بِالْبَيْضِ الْجَمَاحُ وَالطَّلَى<sup>(١)</sup>

فَمَنْ ذَا لِيَوْمِ الْفَجْرِ يَبْعِلْ عَاصِمًا \* وَقَيْسًا إِذَا مَرَّتْ أُلُوفٌ إِلَى الْعُلَا  
فَهِيَهَاتَ قَدْ أَغْيَا الْجَمِيعَ فِعَالُهُمْ \* وقاموا بيوم الفجر مسعاة من سعي

فقال كسرى حينئذ : ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه ، وأسنى جباةهم ،  
وأعظم صلاتهم ، وكترم ما بهم .

قال أبو عبيدة : كانت العرب تعدّ البيوتات المشهورة بعظم القدر والشرف :  
تعدّ بيت هاشم بن عبد مناف ، وتعدّ أربعة ، أولها بيت آل حذيفة بن بدر ، وبيت  
آل زُرارة الدارميين : بيت بنى تميم ، وبيت آل ذى الجدين : عبد الله بن عمرو بن  
الحارث بن هشام : بيت بنى شيبان ، وبيت بنى الديان من بنى الحارث بن كعب  
بيت اليمن . قال : فأما كندة فلا يُعدّون في البيوتات إنما كانوا ملوكا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَفَاخِرَةَ قَدْ تَكُونُ بِحَقِيقَةِ الْحَسَبِ . وقد تكون فيها الفصاحة واللسن  
مقام الحسب : كقول أبي تمام الطائي يفتخر :

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضِعَ الْمَجْدُ فِيهِمْ \* وَسُمِّيَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَا فِعْ  
مَضَوْا وَكَأَنَّ الْمَكْرَمَاتِ لَدِيهِمْ \* لَكُنْزٌ مَا وَصَّوْا بِهِنَّ شَرَائِعُ  
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْمَجْدِ مُدَّتْ فَلَمْ يَكُنْ \* لَهَا رَاحَةٌ مِنْ مَجْدِهِمْ وَأَصَابِعُ  
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مُحْفُوظَةً النَّأ \* فِضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا الْوَدَائِعُ

وقوله أيضا :

جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى \* بِهَا الْقَطْرُ شَاوًا قِيلَ أَيُّهَا الْقَطْرُ؟  
فَقَتَّى ذَنَرَ الدُّنْيَا أَنَأْسُ وَلَمْ يَزَلْ \* لَهَا بَازِلًا فَانْظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذَّنْخُ  
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ بِمَا شَاءَ مِنْ نَدَى \* فَلَيْسَ لِحَيٍّ غَيْرِنَا ذَلِكَ الْفَخْرُ  
جَعْنَا الْعُلَا بِالْجُودِ بَعْدَ اقْتِرَاقِهَا \* إِلَيْنَا كَمَا الْإِيَّامُ يَجْعُهَا الشَّمْرُ

قال في شرح اللامية : وعند أكثر الناس أن أبا تمام كان أبوه نصرانيا يقال له تدرس العطار، من جاسم : قرية من قُرَى حَوْران من الشام، فغير أسم أبيه وأنّس في بني طيء؛ وذكر صاحب الأغاني أن رجلا قال لجرير: من أشعر الناس؟ قال : قم حتى أعرفك الجواب، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية، وقد أخذ عَنَّا له فاعتقلها وجعل يَمْصُ ضَرْعَهَا، فصاح به أَخْرُجْ يا أبت، فخرج شيخ دَمِيم، رث الهيئة . وقد سال ابن العزري على لحيته، فقال ترى هذا؟ قال نعم . قال أو تعرفه قال لا . قال هذا أبي، أو تدري لم كان يشرب من ضرع العتر؟ قال لا، قال مخافة أن يسمع صوت الحَاب فيطلب منه؛ ثم قال أشعر الناس من فخر بهذا الأب ثمانين شاعرا وقارعهم فغلّبهم .

قال الصلاح الصفدي : ما هذه إلا وقاحة عظيمة من جرير في مفاخرته أولئك الشعراء وهذا أبوه، لكنه تغفر له هذه الوقاحة بأعترافه لذلك الرجل، وإظهاره بخل أبيه . وربما كان الافتخار بالتوروية والتعريض بالأمور المقتضية للشرف، بحيث يظن السامع حقيقة الافتخار والشرف بمجرد السماع، فإذا عرف المقصد تبين له خلاف ذلك، كقول أبي الحسن الجزار :

أَلَا قُلْ لِلَّذِي يَسْأُ \* لُ عَنْ قَوْمِي وَعَنْ أَهْلِي  
لَقَدْ تَسْأَلُ عَنْ قَوْمٍ \* كِرَامِ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ  
يُرِيقُونَ دَمَ الْأَنْفَا \* م فِي حَزْنٍ وَفِي سَهْلٍ  
وَمَا زَالُوا لَمَّا يُبْدُو \* نَ مِنْ بَاسٍ وَمِنْ بَذْلِ  
يَرْجِيهِمْ بَنُو كَلْبٍ \* وَيَحْشَاهُمْ بَنُو عَجَلٍ

وقوله أيضا :

لَأَنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ سَفَكِ الدَّمَاءِ لَهُمْ \* دَابٌّ، وَسَلَّ عَنْهُمْ مِنْ رَبِّ تَحْقِيقٍ

تُضَىٰ بِاللَّهِ إِشْرَاقًا قَوَاضِيَهُمْ \* فَكُلْ أَيَّامَهُمْ أَيَّامُ تَشْرِيقٍ

وعلى هذا المنهج ما حكاه بعضهم ، قال : وجدت على قبر مكتوبا أنا ابن من كانت الريح طوع أمره ، يحبسها إذا شاء ، ويطلقها إذا شاء ، قال فعظم في عيني ؛ ثم ألفت إلى قبر آخر قبالة فإذا عليه مكتوب : لا يغتر أحد بقوله ، فما كان أبوه إلا بعض الحدادين ، يحبس الريح في كيره إذا شاء ، ويرسلها إذا شاء ، قال : فعجبت منهما يتسابان ميتين ، فإذا طرق السمع شيء من ذلك ظن السامع أنه في غاية الفخر والشرف حتى يعلم حقيقته ؛ وأشباه ذلك ونظائره كثيرة ، وليس هذا موضع استيعاب القول في المفارقة الحقيقية ولا غيرها .

وأما أيام المنافرة وهي المحاكمة في الحسب ، فن ذلك ما يحكى أن الأعشى أتى علقمة ، بن ثلاثة ، بن عوف ، بن الأخوص ، بن جعفر ، بن كلاب ، وهو يريد سلامة ذوفأش الحميري<sup>(١)</sup> من التبابعة ، فسأل الأعشى علقمة أن يتليّه أى يحيره ، فقال له علقمة : أتليك على بنى الأخوص — قال لا يقنعنى — قال : فعلى بنى كلاب قال لا يقنعنى — قال : فليس عندى أكثر من هذا ؛ فأتى عامر بن الطفيل بن مالك ابن جعفر بن كلاب ، قال قد أتليك على الجن والإنس ، ثم أتى سلامة فأنصرف من عنده بمجائته .

وكان عامر وعلقمة المذكوران لما أسن أبو برآء وهو عامر بن مالك ، بن جعفر ، ابن ملاعب الأسنة تنازعا في الرئاسة .

فقال علقمة كانت لجدى الأخوص وإنما صارت لعمك بسببه وقد قعد عمك عنها وأنا أسترجمتها فأنا أولى بها منك ، فشرى الشر بينهما وسارا إلى المنافرة ،

(١) وقع في الأصل وأقالفس وهو تصحيف من الناسخ .



وقدِم الأعشى<sup>(١)</sup> على تَفِيئة ذلك فصار هو وليد مع عامر ، وصار مع علقمة الحُطِيئة ،  
والسَّنْدريُّ ، وتنافرا .

فقال عامر لعلقمة : والله إني لأكرم منك حسبا ، وأثبت منك نسبا ، وأطول  
منك قسبا .

فقال علقمة : والله لأنا خير منك ليلا ونهارا .

فقال عامر : والله لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك .

فقال علقمة : أنافرك إني لبر ، وإنك لفاجر ، وإني لولود ، وإنك لعاقرب ، وإني  
لعف ، وإنك لعاهر ؛ وإني لوايف ، وإنك لغادر .

فقال عامر : أنت رجل ولود وأنا رجل عقيم وقد وفيت لبنى عمرو بن تميم .  
وقد زعموا أني غدرت بهم وهم كاذبون ؛ ولكني أنافرك : أنا أنحر منك للّقاح ،  
وخير منك في الصّباح<sup>(٢)</sup> ، وأطعم منك في السنة الشّياح .

فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس تزعم أني جبان ؛ ولأن تلقى العدو وأنا  
أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك ؛ وأنت رجل جواد والناس يزعمون أني  
بخيل ولست كذلك ، وأنت تعطي العشيرة إذا ألّمت ؛ ولكني أنافرك : أنا خير  
منك أثرا ، وأحد منك بصرا ، وأشرف منك ذكرا .

فقال عامر : أنت رجل فان ، وليس لبنى الأحوص فضل على بني مالك  
في العدد ، وبصري ناقص وبصرك صحيح ؛ ولكني أنافرك أني أسمى منك سمة ،  
وأطول منك قسه ، وأحسن منك ليه ، وأجعد منك جمه ، وأسرع منك رحمه ،  
وأبعد منك همه .

(١) أي على أثره أنظر القاموس في مادة ف ي أ . (٢) الشياح بالكسر القحط .

فقال علقمة : أنت رجل جسيم وأنا رجل قَضيع ، وأنت جميل وأنا قبيح ؛  
ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي .

فقال عامر : آباؤك أعمامى ، ولم أكن لأنافرك فيهم ؛ ولكني أنافرك : أنا خير  
منك عَقِبا ، وأطعمُ منك جَدًّا .

فقال علقمة : قد علمتُ أن لك عَقِبا وقد أطعمت طيبا ؛ ولكني أنافرك أنى  
خير منك وأولى بالخير منك .

فقال عامر : إني والله لأركبُ منك فى الحُمَاه ، وأقتلُ منك للدِّجَاه ، وخير منك  
للوالاه .

فقال بعض بنى خالد بن جعفر ، وكانوا يدا مع بنى الأحوص على بنى مالك بن  
جعفر : إنك إن تطيق عامرا ، ولكن قل له أنافرك لخيرنا ، وأقربنا للخيرات .  
فقال علقمة : له ذلك .

فقال عامر : غير وتيس وتيس وعز فأرسلها مثلا نعم على مائة من الإبل إلى مائة<sup>(١)</sup>  
يعطاها الحكم أينما ينفر عليه صاحبه أخرجهما ففعلوا ، ووضعوا بها رهنا من أبنائهم على  
يدى رجل يقال له خزيمة بن عمرو بن الوحيد فسمى الضمين ، وصارت علما عليه  
إلى الآن ، ونحرج علقمة ومن معه من بنى خالد وعامر فيمن معه من بنى مالك وقد  
أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك بن جعفر وهو أبو براء ، فقال : يا عماه  
أعنى — فقال : يا ابن أختى سبنى ، فقال : لا أسبُك وأنت عمى — قال : فسبَّ الأحوص —  
فقال : عامر ولا أسبُ والله الأحوص وهو عمى ، فقال : ولكن دونك بعلى فإنى قد  
رَبعت فيها أربعين مِرْباعا فاستعِن بها على منافرتك ، وجعلنا منافرتهما إلى أبى سفيان

(١) هكذا فى الأغاني .

(٢) لعله إبل .

أَبْنُ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةٍ فَلَمْ يَقُلْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، وَكَرِهَ ذَلِكَ لِحَالِهِمَا وَحَالِ عَشِيرَتِهِمَا، وَقَالَ لَهَا  
أَنْتُمَا كُرْكِبْتِي الْبَعِيرَ الْأَدْرَمَ، وَأَبْنَى أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا، فَأَنْطَلَقَا إِلَى أَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ،  
فَأَبْنَى أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا؛ فَوَثَبَ مِرْوَانُ بْنُ سُرَاقَةَ، بِنَ قَتَادَةَ، بَنَ عِمْرُو، بَنَ الْأَحْوَصِ  
وَكَانَ مَعَ عُلُقَمَةَ فَقَالَ :

يَا لِقُرَيْشٍ بَيْنُوا الْكَلَامَا \* إِنَّا رَضِينَا مِنْكُمْ الْأَحْكَامَا  
فَبَيْنُوا إِذْ كُنْتُمْ الْحُكَمَا \* كَانَ أَبُوْنَا لَهُمْ إِمَامَا  
وَعَبْدُ عَمْرُو مَعَ النَّسَامَا \* فِي يَوْمٍ نَفَرِ مُعَلَمٍ إِعْلَامَا  
يُحْسِنُ فِيهِ السَّكْرَ وَالْإِفْدَامَا \* وَدَعَلِجَ أَقْدَمُهُ إِقْدَامَا  
لَوْلَا الَّذِي أَجْشَمْتُمُ إِجْشَامَا \* لَا تَخَذَتْهُمْ مَذْجُ أَنْعَامَا

فَأَبَوْا أَنْ يَقُولُوا بَيْنَهُمَا شَيْئًا، فَأَتَا غِيلَانُ بْنُ سَلَمَةَ بْنُ مَعْتَبِ الثَّقَفِيِّ فَرَدَّهُمَا إِلَى  
حَرْمَلَةَ بْنِ الْأَشْعَرِ الْمُرِّيِّ، فَرَدَّهُمَا إِلَى هَرِمِ بْنِ قُطَيْبَةَ بْنِ سَنَانِ الْفَرَارِيِّ، وَإِنَّهُمَا سَاقَا  
الْإِبِلَ مَعَهُمَا حَتَّى أَشْتَتَّ وَأَرْبَعْتَ لَا يَأْتِيَانِ أَحَدًا إِلَّا هَابَ أَنْ يَقْضَى بَيْنَهُمَا،  
فَوَعَدَهُمَا هَرِمٌ إِلَى الْعَامِ الْقَابِلِ، فَأَتَا لِلْوَعْدِ، وَقَالَ لِبَيْدٍ وَكَانَ مَعَ عَامِرٍ يَوْمَئِذٍ يَرْتَجِزُ :

يَا هَرِمُ، وَأَنْتَ أَهْلُ عَدَلٍ \* هَلْ يَذْهَبَنَّ فَضْلُهُمْ لِفَضْلِي<sup>(١)</sup>  
إِنْ يَفْخَرِ الْأَحْوَصُ يَوْمًا قَبْلِي \* لِيَذْهَبَنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي  
لَا تَجْمَعَنَّ شَكْلَهُمْ وَشَكْلِي \* وَتَسْلَ آبَاءَهُمْ وَتَسْلِي  
\* قَدْ عَلِمُوا أَنَّا كَرَامُ الْأَصْلِ \*

وقال أيضا :

إِنِّي أَمْرٌ مِنْ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ \* عَلَقَمَ قَدْ نَافَرْتَ غَيْرَ مُنْفَرٍ  
\* نَافَرْتَ سَقْبًا مِنْ سَقَابِ الْعَرَعَرِ \*

فقال خُفَافَةُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرٍ :

نَهْنِهْ إِلَيْكَ الشَّعْرَ يَا لَيْبِدُ \* وَأَصْدُدْ فَقَدْ يَنْفَعُكَ الصَّدُودُ  
سَادَ أَبُونَا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا \* سُودِدْكُمْ صَغِيرُهُ زَهِيدُ

ثم قال :

إِنِّي إِذَا مَا نُسِي الْحَيَاءُ \* وَضَاعَ يَوْمَ الْمَشْهَدِ اللَّوَاءُ  
أُنْمِي وَقَدْ حُقَّ لِي النَّمَاءُ \* إِلَى كُھُولِ ذِكْرَهَا سَنَاءُ  
إِذَا لَا تَزَالُ حُلُوةً كَوْمَاءُ \* مَبْقُورَةً لَسْفِيهَا رُغَاءُ  
لَمْ يَنْهَنَّا عَنْ نَحْوِهَا الصَّفَاءُ \* لَنَا عَلَيْكُمْ سَوْرَةٌ وَلَاءُ  
\* الْمَجْدُ، وَالسُّودْدُ، وَالْعَطَاءُ \*

ثم قال :

أَنْتُمْ عَزَلْتُمْ عَامِرَ بْنَ مَالِكٍ \* فِي سَنَوَاتٍ مُضَرَّ الْهَوَالِكِ  
\* يَا شَرَّ أَحْيَاءٍ وَشَرَّ هَالِكِ \*

وكان السندريّ مع علقمة فارتفع صوته، فقبل من ذا ؟ فقال :

أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَ صَوْتِي السَّنْدَرِيُّ \* أَنَا الْفَتَى الْجَعْدُ الطُّوَالُ الْجَعْفَرِيُّ  
\* مِنْ وَلَدِ الْأَحْوَصِ أَخُوَالِي غَنِيّ \*

فقال عامر للبيد : أجبه ! فرغب عن إجابته، وكان السندريّ يقول لجدته  
عيساء، وكانت أمةً لفاخسة ابنة جعفر بن كلاب، امرأة شريح بن الأحوص،  
فوقع عليها شريح فولدت له زبّان، ويزيد، وشهابا، فقال لبيد :

لَمَّا دَعَانِي عَامِرٌ لِأُسْـبَهُمْ \* أَبَيْتُ وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَيْسَاءَ ظَالِمًا  
أَلَا أَيْنَمَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكِ \* فَلَا زَالَ يَلْقَى فِي الْحَيَاةِ الْمَلَاوَمَا

لِيَكُنَّ السَّنَدِيُّ نَدِيدَنَا \* وَأَشْتَمُ أَعْمَامًا عُمُومًا عَمَامًا  
وَأَنْشُرَ مِنْ تَحْتِ الْقُبُورِ أَبَوَةً \* كِرَامًا هُمْ شَدُّوا عَلَى النَّائِمِ  
لَعِبْتُ عَلَى أَكْثَافِهِمْ وَجُجُورِهِمْ \* وَلِيدًا وَسَمُونِي وَلِيدًا وَعَاصِمًا  
بَلَى أَيْنَا مَا كَانَ شَرًّا لِمَالِكٍ \* فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلَا نِيَمًا

ووثب الحطيئة فقال :

مَا يُحْسِنُ الْحُكَّامُ بِالْفَضْلِ بَعْدَمَا \* بَدَأَ سَابِقُ ذُو غُرَّةٍ وَجُجُولٍ ؟

حتى أتى على قصيدة كاملة ، ثم قال :

يَا عَامٍ قَدْ كُنْتَ ذَا بَايَعٍ وَمَكْرَمَةٍ \* لَوْ أَنَّ مَسْعَاةَ مَنْ جَارِيَتِهِ أُمٌّ

وأقام القوم على ذلك أيامًا ، فأرسل هَرِمٌ إلى عامر فأنابه سرًا لا يعلم به أحد ، فقال : يا عامر كنت أحسب أن لك رأيًا ، وأن فيك خيرا ، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك ، أتتفر رجلا لا تفخر أنت ولا قومك إلا بأبائه ، فما الذى أنت به خير منه ؟ فقال عامر : أنشدك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة ، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبدا ! هذه ناصيتي لك فأجرزها وأحتكم فى مالى ، فإن كنت لا بد فاعلا فسوق بينى وبينه — فقال أنصرف فسوف أرى رأيي : فخرج عامر وهو لا يشك أنه سيفضله عليه ، ثم أرسل إلى علقمة سرا ، وقال له مثل ما قال لعامر ، فرد عليه علقمة بما رد به عامر وأنصرف وهو لا يشك أنه ينفر عامرا عليه ، ثم إن هَرِمًا أرسل إلى أخيه وبنى أخيه : إني قاتل غدا بين هذين الرجلين مقالة ، فإذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر فليحرقها عن علقمة ، وليطرد بعضكم مثلها فليحرقها عن عامر ، وفرقوا بين الناس أن لا يكون لهم جماعة . وأصبح

(١) فى اللسان نديتى وأجعل — أى ندى . وعما عا أى منفردة .

هَرَمَ بجلَسِ مجلِسَه وأقبل الناس ، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا ، فقال لبيد :  
 يَا هَرَمُ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنَصِبَا \* إِنَّكَ قَدْ وَلَيْتَ أَمْرًا مُعْجَبَا  
 فَأَحْكُمْ وَصَوِّبْ رَأْيَ مَنْ تُصَوِّبَا \* إِنَّ الَّذِي كُنْتَ عَلَيْهِ تُرْتَبَا  
 لَنَحْمِيْرُنَا خَالًا وَأُمًّا وَأَبَا \* وَعَامِرٌ خَيْرُهُمَا مُرَكَّبَا  
 \* وَعَامِرٌ أَذْنَى لِقَيْسٍ نَسَبَا \*

فقال هَرَم : إنكما يا بني جعفر قد تحاكمتما عندى وأنتما كركبتي البعير الفحل تقعان الأرض معا ، فليس منكما واحد إلا وفيه مالميس فى صاحبه ، وكلاكما سيدٌ كريم ، فعمد بنو هَرَم وبنو أخيه إلى تلك الجزر فنحروها حيث أمرهم هَرَم ، وفرقوا بين الناس ، ولم يفضل هَرَم واحدا منهما على صاحبه ، وكره أن يجلب بذلك شراً على الفتيين ، وهما أبنا عم ، فلما رأى ذلك الأعشى ، خرج وهو يقول :

شَاقَكَ مِنْ قَتْلَةِ أَطْلَالِهَا \* بِالشَّطِّ فَالْوُثْرِ إِلَى حَاجِرِ  
 وَقَدْ رَأَاهَا وَسَطَ أَتْرَابِهَا \* فِي الْحَيِّ ذِي الْبَهْجَةِ وَالثَّامِرِ  
 إِذْ هِيَ مِثْلُ الْغُصْنِ هَيَالَةً \* تَرُوقُ عَيْنِي ذِي الْحِجَا الزَّائِرِ  
 كَدُمِيَّةٍ صُورَ مَخْرَابِهَا \* بِمُذْهَبٍ فِي مَرَمٍ مَائِرِ  
 تَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لِأَهْلِهَا \* حَوْرَاءُ تَسْبِي نَظَرَ النَّاطِرِ  
 عَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ سُرِبَتْ \* هَيْفَاءُ مِثْلُ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ  
 مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ غَلَامِيَّةً \* مَوْصُوفَةٌ بِالْخُلُقِ الطَّاهِرِ  
 قَدْ نَهَدَ الثَّدْيُ عَلَى نَحْرِهَا \* فِي مُشْرِقِ ذِي صُبْحٍ نَائِرِ  
 لَوْ أَسْنَدْتُ مَيِّتًا إِلَى نَحْرِهَا \* عَاشَ وَلَمْ يُقْلَ إِلَى قَابِرِ  
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا \* يَا عَجَبَا لِمَيِّتِ النَّاشِرِ  
 عَلِمَ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ \* النَّاْقِضُ الْأَوْتَارَ وَالْوَاتِرِ

والفارس الخيل يَحِيلُ إِذَا \* نَارُ غُبَارِ الْكَبَّةِ الشَّائِرِ  
 سُدَّتْ بَنَى الْأَحْوِصِ لَمْ تَعُدْهُمْ \* وَعَامِرٌ سَادَ بَنَى عَامِرِ  
 إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا \* بَيْنَ السَّامِعِ وَالنَّاطِرِ  
 حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ \* أَلْبَجَ مِثْلُ الْقَمَرِ الزَّاهِرِ  
 لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ \* وَلَا يُبَالِي غَبْنَ الْخَاسِرِ  
 فَأَعْجَبُ الدَّهْرَ مَتَى سُوَّيَا؟ \* لَمْ ضَاحِكٍ مِنْ ذَا وَمِنْ سَاحِرٍ؟  
 فَأَقْنِ حَيَاءً أَنْتَ ضَاعَتْهُ \* مَالِكٌ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ عَادِرِ  
 وَلَسْتَ بِالْأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصَى \* وَإِنَّمَا الْعِزَّةُ لِلْكَاثِرِ  
 أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ \* سُبْحَانَ مَنْ عَلَقَمَةَ الْفَاحِرِ!  
 عَلَقَمَ لَا تَسْفَهُ وَلَا تَجْعَلَنْ \* عِرْضَكَ الْوَارِدِ وَالصَّادِرِ  
 قَدْ قُلْتَ قَوْلًا فَقَضَى بَيْنَكُمْ \* وَأَعْتَرَفَ الْمَنْفُورُ لِلنَّافِرِ

وعاش هَرِمٌ حَتَّى أَدْرَكَ خِلَافَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا هَرِمُ أَيْ الرَّجُلَيْنِ  
 كُنْتَ مَفْضَلًا لَوْ فَعَلْتَ ؟ فَقَالَ : أَوْ قُلْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عَادَتْ جَدَّةٌ ،  
 وَبَلَغَتْ شَعَفَاتِ هَجْرٍ — فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ”نَعَمْ مُسْتَوْدَعُ السَّرَّاءِ يَا هَرِمُ !  
 مِثْلَكَ فَلَيْسَتْوَدَعُ الْعَشِيرَةُ أَسْرَارَهُمْ ، وَإِلَى مِثْلِكَ فَلَيْسَتْبُضِعُ الْقَوْمُ أَحْكَامَهُمْ“ .

قال أبو عبيدة : ومات علقمةُ بَحُورَانٍ وهو والى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وأما عَامِرُ  
 ابْنُ الطُّفَيْلِ فَأَصَابَتْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَصَابَتْهُ الْعُدَّةُ وَمَاتَ  
 فِي بَيْتِ سُلُوبَةٍ ، فَقَالَ : أَغْدَةُ كَغْدَةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوبَةٍ ؟

وفى هذه القصة مَقْنَعٌ فِي الْمَنَافَرَةِ عَنْ غَيْرِهَا ، وَفِي كِتَابِ ”الرَّيْحَانِ وَالرَّيْعَانِ“  
 لِبَعْضِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ جُمْلَةٌ مِنْ هَذِهِ الْمَفَاحِرَاتِ وَالْمَنَافَرَاتِ :

## النوع الثالث عشر

( المعرفة بأيام الحروب الواقعة ؛ وفيه ثلاثة مقاصد )

## المقصد الأول

( في وجه احتياج الكاتب إلى ذلك )

قد ذكر في "حسن التوسل" : أن الكاتب يحتاج إلى معرفة أيام العرب ، وتسمية الأيام التي كانت بينهم ، ومعرفة يوم كل قبيلة على الأخرى ، وما جرى بينهم من الأشعار ، والمناقضات ؛ وذكر فارس مشهور ، أو ملك مذكور ، أو واقعة معينة لشخص خاص ؛ وما ادّعاه كل منهم لنفسه أو ليومه : لما في ذلك من العلم بما يستشهد به من واقعة قديمة ، أو يرد عليه في مكتبة من ذكر يوم مشهور ، أو فارس معين ، ونحو ذلك مما مضى عليه أمر الجاهلية ، أو حدث في الإسلام ؛ فإن الكاتب إذا لم يكن عارفا بالوقائع ، علما بما جرى منها ، لم يدرك كيف يجيب عما يرد عليه من مثلها ، ولا ما يقول إذا سئل عنها .

## المقصد الثاني

( في ذكر أيام من ذلك تُرشد إلى معرفة المقصد منه )

ومن أشهرها ذكرا ، وأعظمها حربا . يوم خُراز ( خُراز اسم جبل بين البصرة ومكة كانت الواقعة عنده فعرفت به ) ؛ وكانت الحرب فيه بين بني ربيعة الفرس ، وهو ربيعة نزار ، وبين قبائل اليمن ؛ وكانت الغلبة فيه لبني ربيعة ، فقتلوا من قبائل اليمن خلقا كثيرا ، وكان قائد ربيعة كليب بن ربيعة ملك بني وائل ( واسمه وائل وكليب لقب عليه ) وهو من ربيعة الفرس ؛ وكان قد مُلِّك على بني معد وقبائل



جموع العرب وهزمهم وعظم شأنه ، وبقى زمانا من الدهر ؛ ثم داخله زهو شديد ، وبغى على قومه فصار يحى عليهم مواقع السحاب ، ولا يرعى حياه ، ويقول : وحش أرض كذا فى جوارى ، فلا يُصاد ؛ ولا ترد إبل مع إبله ؛ ولا تُوقد نار مع ناره ؛ وبقى كذلك حتى قتله جَسَّاس بن مُرَّة الوائلى أيضا ؛ ولما قُتل كُليب توالى الحروب بسبب قتله بين بنى تغلب ، وبين بكر أبى وائل ؛ وكان قائد بنى تغلب مُهلهل أخو كليب ، وقائد بنى بكر مُرَّة أبو جَسَّاس المقدم ذكره ؛ فكان بينهم يوم عُنيزة ، وتكافأ فيه الفريقان ، ثم كان بينهم يوم واردة ، وانتصر فيه بنو تغلب على بكر ؛ ثم كان بينهم يوم الحنو ، وانتصرت فيه بكر على تغلب ، ثم كان بينهم يوم العصيات ، وانتصرت فيه تغلب على بكر ، وأصيب بنو بكر حتى ظنوا أنهم قد بادوا ؛ ثم كان بينهم يوم قِصَّة ، وهو يوم التحالُق كثر فيه القتل بين الفريقين ، فى أيام أُخر لم يشتد فيها القتال .

ومن أيام غيرهم المشهورة يوم عَيْن أَبَاغ ، وعَيْنُ أَبَاغ موضع يقال له ذات الخيار ؛ وكان الحرب فيه بين غَسَّان ونَحْم ، وكان قائد غَسَّان الحارث الذى طلب أدرعَ امرئ القيس ، وقيل غيره ، وكان قائد نَحْم المنذر بن ماء السماء بغير خلاف ؛ وفى هذا اليوم قُتل المنذر ، وأنهزمت نَحْم ، وتبعتهم غَسَّان إلى الحيرة وأكثروا فيهم القتل . ويوم مَرَج حليمة ، وكان بين غَسَّان ونَحْم أيضا ؛ وكان من أعظم الأيام وأشدّها حربا ، بلغت الجيوش فيه عددا كثيرا ، وعظم الغبار حتى قيل إن الشمس احتجبت وظهرت الكواكب التى فى غير جهة الغبار . ويوم الكديد ، وكان بين كِثانة وسُلَيم ، وانتصرت فيه سُلَيم على كِثانة ، وقتل فيه ربيعة بن مُكَّدَم فارس كِثانة ؛ وبه يضرب المثل فى الشجاعة ؛ وكان يُعقر على قبره فى الجاهلية ، ولم يُعقر على قبر غيره . ويوم الكلاب الأول ؛ والكلاب موضع بين البصرة والكوفة ؛ وكان بين

الأخوين : شَراحيل وسَلَمَة ابْنَي الحارث بن عمرو الكندي ؛ وشَراحيلُ هو الأكبر وكان معه بكر وائل وغيرهم ، وسَلَمَة الأصغر ؛ وكان معه تغلب وائل وغيرهم ، واشتد القتال بينهم ، وانتصر سَلَمَة وتغلب على شَراحيل وبكر ، وأنهزم شَراحيلُ وتبعته خيل أخيه فقتلوه . ويوم الكلاب الثاني ، وكان بين بكر وائل . ويوم أُوارة ، (وأوارة اسم جبل) وكانت الحرب فيه بين المنذر بن أمرئ القيس ملك الحيرة ، وبين مُنذر وائل بسبب الحيرة ، وظفر فيه المنذر ، وأقسم أنه لا يزال يذبُّهم حتى يسيل دُمُّهم من رأس أُوارة إلى حَضِيضه ، وبقي يذبُّهم والدم يُجَدُّ فسكب عليه ماء حتى سال الدم من رأس الجبل إلى حَضِيضه ، وبرَّت يمينه . ويوم رَحْرَحان ، (ورَحْرَحان اسم واد بالبحاز) وكانت الحرب فيه بين الأخوص بن جعفر بن كلاب ، وبني دارم ، وبني ماوية ، وبني مَعْبَد بن زُرارة ، وبني تميم ؛ وأنهزمت فيه بنو تميم ومن معهم ، وأسر مَعْبَد بن زُرارة ؛ وقصد أخوه لقيط بن زُرارة أن يَسْتَفِكَ فلم يقدر ، وعدَّبوا مَعْبدا حتى مات . ويوم شَعْب جبلة ، وشَعْبُ جبلة هَضْبَة حمراء بين الشَّريف والشَّرف . وكان من شأنه أنه لما آنقضت وقعة رَحْرَحان المتقدمة ، ومضى لها سنة ، وذلك في العام الذي وُلِد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استنجد لقيط بن زُرارة التميمي بنِي دُبَيان لئلا يَأْر أخيه فأنجذته ، وتجمعت بنو تميم غير بنِي سعد ، وخرجت معه بنو أسد ، وسار بهم لقيط إلى بنِي عامر وبني عَبَس في طلب ثار أخيه مَعْبَد ، فأدخلت بنو عامر وبنو عَبَس أموالهم في شَعْب جبلة ، فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشَّعب وكسروا جماع لقيط وقتلوا لقيطاً ، وأسرُوا أخاه حاجب بن زُرارة ، وانتصرت بنو عامر وبنو عَبَس نصراً عظيماً ؛ وقُتِل أيضاً من بنِي دُبَيان وبني تميم ومن بنِي أسد جماعة مستكثرة ؛ وكان هذا اليوم من أعظم أيامهم . ويوم ذِي قارٍ ، وهو أقرب الوقائع المشهورة في الجاهلية عهداً ، وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل عام بدر .

وكان من حديثه أن كسرى أبرويز غضب على النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، فحبسه فهلك في الحبس ؛ وكان النعمان قد أودع حلقته ( وهى السلاح والدروع ) عند هاني بن مسعود البكرى ، فأرسل أبرويز يطلبها من هاني ، فقال هذه أمانة ، والحر لا يسلم أمانته ؛ وكان أبرويز لما أمسك النعمان جعل مكانه في ملك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، فاستشار أبرويز إياسا ، فقال إياس : المصلحة التغافل عن هاني بن مسعود حتى يطمئن وتنبه فندركه — فقال أبرويز : إنه من أخوالك لا تألوه نصحا — فقال إياس : رأى الملك أفضل ؛ فبعث أبرويز الهزبان<sup>(١)</sup> في ألفين من الأعاجم ؛ وبعث ألفا من بهراء ، فلما بلغ بكر بن وائل خبرهم أتوا مكانا من بطن ذى قار ، فزولوه ووصلت إليهم الأعاجم ، وأقتتلوا ساعة فأنهزمت الأعاجم هزيمة قبيحة ؛ فيروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، خبر بذلك أصحابه ، فقال ” اليوم أول يوم أنتصف فيه العرب من العجم وبى نصروا “ .

ولأبى عبيدة مصنف مفرد في أيام العرب ، وقد أورد منها ابن عبد ربه في كتاب ” العقد “ جملة مستكثرة ، وفي آخر كتاب الأمثال للبدائي نبذة محزنة من ذلك ، وليس بنا حاجة إلى استيعابها هنا .

وأما الحروب الواقعة في صدر الإسلام . فمنها وقعة الجمل ، وكانت بين علي كرم الله وجهه ، ومعه أهل الكوفة ، وبين عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ؛ وكانت رابكة يومئذ على جمل اسمه عسكر وبه عرفت الوقعة ، وقيل بين الفريقين خلق كثير ، وكانت النصرة فيه لعل ومن معه .

ومنها وقعة صفين ، وكانت بين علي كرم الله وجهه ومعه أهل العراق ، وبين معاوية بن أبى سفيان ، ومعه أهل الشام ، وكان ابتداءها في سنة ست وثلاثين ، وكان مدة مقامهم بصفين مائة وعشرة أيام أوقعوا فيها وقعات كثيرة ؛ قيل تسعين

(١) في العقد الفريد ، ومعجم البلدان الهامرز ، وفسره بالمرزبان .

وقعة ؛ وكانت عِدَّة القتلى بينهم فيما يقال من أهل الشام خمسة وأربعين ألفا ، ومن أهل العراق ستة وعشرين ألفا ، منهم ستة وعشرون من أهل بدر ؛ وكان عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مع عليّ رضي الله عنه ، وقَاتِلٌ حَتَّى قُتِلَ ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : **”يَقْتُلُ عَمَّارَا الْفِئَةِ الْبَاغِيَّةُ“** ومضت عليهما مدة ، وعلى رضي الله عنه على العراق ، ومعاوية على الشام ومصر إلى أن قتل عليّ رضي الله عنه .

ولا حاجة بنا إلى الخوض في أكثر من ذلك ، فإن ذلك محمول على آجتهداهم ، والإسالك عما شجر بينهم واجب .

ومنها وقعة مَرَجِ رَاهِطٍ ؛ وكان من حديثها أنه لما هلك يزيد بن معاوية ، كان سعيد بن بحدل على قنسرين ، فوثب عليه زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا وَبَاعَ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الزَّيْرِ ، فلما قعد زُفَرٌ على المنبر ، قال : الحمد لله الذي أقعدني مقعد الغادر الفاجر وحصر ، فضحك الناس من قوله ؛ وكان حسان بن بحدل على فلسطين ، والأردن ، فاستعمل على فلسطين رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعِ الْجُدَامِيُّ ، ونزل هو الأردن ، فوثب ناتل بن قيس الجُدَامِيُّ على رَوْحُ بْنُ زَيْبَاعِ فَأَخْرَجَهُ مِنْ فِلَسْطِينَ وَبَاعَ ابْنَ الزَّيْرِ ؛ وكان النعمانُ ابنُ بَشِيرٍ على حمص فباع لأبن الزبير ، وكان الضحّاك بن قيس على دمشق ، بفعل يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، فقدم عليه مروان بن الحكم فقال الضحّاك هل لك أن تقدم على ابن الزبير ببيعة أهل الشام ، قال نعم ووافق على ذلك بنو أمية ، واليمانيون ؛ فلما فشا ذلك أرسل الضحّاك إلى بنى أمية تصدر إليهم ؛ وقال لمروان وعمرو بن سعيد : **آكتبوا إلى حسان بن بحدل فيسير من الأردن حتى ينزل الجابية ، ونسير نحن من هنا حتى نلقاه فننظر هناك رجلا ترضونه ؛ فلما استقلت رايات الضحّاك من دمشق ، قالت القيسية لا نصحبك دعوتنا إلى بيعة ابن الزبير ، وهو رجل هذه**

الأمة، فلما بايعناك خرجت تابعا لهذه الأعراب بنى كلب، فأجابهم إلى إظهار بيعة ابن الزبير، وسار حتى نزل مرج راهط، وأقبل حسان حتى لقي مروان، فسار مع مروان حتى لَقُوا الضحاك، وهم نحو من سبعة آلاف، والضحاك في نحو ثلاثين ألفا وأقتلوا، فقتل الضحاك وقُتِل معه أشراف من قريش .

### المقصود الثالث

( في كيفية استعمال الكاتب ذكر هذه الوقائع في كلامه )

لا يخفى أن الكاتب المترشح للكتابة إذا كان من المعرفة بأيام الحرب، والعلم بتفاصيل أخبارها، ومن يعد من فُرسان حروبها، ومصاقيع خطبائها، ومُفلق شعرائها، وما جرى بينهم في ذلك من الخطب والأشعار والمناقضات، كان مستعدا لما يستشهد به من واقعة قديمة، أو يرد عليه في مكتبة : أو شعر : من ذكر أيام مشهورة، أو ذكر فارس معين، كما قال أبو تمام الطائي يمدح بن شيان :

إذا أَفْتَحَرْتَ يوماً تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا \* وَزَادَتْ عَلَى مَا وَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبِ  
فَأَتَمَّ يَذِي قَارٍ أَمَالَتْ سِيوفُكُمْ \* عُرُوشَ الَّذِينَ أَسْتَرَهُنَّ قَوْسَ حَاجِبِ  
يشير إلى أن حاجب بن زُرارة التيمي وفد على كسرى في سنة جَدَب فقال  
الحاجب مَنْ أَنْتَ؟ قال رجل من العرب، فلما دخل على كسرى قال له مَنْ أَنْتَ؟  
قال سيد العرب — قال ألم تقل بالباب إنك رجل من العرب —؟ قال كنت بالباب  
رجلا منهم فلما حضرت بين يدي الملك سُدُّهُمْ؛ فمَلَأْهُ دُرّاً؛ وشكا إليه مَحَلَّ  
الحجاز، وطلب منه حِمْلُ ألف بعير بُرّاً على أن يعيد قيمتها، — فقال وما ترهني على  
ذلك — قال قَوْسِي، فاستعظم همته وقال قبلتُ، وأعطاه حِمْلُ ألف بعير بُرّاً، ومات  
حاجب فأحضر بنوه المال بعد موته وطلبوا منه قوس أبيهم فافتخرت تميم بذلك .

(١) لعله إذا كان على جانب من المعرفة بأيام الخ كما هو ظاهر .

فأشار أبو تمام في بيتيه إلى هذه المنقبة : يقول يابن شيبان في يوم ذى قار أبديتم  
جيش كسرى الذى آسترهن قوس حاجب .

وكما قال أبو نصر "الفتح بن خاقان" في خطبة كتابه "فلائد العقيان" : لو جاوره  
كليب ما طرق حماه ، أو أستجار به أحد من الدهر حماه ، أو كان بوادى الأخرم ،  
لطف به ربيعة وأحرم ، أو أستنجده الكندى ما كساه الملاء ، أو كان حاضرا  
بسطام لما خر على الألاء .

وكما قلت في المفارقة بين السيف والقلم عند التعرض لذكر المقر الزينى أبى يزيد  
الدوادار الذى من أجله وضعت <sup>١</sup>فلولقيه فارس عبس لوثى عابسا ، أو طرق حمى  
كليب لبات من حماه آيسا ، أو قارعه ربيعة بن مكدّم اعلا بالسيف مفرقه ،  
أو نازله بسطام لبدد جمعه وفرقه .

إلى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى وينتظم في هذا السلك .

قال في "حسن التوسل" : وإذا لم يكن صاحب هذا الفن عارفا بكل يوم من  
هذه الأيام ، عالما بما جرى فيها ، لم يدرك كيف يُجيب عما يرد عليه من مثلها ، ولا  
ما يقول إذا سئل عنها . قال : وحسبه ذلك تقصا في صناعته ، وقصورا عما يتعين  
عليه من معرفته وحسن الجواب عنه عند السؤال عنه .<sup>(١)</sup>

وأما الوقائع التى وردت في حوادث خاصة بأقوام فقد قال الوزير "ضياء الدين بن  
الأثير" رحمه الله في "المثل السائر" : إنها كالأمثال في الاستشهاد بها وذكرها أمثلة .  
منها قوله من كتاب : ولا يُعد البرّ برا حتى يلحق الغيب بالحضور ، ويصل من لم  
يصله بجزء ولا شكور ، فزنة الغائب بالشاهد من كرم الإحسان ، ولهذا نابت شمال  
رسول الله عن يمين عثمان . يشير إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، في بيعة الحديبية<sup>(٢)</sup>

(١) لعل من زائدة من قلم الناسخ . (٢) في بعض النسخ العقبة .

كان قد أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى مكة في حاجة ، ولم يحضر البيعة ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيده الشمال على اليمين وقال ”هذه عن عثمان وشمالى خير من يمينه“ .

ومنها قوله من تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة : ”وإذا آستعنت بأحد على عملك فاضرب عليه بالأرصاد ، ولا ترَضَ بما عرفته من مبدل حاله ، فإن الأحوال تنتقل بتقل الأجساد ؛ وإياك أن تُخدع بصلاح الظاهر كما خُدع عمر بن الخطاب بالرَّبيع بن زياد .

يشير بذلك إلى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه آستدعى أبا موسى الأشعرى ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثى ، فذهب الربيع بن زياد إلى بعض موالى عمر وسأله عما يروج عنده ويتفق عليه ، فأشار إلى خُشونة العيش فضى ، وليس جبة صوف ، وعمامة رثاء ، وخُفا مطابقا ، وحضربين يديه في جملة العمال ، فصوب عمر نظره وصعده فلم يقع إلا عليه ، فأدناه وسأله عن حاله ، ثم أوصى أبا موسى الأشعرى به .

ومنها قوله في معارضة كتاب القاضى الفاضل إلى ديوان الخلافة يُعَدِّد فيه مساعى الملك الناصر ”صلاح الدين يوسف بن أيوب“ وما قاساه في الفتوح من الأهوال وهو : ومن حملتها ما فعل الخادم في الدولة المصرية . وقد قام بها منبر وسرير ، وقالت منا أمير ومنكم أمير ، فردَّ الدَّعوة العباسية إلى معادها ، وأذكر المنابر ما نسيته بها من زهو أعوادها . يشير بذلك إلى ما تقدَّم من اجتماع الأنصار في اليوم الذى مات فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، في سقيفة بنى ساعدة إلى سعد بن عبادة ، وكيف ذهب إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وقال الحباب بن المنذر : مِنَّا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : لا ، ولكمَّ الأمراء وأتم الوزراء . إلى غير ذلك مما يجرى هذا المجرى وينظم في هذا السلك .

## النوع الرابع عشر (في أوأبد العرب)

وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية ، بعضها يجري مجرى الديانات ، وبعضها يجري مجرى الأصطلاحات والعادات ، وبعضها يجري مجرى الخرافات ، وجاء الإسلام بباطالها . وهي عدة أمور :

منها الكهانة ، وكان موضوعها عندهم الإخبار عن أمور غيبية بواسطة أستراق الشياطين السمع من السماء ، وإلقاء ما يستمعونه من الغيبيات إليهم . وقد كان في العرب قبل البعثة عدة كهنة تعتمد العرب كلامهم ، ويرجعون إلى حكمهم فيما يُخبرون به . ومن عجيب أخبارهم في ذلك أن هند أبنة عتبة بن ربيعة كانت تحت الفاكه ابن المغيرة المخزومي ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فحلا البيت يوما فأضطجع الفاكه هو وهند فيه ، ثم نهض الفاكه لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فوجله فلما رآها وثلى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل إلى هند فركضها برجله وهي نائمة فانتبهت — فقال من ذا الذي نرج من عندك — فقالت لم أر أحدا وأنت الذي أنبهتني — فقال لها أذهبي إلى بيت أبيك فأقيمي عنده ! وتكلم الناس فيها — فقال له أبوها إنك قد رميت أبتى بأمر عظيم ، فإكفني إلى بعض كهان اليمن ، نخرجنا في جماعة من قومهما إلى كاهن من كهان اليمن ومعهما هند ونسوة أنحر ، فلما ساروا بلاد الكاهن ، قالت هند لأبيها إنكم تأتون بشرا يصيب ويخطئ ولا آمنه أن يسمي ميسما يكون علي سبة — فقال أبوها سأختبره لك فصفر لفرسه حتى أدلى ، فأدخل في إحليله حبة حنطة وشدها عليها بسير ، فلما دخلوا على الكاهن ، قال له عتبة : إنا قد جئناك في أمر وقد خبات لك خبا أختبرك به فانظر ماهو فقال ثمرة في كمره — فقال أريد أئين من هذا — فقال حبة بر ، في إحليل



مُهرٌ — فقال له أنظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول أنهضني حتى دنا من هند فقال لها : أنهضني غير رشحاء <sup>(١)</sup> ولا زانية ولتلدن لي كما أسمه معاوية ، فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها ، فجذبت يدها من يده ، وقالت إليك عني ! فوالله لأحرص على أن يكون من غيرك ، فترجها أبو سفيان ابن حرب فولدت له معاوية ، فكان من أمره ما كان إلى أن آتته به الحال إلى الخلافة . وقد أخبر جماعة من الكهنة بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم قرب ظهوره منهم سطيح الكاهن وغيره .

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، حُرست السماء ومنعت الشياطين من استراق السمع كما أخبر تعالى بقوله ﴿ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ .

ومنها الزجر والطيرة : وهما في معنى واحد ؛ وأصله أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير ؛ فإن طار يمينا كان له حكم ، وإن طار شمالا كان له حكم ، وإن طار أماما كان له حكم ، وإن طار من فوق رأسه كان له حكم ؛ ومن ثم سميت الطيرة أخذًا من أسم الطير ؛ وأكثر ما عولوا عليه من ذلك الغراب ، ثم تعدوه إلى غير الطير من الحيوان ، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك ؛ وربما آتته بعض الزجر إلى حد الكهانة .

ومما يحكى من زجر الطير أن رجلا من لهب : وهم بطن من العرب يعرفون بالعيافة ، خرج في حاجة له ، ومعه سقاء من لبن فسار صذر يومه فعطش فأناخ ليشرب فإذا غراب فنعب فأثار راحلته ، ثم سار حتى كان وقت الظهيرة أناخ ليشرب ، فنعب الغراب وتمرغ في التراب ، فضرب الرجل السقاء بسيفه فإذا فيه

(١) الرشحاء بالمهمات من النساء الفحيحة ووقع في الأصل بانجم الشين وهو تصحيف فأحذره .

ثُعْبَانٌ عَظِيمٌ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ سَارَ فَإِذَا غَرَابٌ وَقَعَ عَلَى سِدْرَةٍ فَصَاحَ بِهِ فَوْقَ عَلَى سَلَمَةٍ ، فَصَاحَ بِهِ فَوْقَ عَلَى صَخْرَةٍ فَأَتَتْهُ إِلَيْهَا ، فَأَثَارَ مِنْ تَحْتِهَا كَنْزًا ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَبِيهِ قَالَ لَهُ مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ سَرْتُ صَدْرَ يَوْمِي فَأَنْخْتُ لِأَشْرِبَ فَنَعَبَ الْغَرَابُ — فَقَالَ : أَثَرُ رَاحَتِكَ وَإِلَّا فَلَسْتُ بِأَبْنِي — قَالَ فَعَلْتُ — قَالَ ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ سَرْتُ حَتَّى وَقْتُ الظَّهِيرَةِ فَأَنْخْتُ لِأَشْرِبَ فَنَعَبَ الْغَرَابُ ، وَتَمَرَّغَ فِي التَّرَابِ — فَقَالَ أَضْرِبَ السَّقَاءَ وَإِلَّا فَلَسْتُ بِأَبْنِي . قَالَ فَعَلْتُ ، فَوْقَ عَلَى صَخْرَةٍ قَالَ أَثَرُ مَا تَحْتِهَا وَإِلَّا فَلَسْتُ بِأَبْنِي . قَالَ فَعَلْتُ ، فَوُجِدْتُ كَنْزًا .

وقد وردت السنة بإبطال حكم الزجر والطيرة بقوله صلى الله عليه وسلم ”أَفِرُّوا الطَّيْرَ فِي وُكُاتِهَا“ وقوله صلى الله عليه وسلم ”لَا عَدَوِي وَلَا طَيْرَةَ“ وأستحسن صلى الله عليه وسلم ، الفأل فقال ”وَيُعِجُّنِي الْفَأْلُ“ وهي الكلمة الطيبة أسمعها . وقد فرق العلماء بين الفأل والطيرة بأن الطيرة تُقَصَّد والفأل يأتي من غير قصد .

ومنها الميسر : وهو ضرب من القمار كانوا يقتسمون به لحم الجُزْرِ التي يذبحونها بحسب قِدَاحٍ يَضْرِبُونَهَا ، لكل قِدَاحٍ منها نصيب معلوم : وهي أحد عشر قِدَاحًا : سبعة منها لها حظ إن فازت وعليها غرم إن خابت بقدر ما لها من الحظ عند الفوز ، وأربعة منها تُثَقَّلُ بها القِدَاحُ لا حظ لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت . فأما السبعة التي لها الحظ إن فازت وعليها الغرم إن خابت . فأولها القِدَاحُ : وهو قِدَاحٌ فِي صَدْرِهِ حَرْزٌ وَاحِدٌ ، وله نصيب واحد في الأخذ والغرم . والثاني التَّوَمَ ، وفي صدره حَرَّانَ ، وله نصيبان في الأخذ والغرم . والثالث الصَّرِيبُ ( ويسمى الرقيب ) وفيه ثلاثة حُرُوزَ ، وله ثلاثة أنصباء . والرابع الحُلُسُ وفيه أربعة حُرُوزَ وله أربعة أنصباء . والخامس النَّافِئُ وفيه خمسة حُرُوزَ ، وله خمسة أنصباء . والسادس المُسْبِلُ ، ويسمى المُصَفَّحُ أيضًا ، وفيه ستة حُرُوزَ وله ستة أنصباء . والسابع المُعْلَى ،

وفيه سبعة حروز، وله سبعة أنصباء؛ وهو أوفرها حظاً، ولذلك يُضْرَبُ به المثل في الحظ فيقال قَدْ حُذِه المَعْلَى .

وأما الأربعة التي تُثَقَّلُ بها القداح فهي السَّفِيحُ، والمَنْيَحُ، والمُضَعَّفُ، والوَعْدُ، وكان طريقهم في ذلك أن القوم يجتمعون فيشترُونَ جَزُوراً فينَحْرُونَهَا وَيُفَصِّلُونَهَا على عشرة أجزاء، وَيُسْتَرِمُونَ فيها على سبعة أنصباء لا أكثر، وتسمى الأنصباء فيها الأَيْسَارُ، فإن كانوا أَقَلَّ من سبعة وأراد أحدهم قَدْ حِينَ أو أكثر، أخذ وكان له فوزها، وعليه غرمها؛ فإذا جَزَّوْا الجَزُورَ على ذلك، أَتَوْا بِرَجُلٍ يسمونه الحُرْضَةَ<sup>(١)</sup>، من شأنه أنه لم يأْكُلْ لحماً قط بئناً، ويؤْتَى بالقداح فتَشَدُّ مجموعة في قطعة جلد تسمى الرِّبَابَةَ، ثم يُلَفُّ الحُرْضَةُ على يده اليمنى ثوباً لثلاً يجد مس قَدَحٍ، له مع صاحبه هَوَى فيحابه في إخراجها، ثم يؤْتَى بثوب أبيض يسمى المِجْوَلُ، فيُسَطُّ بين يَدَيِ الحُرْضَةِ، ويقوم على رأسه رجل يسمى الرَّقِيبُ، ويدفع رِبَابَةَ القَدَاحِ إلى الحُرْضَةِ، وهو محوّل الوجه عنها، فيأخذ الرِّبَابَةَ التي تُجْمَعُ فيها القَدَاحُ، ويدخل يده تحت الثَّوب فينكر القداح فإذا نهد فيها قَدَحٍ يناوله دُفْعَةً إلى الرقيب، فإن كان مما لَاحَظَ له، رَدَّ إلى الرِّبَابَةِ فإن خرج بعده المُسَيِّلُ مثلاً أخذ الثلاثة الباقية وغرم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور آخر، وعلى ذلك أبداً يُفَعَّلُ بمن فاز ومن خاب، وربما نَحَرُوا عِدَّةَ جُزُرٍ، ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئاً، وإنما الغُرمُ على الذين خابوا، وكان عندهم أنه لا يحل للثَّانِيينَ أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئاً؛ فإن فاز قَدَحُ الرجل فأرادوا أن يُعِيدُوا قَدَحَهُ ثانية على خطأ فعلوا ذلك به؛ وقد نظم الصاحب إسماعيل بن عَبَّاد أسماء القداح التي لها النصيب فوزاً وغرمًا في أبيات فقال :

(١) الحُرْضَةُ بالضم والراء المهملة والضاد المعجمة أمين المقامرين . ووقع في الأصل الحُرْصَةُ بالواو والصاد المهملة وهو تصحيف من النسخ فأحذره .

إِنَّ الْقِدَاحَ أَمْرُهَا تَحْيِيْبُ \* الْفَدُّ وَالتَّوْنُومُ وَالرَّقِيبُ  
وَالْحِلْسُ ثُمَّ النَّافِسُ الْمُصِيبُ \* وَالْمُصْفَحُ الْمَشْتَرُ النَّجِيبُ  
ثُمَّ الْمَعْلَى حَظُّهُ الرِّغِيبُ \* هَاكَ فَقَدْ جَاءَ بِهَا التَّرْتِيبُ

ومنها الأزلَام : وهى ضرب من الطَّيْرَةِ ، كانوا إذا أرادوا فعل أمر ولا يدرون ما الأمر فيه ، أخذوا قِدَاحًا مكتوبًا على بعضها أفعل ، لا تفعل ، وعلى بعضها نعم ، وعلى بعضها لا ، وعلى بعضها خُذْ ، وعلى بعضها سِرْ ، وعلى بعضها سريع ، فإذا أراد أحدهم سفرًا مثلاً أتى سادَنَ الأوثان ؛ فيضرب له بتلك القِدَاح ويقول : اللهم أيُّها كان خيرا له فأخرجه فما خرج له عمل به ، وإذا شكوا فى نسب رجل أجالوا القِدَاح وفى بعضها مكتوبٌ صريح ، وفى بعضها مكتوبٌ مُلْحَقٌ ؛ فإن خرج الصريح أثبتوا نسبته ، وإن خرج المُلْحَقُ نَفَوَهُ . وإن كان بين اثنين اختلاف فى حق سُمِّي كل منهما له سهما وأجالوا القِدَاح فمن خرج سهمه فالحق له وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ .

ومنها البَحِيرَةُ ، والسَّائِبَةُ ، والوَصِيلَةُ ، والحَامِي .

فأما البَحِيرَةُ ، فكانت الناقة إذا أُنتِجَتْ خمسة أبطن عمدُوا إلى الخامس منها مالم يكن ذكرا فشققوا أذنها وتركوها ، فلا يُحْزَلُها وبر ، ولا يُحْمَلُ عليها شيء ولا يُذَكَّرُ عليها إن ذُكِّتْ اسمُ الله تعالى ، وتكون ألبانها للرجال دون النساء .

وأما السَّائِبَةُ فكان الرجل يُسَيِّبُ الشيء من ماله : بهيمةً أو عبداً ، فيكون حراما أبدا وتكون منافع ذلك للرجال دون النساء .

وأما الوَصِيلَةُ فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عمدُوا إلى السابع فإن كان ذكرا ذُبِحَ ، وإن كان أنثى تُرِكَتْ فى الغنم ، وإن كان ذكرا وأنثى قيل وصلت أخاها فحُرِّمَ جميعا ، وكانت منافعهما ولبن الأنثى منهما للرجال دون النساء .

وأما الحامى، فكان الفعل إذا صار من أولاده عشرة أبطن، قالوا حمى ظهره، فترك، ولا يُحمَلُ عليه شيء، ولا يُركب، ولا يُمنع ماءً، ولا مرعى؛ وقد أخبر الله تعالى ببطان ذلك بقوله: ﴿مَجَعَلَّ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ .

ومنها إغلاق الظهر: كان الرجل منهم إذا بلغت إبله مائة عمدة إلى البعير الذى كملت به مائة فأغلق ظهره بأن يزرع شيئاً من فقراته ويعقر سنامه كي لا يُركب يُعلم أن إبل صاحبه قد أمأت .

ومنها التفقئة، والتعمية . كان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقأ عين الفحل : وهى التفقئة، فإن زادت على ذلك فقأ العين الأخرى وهى التعمية، ويزعمون أن ذلك يدفع العين عن الإبل قال الشاعر :

وَهَبَتْهَا وَأَنْتَ ذُو أَمْتَانِ \* تُفَقِّأُ فِيهَا أَعْيُنَ الْبُعْرَانِ

ومنها نكاح المقت: وهو نكاح زوجة الأب—وكان من شأنهم فيه أن الرجل إذا مات قام أكبر ولده، فالق ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة يزوجه بعض إخوته بمهر جديد، فكانوا يتوارثون النكاح كما يرثون المال، فأنزل الله تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾ ، وحرّم زوجة الأب بقوله ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ومن ثم سُمى نكاح المقت .

ومنها رمى البعرة: كانت المرأة فى الجاهلية إذا مات زوجها، دخلت حفشاً (يعنى حفصاً) ولبست شرّ ثيابها ولم تمسّ طيباً حتى تمضى عليها سنة، ثم يؤتى بدابة: حمارٍ أو شاة أو طير، فتفتض به أى تلمس به فقلماً تفتض بشيء إلا مات، ثم تخرج بعد ذلك فتعطى بعرة قترى بها، ثم تراجع ما شاءت من طيب أو غيره فنسخ

الإسلام ذلك بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ .

ومنها وأد البنات (وهو قتلهن) . كانوا يقتلوهن خشية العار؛ ومن فعل ذلك قيس ابن عاصم المنقرئ، وكان من وجوه قومه ومن ذوى المال، وكان سبب ذلك أن النعمان بن المنذر أغزاهم جيشا فسبوا ذراريهم فأناب القوم وسأله فيهم فقال النعمان : كل امرأة اختارت أباهاً ردت إليه، وكل من اختارت صاحبها تركت معه، فكلهن اخترن آباءهن إلا أبنة لقيس بن عاصم فإنها اختارت صاحبها عمرو بن الجموح، فنذر قيس أنه لا يولد له أبنة إلا قتلها فكان يقتلن بعد ذلك . وورد القرآن بإعظام ذلك بقوله ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ .

ومنها قتل الأولاد خشية الإملاق والفاقة، فكان الرجل منهم يقتل ولده مخافة أن يطعم معه إلى أن نهى الله تعالى عن ذلك بقوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾ .

ومنها حبس البلياء، كانوا إذا مات الرجل يشدون ناقته إلى قبره ويقبلون برأسها إلى ورائها ويغطون رأسها بولية وهي البرذعة فإذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى، ويزعمون أنهم إذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها قال أبو زيد :  
كالبساياء رؤسها في الولايا \* مانحات السموم حرائدود<sup>(١)</sup>

ومنها الهامة — كانوا يزعمون أن الإنسان إذا قتل ولم يطالب بثأره، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة، وصاح : أسقوني أسقوني حتى يطالب بثأره، قال ذو الأصبغ :

(١) في الأصل بزية وكذلك جمعها في البيت زلايا وهو تصحيف فأحذره .

(٢) في الأصل أبو زيد وهو تصحيف .

يَا عَمْرُو إَلَّا تَدْعُ شَيْئِي وَمَنْقَصَتِي \* أَضْرِبَكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ أَسْقُونِي  
ومنها تأخير البكاء على المقتول للأخذ بثأره — كان النساء لا يَبْكِينَ المقتولَ منهم  
حَتَّى يُوْخَذَ بثأره، فإذا أُخِذَ بِهِ بَكَينَهُ حينئذٍ، قال الشاعر :

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ \* فَلَيَاتِ نِسَوَاتًا بِوَجْهِ نَهَارٍ  
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ \* يَلْطَمْنَ حُرَّ الْوَجْهِ بِالْأَنْصَارِ

ومنها تَصْفِيقُ الضَّالِّ — كان الرجل منهم إذا ضَلَّ في الْفَلَاةِ، قلب ثِيَابَهُ وَحَبَسَ  
نَاقَتَهُ وصاح في أَذُنِهَا كَأَنَّهُ يُؤَمِّى إِلَى إِنْسَانٍ وَصَفَّقَ بِيَدَيْهِ قَائِلًا : الْوَحَا الْوَحَا النَّجَاءُ  
النَّجَاءُ هَيْكَل : السَّاعَةَ السَّاعَةَ إِلَى إِلَى عَجَلٍ ، ثم يَحْتَرِكُ نَاقَتَهُ فيزعمون أنها تهتدى ،  
إِلَى الطَّرِيقِ حينئذٍ . قال الشاعر :

وَأَذِنَ بِالتَّصْفِيقِ مَنْ سَاءَ ظَنُّهُ \* فَلَمْ يَدْرِ مِنْ أَىِّ الْيَدَيْنِ جَوَابُهَا  
يريد إذا ساء ظَنُّهُ بِنَفْسِهِ حين يَضِلُّ .

ومنها الْغُولُ — كانوا يزعمون أن الْغُولَ تَرَى لأحدهم في الْفَلَاةِ فَيَتَّبِعُهَا فَتَسْتَهْوِيهِ ،  
وَرَبَّمَا آدَعَى أَحَدَهُمْ أَنَّهُ قَابِلُهَا وَقَاتِلُهَا قَالَ تَأْبِطُ شَرًّا :

أَلَا مِنْ مُحِبٍّ فِتْيَانٌ فَهَمُّ \* بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانِ  
بَأْنِي قَدْ لَقِيتُ الْغُولَ تَهْوَى \* بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ  
فَقُلْتُ لَهَا كَلَانًا نِضْوُ أَرْضٍ \* أَخُو سَفَرٍ نَحَلَّى لِي مَكَانِي  
فَشَدَّتْ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَتْ \* لَهَا كَفْنِي بِمَصْقُولِ يَمَانِي  
فَأَضْرَبُهَا بِلَا دَهْشٍ خَفَرْتُ \* صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْجِرَانِ

ومنها ضَرْبُ الثَّوْرِ لِيَشْرَبَ الْبَقْرُ — كانوا يزعمون أن الْجَنَّ تَرْكَبُ الثَّيْرَانَ فَتَضُدُّ  
الْبَقَرَ عَنِ الشَّرْبِ ، فيضربون الثَّوْرَ لِيَشْرَبَ الْبَقْرُ ، قال الشاعر :

(١) في نسخة فهر . وفي ياقوت قويم . وقوله في البيت الثاني سَهْبٌ في الأصل سَيْفٌ وهو تصحيف .

كَذَلِكَ الثَّورُ يُضْرَبُ بِالْهَرَاوِي <sup>(١)</sup> \* إِذَا مَا عَافَتِ الْبَقَرُ الظَّمَاءُ

ومنها تعليق سنّ الثعلب وسنّ الهرة وحيض السمرة — كانوا يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة فعلق عليه شيء من ذلك، سلم من آفته، وأن الجنية إذا أرادت له لم تقدر عليه؛ قالت امرأة تصف ولدا :

كَانَتْ عَلَيْهِ سِنَّةٌ مِنْ هِرَّةٍ \* وَثَعْلَبٍ وَالْحَيْضُ حَيْضُ السَّمْرِ

ومنها تعليق كعب الأرنب — كانوا يعلقونه على أنفسهم، يزعمون أنه وقاية من العين والسحر، قائلين إن الجن تنفر من الأرنب لكونها تحيض، قال الشاعر :

وَلَا يَنْفَعُ التَّعْشِيرُ إِنْ حُمَّ وَقَعَ \* وَلَا وَدَعٌ يَغْنَى وَلَا كَعْبُ أَرْنَبٍ

ومنها تعليق الحلي على السليم (وهو الملسوع) — كانوا إذا ألسع فيهم لإنسان علقوا عليه الحلي من الأساور وغيرها، ويتركونه سبعة أيام ويمنع من النوم فيفيق، قال النابغة :

يُسَهِّدُ مِنْ وَقْتِ الْعِشَاءِ سَلِيمَهَا \* لِحَلْيِ النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَائِعُ

ومنها وطء المقاتل القتل — كانوا يزعمون أن المرأة المقاتلة (وهي التي لا يعيش لها ولد) إذا وطئت قتيلًا شريفًا بقي أولادها، قال بشر بن أبي خازم :

يَظَلُّ مَقَالِيْتُ النِّسَاءِ يَطَانُهُ \* يَقْلَنَ أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِزْرُ

ومنها مسح الطارف عين المطروف — كانوا يزعمون أن الرجل إذا طَرفَ عين صاحبه فهاجت فمسح الطارف عين المطروف سبع مرات يقول في كل مرة : بإحدى جاءت من المدينة : بائنتين جاءتا من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة إلى سبع سكن هيجانها .

(١) في الأصل بالهوادى وهو تصحيف فأحذره .



ومنها كى السليم من الإبل ليرأ الحرب منها — كانوا يزعمون أن الإبل إذا أصابها عثر (وهو الحرب) فكووا صحيجا إلى جانبه ليشم رائحته برئ، وربما زعموا أنه يؤمن معه العدوئ، قال النابغة :

وَكَلَّفَتْنِي ذَنْبَ أَمْرِي وَتَرَكْتَهُ \* كَذَى الْعُرْيُكُوْى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ

ومنها ذهاب الخدر من الرجل — كانوا يقولون إن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحب الناس إليه ذهب عنه الخدر، قالت امرأة من كلاب :

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي ذَكُرْتُ أَبْنَ مُصْعَبٍ \* فَإِنْ قُلْتُ عَبْدُ اللَّهِ أَجَلِي فُتُورُهَا

ومنها الحلى عن الصبيان بجباية الحى وإطعامه الكلاب — كانوا يرون أن الفتى إذا ظهر فيه الحلى بشفته (وهى بثور تنبت بالشفة) فيأخذ منخلا على رأسه ويمزج بين بيوت الحى وينادى الحلى الحلى فيلقى فى منخله من هنا ثمرة، ومن هنا كسرة، ومن هنا قطعة لحم فإذا امتلأ نثره بين الكلاب فيذهب عنه الحلى .

ومنها شق الرداء والبُرقع، لدوام المحبة — زعموا أن المرأة إذا أحببت رجلا أو أحبا ولم تُسَقَّ عليه رداءه ويشق عليها برقعها فسد جهما، قال الشاعر :

إِذَا شُقَّ بَرْدُ شُقِّ بِالْبُرْدِ بَرُقِعُ \* دَوَالِيكَ حَتَّى كُنَّا غَيْرُ لَايسَ

فَكَمْ قَدْ شَقَّقْنَا مِنْ رِداء مُحَبَّرٍ \* وَمِنْ بَرُقِعَ عَنْ طِفْلَةٍ غَيْرِ عَانِسَ

ومنها رمى سن الصبى المتغير فى الشمس — يقولون : إن الغلام إذا أنغر فمى سنه فى عين الشمس بسبأته وإبهامه وقال أبدينى بها أحسن منها ، أمن على أسنانه العوج والفالج والنغل ، قال طرفة :

بَدَّلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنِيَّتِهِ \* بَرْدًا أبيضَ مَصْقُولِ الأَشْرُ

(١) لعله دفع الحلى عن الخ . وهو فى الأصول مقصور وأورده القاموس واللسان فى باب المهموز وقال الأخير إن بعضهم لا يهمز .

ومنها التعشير — زعموا أن الرجل إذا أراد دخول قرية نخاف وباءها فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشركما ينق الحمار ثم دخلها ، لم يصبه وباءها ، قال عروة ابن الورد :

لَعَمْرِي لَئِنْ عَشَرْتُ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى \* نُهَاقَ حَمِيرٍ إِنِّي لَجَزُوعٌ

ومنها عقد الرتم — وهو نبت معروف — كان الرجل إذا أراد سفرا عمدا إلى رتم فعقده فإن رجع ورءاه معقودا ، اعتقد أن أمرأته لم تتحسه ، وإن رءاه محلولا اعتقد أنها خانتها ، قال الشاعر :

خَانَتْهُ لَمَّا رَأَتْ شَيْبًا بِمَفْرِقِهِ \* وَغَرَّه حِلْفُهَا وَالْعَقْدُ لِلرَّتَمِ

ومنها اعتبار دائرة المهقوع — وهي دائرة تكون في عنق الفرس يقال لها الهقعة على ما يأتى ذكره في الكلام على الخيل في الطرف الآتى — كانوا يزعمون أن الفرس المهقوع إذا عرق تحت صاحبه آغتمت حليته ، وطلبت الرجال ، قال الشاعر :

إِذَا عَرِقَ الْمَهْقُوعُ بِالْمَرْءِ أَنْعَظَتْ \* حَلِيلَتُهُ وَأَزْدَادَ حَرًّا عِجَانُهَا

ومنها خضاب نحر الفرس السابق — كان من عادتهم إذا أرسلوا خيلا على صيد فسبق أحدها خضبوا صدره بدم الصيد علامة له ، قال الشاعر :

كَأَنَّ دِمَاءَ الْعَاوِيَاتِ بَنَحَرِهِ \* عُصَارَةُ حَنَاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّلٍ <sup>(٢)</sup>

ومنها جزناصية الأسير — كانوا إذا أسروا رجلا ثم منوا عليه فأطلقوه ، جزوا ناصيته ووضعوها في كئانة ، قالت الخنساء .

جَزَزْنَا نَوَاصِيَ فُرْسَانِهِمْ \* وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنْ لَا تُجْزَا

(١) في اللسان في زور الفرس أو عرض زوره . وسيأتى تفسيره بذلك في الدوائر .

(٢) في نسخة العاديات .

## النوع الخامس عشر

( في معرفة عادات العرب ؛ وهي صنفان )

### الصنف الأول

( نيران العرب )

قد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه "الأوئال" للعرب ثلاثَ عَشْرَةَ نارا .  
الأولى نار المزدلفة — وهي نار تُوقَدُ بالمزدلفة من مشاعر الحج ليراهَا مَنْ دفع من  
عرفة . وأول مَنْ أوقدها قُصَيٌّ بن كلاب ، فهي تُوقَدُ إلى الآن .

الثانية نار الاستمطار — كانوا في الجاهلية الأولى إذا آخَبَسَ المطرُ جمعوا البقر  
وعَقَدُوا في أذنانها وعراقيها السَّلَعِ والعُشْرَ ، ويَصْعَدُونَ بها في الجبل الوعر ، وَيُسْعِلُونَ  
فيها النار ، ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر ، قال الشاعر :

أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيَقُورًا مُسَلَّعَةً \* وَسِيْلَةً مِنْكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

الثالثة نار الحلف — كانوا إذا أرادوا عَقْدَ حلف أوقدوا النار وعقدوا الحلف  
عندها ، ويذكرون خيرها ، ويدعون بالحُرْمان من خيرها على مَنْ نَقَضَ العهدَ ، وحلَّ  
العقد . قال العسكري "وإنما كانوا يُحْصُونَ النار بذلك لأن منفعتهما تختص  
بالإنسان ، لا يشاركه فيها شيء من الحيوان غيره " .

الرابعة نار الطرد — وهي نار كانوا يُوقِدُونَهَا حَلْفَ مَنْ يَمْضِي ولا يحبون رجوعه .

الخامسة نار الحرب — كانوا إذا أرادوا حربا أو توقعوا جيشا ، أوقدوا نارا على  
جبلهم ليلبغ الخبر أصحابهم .

السادسة نار الحزتين : كانت في بلاد عبس فإذا كان الليل تضيء نار تسطع

وفي النهار دخان مرتفع ، وربما بَدَر منها عُنُق فأحرق مَنْ مرَّ بها ، فخر خالدُ بْنُ سنان النَبِيُّ ، فدفنها ، فكانت معجزة له .

السابعة نار السَّعَالِي — تُرْفَعُ لِلتَّقَرُّ فَيَتَّبِعُهَا قَهْوَى به الغُولُ على زعمهم كما تقدَّم في الكلام على أوابد العرب .

الثامنة نار الصيد — وهي نار تُوقَدُ للطباء تغشاها إذا نظرت إليها .

التاسعة نار الأسد — وهي نار توقد إذا خافوا الأسدَ لينفِرَ عنهم فإن من شأنه النَّفَارُ عن النار، يقال إنه إذا رأى النار حدث له فكر يصده عن قصده .

العاشرة نار القِرَى — وهي نار تُوقَدُ ليلا ليراها الأضياف فيهدوا إليها .

الحادية عشرة نار السليم (وهو الملسوع) : كانوا يُوقِدون النار للملسوع إذا لدغ يُسَاهِرُونَهُ بها، وكذلك المجروح إذا نَزَفَ دَمُهُ، والمضروب بالسيَّاط ومن عضَّ الكلب كي لا يناموا فيشتدَّ الأمر بهم فيؤدِّبهم إلى الهلكة .

الثانية عشرة نار الفداء — كان الملوك منهم إذا أسروا نساء قبيلة خرجت إليهم السادة منهم للفداء أو الاستيهاب فيكهنون أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن أو في الظلمة فيخفن قدر ما يحبسونه لأنفسهم من الصَّغِيَّ ، فيوقدون النار لعرضهن .  
الثالثة عشرة نار الوسم — وهي النار يسم بها الرجل منهم إبله فيقال له ماسمة إبلك ؟ فيقول كذا :

### الصنف الثاني

(أسواق العرب المعروفة فيما قبل الإسلام)

قد كان للعرب أسواق يُقيمونها في شهور السنة ، وينقلون من بعضها إلى بعض ويحضروها سائر قبائل العرب : ممن قُرِبَ منهم وبعد . فكانوا يزلون دومة الجندل

أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ رِبْعِ الْأَوَّلِ، فَيُقِيمُونَ أَسْوَاقَهَا بِالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَالْأَخْذِ وَالْعِطَاءِ؛ وَكَانَ يَعْشُوهُمْ فِيهَا أَكِيدِرْدُومَةٌ - وَهُوَ مَلَكُهَا - وَرَبَّمَا غَلَبَ عَلَى السُّوقِ كَلْبٌ، فَيَعْشُوهُمْ بَعْضُ رُؤَسَاءِ كَلْبٍ فَيَقُومُ سَوْقَهُمْ هُنَاكَ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ. ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى سُوقِ هَجَرَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فِي شَهْرِ رِبْعِ الْآخِرِ، فَتَكُونُ أَسْوَاقُهُمْ بِهَا، وَكَانَ يَعْشُوهُمْ فِي هَذَا السُّوقِ الْمُنْذَرُ بْنُ سَاوَى أَحَدِ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ - وَهُوَ مَلِكُ الْبَحْرَيْنِ. ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ نَحْوَ عُمَانَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ أَيْضًا فَتَقُومُ سَوْقُهُمْ بِهَا. ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ فَيَنْزِلُونَ إِمَامَ وَقُرَى الشَّحْرِ مِنَ الْيَمَنِ فَتَقُومُ أَسْوَاقُهُمْ بِهَا أَيَّامًا. ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ فَيَنْزِلُونَ عَدَنَ مِنَ الْيَمَنِ أَيْضًا فَيَشْتَرُونَ مِنْهُ اللَّطَائِمَ وَأَنْوَاعَ الطَّيْبِ. ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ فَيَنْزِلُونَ حَضْرَمَوْتَ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجُوزُهَا فَيُرِدُّ صَنْعَاءَ فَتَقُومُ أَسْوَاقُهُمْ بِهَا وَيَحْلُبُونَ مِنْهَا الْخِرْزَ وَالْأَدَمَ وَالْبُرْدَ، وَكَانَتْ تُجَلَّبُ إِلَيْهَا مِنْ مَعَاوِرَ. ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ إِلَى عُكَازَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، فَتَقُومُ أَسْوَاقُهُمْ وَيَتَنَاشَدُونَ الْأَشْعَارَ، وَيَتَحَاجُّونَ؛ وَمَنْ لَهُ أَسِيرٌ سَعَى فِي فِدَائِهِ، وَمَنْ لَهُ حُكُومَةٌ أَرْتَفَعَ إِلَى مَنْ لَهُ الْحُكُومَةُ؛ وَكَانَ الَّذِي يَقُومُ بِأَمْرِ الْحُكُومَةِ فِيهَا مِنْ بَنِي تَيْمٍ؛ وَكَانَ آخِرُ مَنْ قَامَ بِهَا مِنْهُمْ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسِ التَّيْمِيِّ. ثُمَّ يَقِفُونَ بِعُرْفَةٍ وَيَقْضُونَ مَنَاسِكَ الْحَجِّ. ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى أَوْطَانِهِمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى الْغَنِيمَةِ، وَأَبَوْا بِالسَّلَامَةِ.

### النوع السادس عشر

(النظر في كتب التاريخ والمعرفة بالأحوال)

اعلم أن الكاتب يحتاج إلى معرفة وقائع التاريخ، وتفصيلاتها؛ ولا يكاد يستغنى عن العلم بشيء منها لأمر. منها العلم بأزمنة الوقائع والمجاريات؛ وأحوال الملوك والأعيان والحوادث، والمجاريات الحاصلة بينهم؛ فيحتاج بكل واقعة منها في موضعها، ويستشهد بها فيما يلائمها، ويحتاج لمثل ذلك؛ فإنه متى أحلَّ بمعرفة ذلك

أحتج بالقصة في غير موضعها ، أو نسبها إلى غير من هي له ، أو لبس عليه خصمه بالاستشهاد بواقعة لا حقيقة لها ، أو نسبها إلى غير من هي له ليظهر مجتته عليه ، وما يجري مجرى ذلك ؛ وفيه مقصدان .

### المقصد الأول

( في ذكر نبذة تاريخية لا يسع الكاتب جهلها مما يحتج به الكاتب تارة  
ويذاكر به ملكه أو رئيسه أخرى )

اعلم أن التاريخ بحر لا ساحل له ، وقد أكثر الناس فيه من التصنيف على اختلاف فنونه : ما بين مختصر ، ومبسوط : من مقتصر على فن ، ومستوعب لفنون ، وفي خلال تلك المصنّفات نوادير غريبة ، ولطائف عجيبة ؛ لا يحصل الوقوف عليها إلا بعد استيعابها بالمطالعة ، كما لا يقع الظفر بالجوهر في المعدن إلا بعد عمل كثير يحصل في خلالها بغتة ؛ فإذا التقطت الجواهر من المعدن ، سهل تناولها لمريدها ؛ وهي على ضربين .

### الضرب الأول

(الأوائل)

وهي معرفة مبادئ الأمور المهمة ، وقد أفردها أبو هلال العسكري بالتصنيف ، وأورد الثعالي منها في كتابه "لطائف المعارف" نبذة صالحة ، وتضمنت كتب التاريخ منها جملة مما لم يتعرضوا إليه ؛ وقد اقتصرت منها على ما تشوّف نفوس أكثر الناس إلى معرفته والأطلاع عليه : مما توفرت الدواعي عليه ، فاستمر وجوده ، وأنسحب عليه حكم الاستعمال إلى الآن ، أو أشتهر في مبدأ أمره ، ثم زال بعد ذلك ؛ جاريا في ترتيبه على وجه يقرب تناوله ، مقدما الأهم فالأهم بالنسبة إلى حال الكاتب :

## أُمُور تُتَعَلَقُ بِالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

(سِوَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ مِمَّا شَاكَلَ غَيْرَهُ)

أَوَّلُ مَنْ اسْتَرْقَى الرِّقَقَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . أَوَّلُ مَنْ شَابَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ قَصَّ شَارِبَهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ فَرَّقَ شَعْرَهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَمَضَّمَصَ ، وَأَوَّلُ مَنْ آسَتَاكَ ، وَأَوَّلُ مَنْ قَلَّمَ الْأَطْفَارَ ، وَأَوَّلُ مَنْ آسْتَجَى ، وَأَوَّلُ مَنْ آخَتَنَ ، وَأَوَّلُ مَنْ رَمَى الْحِمَارَ .

## الْخِلَافَةُ وَمَا يَتَعَلَقُ بِهَا

أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ خَلِيفَةً أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ يُخَاطَبُ بِخَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْقَابِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّالِثَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اسْتَخْلَفَ مِنَ الْخُلَفَاءِ : اسْتَخْلَفَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى وِلَايَةِ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ فُرْضَ لَهُ الْعِطَاءُ فِي بَيْتِ الْمَالِ عَنِ الْخِلَافَةِ ، وَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ أَوْصَى بِإِعَادَةِ جَمِيعِ مَا حُمِّلَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ مَالِهِ .

أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذَا اللَّقَبِ فِي جُمْلَةِ الْأَلْقَابِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّالِثَةِ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَّبَ بَيْتَ الْمَالِ فِيمَا ذَكَرَهُ الْعُسْكُرِيُّ ، لَكِنَّهُ قَدْ ذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ مِنْ قَبْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَيَكُونُ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ ؛ وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى وَكَالَةِ بَيْتِ الْمَالِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَّرَ الْكُورَ وَمَسَحَ أَرْضَ السَّوَادِ ، وَرَتَّبَ الْخَرَاجَ عَلَى الْأَرْضِيْنَ ، وَالْحَزْبِيَّةَ عَلَى

(١) الجَمَاجِمُ ؛ وهو أول من حَمَلَ الطَّعام من مصر إلى الحجاز ؛ وذلك في عام الرمادة عند غلوّ السعر بالحجاز . وسيأتى ذكره في الكلام على خليج القاهرة في أوائل المسالك والممالك .

أول من أقطع القطائع من الخلفاء أمير المؤمنين عثمانُ بن عفان رضى الله عنه ؛ وسيأتى ذكره في الكلام على الإقطاعات في المقالة السادسة ، وهو أول من حمى الحمى لنعم الصدقة من الخلفاء ، وهو أول من اتخذ صاحب شرطة من الخلفاء .

أول من اتخذ بيتاً ثرى فيه قصص أهل الظلمات أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبقي حتى كُتِبَ له شتمه في رُقعة ، وطُرِحَتْ في البيت فتركه ؛ ثم آخذه المهديّ بعده ، ثم ترك بعد ذلك .

أول من سلّم عليه بالخلافة فليل السلام عليك يا أمير المؤمنين معاوية ؛ وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم ؛ وهو أول من عهد إلى ابنه بالخلافة ، عهد بها إلى ابنه يزيد ، ثم تبعه الكثير من الخلفاء على ذلك ؛ وهو أول من استخلف في حال صحته وإلا فأبو بكر لم يستخلف عمر إلا في مرض موته ، وعمر لم يجعل الأمر شورى إلا وهو مطعون ؛ وسيأتى ذكر ذلك جميعه في الكلام على ولاية الخلفاء في المقالة الخامسة ، وهو أول من اتخذ المقصورة في المسجد لصلاة الجمعة ؛ وقيل آخذه مروان قبله ، وقيل عثمان ؛ وهو أول من نهى عن الكلام بحضرته من الخلفاء ، وكان الناس قبل ذلك يردون على الخليفة ويعترضونه فيما يقول ؛ وهو أول من اتخذ ديوان الخاتم لخم الكتب ؛ وسيأتى ذكره في الكلام على اللواحق من المقالة الثالثة ، وهو أول من اتخذ البريد في الإسلام ؛ وسيأتى ذكره في الكلام على البريد في خاتمة الكتاب .

(١) في الأصل الزيادة وهو تصحيف .

(٢) يظهر أن قبله سقطا وما بعده يدل على أن المتكلم فيه الآن عبد الملك بن مروان فإنه أول من

نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء فليحذر .



أول من سار في الناس بالجبرية من الخلفاء وأمر أن لا يُخاطب باسمه كما يخاطب الخلفاء قبله الوليد بن عبد الملك فاتفق أن خالف رجل نخاطبه باسمه فأمر به فوطئ .  
 أول من رتب مراتب الخلافة وأقام حاجبا للاستئذان عليه أبو جعفر المنصور، وأتخذ في قصره بيتا يجلس فيه الناس حتى يؤذن لهم ، وهو أول من آتخذ الأتراك اتخذ حمادا التركي ، ثم آتخذ المهدي بعده مباركا التركي ، ثم أكثر الخلفاء من الأتراك بعد ذلك .  
 أول من جلس للصائب من الخلفاء على البساط دون الأنماط هارون الرشيد حين نعي إليه قريبه : إبراهيم بن علي ، فاتخذ الخلفاء ذلك دأبا في المآتم .  
 أول من نعت على المنبر بنعت الخلافة الأمين بن الرشيد فقيل : اللهم وأصلح عبدك وخليفتك عبد الله محمدا الأمين .

أول من أضيف لقبه من الخلفاء إلى اسم الله المعصم فقيل المعصم بالله ، ثم تبعه الخلفاء على ذلك ؛ وسيأتي ذكره في الكلام على الخلفاء في المقالة الثانية .  
 أول من حوّل السنة الشمسية إلى السنة القمرية وأقر النيروز المتوكل ؛ وسيأتي ذكره في تحويل السنين في المقالة السابعة ، وهو أول من أمر بتغيير زى أهل الذمة ؛ وسيأتي ذكره في الكلام على عتد الصلح لأهل الذمة في المقالة السابعة .

### أُمُورُ تُتَعَلَّقُ بِالْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ

أول من لبس التاج الضحّاك أحد ملوك الفرس وهو الخمرود فيما يقال ؛ وفي زمنه كان إبراهيم الخليل عليه السلام .  
 أول من مسح الأرضين ، ووضع الدواوين ، ووضع الخراج على الأرضين ، ووطّف الموظّفات على البلاد قيذار أحد ملوك الفرس ، وآتخذ لذلك ديوانا وسماه ديوان العدل .

أول من جلس على السرير من ملوك العرب جَذِيعَةُ الأبرش، وهو أول من وقعت له السُّمعة من ملوك العرب، وأول من لبس الطُّلُوق منهم .

أول من مَشَتْ الرجال معه وهو راكب الأشعثُ بن قيس، كانت بنو عمرو بن معاوية مَلَكُوهُ عليهم وتَوَجَّوهُ .

أول من مَشَى بين يديه بالأعمدة الحديد زيادُ بن أبيه، وهو أول من جلس الناس بين يديه على الكرسي، وهو أول من اتَّخَذَ العَسَسَ والحَرَسَ .

أول من سَلَّمَ عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة فقبل السلام عليك أيها الأمير، وكانوا قبل ذلك يقولون السلام عليكم، ثم تبعه الأمراء على ذلك .

أول من حَمَلَ إليه التَّلَجُ الحجاج بن يوسف، وسيأتي ذكره في الكلام على حَمَلِ التَّلَجِ لصاحب الديار المصرية في خاتمة الكتاب .

أول من نَقَشَ اسمه من الملوك على الدنانير والدرهم مع الخلفاء عِزُّ الدَّوْلَةِ بن بويه وإخوته ملوك الديلم القائميين على الخلفاء العباسيين ببغداد، في سنة أربع وثلاثة وثلاثمائة، ثم تبعهم الملوك على ذلك .

أول من حَمَلَ السَّنَجَقَ على رأسه من الملوك غازي بن زنكي صاحب الموصل، وهو أول من آخَ تَارَ الأجناد أن يركبوا بالسيوف في أوساطهم والدُّبَابِيسَ تحت ركبهم .

أول من حَمَلَ الشمع معه على البغال في الليل من ملوك الديار المصرية محمد بن طُغْجِ الإخشيد، وكانت الشمعة تجعل على مؤخر البغل وفَرَّاشَ راكب أمامها، وهو يلتفت في كل قليل يصـلحها، فأبدلها الملوك بعده بهذه الفوانيس التي تجعل على البغال مع الفانوسية أمام ملوك الديار المصرية في الليل .

أول من لُقِّبَ من وزراء الفاطميين بالديار المصرية بالملك فلان رضوان بن ولخشي وزير الحافظ : لقب بالملك الأفضل، وكان من قَبْلِهِ من الوزراء لا ينعى بالملك .

أول من لف العمامة على الكلوة من ملوك الديار المصرية الأشرف خليل بن قلاوون ، وكانت ملوك بنى أيوب يلبسون كلوة صفراء بغير عمامة ولذلك تراهـم يطلقون على أرباب الأقالـم المتعممين فى مقابلة أن الجند كانوا بغير عمامـم .

أول من أعتاد حلق رأسه من ملوك الديار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاوون حين حج ، وتبعه الأمراء والجند على ذلك وأستمر الأمر على ذلك إلى الآن ، وكان لهم قبل ذلك غدائر شعر مرسلـة كعرب الحجاز ونحوهم .

### الوزراء

أول من سـمى وزيرا فى الإسلام أحمد بن سليمان الخلال ، وزير السقـاح أول خلفاء بنى العباس ، ثم تبعه وزراء الخلفاء والملوك على ذلك ، وكانوا قبل ذلك يقولون كاتبـا . أول من لُقّب بالصاحب من الوزراء ، كافى الكُفـاة إسماعيل بن عبـاد ، وكان السبب فى ذلك أنه كان يصحب الأستاذ أبـن العميد فكانوا يقولون صاحب أبـن العميد ، ثم غلب عليه اللقب حتى قيل له الصاحب مجـردا وتبعه الخلفاء على ذلك ، وسيأتى ذكره فى الكلام على هذا اللقب فى المقالة الثالثة .

أول من لقب بالملك الفلانى من وزراء الفاطميين بالديار المصرية رضوان بن ونحشى وزير الحافظ ، لُقّب الملك الأفضـل ، ثم صار رسما لوزرائهم بعد ذلك ، وتبعهم ملوك الديار المصرية على ذلك إلى الآن .

### القضاة

أول قاض كان فى الإسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أستقضاها أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فى خلافته فكث سنة لا يأتية أحد فى قضية .

أول قاض بالمدينة النبوية عبد الله بن نوفل ، استقضاه عليها أمير المؤمنين عمر  
ابن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته .

أول قاض بالكوفة جبير بن القشعم .

أول قاض بالبصرة أبو مريم الحنفى ، أحد بنى حنيفة ، استقضاه أميرها عمرو  
ابن غزوان فى سنة أربع عشرة من الهجرة .

أول قاض بمصر قيس بن أبى العاص السهمى ، استقضاه عليها عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه ، فى خلافته فى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة .

أول قاض جمع له القضاء والشرطة بمصر عائش بن سعيد وليهما من قبل أميرها  
مسلمة بن مخلد .

أول قاض بمصر نظر فى الأحباس يعنى الأوقاف بمصر أبو محجن توبة فى خلافة  
هشام بن عبد الملك ، وكانت الأوقاف قبل ذلك بيد أربابها أو أوصيائهم — فقال :  
هذه مآلها إلى الفقراء والمساكين فأنا أضع يدى عليها ، فما مضت له سنة حتى صار  
لها ديوان عظيم .

أول قاض بمصر خرج لرؤية الهلال عبد الله بن لهيعة . قال أبو عمر الكندى ،  
وهو أول قاض ولي مصر عن خليفة ، ولها عن أبى جعفر المنصور فى أول سنة  
خمس وخمسين ومائة .

أول قاض ولى مصر ممن يقول بقول أبى حنيفة أبو الفضل إسماعيل بن اليسع  
الكندى ، وكان أهل مصر قبله لم يعرفوا مذهب أبى حنيفة ولم يألوه ، وكان يرى  
بطلان الأوقاف ، فكتب الليث فيه إلى أبى جعفر المنصور فكتب إليه بعزله .

أول قاض بمصر أدخل النصارى فى خصوصاتهم إلى المسجد أبو عبد الرحمن محمد ابن مسروق ، وكانت ولايته لها من قبل الرشيد فى سنة سبع وسبعين ومائة ، وهو أول من آخذ لمجلسه الشهود من قضاة مصر .

أول قاض ولي مصر من يقول بقول مالك أبو نعيم إسحاق بن الفرات مولى معاوية ابن حديج ، وللشافعى عليه ثناء جميل فى معرفة الخلاف ، وهو أول قاض آخذ للشهود ديوانا وكتب أسماءهم فيه ، وكانت ولايته من قبل الرشيد فى سنة بضع وثمانين ومائة . أول قاض وثلى على المصاحف أمينا بجامع القسطنطين الحارث بن مسكين ، وكانت ولايته فى خلافة المتوكل .

أول ما استقرت قضاة الديار المصرية أربعة ، من كل مذهب قاض فى سلطنة الظاهر بيبرس البندقدارى . وذلك أن القضاء بها كان بيد القاضى تاج الدين ابن بنت الأعز وكان شافعيًا ، فكانت تأتية المكاتيب المخالفة لمذهبه فيتوقف فيها فسق ذلك على السلطان والأمراء فاتفق رأيهم على أن يجعلوا من كل مذهب قاضيا ليقضى كل منهم بمذهبه .

أول ما خص قاضى القضاة الشافعى بالديار المصرية بالتولية فى أعمالها دون رفقته الثلاثة فى سلطنة المنصور قلاوون فى شوال سنة ثمان وسبعين وستائة ، ذكره ابن المكرم فى تذكرته .

### الأمور العلمية

أول من أخطأ فى القياس إبليس ، حيث قال ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ أو لم يعلم أن ما ألقى إلى جوهر الطين زاد ونما ، وما ألقى إلى جوهر النار اضمحل وتلاشى .

- أول من نطق بالحكمة أنوش بن شِيث بن آدم عليه السلام .
- أول من دلّ على تركيب الأفلاك ، وقدر مسير الكواكب ، وكشف عن أحوال تأثيراتها ، ونبه على عجائب الصنع فيها إدريس عليه السلام .
- أول من نظر في الطب افريدون ملك الفرس بعد الضحاك ، وفي أيامه ظهرت الفلاسفة وتكلموا في علومهم .
- أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي بأمر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وهو أول من نقط المصاحف النقط الأول على الإعراب .
- أول من صنّف في علم الكلام واصل بن عطاء المعتزليّ .
- أول من تُرجم له كتب الطب والنجوم وغيرها من كتب العلوم الفلسفيّة خالد بن يزيد ، ثم تلاه المأمون فأكثر من ذلك .
- أول من صنّف في غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى .
- أول من صنّف في أصول الفقه الإمام الشافعي رضي الله عنه ، صنّف فيه كتابه الرسالة .
- أول من صنّف في الفقه مالك بن أنس صنّف كتابه الموطأ .
- أول من عمل العروض الخليل بن أحمد ، وهو أول من صنّف اللغة مرتبة على حروف المعجم صنّف كتابه " العين " .
- أول من صنّف في علم البديع عبد الله بن المعتز .
- أول من سنّ الإساءة والاعتداء في البحث فرعون ؛ بينا هو وموسى عليه السلام في مقام المناظرة حيث قال ﴿ وما رَبُّ العالمين ﴾ فأجابه موسى بقوله ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وما بينهما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ إلى آخر المناظرة بينهما إذ قال ﴿ لَئِنْ اتَّخَذَتِ الْإِلَٰهُ غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ .

## الخطابة

أول من جمع قريشا وخطبهم ونبه على أن النبي "صلى الله عليه وسلم" منهم قصي  
 ابن كلاب، وسيأتي ذكره في الكلام على مكة في المسالك والممالك في المقالة الثانية.  
 أول من خطب على العصا وعلى الراحلة قُتُس بن ساعدة الإيادي، وقد تقدم  
 ذكر خطبته التي خطبها على الراحلة في الكلام على الخطب .  
 أول من عمل المنبر تميم الداري عمله للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان قد رأى منابر  
 الكنائس بالشام .

أول من أرتج عليه في الخطبة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال : أيها الناس إن  
 اللذين كانا من قبلي كانا يُعدّان لهذا المقام مقالا، وأتم إلى إمام عادل أحوج منكم  
 إلى إمام قائل، وستأتيكم الخطبة على وجهها في الجمعة الأخرى ثم نزل .  
 أول من خطب جالسا معاوية حين كثر شحمه .

أول من أقام الجمعة بالمدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم، أسعد بن زُرارة  
 الأنصاري بنى بياضة .

أول من رفع يده في الخطبة يوم الجمعة عبيد الله بن عبد الله بن عمر .  
 أول من أخرج المنبر في العيد مروان بن الحكم ولم يكن قبل ذلك يُخرج .

## الخط

أول من خط بالقلم في الجملة قيل آدم عليه السلام وقيل إدريس .  
 أول من كتب بالعربية قيل هود عليه السلام أنزل عليه ، وقيل إسماعيل ،  
 وقيل ثلاثة نفر من بولان من طيء أصطلحوا على ذلك ، وسيأتي ذكره في الكلام  
 على الخط في الباب الثاني من هذه المقالة .

## كتابة الإنشاء

أول من كتب في أول الكتب بسم الله الرحمن الرحيم سليمان عليه السلام ، حين كتب لبليقيس كما أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ثم كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت .

أول من كتب في أول الكتب باسمك اللهم أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْت ، فكتبها قُرَيْشٌ في كتبهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يكتبها في ابتداء الأمر ، وسيأتي ذكر جميع ذلك في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة .

أول من كتب من فلان إلى فلان قُسْ بن ساعدة فيما قاله العسكري وأقره النبي صلى الله عليه وسلم ، في مكاتباته ، وسيأتي ذكره في الكلام على الفواتح في المقالة الثالثة .

أول من زاد في أوائل الكتب بعد التمجيد ” وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله “ هارون الرشيد ؛ وسيأتي ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة .  
أول من أترخ بالهجرة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وسيأتي ذكره في الكلام على الخواتم في المقالة الثالثة .

أول من كتب في آخر كتابه وكتب فلان بن فلان أبي بن كعب قاله العسكري .  
أول من ختم الكتب سليمان عليه السلام فقد قيل في قوله تعالى حكاية عن بليقيس ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾ إن المراد به المختوم . وأول من ختمها في الإسلام النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قيل له : إن ملوك الأعاجم لا يقرءون كتابا غير مختوم فاتخذ خاتما نقش فصفه محمد رسول الله فكان ينحتم به الكتب ، وسيأتي ذكر ذلك في الكلام على الخواتم .



أول من آتخذ الطين لخم الكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قاله الثعالبي في "لطائف المعارف" .

أول من آتخذ ديوان الخاتم معاوية بن أبى سفيان ، حين كتب لرجل بمائة ألف درهم ففك الكتاب فأصلحها مائتين ، قاله الثعالبي في "لطائف المعارف" .

### كتابة الأموال وما فى معناها

أول من آتخذ الديوان فى الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وضع ديوان الجيوش . وسيأتى ذكره فى الكلام على الإقطاعات فى المقالة السادسة .

أول من جعل الحساب فى دفتري خالد بن برمك فيما قاله الثعالبي ، وكان قبل ذلك فى أدراج من كاغذ ورق .

أول من نقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية المجاج بن يوسف فى خلافة عبد الملك بن مروان ؛ نقله له صالح بن عبد الرحمن ؛ كاتب كاتبه زاذان فروخ فكان كتاب العراقيين علماء وتلاميذ<sup>(١)</sup> .

أول من نقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية عبد الملك بن مروان ، نقله له سليمان بن سعيد مولى الحسين كاتب رسائل عبد الملك ، فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام .

أول من نقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية عبد العزيز بن مروان فى إمارته على مصر ، ذكره صاحب "المنهاج فى صناعة الخراج" .

أول من وسع فى أرزاق الحكّاب الفضل بن سهل وزير المأمون .

(١) فى الأصل فروج بالمهملة فكان كبار العراقيين وهو تصحيف فأحذره .

## الخَرَاجُ وَالْجَزِيَّةُ

أول من وضع الخَرَاجَ وأزال المقاسمة كسرى أنوشروان؛ وذلك أنه مر على زرع وأمرأة تمنع ولدها منه؛ فسألها عن ذلك، فقالت : إن للملك فيه حقا، ولا نستحله حتى يأخذ الملك حقه، فقرر على الزرع قدرا معلوما وخلى بين الغلة وأصحابها .

أول من وضع الخراج على الأَرْضَيْنِ والجَزِيَّةَ على الجاهل في الإسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السَّوَادَ؛ ثم رسم بالمقاسمة أبو جعفر المنصور حين خرب السَّوَادَ .

أول من ألزم الخراج كلفة الحمل ومؤنته زياد بن أبيه فبقى حتى أسقطه زياد ابن أبيه<sup>(١)</sup> .

أول من عَرَّفَ العرفاء على الناس لجباية المال وغيره زياد، وكان يقول : العرفاء كالأيدي والمناكب فوقها .

## المعاملات

أول من ضرب الدينارين والدراهم في الإسلام عبد الملك بن مروان ، ضربها بالشام من فضة خالصة، وكان الناس قبل ذلك يتعاملون بديناهم الفرس والروم؛ ولما ضربها عبد الملك كتب إلى الحجاج بالعراق بإقامة رسم ذلك، فضرب الدراهم ونقش عليها قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إلى آخر السورة ، فسُمِّيت الدراهم الأحديَّةُ ، وكرهها الناس لنقش القرآن عليها، مع أنه قد يحملها المحدث، فسُمِّيت المكروهة .

قلت : وقد رأيت درهما من هذه الدراهم الأحديَّةِ ، أرائيه بعض أعيان حلب، وذكر لي أن فلاحا أصاب رِكَاظًا لطيفا بها فأحضره إلى نائب حلب خوف عُهْدَتِهِ ،

(١) كذا في الأصل .

فأقسّمه هو وأهل مجلسه ، وعوّضه من كل درهم أضعافه ، فحصل لوالد ذلك الرئيس هذا الدرهم فوصل إليه بعده .

أول من شدّد في العيار في الدراهم يوسف بن عمر ، أمر أن لا يضرب درهم ينقص حبة فما فوقها ، ثم استخفّ درهما فوجده ينقص حبة ، فأمر أن يضرب كل رجل من الضرائين ألف سوط ، وكانوا مائة ضراب ، فضرب في نقص حبة واحدة مائة ألف سوط .

أول من شدّد في خلوص الذهب أحمد بن طولون صاحب مصر والشام ، وذلك أنه حين وجد الكثر المشهور بعين شمس ، وأتى له منه بميت وعلى صدره لوح ذهب مكتوب بالقبطية فعرّب فإذا فيه : أنا أكبر الملوك وذهبي أخلص الذهب ؛ فقال : قاتل الله من يكون هذا اللعين أكبر منه أو ذهبه أخلص من ذهبه ، ثم شدّد في التعليق حتى كان قاضي القضاة يحضّره بنفسه ، وسيأتى الكلام على ذلك في معاملة الديار المصرية في المقالة الثانية .

أول من ضرب الدراهم الزئوف في الإسلام عبيد الله بن زياد .

أول من آتخذ السنة الموازين من الحديد عبد الله بن عامر أمير المدينة من قبل عثمان .

أول من عمل الأوزان الحجاج بن يوسف ، عملها له سمير اليهودي ، وذلك أن الحجاج حين ضرب الدراهم الأحديّة على ما تقدّم ضربها سمير اليهودي من فضة خالصة أيضا وجعل فيها ذهبا فأراد الحجاج قتله ، فقال : ألا أدلك على ما هو خير للمسلمين من قتلي ؛ قال : هاته ، فوضع الأوزان ، وزن ألف ، ووزن خمسمائة ، ووزن ثلثمائة إلى وزن ربع قيراط فجعلها حديدا ونقشها وأتى بها إلى الحجاج فعفا عنه ، وكان الناس قبل ذلك إنما يأخذون الدرهم الوزان فيزنون به غيره .

أول من آتخذ الذراع التي يُذَرَع بها الأرضون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين مسح السّواد . وقيل أول من آتخذها زياد ، نظر إلى ثلاثة نفر من أطولهم ذراعا وأوسطه وأقصيه فجمعها وأخذ ثلثها فجعلها ذراعا .

### العمارة

أول بيت وضع في الأرض الكعبة ، بنتها الملائكة ، قال تعالى ﴿ إِنِّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ﴾ .

أول من جعل للكعبة بابا أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .  
أول من سقّف بمكة سقفا قصي بن كلاب ، وكان الناس قبل ذلك إنما يتزلون في العريش .

أول من بوّب بمكة بابا حاطب بن أبي بلتعة .

أول من آتخذ بمكة رَوْشَنَا بُدَيْل بن رِقَاءَ الْخَزَاعِي . وهو أول من بنى بها بيتا مربعا ، وكانوا قبل ذلك يتحامون التربع في البناء كيلا يُشَبَّه ببناء الكعبة .

أول قرية بُنِيَتْ بعد الطوفان قرية ثمانين ، من الجزيرة الفراتية ، بناها نوح عليه السلام ، وأُنزل بها من كان معه في السفينة وهم ثمانون رجلا .

أول مدينة بُنِيَتْ بمصر بعد الطوفان مدينة منّف وأصلها بالسريانية مافه ومعناها ثلاثون ، سميت باسم جماعة مِصر بن بَصر الذين كانوا معه ، وسيأتي ذكرها في جملة قواعد مصر القديمة في المقالة الثانية .

أول من عمل الحِمَام سليمان عليه السلام ، صنعها له الجحش وعملوا له النُّورة لإزالة شعر كان علي بلقيس حين تزوجها فيما يقال .

أول من آتخذ الأجر هاما لفرعون حيث قال له ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾ .

أول من بنى بالجص والأجر في الإسلام زياد ابن أبيه بالبصرة .

## الزراعة

أول من غرس النخلة أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .

## الصناعات

أول من خاط الثياب إدريس عليه السلام، وكان الناس قبل ذلك يلبسون الجلود .

أول من عمل القراطيس يوسف عليه السلام . وقيل غيره ؛ وسيأتي ذكره في الكلام على ما يكتب فيه في المقالة الثالثة .

أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام ؛ قاله الثعالبي .

أول من عمل الكيمياء قارون ، ويقال إنه المراد بقوله تعالى حكاية عنه ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ .

أول من عمل الزجاج ملكي أحد ملوك مصر بعد الطوفان ، وسيأتي ذكره في الكلام على ملوكها في المقالة الثانية .

أول من آتخذ الرّحال عِلاف<sup>(١)</sup> بن زبّان الحميري ، وكانت العرب قبل ذلك يركبون الخناصر .

أول من كسا الكعبة في الجاهلية تبع<sup>ؓ</sup> : أسعد أبو كرب .

(١) . وقع في المخصص ربان بإهمال الزاوي في القاموس والصحيح بإعجمها وهو الأقرب .

أول من اتخذ المحامل له المجاج بن يوسف .  
 أول من اتخذ السياط الأصبح بن مالك ، أحد ملوك اليمن فقيل السياط  
 الأصبحية .

### اللباس

أول من لبس الثياب الحمر قارون ، ويقال إنه المراد بقوله تعالى ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ . وهو أول من أطال ثيابه وسحبها على الأرض تحجباً وتبهاً .

أول من قور طيلسانا من العرب في الإسلام عبد الله بن عامر أمير المدينة من  
 قبل عثمان . والطيلسان المقور على نحو الطرحة التي يلبسها الوزراء وقضاة القضاة  
 الآن ، وكانت وزراء الفاطميين يلبسونها . وهو أول من لبس الخبز ، فقال أهل  
 المدينة لبس الأمير جلد دب .

أول ما لبس بنو العباس السواد حين قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية  
 إبراهيم بن محمد الإمام أول قائم منهم بطلب الخلافة حزناً عليه ، فاستمر فيهم ، وفيه  
 كلام يأتي في المقالة الثانية عند الكلام على لبس الخلفاء .

أول من لبس الخفاف الساذجة بالبصرة زياد بن أبيه .

أول من آخذت النعال من العرب جذيمة الأبرش .

أول من خلع نعليه عند دخول الكعبة في الجاهلية الوليد بن المغيرة .

أول من لبس النعال الصرارة المرواني كان قصيرا فاتخذ النعال الغلاظ الصرارة  
 لتزيد في طوله وليسمعه جواريه وحرمه عند دخول بيته ففصل شأنها من كانت على  
 غير هيئة صالحة . قال العسكري : من ثم اتخذ الناس نعال الخشب يعني القباقيب .

أول من أمر بتغيير زيّ أهل الذمة المتوكّل ، أمرهم أن يلبسوا العسلّى ، ويتخذوا رُكب الخشب ونحو ذلك فيمتازوا عن المسلمين ، وسيأتى ذكره في عقد صلح أهل الذمة في المقالة السابعة .

### الحرب وآلاته

أول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام ، وكانت قبله وحوشا لا تُركب فراضا وركبها ، وتعلّم بنوه رياضتها منه ، فصارت فيهم إلى الآن . ولذلك العرب أعرفُ الناس بالخيّل . وهو أول من ميّزين العتاق منها والهُجُن في سهام أصحابها ، فسبقت العتاق الهُجُن .

أول من اتخذ الدروع وليسها داود عليه السلام إذ يقول تعالى ﴿ وَاللَّهُ لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ <sup>(١)</sup> وكانوا قبل ذلك يلبسون تنانير من حديد .  
أول من اتخذ السّلاح وجاهد سليمان عليه السلام فيما قاله العسكرى وفيه نظر .  
أول من اتخذ الحديد من العرب ذُويزَن الحميري ، وكانت أسنّتهم قبل ذلك صيّا صيّ البقر .

أول من اتخذ الحصن من الجبل للكائن الإسكندر .

أول من اتخذ المنجنيق الضّحّاك حين أراد إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ، وضعه فيه ورمى به في النار فكانت عليه بردا وسلاما . وأول من اتخذ من العرب جذيمة الأبرش .  
أول من اتخذ الجواسيس والعيون على العدو الإسكندر .

أول لواء عقده النبي صلى الله عليه وسلم ، لواء أبيض لعمه حمزة وقال "خُذْهُ يَلَأَشَدَّ اللَّهُ" وذلك في رمضان من السنة التي هاجر فيها ، وحمله له يزيد بن أبي يزيد .

(١) لعل مراده صفائح من حديد كما هو نص الأوائل والتفاسير واللفظة في نسخة الخط غير مجوّدة .

أول ما عُقدت الرايات في الإسلام يوم حُنين، عقد صلى الله عليه وسلم، راية سوداء من بُرد عائشة، وكانوا قبل ذلك لا يعرفون إلا الأولوية قاله العسكري .

أول من قتله النبي صلى الله عليه وسلم، بيده أبي بن خلف لعنه الله، طعنه صلى الله عليه وسلم طعنة خفيفة فوجد لها ألماً شديداً ف قيل له لن تبالي فقال : لو أن ما بي بأهل الأرض لقتلهم، ومات منها .

أول حرب كان بين أهل القبلة يوم صفين ، بين عائشة وعلى رضي الله عنهما .

### الأسماء والألقاب

أول من سُمي المصحف مُصحفاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين جمع القرآن .

أول من سُمي باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد بن حاطب حين وُلد بأرض الحبشة في الهجرة الأولى .

أول من سُمي بالحسن والحسين السبطان ولداً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو أحمد العسكري في كتابه "التصحيف والتحريف" قال المفضل حجب الله هذين الأسمين عن أن يسمي بهما حتى سُمي بهما النبي صلى الله عليه وسلم ، آبئيه عليهما السلام أما حسن وحسين الموجودان في أنساب طيئ فالأول بسكون السين والثاني بفتح الحاء وكسر السين .

أول من سُمي عبد الملك في الإسلام عبد الملك بن مروان .

أول من سُمي بعد النبي صلى الله عليه وسلم أحمد أبو الخليل واضع العروض ولذلك يقال فيه الخليل بن أحمد .

أول من سُمي الغالية غالية معاوية بن أبي سفيان شهماً من عبد الله بن جعفر فوصفها له فقال إنها غالية .



أول ما سميت العَطِيَّات جوائز في زمن عثمان رضى الله عنه ، وذلك أن ابن عامر كان على العراق من قبل عُثمان فبعث جيشا مع قَطَن بن عبد عوف الهلالي إلى كِرْمَان ، بخري الوادى بسيل خيف منه الغرق ، فقال قَطَن من عبّره فله ألف درهم ، فعبّره رجلاً ثم آخر ثم آخر حتى جاز جميعهم فأعطاهم قَطَن ألفاً ألفاً فكان جملة ذلك أربعة آلاف ألف ، فاستكثرها ابن عامر فكتب بها إلى عثمان فأجازها ، وقال : كل ما كان في سبيل الله فهو جائز .

أول ما لُقّب بفلان الدولة في أيام المكتفى بالله .

أول ما لقب بفلان الدين في أيام القادر بالله ؛ وسيأتى ذكره في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة .

### الضّيفان

أول من قرئ الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام حتى كُنّي أبا الضّيفان لكثرة قرّاه لهم .

أول من سنّ للضيف صدر المجلس بهرام جور : أحد ملوك الفُرس .

أول من هشم الثريد للقرى في زمن المحل هاشم بن عبد مناف ، وبذلك سمى هاشما وكان اسمه قبل عمرا .

أول من فطر جيرانه في شهر رمضان عبيد الله بن العباس بن عبد المطاب . وهو أول من حمل الطعام على رءوس الناس لكثيرته وأول من أنهبه .

### وجوه السير

أول من اتخذ البيارستان بالشام للرضى الوليد بن عبد الملك .

أول من آخذ النيروز بمصر أحمد بن طولون بناه بالفسطاط ، وهو موجود إلى الآن .

أول من فوض إلى الناس إخراج زكاتهم بأنفسهم عثمان بن عفان رضى الله عنه .

### الأعياد والمواسم

أول من آخذ النيروز من الفرس جما الملك ، وهو الذى بنى مدينة طوس ، يقال إنه كان فى زمن هود عليه السلام ، كان الدين قبله قد تغير وظهر الجور ، فلما ملك جدد الدين وأظهر العدل فسمى اليوم الذى ملك فيه نوروز أى يوم جديد عزبته العرب فقلبوا الواو ياء فقالوا نيروز .

أول هدية كانت فى النيروز لجما الملك المتقدم ذكره ، وذلك أنه لم يظهر القصب إلا فى أيامه فذاقه بعض الناس فاستحلاه فصنع منه السكر فوافق فراغه فى أول يوم ملك فيه جما وهو يوم النيروز فأهدى إليه منه فى ذلك اليوم ، فصار سنة عندهم ، فهم يتهادون فيه بالسكر ، ثم توسعوا فيه فتهادوا بغير السكر .

أول ما ظهر المهرجان فى زمن أفريدون القائم بعد الضحاك من ملوك الفرس ، وذلك أنه لما ظفر بالضحاك فقيده وآتقطع ما كان فى زمنه من الظلم والفساد سُمى اليوم الذى ظفر به فيه المهرجان . قال العسكرى : والمهر الوفاء كأن معناه سلطان الوفاء ، وكان سبيل الملوك فيه سبيل النيروز .

أول من آفتح المكتبة بتهنئة النيروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سقط ذهب فيه قطعة عود هندية فى طوله وعرضه ، وكتب معه "هذا يوم جرت فيه العادة ، بالطاف العبيد السادة" .

## الأقوال

أول من قال أما بعد داود عليه السلام، ويقال إنها فصل الخطاب المشار إليه بقوله تعالى ﴿وَأْتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾ . وقيل أول من قالها قُش بن ساعدة .

أول من قال مَرَحَبًا سَيْفُ بن ذِي يَزَنَ ، قال ذلك لعبدالمطلب جدّ النبي صلى الله عليه وسلم ، حين وفّد عليه ليُهنّئهُ بـرجوع المُلْك إليه ، فقال له ” مَرَحَبًا وَأَهْلًا ، وناقةً وَرَحْلًا ، وَمَنَاخًا سَهْلًا ، وَمِلِكًا رَجُلًا ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلًا “ .

أول من قال جعلت فِدَاكَ عَبْدُ الله بن عمر رضى الله عنهما قالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة ، فقال ” جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا أَصْنَعُ ؟ “ . وقيل أول من قالها له عليّ بن أبي طالب حين دعا عمرو بن ودّ العامريّ إلى المبارزة ، فقال عليّ ” جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي ؟ “ ثمّ آستعملها الكتابُ بعد ذلك في مكاتباتهم .

أول من قال أطلال الله بقاءك عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تكلم عليّ رضى الله عنه بحضرته في العدل بكلام أعجبه ، فقال له : صدقت أطلال الله بقاءك ؛ ثمّ نقلها الكتاب إلى استعمالها في مكاتباتهم .

أول من قال أيّدك الله عمر بن الخطاب قاله لعليّ عليه السلام أيضا .

## الشعر والغناء

أول من قصّد القصائد مُهلِيل خال امرئ القيس ؛ والقصيد ما زاد على سبعة أبيات .

(١) في نسخة الخط والمطبوع السابق ونحلا وهو تصحيف وقد ذكرت الكلمة في اللسان في مادة رب ح ل .

أول من أطلال الرِّبْز العَجَّاجُ . قيل إن الرجز كان في الجاهلية إنما يقول منه الرجل البيتين أو الثلاثة في الحرب ونحوه حتى جاء العَجَّاج ففتح أبوابه وشبهه بالشعر، ووصف فيه الديار وأهلها ، والرسوم والفلوات ، ونعت الإبل والطُّلول ؛ وكان في أول الإسلام يشبه بامرئ القيس .

أول من أستخرج اللطيف من المعاني في الشعر وجرى على طريقه البديع مسلم ابن الوليد .

أول من أخرج الغناء العربيَّ جرادة جاريه ابن جُدعان فيما قاله العسكري . وفيه نظر فإن الغناء معهود من عهد عاد حتى كان من جملة مغنياتهم الجرادتان اللتان يضرب بهما المثل فيقال "غَتَّه الجَرَادَتَان" .

أول من علم الجوارى المَنَمَنات الغناء إبراهيم الموصلي ، وكان الناس بمكة لا يعلمون الجارية الحسناء الغناء .

### النساء

أول امرأة خُفِضَتْ هاجراً ثم إسماعيل ؛ وذلك أنها حين تغيرت عليها سارة لَتَسْرَى إبراهيم عليه السلام بها حلفت لتقطعن شيئاً من جسدها فأشار عليها إبراهيم أن تخفِضَها، وتشقَبْ أذنيها، وتجعل فيهما قُرطين ففعلت فزادت حسناً .

أول امرأة آكتحلَت بالإمْد زرقاء اليمامة ، وكانت تنظر مسيرة ثلاثة أيام .

أول امرأة تنبأت بِنَجَاح التيمية التي تزوجها مُسَلِّمة الكذاب .

أول امرأة لبست المصبغات في الإسلام شُميلة زوج عباس ، وهي أول من  
عبأت الطيب <sup>(١)</sup> .

### الموت والدفن

أول امرأة حُملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم .  
أول من دُفِنَ بالبقيع عثمان بن مظعون ، وهو أول من مات من المهاجرين بالمدينة .  
أول من دُفِنَ بقرافة مصر رجلٌ اسمه عامر فقال عمرو بن العاص : عمّرت والله .

### أمور تنسب للجاهلية

أول من حرّم الخمر في الجاهلية الوليد بن المغيرة ؛ وقيل قيس بن عاصم ؛ ثم جاء  
الإسلام بتقريره .

أول من حرّم القمار في الجاهلية الأقرع بن حابس التيمي ؛ ثم جاء الإسلام بتقريره .  
أول من رجم في الزنا في الجاهلية ربيع بن حذان ؛ ثم جاء الإسلام بتقريره في المحصن .  
أول من حكم أن الولد للفراش في الجاهلية أكرم بن صيفي حكيم العرب ، ثم جاء  
الإسلام بتقريره .

أول من قطع في السرقة في الجاهلية الوليد بن المغيرة ، ثم جاء الإسلام بتقريره .  
أول من سنّ الدية مائة من الإبل عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛  
وذلك أنه نذر إن ولد له عشرة ذكور ليذبحن العاشر فولد له عشرة ، وكان عاشرهم  
عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ، فرام ذبحه ، فعارضه قريش في أمره ، وأشير عليه  
بأن يُقرع بينه وبين الإبل حتى تخرج القرعة على الإبل ؛ فأقرع بينه وبين عشرة

(١) في اللسان يقال عبأ الطيب ... يعبؤه عبأ صنعه وخلطه .

فخرجت القرعة عليه، ثم زاد عشرة بعد عشرة وهي تقع عليه حتى بلغ مائة من الإبل ف وقعت القرعة عليها ففجرها، فكان النبي صلى الله عليه وسلم، يقول "أنا ابن الدَّبِيحَيْنِ" يعني إسماعيل وعبد الله، ثم جاء الإسلام بتقريبها .  
أول من أوقد النار بالمزدلفة حتى يراها من بالموقف قصي بن كلاب، فهي تُوقد إلى الآن .

أول من أهدى البدن إلى البيت إلياس بن مُضَر .  
أول من أظهر التوحيد بمكة قبل البعثة قُص بن ساعدة .  
أول من خَضَب بالوشمة من قريش عبد المطلب .  
أول من نَسَا النسيء، وسيب السائب، وجعل الوصيلة والحامي عمرو بن لُحِي وهو أبو خزاعة .

### الضرب الثاني

(من النبذ التاريخية التي لا يسع الكاتب جهلها نوادر الأمور ولطائف الوقائع والمساخرات)

### العراق وشرف الآباء

قال الثعالبي، أشرف الأنبياء في النبوة يعني تواصل الآباء فيها يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام؛ وشاهد ما قاله أن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول "الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم"، ولا يخفى أن إخوته عليهم السلام في هذه الرتبة في العراق .  
أعرق الأكاسرة في الملك شيرويه بن أبرويز بن أردشير بن بابك ملك ابن ملك ابن ملك .

(١) مراده أعرق الأنبياء كما تقتضيه العبارة بعد .

أعرق الناس في ضُحبة النبي صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي خُفافة رضى الله عنهم، أربعتهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم، وصحبوه.

أعرق الخلفاء في الخلافة المتتصر، بن المتوكل، بن المعتصم، بن الرشيد، بن المهدي، بن المنصور في آباءه خمسة آباء خلفاء وهو سادسهم فيها. وفي معناه أخواه المعتمد والمعتز، أما عبد الله بن المعتز وإن زاد أبا في الخلافة فإنه لم تمض عليه مدة تعتبر، ولذلك لا يعدّه أكثر المؤرّخين في جملة الخلفاء.

أعرق الناس في المُلْك والخلافة جميعا باعتبار الأصول والحواشي من الذكور والإناث يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. أما من جهة الخلافة فهو خليفة، وأبوه خليفة، وجدّه خليفة، وجدّ أبيه خليفة، وعمومته خلفاء. وأما من جهة المُلْك فأمه شاهر بنت فيروز، بن يزدجرد، بن شهریار، وأمها من بنات شيرويه ابن أبرويز، وأم شيرويه مريم بنت قيصر، وأم فيروز بنت خاقان ملك الترك.

أعرق الوزراء في الوزارة أبو عليّ الحسين، بن القاسم، بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، وأخوه أبو جعفر محمد بن القاسم، فإن القاسم وُزّر للمقتدر ومحمد وُزّر للقائم وأباهما القاسم وُزّر للمعتض ثم للكتفى بعده، وعبيد الله وُزّر للمعتض، وسليمان وُزّر للمهدي وبعده للمعتد فكل من الحسين ومحمد وزير ابن وزير ابن وزير يعني في آباءه ثلاثة وزراء، وهو الرابع فيها.

أعرق الناس في القتل عُمارة بن حمزة بن مُصعب بن الزبير بن العوام بن خُوَيْلِد، قتل عُمارة، وأبوه حمزة جميعا يوم قُدَيْد في حرب الإباضية، وقتل مُصعب بدير الحانليق في الحرب بينه وبين عبد الملك، وقتل الزبير بوادي السباع في نوبة الجمل،

وقتل العوام في حرب الفجار ، وقُتِل خُوَيْلِدٌ في حرب خُرَاعَةَ . قال الثعالبي ولا يعرف في العرب والعجم ستة مغبونون في نَسَقٍ واحد إلا آل الزبير .

أعرق الناس في الفقه إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة ، كان كل من إسماعيل وحماد فقيها وأبو حنيفة الإمام الأعظم .

أعرق الناس في القضاء بلال بن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : كان بلال قاضيا على البصرة ، وأبو بُرْدَةَ قاضيا على الكوفة ، وأبو موسى قاضيا لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .

أعرق الناس في حِجَابَةِ الخلفاء العبّاس بن الفضل بن الربيع ، فإن العبّاس حجب الأمين ، والفضل حجب الرشيد قبل أن يتقلد عنه الوزارة ، والربيع حجب المنصور والمهدي ؛ وفي ذلك يقول أبو نُؤَاسٍ من أبيات :

سَادَ الرَّبِيعُ وَسَادَ فَضْلٌ بَعْدَهُ \* وَنَمَتْ بَعْبَاسُ الْكَرِيمِ فُرُوعُ  
عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا أَحْتَدَمَ الْوُغَى \* وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ

أعرق الناس في الشعر سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام ، ستة كلهم شعراء على نَسَقٍ ؛ ثم كانت العرّاقَة في الشعر بعده مع زيادة آباء لمتوج ، بن محمود ، بن مروان ، بن يحيى ، بن مروان ، بن الجبوب ، بن مروان ، ابن سليمان ، بن يحيى ، بن أبي حفصة : مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ عشرة على نَسَقٍ :

### الغايات من طبقات الناس

أشرف الناس في الأُمَّة نسبا الحسن والحسين عليهما السلام ، رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّهما ، والقاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالهما ، وعلي بن



أبى طالب أبوهما ، وفاطمة بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهما ، وخديجة بنت خويلد جدتهما .

أشرف النساء فى النسب والصَّهر فاطمة ؛ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوها ، وخديجة أمها ، وعلى بن أبى طالب زوجها ، والحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة ولداها .

أشرفُ الناس فى المصاهرة عبدُ الله بن عمرو بن عثمان ، تزوج إليه أربعة من الخلفاء ؛ تزوج الوليد بن عبد الملك بنته عبدة ، وسليان بن عبد الملك بنته عائشة ، ويزيد بن عبد الملك بنته أم سعيد ، وهشام بن عبد الملك بنته رقية : قال الثعالبي ولا يُعرف رجل له أربعة أختان خلفاء إلا هو .

### غرائب أمور تتعلق بالخلفاء

امرأة ولَّدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة والزبير ؛ وهى حفصة ابنةُ محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أبوها محمد المديج ؛ وأمها خديجة بنتُ عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء بنت أبى بكر ، وأم المديج فاطمة بنت الحسين بن على ؛ وأم الحسين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأم فاطمة بنت الحسين أم إسماعيل بنت عبيد الله ؛ وأم عبد الله بن عمرو زينب بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فهى من ولد كل من المذكورين .

أربع نسوة فى الإسلام ولدت كل واحدة منهن خليفتين ؛ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدت الحسن والحسين ، وقد بُرِّع لهما بالخلافة ؛ وولادة بنت العباس العبسية زوجة عبد الملك بن مروان ولدت له الوليد وسليان ؛ وهما

خليفتان؛ وساهر بنت فيروز بن يزيد جد زوجة الوليد بن عبد الملك ولدت له يزيد وإبراهيم فوليا الخلافة، والخيزران ولدت للمهدى موسى الهادى وهارون الرشيد .

أمرأة لها اثنا عشر محرما كل منهم خليفة ، وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، يزيد أبوها ، ومعاوية بن أبى سفيان جدّها ، ومعاوية بن يزيد أخوها ، وعبد الملك ابن مروان زوجها ، ومروان بن الحكم حموها ، ويزيد بن عبد الملك أبنها ، والوليد وسليمان وهشام أبناء عبد الملك أولاد زوجها .<sup>(١)</sup>

ومثلها من بنى العباس زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، جدّها المنصور ، وأخو جدّها السفاح ، وزوجها الرشيد ، وعمّها المهدى ، وأبناها الأمين ، وأبناء زوجها المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .

خليفة سلم عليه بالخلافة عمّه وعم أبيه وعم جدّه ، وهو هارون الرشيد سلم عليه سليمان بن المنصور ، والعباس بن محمد عم أبيه المهدى ، وعبد الصمد بن على عم جدّه أبى جعفر المنصور .

خليفة سلم عليه من أهل بيته سبعة كل منهم ابن خليفة ، وهو المتوكل ، سلم عليه أحمد بن الواثق ، وأحمد بن المعتصم ، وسليمان بن المأمون ، وعبد الله بن الأمين ، وأبو محمد بن الرشيد ، والعباس بن الهادى ، ومنصور بن المهدى .<sup>(٢)</sup>

خليفة قبل هو وأبناه يد خليفة فأجاز أبناه بجائزة ثم قبل المقبلة يد هو وأبناه يد المقبل أولا وهو خليفة فأجاز أبناه بمثل تلك الجائزة ؛ وهو المعتصم ، وقف لإبراهيم ابن المهدى أيام خلافته ثم نزل المعتصم فقبل يده ثم أدنى منه أبناه هارون فقبل يده ، وقال يأمر المؤمنين عبدك هارون أبنى فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما

(١) المحدود تسعة فقط وكذا فى المثل بها فتنه .

(٢) كذا فى الأصل .

أَسْتُخْلِفَ المعتصم وقف له إبراهيم بن المهدي ثم ترجل في ذلك الموضع بعينه وقبل يده وأدنى منه آبنه هبة الله فقَبَّلَ يده ، وقال : يا أمير المؤمنين عبدك هبة الله آبنى فأمر له بعشرة آلاف درهم . قال الصولى ولا يعرف مثل ذلك لخليفتين وابنيهما .

خليفة جرت أموره كلها على ثمانية ، وهو المعتصم ، فهو الثامن من خلفاء بنى العباس ، ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة ، وعمره ثمان وأربعون سنة ، وكان ثامن أولاد الرشيد ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وخلف ثمانية بنين ، وثمان بنات ، وثمانية آلاف دينار ، وثمانية وعشرين ألف درهم ، وثمانية عشر ألف دابة ، وله ثمان فتوحات ، وتوفى لثمان بقين من شهر ربيع الأول ومن ثم سمي المثنى .

خليفة له عشرة أولاد وعشرة إخوة ، وعشرة أولاد إخوة ، وهو مروان بن الحكم فأولاده العشرة عبد الملك ، ومعاوية ، وعبد العزيز ، وقُس ، وعمر ، ومحمد ، وعبيد الله ، وعبد الله ، وأيوب ، وداود . وإخوته عبد الواحد ، وعبد الملك ، وعبد العزيز ، وسعيد بنو الحارث بن الحكم ، وحرب ، وعثمان ، وعمر بنو عبد الرحمن آبن الحكم ، ويوسف ، وسليمان ، ويحيى بنو يحيى بن الحكم .

ليلة ولد فيها خليفة ، ومات فيها خليفة ، وولى فيها خليفة ، وهى ليلة السبت لأربع بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة ؛ ولد فيها المأمون ، ومات فيها الهادى ، واستخلف فيها الرشيد ؛ ولا يعهد مثل ذلك فى زمن من الأزمان .

خليفتان أحدهما آبن الآخر بين قبريهما بُعد كبير ، وهما الرشيد والمأمون ، قبر الرشيد بطوس وقبر المأمون بطرسوس .

خليفة ركب البريد ؛ وهو موسى الهادي ، مات أبوه المهديّ وهو نائبه على جرجان ، فكتب إليه الرشيد بالخبر والبيعة ووجه إليه الخاتم والبُرْدَة والقضيب فركب البريد وأتى إلى بغداد بعد ثلاثة عشر يوما من موت المهديّ ، ولا يعرف خليفة ركب البريد غيره .

خليفان اسم كل منهما جعفر قتل كل منهما في يوم الأربعاء وهما المتوكل والمقتدر .

خليفة وليّ الخلافة ستين سنة متوالية ؛ وهو المستنصر بالله الفاطميّ خليفة مصر على أن الثعالبيّ في "لطائف المعارف" قال استقرت ولاية معاوية بن أبي سفيان أربعين سنة عشرون منها إمارة وعشرون منها خلافة .

خليفة كانت خلافته يوما أو بعض يوم ، هو عبد الله بن المعتز ، بويع بعد خلع المقتدر ، فلما كان من الغد حاربه غلمان المقتدر وعاونهم العامة فهرب وأختفى ثم ظفربه .

أربعة إخوة ولي كل منهم الخلافة ، وهم الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام أولاد عبد الملك بن مروان .

لم يل الخلافة من أبوه حتى سوى أبي بكر الصديق والطائع لله وكلاهما اسمه أبو بكر .

لم يل الخلافة من أبواه هاشميّان سوى الحسن بن عليّ من فاطمة ومحمد الأمين ابن الرشيد من زبيدة .

لم يل الخلافة من اسمه العباس سوى أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس بن المتوكل على الله محمد خليفة العصر ، على كثرة هذا الاسم في أولاد الخلفاء العباسيين وكونه اسم جدّهم الأكبر . قلت : وقد أخبرني أمير المؤمنين المستعين

المشار إليه أن تسميته العباس كانت برؤيا رآها الشيخ بدر الدين البهنسى بمكة المشرفة، رأى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فى النوم، وهو يقول له قل لولدى محمد، (يعنى المتوكل على الله) إذا ولد له ولد يسميه العباس .

وسياتى ذكر ذلك فى الكلام على العهد الذى أنشأه قبل ولايته الخلافة بنحو ثمان سنين أمتحانا للخطا فى جملة اليهود فى المقالة الخامسة .

(أعجوبة) قال الصولى : الناس يرون أن كل سادس يقوم بأمر الدين منذ أول الإسلام لا بد أن يخلع، النبى صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، والحسن نخلع . ثم معاوية، ويزيد، ومعاوية، ومروان، وعبد الملك، وعبد الله ابن الزبير نخلع . ثم الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد، وهشام، والوليد بن يزيد نخلع . ثم كان منهم يزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد وهو آخرهم ولم يكن من بعده من بنى أمية من يتم العدد بهم ستة فالغى . ثم كانت الدولة العباسية فكان السفاح، والمنصور، والمهدى، والهادى، والرشيد، والأمين نخلع . ثم المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، والمتنصر، والمستعين نخلع . ثم المعتز، والمهتدى، والمعتد، والمعتضد، والمكشفي، والمقتدر نخلع فى فتنة المعتز . ثم ردّ إلى الخلافة ثم قتل، ولم يعتد بخلافة ابن المعتز لخلعه فى يومه . قال صاحب "رأس مال النديم" والثعالبي فى "لطائف المعارف" : ثم القاهر، ثم الراضى، ثم المتقى، ثم المستكفى، ثم المطيع، ثم الطائع نخلع . قال الصلاح الصفدى : ثم القادر، والقائم، والمقتدى، والمستظهر، والمسترشد، والراشد، نخلع . ثم المقتنى، والمستنجد، والمستضىء، والناصر، والظاهر، والمستعصم نخلع وقتل أيام هولاكو عند آستيلائه على بغداد . قلت : هذا خلط فاحش من الصلاح الصفدى لا يليق بمثله فانه أسقط قبل المستعصم المستنصر وهو السادس .

وقد ذكر الشيخ شمس الدين ابن نباتة في تاريخ الخلفاء أنهم لما بايعوا المستنصر المذكور خلعوه ثم أعادوه فرارا من التطير بخلع السادس ، وحيثئذ فيكون من بعد المستنصر المستعصم المذكور ثم المستنصر أحمد ، الذي أتى به الظاهر بيبرس وتوجه إلى الديار المصرية ، ثم الحاكم أحمد ، ثم آبنه المستكفي سليمان ، ثم آبنه المستعصم أحمد ، ثم الواثق ، إبراهيم نخلع . ثم المعتضد أبو بكر بن المستكفي ، ثم آبنه المتوكل ، ثم المعتصم زكريا ، ثم الواثق عمر ، ثم المستعين أبو الفضل العباس خليفة العصر أدام الله أيامه وهو الخامس والله تعالى أعلم بمن يكون السادس وما يكون من أمره .

قال الصلاح الصفدي : وكذلك العبيدئون المعروفون بالفاطميين كان منهم بالمغرب عبد الله المهدي ، والقايم بأمر الله ، والمنصور ، والمُعزُّ باني القاهرة بالمغرب ثم بمصر والعزیز ، والحاكم قتلته أخته . ثم الظاهر ، والمستنصر ، والمستعلي ، والآمر ، والحافظ ، والظافر نخلع وقتل ؛ ثم الفائز ، والعاقد وهو آخرهم . قال وكذلك بنو أيوب في ملك مصر أولهم صلاح الدين ، ثم ولده العزيز ، وأخوه الأفضل بن صلاح الدين ، والعاقل الكبير أخو صلاح الدين ، والكاامل ولده ، والعاقل الصغير نخلع . ثم كان منهم الصالح نجم الدين أيوب ، ثم المعظم توران شاه ، ثم أم خليل شجرة الدر ، ثم الأشرف موسى وهو الرابع ولم يكن منهم من يكمل الستة . قال : وكذلك دولة الأتراك ملوك مصر أولهم المعز أيك ، وآبنه المنصور ، والمظفر قُطر ، والظاهر بيبرس ، وآبنه السعيد بركة ، وأخوه العاقل سلامش نخلع ؛ وملك السلطان الملك المنصور قلاوون .

قلت : ثم آبنه الأشرف خليل ، ثم المعظم بيدرا ولم يعتد به لخلعه من يومه كما لم يعتد بابن المعتز في الخلفاء ، ثم الناصر محمد بن قلاوون ، ثم العاقل كتبغا ، ثم المنصور لاجين ، ثم المظفر بيبرس الجاشنكير نخلع ؛ ثم المنصور أبو بكر بن الناصر محمد ، ثم الأشرف بكك ابن الناصر محمد ، ثم الناصر أحمد بن الناصر محمد ، ثم الصالح إسماعيل بن الناصر محمد ،

ثم الكامل شعبان بن الناصر محمد ، ثم المظفر حاجى بن الناصر محمد نخلع ؛ ثم الناصر حسن بن الناصر محمد ، ثم الصالح صالح بن الناصر محمد ، ثم المنصور محمد بن المظفر حاجى ، ثم الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد ، ثم آبنه المنصور على ، ثم الصالح حاجى بن الأشرف شعبان نخلع ؛ ثم الظاهر برقوق ، ثم الناصر فرج سلطان العصر وهو الثانى والله أعلم بمن يكون السادس .

### غرائب تتعلق بالملوك

ملك مُلك وهو فى بطن أمه ؛ وهو سابور ذو الأكتاف أحد ملوك الفرس ، مات أبوه وهو حمل ولم يكن له ولد سواه ، فعقدوا التاج على رأس أمه على أن يكون من فى بطنها هو الملك كائنا من كان ، فلما وضعت ملكوه .

ثلاثة من ملوك فارس آبن وأب وجدّ أسمهم واحد ، وهم بهرام بن بهرام بن بهرام ؛ ومثلهم من ملوك غسان من العرب الحارث بن الحارث بن الحارث . قال الثعالبي : وهذا التناسق لا يقع إلا فى الأكابروالرؤساء وقد جاء من هذا النمط فى سادات الإسلام الحسن بن الحسن بن الحسن السبط .

ملكان إسلاميان أول أسم كل واحد منهما عين قتل كل واحد منهما ثلاثة ملوك أول أسم كل واحد منهم عين ، أحدهما عبد الملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث . والثانى أبو جعفر المنصور اسمه عبد الله قتل أبا مسلم الخراسانى وأسمه عبد الرحمن وعمه عبد الرحمن بن على وعبد الجبار بن عبد الرحمن وإلى خراسان .

قال الثعالبي : أربعة فى الإسلام قتل كل واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل ، وهم الحجاج بن يوسف ، وأبو مسلم الخراسانى ، وبارك ، والبرقي .

قلت : وقد وقع لتيমور كور كان المعروف بتمرنك صاحب ما وراء النهر على رأس الثمانمائة من الحجرة ما هو أكثر من ذلك ، فإنه قد فتح من الهند إلى الخليج القسطنطيني ، وقتل من كل إقليم من الخلق ما لا يحصى حتى كان يبنى بالرؤوس في كل مدينة يفتحها منارا .

### غرائب تتعلق بسراة الناس

ثلاثة بنو أعمام في زمن واحد ، كل منهم سيد جليل ، لم يصلح للإمامة أو الرياسة ثم كان لكل منهم ابن اسمه محمد كذلك ، وهم علي بن عبد الله بن عباس وأبنة محمد وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأبنة محمد ، وعلي بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وأبنة محمد . قال الجاحظ وهذا من غرائب ما يتفق في العالم ، فإن هذا أمر لم يشاركهم فيه أحد .

أب وأبن تقارب ما بينهما من العمر تقاربا شديدا وهما عمرو بن العاص وأبنة عبد الله كان بينهما في السن ثلاث عشرة سنة . قال الثعالبي ولا يعهد مثل ذلك . أخوان تباعد ما بينهما في السن تباعدا شديدا وهما موسى بن عبيدة الربدى المحدث<sup>(١)</sup> وأخوه عبد الله كان بينهما في السن مائة سنة ولم يعرف مثل ذلك في غيرهما .

أربعة إخوة كل واحد منهم أسن من الآخر بعشر سنين ، وهم أولاد أبي طالب كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أسن من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أسن من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعشر سنين .

ثلاثة إخوة ولدوا في سنة واحدة وقتلوا في يوم واحد وسن كل واحد منهم اثنتان وأربعون سنة ، وهم مزيد ، وزيد ، ومدرِك أولاد المهلب بن أبي صفرة . وهذه من غرائب النوادر .

(١) في الأصل الزبيرى وهو تصحيف عن الربدى كما يعلم من الخلاصة للزرجى .



رجل مكث عشر سنين لا يولد له إلا رجل ولا يموت له إلا أنثى، وهو المهلب  
أبن أبي صُفرة في غير أولاده الثلاثة المذكورين .

أربعة رجال في الإسلام لم يميت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده أكثر  
من مائة فيما قاله الثعالبي وغيره ، وهم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وخليفة بن براء السعدي ، وعبد الرحمن بن عمر الليثي ، وجعفر بن سليمان  
الهاشمي ؛ ومنهم من يذكر بده أبا بكره مولى النبي صلى الله عليه وسلم .

خمسة إخوة تباعدت قبورهم أشد تباعد ، وهم بنو العباس بن عبد المطلب قبر  
عبد الله بالطائف ، وقبر عبيد الله بالمدينة ، وقبر معد بأفريقية ، وقبر الفضل بالشام ،  
وقبر قثم بسمرقند .

قاضي قضى في الإسلام خمسا وسبعين سنة وهو شريح بن الحارث الكندي  
استقضاه عمر على الكوفة فبقى بها خلافة عمر وما بعدها إلى تمام المدة المذكورة لم  
يتعطل منها سوى ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير .

### أوصاف جماعة من المشاهير

”من كان من الخلفاء أصلع“ قال الثعالبي : كان الصَّلَع في عمر ، وعثمان ، وعلي ،  
ومروان بن الحكم ، وعمر بن عبد العزيز ؛ قال ثم أقطع الصلَع من الخلفاء .

”من كان في غاية الطول“ ، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأنه راكب  
والناس يمشون لطوله ؛ وكان عدي بن حاتم إذا ركب تكاد رجلاه تخط في الأرض ؛  
وكذلك جرير بن عبد الله البجلي ، وكان قُش بن ساعدة في نهاية الطول والجسامَة ،  
وكان عبد الله بن زياد إذا رآه الرأي وهو ماش ، ظن أنه راكب لطوله ؛ وكان  
علي بن عبد الله بن عباس في غاية من الطول ، وكان أبوه عبد الله أطول منه ، وجده

العباس أطول من أبيه ؛ ويقال إن جبلة بن الأيهم الغساني كان طوله اثني عشر شبرا .

”من كان في غاية القصر“ قال الثعالبي : كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه شديداً القصر يكاد الجُلوس يوازونه من قصره ؛ وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قصيرا دحداحا ، وكان الحطيئة الشاعر مُفْرَط القصر ، ولذلك لُقّب بالحطيئة ، وكان ذو الرمة الشاعر قصيرا جدّا ؛ ورأيت في بعض التواريخ أن كثير عزة كان طوله ثلاثة أشبار ؛ وكان العباس بن الحسن في غاية من القصر وفيه قيل :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ مِنْ قِصَرٍ \* وَأَنْظُرْ إِلَى الْفَضْلِ وَالْمُجَدِّ الَّذِي شَادَا  
إِنَّ النُّجُومَ تُجُومُ الْجَوَّ أَصْغَرُهَا \* فِي الْعَيْنِ أَبْعَدُهَا فِي الْجَوِّ أَصْعَادَا

”من عُرف بالدهاء من العرب“ معاوية بن أبي سفيان ، زياد ابن أبيه ، عمرو بن العاص ، المغيرة بن شعبة ، قيس بن سعد بن عبادة ، عبد الله بن بديل الخزاعي .  
”من نُسب منهم إلى الحمق“ عامر بن كرّيز ، معاوية بن مروان بن الحكم ، بكار ابن عبد الملك بن مروان ، العاص بن هشام ، عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان ، سهل بن عمرو وأخوه سهيل ، العاص بن سعيد بن العاص .

”المؤلفة قلوبهم في أول الإسلام“ قال الثعالبي : هم من قريش أبو سفيان ابن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، وهبّار بن الأسود ، والحارث بن هشام ، وحكيم بن حزام ، وصفوان بن أمية ، وأنس بن عدى . ومن فزارة عيينة بن حصن . ومن تميم الأقرع بن حابس . ومن بنى سليم العباس بن مرداس . ومن ثقيف العلاء بن الحارث .

”من أصيبت عينه“ أبو سفيان بن حرب ، ذهبت عينه يوم الطائف ثم عمى بعد ذلك . الأشعث بن قيس ، ذهبت عينه يوم اليرموك ، المغيرة بن شعبة كذلك

الأشتر النخعي جُرير بن عبد الله البجليّ، عدى بن حاتم، عتبة بن أبي سفيان، المختار ابن أبي عبيد، الأحنف بن قيس، المهلب بن أبي صفرة، طاهر بن الحسين، عمرو ابن الليث الصفار.

”من سُمِلَتْ عيناه من الخلفاء والملوك“ أما من الخلفاء فالقاهر، والمتقى، والمكتفي، وأما من الملوك فهزم بن أنوشروان أحد الملوك الأكاسرة، صمصام الدولة بن بويه، منصور بن نوح بن منصور الساماني.

”من كان مكفوف البصر من أشرف الناس“ زهرة بن كلاب بن كعب، عبد المطلب بن هاشم، العباس بن عبد المطلب، الحکم بن العاص، أبو سفيان بن حرب، الحارث بن العباس بن عبد المطلب، مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، عتبة بن مسعود الهذلي، عبد الله بن عبيد الله بن عتبة، أبو أحمد بن جحش بن مسعود الأسدي، جابر بن عبد الله الأنصاري، عبد الله بن أرقم، البراء بن عازب، حسان ابن ثابت، أبو أسيد الساعدي، قتادة بن دعامه، دريد بن الصمة الجشمي، عزيمة ابن نوفل الزهري، الفاكه بن المغيرة المخزومي، جذيمة بن حازم النهشلي، أبو العباس الشاعر، علي بن زيد بن جدعان، المغيرة بن مقسم الضبي، الترمذي الكبير الحافظ الفقيه، منصور الشاعر المصري، ابن سيده اللغوي، أبو العلاء المعري، بشار بن برد، أبو البقاء العكبري، أبو العيّن هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي، أبو القاسم السهمي صاحب الروض الأنف، أبو القاسم الشاطبي، الصرصري الشاعر، أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري، أبو عبد الله بن خلصة المغربي النحوي، أبو عبد الله بن الحياط.

### أصحاب العاهات من الملوك

من ملوك اليونان الإسكندر، كان أحنف . ومن ملوك الفرس أنوشروان كان أعور، يزدجرد كان أعرج . ومن ملوك العرب جذيمة الوضاح، كان أبرص، النعمان ابن المنذر، كان أحمر العينين والشعر . ومن الخلفاء عبد الملك بن مروان أنجر، يزيد ابن عبد الملك أققم، هشام بن عبد الملك أحول، مروان الحمار أشقر أزرق، موسى الهادي شفته العليا متقلصة، حتى كان أبوه المهدي قدرتب له خادما يلزمه متى غفل وفتح فاه قال: موسى أطبق، إبراهيم بن المهدي كان أسود سمينا يلقب بالثنين . ومن أشراف قريش وغيرهم أبو طالب أعرج، وأبو جهل أحول، أبو لهب كذلك، وكذلك زياد، وعدى بن زيد . الأحنف بن قيس، أحنف متراكب الأسنان، صعل الرأس، مائل الذقن . والربيع بن زياد أبرص، وكذلك الحارث بن حازمة، وأيمن بن حريم، والحسن بن خطبة، وكان عبيدة السلماني أصم، وكذلك ابن سيرين والكبيش الشاعر، والمرقش الأكبر الشاعر أجدع .

### أصحاب النوادر

ابن أبي عتيق، أشعب الطمع، أبو الغصن جحا، أبو العبر، أبو العنابس، ابن الحصص مزيد المدني .

### أجواد الإسلام

عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، سعيد ابن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، عبد الله بن عامر بن كرز، حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام، عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، خالد بن عبد الله

(١) في العقد الفريد اسم الجواد عبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي .

ابن خالد بن أسد بن العاص ، قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، عتاب بن أبي  
ورقاء الحنظلي ، أسماء بن خارجة بن حصن بن بدر الفراري ، عبد الله بن أبي بكر  
مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### الطلحات المعروفون بالجود

طلحة الفيّاض — وهو طلحة بن عبيد الله أحد العشرة ؛ وطلحة الجود — وهو  
طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي ؛ وطلحة الدراهم — وهو طلحة بن عبد الله  
ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ؛ وطلحة الخير — وهو طلحة بن الحسن بن علي  
أبن أبي طالب ؛ وطلحة الندى — وهو طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ؛ وطلحة  
الطلحات — وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي .

أزواد الركب ثلاثة من قريش وهم مسافر بن أبي عمرو بن أمية <sup>(١)</sup> ، وزمعة <sup>(١)</sup>  
ابن الأسود بن المطلب بن عبد العزى بن قصي ، والمغيرة بن عبد الله بن عمرو بن  
غزوم : سُموا بذلك لأنهم لم يترقد معهم أحد في سفر قط لجودهم .

### من أشتهر عند أهل الأثر بلبقه

غسيل الملائكة ، وهو حنظلة بن أبي عامر الأنصاري أصيب يوم أحد فأخبر  
النبي صلى الله عليه وسلم أن الملائكة غسلته . قتيل الجن ، هو سعد بن عبادة ،  
بال في مجرقتله الجن . مُصاغ الملائكة ، هو عمران بن حصين . حمى الدبر ، هو  
عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، حمته النحل إلى أن كان الليل . ذوالشهادتين هو  
خزيمة بن ثابت الأنصاري ، شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقضاء دين اليهودي  
حين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه وفاه ، اعتمادا على خبر النبي صلى الله عليه

(١) في الأصل مسلمة ... .. وربيعة وهو سبق قلم من الناسخ والتصحيح من القاموس وشرحه .

وسلم ، فجعل صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادتين . ذو العَيْن ، هو قتادة بن النعمان ، أصيبت عينه يوم أحد فردّها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ . ذو اليدين هو عُيَيْد بن عَبْدِ عمرو الخزاعيّ كان يعمل بيديه معا . ذو العِمَامَةِ ، هو أبو أُحِيْحَة سعيد بن العاص بن أُمَيَّة ، كان إذا لبس عمامته لم يلبس قرشيّ عمامته حتّى يترعها . ذو الثَّدْيَةِ ، كانت إحدى يديه مُحَدَّجَة كالثدي ، كان رأس الخوارج . ذو الثَّفِنَات ، كان يقال ذلك لعليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، ولعليّ بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السَّجَدَات منهما من شبه ثَفِنَات البعير . ذو السَّيْفَيْن ، هو أبو الهيثم ابن التَّيَّهَان ، سمي بذلك لتقلّده في الحرب بسيفين . سَيْف الله ، هو خالد بن الوليد . أسدُ الله ، هو حمزة بن عبد المطلب . ذات النِّطَاقَيْن ، هي أسماء بنتُ أبي بكر ، سميت بذلك لأنها شَقَّتْ نِطَاقَهَا للسُّفْرَةِ في الليلة التي هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبوها إلى المدينة . عُرْوَةُ الصَّعَالِيك ، هو عُرْوَةُ بن الوَرْد ، كان إذا شكا إليه أحد أعطاه فرسا ورُحًا وقال له : إِنْ لم تستغنِ بذلك فلا أغناك الله . سُلَيْك <sup>(١)</sup> المَقَانِب ، هو سُلَيْك بن سُلَيْكَة ، كان أعدى الناس حتّى إن الفرس لا يُدْرِكُه . طُفَيْل الأعراس ، رجل من غَطَفَان ؛ وقيل هو من مَوَالِي عُثْمَانَ بن عفّان رضي الله عنه ، كان يتتبع الأعراس فيأتيها من غير دَعْوَةٍ وإليه تنسب الطُّفَيْلِيَّة . أشجُّ بن أُمَيَّة هو عمر بن عبد العزيز . جبار بن العَبَّاس هو هارون الرشيد : لأنه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفا ، وأخذ منهم خمسة آلاف دابة بالسُّروج والْبُثْمُ الفِضَّة ، وأغزى عليّ بن عيسى بن ماهان بلادَ التُّرك فقتل منهم أربعين ألفا ، وغزا هو بنفسه بلاد الروم ففتح هِرَقْلَةَ ، وأخذ الجزية من ملك الروم . بنات طارق ، هن بنات العلاء بن طارق بن أُمَيَّة بن عبد شمس ؛ سُمِّنَ بِجَدِّهِنَّ ، يضرب بهنّ المثل

(١) في الأصل سليل باللام وهو تصحيف انظر اللسان في مادة س ل ك .

في الحسن والشرف . بنات الحارث ، هنّ بنات الحارث بن هشام ؛ يضرب بهنّ  
المثل في الحُسْنِ وغلو المهر .

من كان فردا في زمانه بحيث يضرب به المثل في أمثاله

كان الإسكندر ، في طَوْفان الأرض ، وكسرى أُنُوشروان ، في العدل ، وزرقاء  
اليمامة ، في حِدّة النظر ، وحاتم الطائيّ ، في الكرم ، وكعب بن مامة ، في الإيثار ،  
وارسطاطاليس ، في الحكمة ، وبقراط ، في الطب ، وقسّ بن ساعدة ، في الفصاحة ،  
وسُبحان وائل ، في البلاغة ، وعمرو بن الأَهمّ ، في البيان ، وباقل ، في العِجى ، وأبو بكر  
الصّدّيق رضى الله عنه ، في معرفة الأنساب ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، في قوّة  
الهيبة ، وعثمان بن عفان رضى الله عنه ، في التّلاوة ، وعلىّ بن أبى طالب رضى الله  
عنه ، في القضاة ، ومعاوية ، في كثرة الاحتمال ، وأبو عبيدة بن الجراح ، في الأمانة ،  
وأبو ذرّ ، في صدق اللّهُجة ، وأبىّ بن كعب ، في القرآن ، وزيد بن ثابت ، في الفرائض ،  
وآبَنُ عباس ، في تفسير القرآن ، وعمرو بن العاص ، في الدّهاء ، وأبو موسى الأشعرىّ ،  
في سَلَامَة الباطن ، والحسن البصرىّ ، في الوعظ والتذكير ، ووهب بن منبه ،  
في القصص ، وآبَنُ سيرين ، في تعبير الرؤيا ، ونافع ، في القراءة ، وأبو حنيفة ، في القياس  
في الفقه ، وآبَنُ إسحاق ، في المغازى ، ومقاتل ، في التأويل ، والكلبيّ ، في قصص القرآن ،  
وآبَنُ الكلبيّ الصغير ، في النسب ، وأبو الحسن المدائنيّ ، في الأخبار ، ومحمد بن جرير  
الطبريّ ، في علوم الأثر ، والخليل بن أحمد ، في العرُوض ، وفُضَيْل بن عياض ، في العبادة ،  
ومالك بن أنس ، في العلم ، والشافعيّ ، في فقه الحديث ، وأبو عبيدة ، في الغريب ، وعلىّ  
آبَنُ المدينيّ ، في علل الحديث ، ويحيى بن مَعِين ، في رجال الحديث ، وأحمد بن حنبل ،  
في السنة ، والبخاريّ ، في نقد الصحيح ، والجنيد ، في التّصوّف ، ومحمد بن نصر المروزيّ ،

في الاختلاف، وأبو علي الجبائي، في الاعتزال، وأبو الحسن الأشعري، في علم الكلام، وأبو القاسم الطبراني، في عوالي الحديث، وعبد الرزاق، في آرتحال الناس إليه، وآبن منده، في سعة الرحلة، وأبو بكر الخطيب، في سُرعة القراءة، وآبن حزم، في مذهب الظاهر، وسيبويه، في النحو، وأبو الحسن البكري السيري، في الكذب، وإيأس بن معاوية، في الذكاء والتفَرُّس، وعبد الحميد، في الكتابة والوفاء، وأبو مسلم الخُراساني، في علو الهمة والحزم، وإسحاق الموصليّ النديم، في الغناء، وأبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني، في المحاضرة، وأبو معشر، في النجوم، والرازي، في الطب، وعَمار بن حمزة، في التَّيه، والفضل بن يحيى، في الجُود، وجعفر بن يحيى، في التوقيع، وآبن زيدون، في سعة العبارة، وآبن القرّية، في البلاغة، والجاحظ، في الأدب والبيان، والحريري، في المقامات، والبديع الهمداني، في الحفظ، وأبونوَّاس، في المجون والخلاعة، وآبن حجاج الشاعر، في سُخف الألفاظ، وانتبهي، في الحِكم والأمثال شعرا، والزخمشري، في تعاطي العربية، والنسفي، في الجدَل، وجرير الشاعر، في الهجاء الخبيث، وحمّاد الراوية، في شعر العرب، والاحنف بن قيس، في الحِلْم، والمأمون، في حُبِّ العفو، والوليد، في شُرْب الخمر، وعطاء السلمي، في الخوف من الله تعالى، وآبن البوّاب، في الكتابة، والقاضي الفاضل، في الترسُّل، والعماد الكاتب، في الجناس، وأشعب، في الطمع، وأبو نصر الفارابي، في معرفة كلام القدماء ونقله وتفسيره، وحنين بن إسحاق، في ترجمة اليوناني إلى العربي، وآبن سينا، في الفلسفة وعلوم الأوائل، والإمام نغر الدين الرازي، في الأطلّاع على العلوم، والجاحظ في سعة العبارة، والسيِّف الأميدي، في التحقيق، والنصير الطوسي، في معرفة المجسطي، وآبن الهيثم، في الرياض ونجم الدين الكاتبي، في المنطق، وآبن الأعرابي، في الأطلّاع على اللغة، وأبو العيَّاء، في الأجوبة المسكتة، ومزید، في البخل، والقاضي أحمد بن أبي دؤاد، في المروءة



وحسن التقاضى ؛ وآبن المعتز ، فى التشبيه ، وآبن الرسمى ، فى التطير ، والصولى  
فى الشطرنج ، والغزالى ، فى الجمع بين المعقول والمنقول ، وآبو الوليد بن رُشد ، فى تلخيص  
كتب الأقدمين الفلسفية والطبية ، ومحيى الدين بن عربى ، فى علوم التصوف ، وجابر  
ابن حيان فى علم الكيمياء .

### غرائب اتفاق

اتفاقية جليلة — وُلِدَ النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وبعث يوم الاثنين ،  
وهاجر يوم الاثنين ، وتوفى يوم الاثنين .

اتفاقية أخرى — قَتَلَ عبدُ الله بن زياد الحسين بن علىّ عليهما السلام يوم  
عاشوراء ، وقتله الله على يد إبراهيم بن الأستر فى يوم عاشوراء .

أخرى — قال عبد الملك بن عمير اللبثى : رأيت فى قصر الإمارة بالكوفة رأس  
الحسين بن علىّ بين يدى عبد الله بن زياد على ترُس ، ثم رأيت فيه رأس عبد الله  
آبن زياد بين يدى المختار بن أبى عبيد ، ثم رأيت فيه رأس المختار بين يدى مُصعب  
آبن الزبير ، ثم رأيت فيه رأس مُصعب بين يدى عبد الملك بن مروان . قال :  
فحدثت بهذا عبد الملك بن مروان فتطير منه ففارق مكانه .

أخرى — قال الصولى : حدثنى الحسين بن يحيى الكاتب أنه لما ولى المعتز لم  
تمض مدة لطيفة حتى أحضر الناس وأنُحِرَ المؤيد <sup>(١)</sup> وقيل أشهدوا أنه دُعِيَ فأجاب ،  
وليس به أثر ؛ ثم مضت مدة شهر فأحضر الناس وأنُحِرَ المستعين وقال : إن منيته  
أتت عليه ، وها هو لا أثر به فأشهدوا ؛ ثم خلع المعتز ، وأستخلف المهتدى ؛ ولم  
يمض إلا مديدة حتى أنُحِرَ المعتز ميتا وقال : أشهدوا ، أنه قد مات حتف أنفه

ولأثر به؛ ثم لم تكمل السنة حتى استُخلف المعتمد فأخرج المهتدى مينا وقال: اشهدوا أنه قد مات حتف أنفه من جراحته، فتعجب الناس من تلاخُطهم في مدة يسيرة .  
 عِبرة — مات المكتفى بالله عن مائة ألف ألف دينار؛ ولما غُسل لم توجد بحجرة ينخر فيها إلا بحجرة من خَرَفَ أحمر، وكان فيما خلف ألوف من مجامر الذهب والفضة .  
 قال أحمد بن أبي دواد : لقد شددت لحيي المأمون، والمعتمد، والواثق، بعد موتهم فلم أجد خرقه أشد بها لحيي واحد منهم إلا ما أخرقه من الدراريح التي تكون على .  
 لطيفة — في سنة ثلاث وثمانين ومائتين أمر المعتضد برّد فاضل سهام المواريث على ذوى الأرحام، وأبطل ديوان المواريث، وكتب بذلك إلى الآفاق .

لطيفة — في سنة أربع وثمانين ومائتين أخبر المنجمون بفرق أكثر الأقاليم بسبب كثرة الأمطار وزيادة الأنهار فتحفظ الناس من ذلك فقلّت الأمطار حتى استسقوا ببغداد مرّات .

غريبة — ذكر ابن سينا في المقالة الأولى من كتابه الشفاء أنه نزل بجرجان صاعقة من الهواء فنشبت في الأرض، ثم نبت نبوة الكرة وسمع الناس لذلك صوتا عظيما هائلا فحفرُوا عليها فإذا هي قطعة من حديد تقدير مائة وخمسين مَنّا، وهي أجزاء جاوِرشية صغار مستديرة؛ التصق بعضها ببعض، فكتب محمود بن سبكتكين، صاحب خراسان بانفاذه إليه أو قطعة منه فتعذر نقله لثقله فحاولوا كسر قطعة منه فلم تعمل فيه الآلات، ففُوج كسره فقطع منه قطعة لطيفة، وحملت إليه فرام أن يطبّع منها سيفاً فتعذر عليه .

لطيفة أخرى — في سنة إحدى عشرة وخمسمائة جاء سيلٌ عظيم فغرق مدينة سنجان من بلاد الجزيرة، وهدم المنازل، وأغرق خلقا كثيرا . ومن غريب ما حكى

أن السيل حمل مَهْدًا فيه صبيّ صغير فتعلق المهدي بشجرة زيتون ، وغاض الماء ، وبقى المهدي معلقا بالشجرة فسلم الصغير .

أعجوبة — في سنة ستين وأربعمائة كان بمصر وقَلَسِطِينَ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ ، طلع فيها الماء من رؤوس الآبار ، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم ، فزل الناس إلى أرض البحر يلتقطون ما آنكشف البحر عنه مما في أرضه فرجع الماء عليهم فأهلك منهم خلقا كثيرا .

ثم في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وقع ببلاد الشام زلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ خربت شيزر ، وحماة ، وحمص ، وحصن الأكراد ، وطرابلس وأنطاكية ، وغيرها من البلاد التي حولها ، ووقعت الأسواق والقلاع حتى تداركها نور الدين الشهيد رحمه الله بالعمارة .  
فائدة — في سنة اثنتين وخمسمائة قلع المقتنى الخليفةُ باب الكعبة ، وعمل عوضه بابا مصفحا بالفضة المذهبة ، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتا ليُدْفَنَ فيه .

نادرة — في سنة خمس وستين وسبعمائة وقع ثُلُجٌ عَظِيمٌ بالشام فكسر الأشجار وقطع الطرق لا سيما بعمَّكَراء وما حولها .

أخرى — في سنة سبعين وسبعمائة ظهر بالشام جراد عظيم لم يُسمع بمثله ، وأمتد من مكة إلى الشام ، وعظم بحورَاتٍ حتى أكل الأشجار ، والأخشاب ، وأبواب الدور ، وما وصل إليه من الأصبغة والقماش ، وسُدَّتْ أعين الماء خوفا من أن يفسدها ، وكان من شأنه بَعَجُلُونَ أنه امتلأت منه المدينة وغُلَّتْ الأسواق ، وطُبِّقَتْ أبواب الدكاكين والطاقات ، وسُدَّتْ الأبواب وحضروا لصلاة الجمعة فمَلَأَ عليهم الجامع ، وتراعى على الخطيب على المنبر حتى شغله عن الخطبة ، وكذلك حيرَ الناس حتى خرجوا من الجامع يُحِبُّونَ فيه خبا إلى الركب ، وأنتنت لكثرة ما قتل منه حتى صار أهل البلد يسمون القطران ليغطي رائحته ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ .

أجرى — في سنة اثنتين وسبعين وسبعائة رأى أهل الشام في السماء بعد مغيب الشفق حمرة عظيمة من جهة الشمال ، ثم اشتدت الحمرة حتى صارت كالنار الموقدة وانتشرت في السماء حتى كاد يغطي ثلثها ، وعم بلاد الشام حتى كان بدمشق ، وبعلبك وحلب ، وقاقون ، والرملة ، والقدس ، وطرابلس ، حتى خاف جميع أهل هذه البلاد على أنفسهم الهلاك ، وصرعوا إلى الله تعالى ، وأقبلوا إليه ، فكشف الله عنهم بعد نصف الليل .

قلت — : وقد رأيت مثل هذه الآية العظيمة بمصر في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة : وهو أنه ظهرت حمرة عظيمة من جهة الغرب فوق حمرة النار ، وجاء من وراء تلك الحمرة برق ساطع ، فصار كما لمع البرق داخل تلك الحمرة يخال الناظر أنها نار لا محالة حتى داخلني منه أنه عذاب قد صبَّ على الناس ، ثم آنقش بعد العشاء بقليل فلذلك لم ينتبه له أهل مصر . وبالجمله فوقائع الدهر وعجائبه أكثر من أن تحصر ، ولا يحتمل هذا الموضع أكثر من هذا القدر .

وَاللَّيَالِي كَمَا عَلِمَتْ حَبَالِي \* مُقَرَّبَاتٌ يَلْدَنَ كُلُّ عَجِيبٍ

### المقصد الثاني

( في وجه بيان استعمال الكاتب ذلك في خلال كلامه )

لا يخفى أن الكاتب إذا عرف أحوال المتقدمين وسيهم ، وأخبارهم ، ومن برع منهم ، صار عنده علم بما لعله يسأل عنه ، واعتداد لما يرد عليه من ذكر واقعة بعينها أو يحتاج عليه به من صورة قديمة : ليكون على يقين منها ، مع ما يحتاج إلى إيراده في خلال مكاتباته ورسائله : من ذكر من حسن الاحتجاج بذكره في أمر من الأمور أو حالة من الحالات : كما كتب به البديع الهمداني إلى أبي الحسين بن

فارس وقد بلغه أنه ذكر في مجلسه فقال: إن البديع قد نسي حق تعليمنا إياه، وعقنا، وشمخ بأنفه عنا، والحمد لله على فساد الزمان، وتغير نوع الانسان . فكتب إليه :

” نعم أطل الله بقاء الشيخ الإمام ، إنه الحمأ المسنون ، وإن ظننت الظنون ؛ والناس لآدم ، وإن كان العهد قد تقادم ، وأرتكبت الأضداد ، واختلط الميلاد . والشيخ يقول فسد الزمان ، أفلا يقول متى كان صالحا ؟ أفي الدولة العباسية ، وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها ؟ أم المدة الروانية ، وفي أخبارها ” لا تكسح الشول بأغبارها ؟ “ أم السنين الحربية ، والسيوف يغمد في الطلا ، والرُح يركز في الكلا ، وميت جحر في الفلا ، والحرتان وكر بلا ، أم البيعة الهاشمية ، وعلى يقول : ليت العشرة منكم براس ، من بنى فراس ؟ أم الأيام الأموية ، والتغير إلى الججاز ، والعيون إلى الأعجاز ؟ أم الإمارة العدوية ، وصاحبها يقول : وهل بعد البزول إلا التزول ؟ أم الخلافة التيمية ، وصاحبها يقول : طوبى لمن مات في نأنة الإسلام ؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل آسكتي يافلانه ، فقد ذهبت الأمانه ؟ أم في الجاهلية وليد يقول :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَافِهِمْ \* وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ يَحْلِدُ الْأَجْرَبُ .

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول :

بِلَادُ يَهَا كُنَّا وَكُنَّا نُحِبُّهَا \* إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانُ .

أم قبل ذلك ، ويروى لآدم عليه السلام :

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا \* فَوَجَّهُ الْأَرْضِ مُسَوِّدٌ قَبِيحُ !

أم قبل ذلك والملائكة تقول : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ؟

وما فسد الناس ، ولكن أطرده القياس ؛ ولا ظلمت الأيام ، إنما امتد الإظلام ؛ وهل

(١) أى في أول الاسلام قبل أن يقوى أنظر اللسان .

يفسد الشيء إلا عن صلاح، ويمسى المرء إلا عن صباح، ولعمري ! لئن كان كرم العهد كتاباً يرد وجواباً يصدر إنه لقريب المثال، وإنى على توبيخه لى لفقيه لى لقائه، شفيق على بقاءه، منتسب إلى ولائه، شاكر لآلائه .

والغاية القصوى فى ذلك ما كتب به ذو الوزارتين "أبو الوليد بن زيدون" رحمه الله على لسان محبوبته ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصر إلى إنسان استمالها عنه إلى نفسه وهى :

أما بعد أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلظه ، العاثر فى ذيل أغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب ، على الشراب ، المتهاافت تهافت القراش فى الشهاب ، فإن العجب أ كذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب ، وإنك راسلتنى مستهدياً من صلتى ما صفرت منه أيدى أمثالك ، متصدياً من خلتي لما قدعت فيه أنوف أشكالك ، مرسلًا خليلتك مرتاده ، مستعملاً عشيقتك قواده ، كاذبا نفسك فى أنك ستزل عنها إلى ، وتخلف بعدها على :

ولست بأول ذى همّة \* دعت له لئس بالنائل !

ولا شك أنها قلتك إذ لم تضن بك ، وملئتك إذ لم تغر عليك ، فإنها أعذرت فى السفارة لك ، وما قصرت فى النيابة عنك ، زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه ، والإنسانية أسم أنت جسمه وهيولاه ، قاطعة أنك أنفردت بالجمال ، وأستأثرت بالكمال واستعليت فى مراتب الخلال ، حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك ففضضت منه ، وأن امرأة العزيز رأتك فسالت عنه ، وأن قارون أصاب بعض ما كترت ، والنطف عثر على فضل ما ركزت ، وكسرى حمل غاشيتك ، وقصر رعى ماشيتك ، والإسكندر قتل داراً فى طاعتك ، وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك ، والضحاك أstdعى مسالمتك ، وجذيمة الأبرش تمنى منادمتك ويشيرين

قد نافست بُورانَ فيك ، وبلقيسَ غايرتَ الرِّبَاءِ عليك ؛ وأن مالك بن نُويْرةٍ إنما أَرَدَفَ لك ، وُعمروَ بن جعفرٍ إنما رَحَلَ إليك ؛ وكُليبُ بن ربيعةٍ إنما حَمَى المَرعى بعزتك ، وجَسَّاسا إنما قتله بآفتك ، ومُهلهِلا إنما طلب ثأره بهمتك ؛ والسَّموَعَلُ إنما وفى عن عهدك ، والأحنَفُ إنما آحتبى في بُردك ؛ وحاتمُا إنما جاد بوفرك ، ولقى الأضيافَ بِبشرِك ؛ وزيدُ بن مُهلِهلٍ إنما ركب بِفَخِذِك ، والسُّلَيْكُ بن السُّلَكةِ إنما عدا على رجلِك ؛ وعامرُ بن مالكٍ إنما لاعب الأسنَّةِ بيدِك ؛ وقيسُ بن زُهَيْرٍ إنما آستعان بدَهائِك ، وإياسُ بن معاويةٍ إنما آستضاء بمصباح ذَكَائِك ؛ وسُحبانُ وائلٍ إنما تكلم بلسانِك ، وعمرُو بن الأهممِ إنما سَحَرَ ببيانِك . وأن الصلحَ بين بكرٍ وتغلبَ تمَّ برسالتِك ، والحمالاتُ في دِماءِ عبسٍ وذُبْيَانٍ أُسْنِدَتْ إلى كَفَّالَتِك ؛ وأن آحتيالَ هَرِمٍ لعامرٍ وعلقمةَ حَتَّى رَضِيَا كانَ عن إشارَتِك ، وجوابه لُعمَرَا ، وقد سأله عن أيهما كان يَنْفَرُ وقع بعد مَشُورتِك ؛ وأن الحجاجَ تقلدَ ولايةَ العراقِ بِجِدِّك ، وقُتَيْبَةَ فتحَ ما وراءَ النهرِ بِسَعْدِك ؛ والمهلبُ أوهنَ شوكةَ الأزارقةِ بِأيدِك ، وأفسدَ ذاتَ بينهم بِكيدِك ؛ وأن هَرَمِسَ أعطى بيلينوسَ ما أخذ منك ، وأفلاطونُ أوردَ على أرسطاطاليسَ ما حدَّثَ عنك ؛ وبطليموسُ سَوَى الإصطِرابِ بتدِيرِك ، وصوَرُ الكُرَّةِ على تقديرِك ؛ وأبقراطُ علمَ العللِ والأمراضَ بِلطْفِ حِسِّك ، وجالينوسُ عرفَ طبائعَ الحشائشِ بِدَقَّةِ حَدْسِك ؛ وكلاهما قَلَّدَكَ في العِلاجِ ، وسألكَ عن المِزاجِ ؛ وآستوصفَكَ تركيبَ الأعضاء ، وآستشارَكَ في الداءِ والدواءِ ؛ وأنتَ نَهَجْتَ لأبى معشرٍ طريقَ القضاءِ ، وأظهرتَ جابرَ بنَ حَيَّانَ على سِرِّ الكيمياءِ ؛ وأعطيتَ النِّظامَ أصلا أدركَ به الحقائقُ ، وجعلتَ للكيندىَ رسما آستخرجُ به الدقائقُ ؛ وأن صناعةَ الألحانِ آخترأعكَ ، وتألَّفَ الأنصارُ توليدَكَ وآبتدأعَكَ ؛ وأن عبد الحميدَ بنَ يحيىَ بارىَ أَفلامَكَ ، وسهلَ بنَ هارونَ مدوَنَ كَلامِكَ ؛ وعمرُو بن بحرٍ مستعلِكُ ، ومالكُ بن أنسٍ مُستفتيكَ ؛ وأنتَ الذى

أقام البراهين ، ووضع القوانين ؛ وحدّ الماهية ، وبين الكيفية والكيفية ؛ وناظر في الجوهر والعرض ، وميز الصحة من المرض ؛ وحلّ المعنى ، وفصل بين الأسماء والمسماة ؛ وضرب وقسم ، وعدل وقوم ؛ وصنف الأسماء والأفعال ، وبوّب الظرف والحال ؛ وبني وأعرب ، ونفى وتعجب ؛ ووصل وقطع ، وثنى وجمع ؛ وأظهر وأخفى ، وأبدأ وأخبر ؛ وأسفهم وأهمل ، وقيد وأرسل ؛ وأسند وبحث ، ونظر وتصفح الأديان ، وزجّج بين مذهبي ماني وغيلان ؛ وأشار بذبح الجعد ؛ وقتل بشار ابن برد ؛ وأنتك لو شئت تحرق العادات ، وخالفت المعهودات ؛ فأحلت البحار عذبه ، وأعدت السلام رطبه ؛ ونقلت غداً فصار أمسا ، وزدت في العناصر فكانت خمسا ؛ وأنتك المقول فيك "كلّ الصيد في جوف الفراء" ، والمقول فيك :

ليس على الله بمستنكر \* أن يجمع العالم في واحد

والمعنى بقول أبي تمام :

فلو صوّرت نفسك لم تردها \* على ما فيك من كرم الطباع

والمراد بقول أبي الطيّب :

ذكر الأناؤم لنا فكان قصيدة \* كنت البديع الفرد من أبياتها

فكدمت في غير مكدم ، وأسسمنت ذا ورم ، ونفخت في غير ضرم ، ولم تجد لرمح مهزاً ، ولا لشفرة محزاً ، بل رضى من الغنمة بالإياب ، وتمت الرجوع بحنى حنين ، لأنى قلت لها :

\* لقد ذلّ من بالث عليه الثعالب \*

وأنشدت :

على أنها الأيام قد صرن كلها \* عجائب حتى ليس فيها عجائب

ونخرت وكفرت ، وعبست وبسرت ، وأبدأت وأعدت ، وأبرقت وأرعدت ،



وَهَمَّتْ ولم أفعَل ، وَكِدْتُ وليتني ، ولولا أن للجوار ذِمَّةً ، وللضيافة حُرمة ، لكان الجواب في قَدَالِ الدُّمُسْتُقْ ؛ والنعل حاضرة إن عادت العُقْرَبُ ، والعُقوبة ممكنة إن أصرَّ المذنب ؛ وهَبْها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملؤها حبيبها وحسن فيها من تود ؛ وكانت إنما حَلَّتْك بِحِلالك ، ووسمتك ، بسميالك ، ولم تُعرك شهادة ، ولا تكلفت لك زياده ؛ بل صدقت سنَّ بكرها فيما ذكرته عنك ، ووضعت الهِنَاءَ مواضع النَّقَبِ فما نسبته إليك ؛ ولم تكن كاذبة فيما أثنت به عليك ، فالمُعَيَّدَى تسمع به خير من أن تراه ، هجينُ القَدالِ ، أرعن السَّبَالِ ، طويل العُنق والعِلالوه ؛ مُفْرِطُ الحُجْقِ والغَبَاوه ؛ جافى الطبع ، سيئُ الإجابة والسمع ، بغيض الهيئه ، سخيْفُ الذَّهابِ والجَيْئه ، ظاهرُ الوسواس ، مُتَنِّ الأَنفاس ؛ كثير المعاييب ، مشهور المثالب ؛ كلامك متمم ، وحديثك غمغمه ؛ وبيأُك فَهَفَهه ، وضحكك قَهَقَهه ، ومشيك هروله ، وغَنَّاك مسأله ، ودينك زندقه ، وعلمك مخرقه :

مَسَاوِ لو قِسْمَنَ عَلَى الْعَوَانِي \* لَمَّا أُمِهرَتْ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

حتى إن باقلاً موصوفٌ بالبلاغة إذا قُرِنَ بك ، وَهَبَقَّةٌ مستحقٌّ لآدمِ العقل إذا أُضيفَ إليك ؛ وأبا غبشان محمود منه سَدَادُ الفعل إذا نسب إليك ، وطويسا مأثور عنه يمينُ الطائر إذا قيسَ عليك ، فوجودك عدم ، والأعتناء بك نَدَم ؛ والخلية منك ظَفَرٌ ، والجنة معك سَقَرٌ ؛ كيف رأيت لُؤْمُك لكرمي كفاء ! وَضَعَتَكَ لشرفي وفاء ؛ وأنى جهلت أن الأشياء إنما تنجذب إلى أشكالها ، والطيور إنما تقع على آلافها ، وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان ، وشعرت أن نارِي المؤمن والكافر لا تترأيان ، وقلت الخبيث والطيب لا يستويان ، وتمثلت :

\* عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ \*

وذكرت أنى علق لأبياع من زاد، وطائر لا يصيده من أراد، وغرض لا يصيبه  
إلا من أجاد، فما أحسبك إلا قد كنت تهبأت للتهنيه، وترشحت للترفيه،  
لولا أن جرح العجاء جبار، للقيت ما لقي من الكواعب يسار؛ فما هم إلا بدون  
ما هممت به، ولا تعرض إلا لأيسر مما تعرضت له؛ أين أدعائك رواية الأشعار،  
وتعاطيك حفظ السير والأخبار؛ أما ثاب لك قول الشاعر :

بنو دارم أكفأؤهم آل مسمع \* وتكح في أكفائها الحباط

وهلا عشت ولم تغتر، وما أمك أن تكون وافد البراجم، أو ترجع بصحيفة  
التملّس، أو أفعل بك ما فعله عقيل بن علفة<sup>(١)</sup> بالجهني الذي جاء خاطبا، فذهن  
أسته بزيت وأدناه من قرية النمل؛ ومتى كثر تلاقينا، وأتصل ترائينا؟ فيدعوني  
إليك ما دعا أبة الخس إلى عبدها من طول السواد، وقرب الوساد؛ وهل فقدت  
الأراقم فأنكح في جنب، أو عضلني همام بن مرة، فأقول زوج من عود، خير من  
قعود، ولعمري لو بلغت هذا المبلغ لأرتفعت عن هذه الخطّة، وما رضيت بهذه  
الخطّة، فالنار ولا العار، والمينة ولا الدنية، والحرة تجوع ولا تأكل بشديها :

فكيف وفي أبناء قومي منكح \* وفتيان هزان الطوال الغرائقه

ما كنت لأتخطى المنكح إلى الرماد، ولا أمتطي الثور دون الجواد؛ وإنما يتيم من  
لا يجد ماء، ويرعى الهشيم، من عدم الجيم؛ ويركب الصعب من لا ذلول له؛ ولعلك  
إنما غرك من علمت صبوتي إليه، وشهرت مساعفتي له من أقمار العصر، ورياحين  
المصر، الذين هم الكواكب علوهم، والرياض طيب شيم .  
\* من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم \*

(١) في الأصل علفمة وهو تصحيف أنظر مادة ع ل ف في القاموس .

فَحَنَّ قَدَحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهْمٌ ؟ وَأَيْنَ تَقَعُ مِنْهُمْ ؟ وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا وَאוَعَمَّرُوا فِيهِمْ ؟  
وَكَاوَلَوِشَيْطَةَ فِي الْعِظَمِ بَيْنَهُمْ ؛ وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا بَلَغْتَ قَعْرَ تَابُوتِكَ ، وَتَجَاوَيْتَ لَقَمِيصَكَ  
عَنْ بَعْضِ قُوَّتِكَ ؛ وَعَطَّرْتَ أُرْدَانَكَ ، وَجَرَرْتَ هِمْيَانَكَ ؛ وَأَخْتَلْتَ فِي مِشْيَتِكَ ،  
وَحَدَقْتَ فُضُولَ لِحْيَتِكَ ؛ وَأَصْلَحْتَ شَارِبَكَ ، وَمَطَطْتَ حَاجِبَكَ ؛ وَرَقَقْتَ خَطَّ  
عِذَارِكَ ، وَأَسْتَأْنَفْتَ عَقْدَ إِزَارِكَ ، رَجَاءَ الْاِكْتِنَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي الْاِعْتِدَادِ مِنْهُمْ  
فَظَنَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتَ أَسْتُكَ الْحُفْرَةَ . وَاللَّهِ لَوْ كَسَاكَ مَحْرَقُ الْبُرْدَيْنِ ، وَحَلَّتْكَ  
مَارِيَّةُ الْبُقْرَطَيْنِ ، وَقُلْدُكَ عَمْرُو الصَّمْصَامَةِ ، وَحَمَلَكِ الْحَارِثُ عَلَى النَّعَامَةِ ، مَا شَكَكْتُ  
فِيكَ ، وَلَا تَكَلَّمْتَ بَمَلَاءِ فِيكَ ، وَلَا سَتَرْتُ إِيَّاكَ ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ . وَهَبَكَ سَامِيَتِهِمْ  
فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ ، وَجَارِيَتِهِمْ فِي غَايَةِ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ ؛ أَلَسْتَ تَأْوِي إِلَى  
بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِكَاعٍ ، إِذْ كُلَّهُمْ عَزَبَ خَالِي الذَّرَاعِ ، وَأَيْنَ مِنْ أَنْفَرْدَ بِهِ مَنْ لَا غَلَبَ  
إِلَّا عَلَى الْأَقْوَلِ الْأَخْسَ مِنْهُ ؛ وَكَمْ بَيْنَ مَنْ يِعْتَمِدُنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ ،  
وَالنَّفْسِ الْمَصْرُوفَةِ إِلَى ، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَى ، وَبَيْنَ آخِرَقَدِ نَزَحَتْ بِيرِهِ ، وَنَضَبِ  
غَدِيرِهِ ، وَذَهَبِ نَشَاطِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضَرَاطُهُ . وَهَلْ كَانَ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشْفُ  
وَسُوءُ الْكِيلَةِ ، وَيَقْتَرِنُ عَلَى بَكَ إِلَّا الْغُدَّةُ وَالْمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُولِهِ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو \* أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بَأْنَ تُقَدَّرُ بِذُرْعِكَ ، وَتَرَبَّعَ بِذَلِكَ عَلَى ظُلْمِكَ ، وَلَا تَكُونُ بَرَاقِشَ  
الدَّالَّةِ عَلَى أَهْلِهَا ، وَعِزَّ السُّوءِ الْمُسْتَثِيرَةِ لِحَتْفِهَا ؛ فَمَا أُرَاكَ إِلَّا قَدْ سَقَطَ الْعِشَاءُ بِكَ عَلَى  
سِرْحَانٍ ، وَبِكَ لَا يَطْبِي أَعْفَرٌ ؛ قَدْ أَعْذَرْتُ إِنْ أَغْنَيْتَ شَيْئًا ، وَأَسْمَعْتُ لَوْ نَادَيْتُ حَيًّا ،  
وَقَرَعْتُ عَصَا الْعِتَابِ ، وَحَدَّرْتُ سُوءَ الْعِقَابِ .

إِنَّ الْعَصَا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ \* وَالشَّيْءُ تَحْقَرَهُ وَقَدْ يَنْمِي

فَإِنْ بَادَرْتُ بِالنَّدَامَةِ ، وَرَجَعْتُ عَلَى نَفْسِكَ بِالْمَلَامَةِ ؛ كُنْتَ قَدْ أَشْتَرَيْتَ الْعَافِيَةَ  
لَكَ بِالْعَافِيَةِ مِنْكَ ؛ وَإِنْ قُلْتَ جَعَجَعَةً وَلَا طِخْنَ ، فَرُبَّ صَلَفٍ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ ، وَأَنْشَدْتَ :

لَا يُؤَسِّنَكَ مِنْ مُحَدَّرَةٍ \* قَوْلٌ تُغَلِّظُهُ وَإِنْ جَرَحَا

فَعُدَّتْ لِمَا نَهَيْتُ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتَ مَا أَسْتَعْفَيْتُ مِنْهُ ، بَعَثْتَ مِنْ يُزْجِجُكَ إِلَى  
الْخَضِرَاءِ دَفْعًا ، وَيَسْتَحِثُّكَ نَحْوَهَا وَكُزًا وَصَفْعًا ، فَإِذَا صَرْتَ إِلَيْهَا عَبَثْتَ أَكْارُهَا بِكَ ،  
وَتَسْلُطُ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ : فَمِنْ قَرَعَةٍ مُعْجَظَةٍ تَقُومُ فِي قَفَاكَ ، وَمِنْ فُجْلةٍ مُنْتِنَةٍ تُرْمَى بِهَا  
تَحْتَ خِصَاكَ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ، لَكِنِّي تَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قُدْرِكَ :  
فَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ \* رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

فلولا المعرفة بالتاريخ، والإحاطة بالوقائع والسير، والأقاصيص، والأمثال السائرة  
في معنى ذلك، لما تأتى للنائر الاقتدار على سبك هذه الوقائع، والتلويح بمقتضياتها.

### النوع السابع عشر

( المعرفة بخزائن الكتب ، وأنواع العلوم ، والكتب المصنفة فيها  
وأسماء الرجال المبرزين في فنونها ، وفيه مقصدان )

### المقصد الأول

( في ذكر خزائن الكتب المشهورة )

قد كان للخلفاء والملوك في القديم بها مزيد اهتمام، وكمال اعتناء، حتى حصلوا منها  
على العدد الجَمِّ، وحصلوا على الخزائن الجليلة . ويقال إن أعظم خزائن الكتب  
في الإسلام ثلاثُ خزائن :

إحداها — خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى  
كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر ببغداد، وقتل  
ملكهم هولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغداد، فذهبت خزانة الكتب فيها ذهب،  
وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها .

الثانية — خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت من أعظم الخزائن، وأكثرها جمعا للكتب النفيسة من جميع العلوم على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية فى المقالة الثانية. ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم، وأستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم، فاشترى القاضى الفاضل أكثر كتب هذه الخزانة، ووقفها بمدرسته الفاضلية بدار بلوخيا بالقاهرة، فبقيت فيها إلى أن استولت عليها الأيدى فلم يبق منها إلا القليل .

الثالثة — خزانة خلفاء بنى أمية بالأندلس؛ وكانت من أجل خزائن الكتب أيضا. ولم تزل إلى أنقراض دولتهم باستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس، فذهبت كتبها كل مذهب .

أما الآن فقد قلت عناية الملوك بخزائن الكتب، اكتفاء بخزائن كتب المدارس التى آبنوها من حيث إنها بذلك أمس .

واعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تُحصى، وأجل من أن تُحصَر؛ لا سيما الكتب المصنفة فى الملة الإسلامية فإنها لم يصنف مثلها فى ملة من الملل، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم؛ إلا أن منها كتب مشهورة قد توفرت الدواعى على نقلها، والإكثار من نسخها، وطارَت سُمعتها فى الآفاق ورُغِبَ فى اقتنائها .

### المقصد الثانى

(فى ذكر العلوم المتداولة بين العلماء، والمشهور من الكتب المصنفة فيها ومؤلفيهم ويرجع المقصد فيها إلى سبعة أصول، يتفرع عنها أربعة ونحسون علما)

### الأصل الأول

(علم الأدب، وفيه عشرة علوم)

الأول علم اللغة — من الكتب المختصرة فيه المتخَب، والمجرد لكُراع؛ وأدب الكاتب لأبن قتيبة، وفتح اللغة للثعالبي، والفصيح للعلب، وكفاية المتحفظ

لأبن الأجدابي، والألفية لأبن أصبع. ومن المتوسطة فيه المجمل لأبن فارس، وديوان الأدب للفارابي، وإصلاح المنطق لأبن السكيت. ومن المبسطة الجامع للأزهري والعباب الزاهر للصاغاني، والصحاح للجوهري. قال في إرشاد القاصد: ولا أنفع ولا أجمع من المحكم لأبن سيدة.

الثاني علم التصريف — من الكتب المختصرة فيه التصريف الملوكي لأبن جنى والتعريف لأبن مالك. ومن المتوسطة تصريف أبن الحاجب، وهو من أحسن الكتب الموضوعة فيه وأجمعها. ومن المبسطة فيه المتع لأبن عصفور، وشرح تصريف أبن الحاجب وغيره.

الثالث علم النحو — من الكتب المختصرة فيه الكافية لأبن الحاجب، والدرة الألفية لأبن معطى، والخلاصة لأبن مالك. ومن المتوسطة المفصل للزخشرى والمقرب لأبن عصفور، والكافية الشافية لأبن مالك، وتسهيل الفوائد له وهو الجامع على شدة اختصاره. ومن المبسطة كتاب سيويه وشرحه، وشرح أبن قاسم على الألفية، وشرحه على التسهيل، وشرح شهاب الدين السمين عليه؛ وأوسع الكل شرح الشيخ أثير الدين أبي حيان على التسهيل.

(١)  
الرابع علم المعاني — من الكتب المنفردة فيه مصنف تيمم الحرى، وهو عزيز الوجود.

الخامس علم البيان — من الكتب المنفردة به كتاب نهاية الإعجاز للإمام فخر الدين الرازى، والجامع الكبير لأبن الأثير الجزرى.

السادس علم البديع — من الكتب المنفردة به المختصرة فيه زهر الربيع للطرزى. ومن المتوسطة فيه البديع للتيفاشى، وشرح البديعية للصفى الحلى. ومن المبسطة كتاب التحجير لأبن أبى الأصبع.

(تنبيه) ومن الكتب المشتملة على علوم المعاني والبيان والبديع روض الأزهار لابن مالك ، والإيضاح لابن مالك ، وأعظمها شهرة بالديار المصرية تلخيص المفتاح لقاضى القضاة جلال الدين القزويني وعليه عدة شروح . منها شرح الخلخلى ، وشرح الشيخ أكل الدين ، وشرح الشيخ بهاء الدين السبكي ، وهو من أجل شروحه ، والمعول عليه منها شرح الشيخ سعد الدين التفتازاني .

السابع علم العروض — من الكتب المختصرة فيه عروض ابن مالك ، ولابن الحاجب فيه لامية كافية ، اعتنى الناس بشرحها ، ومن شرحها الشيخ جمال الدين ابن واصل ، والشيخ جمال الدين الأسنوي . وللساوى لامية ضاهى فيها لامية ابن الحاجب ، والإمام القزويني عليها شرح حسن ، ولأبيكي فيه مختصر بديع ، وللجوهري فيه مختصر . ومن المتوسطة فيه عروض ابن القطاع ، وعروض ابن الخطيب التبريزي . ومن المبسطة كتاب الأمين المحلى ، وعروض الأستاذ أبى الحسن العروضى المعروف بأستاذ المقتدر . وقد نظم فيه صاحبنا شعبان الآثارى محتسب مصر ألفية فائقة سماها "هداية الضليل إلى علم الخليل" جمع فيها فأوعى .

الثامن علم القوافى — من الكتب المختصرة فيها قوافى الأيكى . ومن المتوسطة قوافى ابن القطاع ، ومن المبسطة قوافى ابن سيده .

التاسع علم قوانين الخط — فى أصول الخط ألفية لشعبان الآثارى ، ولابن الحسين كتاب فى قلم الثلث ، ولابن الشيخ عز الدين بن عبد السلام مصنف فى قلم النسخ ، وفى صناعة الهجاء المختصة بالقرءان الرائية للشاطبي ، وفى خلال كتب النحو الجامعة كالتسهيل وغيره جملة من الهجاء ، وقد أودعت فى هذا الكتاب ما فيه كفاية من ذلك .

العاشر قوانين القراءة — فى كتاب التنبيه لأبى عمرو الداني .

## الأصل الثاني

(العلوم الشرعية، وفيه تسعة علوم)

الأول علم النواميس المتعلق بالنبؤات — وفيه كتاب لأرسطاطاليس، وكتاب لافلاطن، وأكثر مسائله في "كتاب المدينة الفاضلة" لأبي نصر الفارابي، وفي آخر الطوالع والمصباح للبيضاوي مسائل من ذلك <sup>(١)</sup>.

الثاني علم القراءات — من الكتب المختصرة فيه التيسير لأبي عمرو الداني، ونظمه الشاطبي في قصيدته التي وسمها بحorz الأمانى، فأغنت عما سواها من كتب القراءات وأعنى الناس بشرحها، ولأبن مالك دالية بديعة في علم القراءات لكنها لم تشتهر. ومن الكتب المبسطة فيه كتاب الروضة في القراءات، وشرح الشاطبية كالفاسى وغيره.

الثالث علم التفسير — من الكتب المختصرة فيه زاد المسير لأبن الجوزى، والوجيز للواحدى، والنهر لأبن حيان. ومن المتوسطة فيه الوسيط للواحدى والكشاف للزَّمَخْشَرى، ومعالم التنزيل للبعوى. ومن المبسطة البسيط للواحدى، وتفسير القرطبي، وتفسير الامام نحر الدين، والبحر المحيط لأبن حيان.

واعلم أن كل واحد من المفسرين قد غلب عليه فن من الفنون يميل إليه في تفسيره، فالتيفاشى تغلب عليه القصص، وأبن عطية تغلب عليه العربية، وأبن عطية تغلب <sup>(٢)</sup> عليه أحكام الفقه، والزجاج تغلب عليه المعانى وغير ذلك.

الرابع علم رواية الحديث — أضبط الكتب المصنفة فيه وأصحها رواية صحيح البخارى، وصحيح مسلم رضى الله عنهما، وبعدهما بقية كتب السنن المشهورة، كسنن أبى داود، والترمذى، والنسائى، وأبن ماجه، والدارقطنى. والمستندات المشهورة كسند أحمد، وابن أبى شيبه، والبزار ونحوها.

(١) هو كتاب البيضاوى في علم الكلام. (٢) هما مفسران أحدهما متقدم على الآخر وكلاهما مسمى بأبى محمد عبدالله إلا أن المتقدم دمشقى والمتأخر غرناطى كذا يؤخذ من كشف الظنون.



ومن كتب السير السيرة لأبن هشام ، وزهر الخمائل لأبن سيد الناس .  
ومن الكتب المبسوطه المشتملة على متون الأحاديث دون الرواة جامع الأصول  
لأبن الأثير . ومن المتوسطة الجمع في ذلك الجمع بين الصحيحين للحميدي ، ومختصر جامع  
الأصول لمصنفه . ومن المختصرة فيما يتعلق بالأحكام ، الإمام بأحاديث الأحكام ،  
للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وعمدة الأحكام للحافظ عبد الغني المقدسي .

ومما يتعلق بالترغيب والترهيب رياض الصالحين للنووي . ومما يتعلق بالأدعية  
كتاب الأدكار له ، وسلاح المؤمن لأبن الامام . إلى غير ذلك من أنواع المصنفات  
المختلفة المقاصد مما لا يحصى كثرة .

الخامس علم دراية الحديث — من الكتب الموصلة للدخول في ذلك علوم الحديث  
لأبن الصلاح ، وتقريب التيسير للنووي ، وعلوم الحديث للحاكم ، والكفاية للخطيب  
أبي بكر ، وفي أول جامع الأصول المقدم ذكره في كتب رواية الحديث قطعة من  
ذلك . ومن الكتب المبسوطه في أسماء الرجال الكمال . ومن الكتب المبسوطه  
في معاني الحديث شرح البخاري لأبن بطلال ، وشرحه لأبن التين المغربي ، وشرحه  
لمغلطاي ، وشرحه لادكرماني ، وشرحه لشيخنا سراج الدين بن الملقن ، وشرح مسلم  
للقاضي عياض ، وشرحه للشيخ محيي الدين النووي ، وشرح سنن أبي داود للخطابي ،  
وشرح العمدة للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وشرحها للشيخ تاج الدين الفاكهاني .  
ومن الكتب في غريب الحديث كتاب الغريبين للهروي ، والنهاية لأبي السعادات  
أبن الأثير ، وغير ذلك من سائر الأنواع .

السادس علم أصول الدين — من الكتب المختصرة فيه الطوالع للقاضي ناصر الدين  
البيضاوي ، والمصباح له ، وقواعد العقائد للخواجه نصير الدين الطوسي ، وكتاب الأربعين

للقاضى جمال الدين بن واصل . ومن المتوسطة المحصل للإمام نضر الدين ، والصحائف  
 للسمرقندى ، وشرح الطوابع للسيد العبرى ، وشرحها للشيخ عز الدين الأصفهاني .  
 السابع علم أصول الفقه — من الكتب المختصرة فيه مختصر ابن الحاجب ،  
 ومنهاج البيضاوى ، والتنقيح للقرافى ، والقواعد لأبن الساعاتى . ومن المتوسطة فيه  
 التحصيل للأرموى . ومن المبسوطه فيه الإحكام للآمدى ، والمحصل للإمام  
 نضر الدين ، وشرح مختصر ابن الحاجب : كشرح القطب الشيرازى ، وشرى  
 المسيلى ، وشرح الشيخ شمس الدين الأصفهاني ، وأتقن شرح عليه للعصدي ، وكشرح  
 منهاج البيضاوى لأبن المطهر ، وشرحه للشيخ جمال الدين الأسنوى ، وغير ذلك ؛  
 وكشرح التنقيح لمصنفه .

الثامن علم الجدل — من الكتب المختصرة فيه المغنى للأبهري ، والفصول للنسفى  
 والخلاصة للراغى ، والمعونة لأبى إسحاق الشيرازى . ومن المتوسطة فيه النفائس  
 للعميدى ، والوسائل للأرموى . ومن المبسوطه تهذيب النكت للأبهري .  
 التاسع علم الفقه — من كتب الشافعية المختصرة مختصر المزنى ، ومختصر البويطى  
 والوجيز للغزالى ، والتنبيه لأبى إسحاق الشيرازى ، والمحرر للرافعى ، والمنهاج للنووى  
 والحاوى الصغير لعبد الغفار القزوينى ، والعجب العجائب ، وجامع المختصرات ،  
 ومختصر الجوامع للشيخ كمال الدين الشيبانى . ومن المتوسطة المذهب لأبى إسحاق  
 الشيرازى ، والوسيط للغزالى ، والشرح الصغير للرافعى ، والروضة للنووى ، والجواهر  
 للقموى ، وأجمعها على اختصار المتقى للشيخ كمال الدين الشيبانى . ومن المبسوطه  
 الأثم للإمام الشافعى ، والحاوى للآوردى ، والبحر للرويانى ، والنهاية لإمام الحرمين ،  
 والبسيط للغزالى ، والشامل لأبن الصباغ ، والتتمة للتولى ، والعدة لأبى المكارم  
 الرويانى ، والشرح الكبير على الوجيز للرافعى ، وشرح المذهب للنووى انتهى فيه إلى

أثناء الربا ، ولو كل لأغنى عن جُل كتب المذهب ، والكفاية في شرح التنبيه لأبن الرِّقعة ، والمطلب في شرح الوسيط له ، والبحر المحيط في شرح الوسيط للقُمولى . ومن محاسنها المهمّات على الرافعى ، والروضة للشيخ جمال الدين الأسنوى . ومن كتب الحنفية المختصرة البداية ، والنافع ، والكثرة ، ومجمع البحرين ، ومختار الفتوى . ومن المتوسطة الهداية . ومن المبسطة المحيط ، والمبسوط ، والتحرير والجامع الكبير وغير ذلك .

ومن كتب المالكية المختصرة التلقين للقاضى عبد الوهاب ، ومختصر ابن الجلاب ، ومختصر ابن الحاجب . ومن نفيس المختصرات فيها مختصر الشيخ خليل المالكي ، هذا فيه قريبا من حذو جامع المختصرات . ومن المتوسطة التهذيب للبرادعى ، والجواهر لأبن شاس ، ونظم الدرّ للشارمساحى . ومن المبسطة النوادر لأبن أبى زيد ، والبيان والتحصيل ، وكتاب أبى يونس ؛ وشرح التلقين للآزرى ، وليس بكامل ، والذخيرة للقرافى .

ومن كتب الحنابلة المختصرة مختصر الحذقى ، والنهاية للصغرى لأبن رزّين . ومن المتوسطة المُنقّع ، والكافى . ومن المبسطة المغنى لأبن قدامة . ومن كتب الخلاف فى المذاهب الأربعة الاختلاف والجمع لأبن هبيرة الحنبلى . ومن المشتمل على مذاهب السلف الإشراف لأبن المنذر .

### الأصل الثالث

( العلم الطبيعى ، وفيه اثنا عشر علما )

الأول علم الطب — من الكتب المختصرة فيه الموجز لأبن النفيس ، والفصول لأبقراط ، ومن المتوسطة المختار لأبن هبل ، والمائة للسيجى ، والشافى لأبن القف . ومن المبسطة كامل الصناعة المعروف بالملكى ، والقانون للرئيس أبى على بن سينا

وهو الذى أخرج الطب من التلفيق إلى التهذيب والترتيب ، وهو أجمع الكتب وأبلغها لفظاً وأحسنها تصنيفاً .

- الثانى علم البيطرة — من الكتب المصنفة فيه كتاب حنين بن اسحاق .
- الثالث علم البيرة — من الكتب المصنفة فيه كتاب القانون الواضح وفى كتاب العلاجين لأبن العوام جملة كافية من البيطرة والبيرة .
- الرابع علم الفِرَاسة — من الكتب المصنفة فيه كتاب أرسطاطاليس وكتاب الفِرَاسة للامام نحر الدين الرازى ، ولفلين فيه كتاب مختص بالنفّرس فى النساء .
- الخامس علم تعبير الرؤيا — من الكتب المختصرة فيه فوائد الفرائد لأبن الدقاق ، وتعبير الحنبلى المرتب على حروف المعجم . ومن المتوسطة فيه شرح البدر المنير للحنبلى . ومن المبسوطه فيه تأليف أبى سهيل المسيحى ، والبشرى فى شرح كتاب الكرماني .
- السادس علم أحكام النجوم — من الكتب المختصرة فيه مجمل الأصول لكوشيار ، والجامع الصغير لمحي الدين المغربى . ومن المتوسطة كتاب التاريخ والمغنى لأبن هنبنا . ومن المبسوطه مجموع أبى سريخ . ومن الكتب المنفردة ببعض أجزائه الأدوار لأبى معشر ، والإرشاد لأبى الريحان البيرونى ، والمواليد للخصيبى ، والتحاويل للسحرتى ، والمسائل للقيصرانى ، ودرج الفلك لسكلوشا . ومن المدخل إليه مدخل القيصى ، والفهم للبيرونى مدخل إلى هذا الفن ، وفيه ما يحتاج إليه من الرياض أيضا .
- السابع علم السحر ، وعلم الحرف والأوقاف — ومن كتب السحر المعتبرة فى بعض طرائقه السر المكتوم المنسوب للامام نحر الدين ، وكتاب الجمهرة للخوارزمى ، وكتاب طيارس لارسطاطاليس ، وفى غاية الحكم للجريطى فصول كافية فى بعض طرقه أيضا . ومن كتب علم الحرف كتاب لطائف الإشارات للبونى ، وشمس المعارف له ، وهو عزيز الوجود ، وفى النسخ المعتبرة من اللغة النورانية للبونى قطعة كافية منه .

الثامن علم الطَّلَسَّمات — فى كُتاب طَبَّتانا الذى نقله أبْن وحشِيَّة عن النبط أُمُودَج لعمل الطَّلَسَّمات ومدخل إلى علمها ، وفى غاية الحُكم للجريطى قواعد هذا العلم . قال فى إرشاد القاصد إلا أنه ضَنَّ بالتعليم كل الضن ، ولأبْن يعقوب السكاسكى فيه كُتاب جليل القدر .

التاسع علم السيميا — رأيت فيه كتباً مجهولة المصنِّفين .  
 العاشر علم الكيميا — من الكتب المطولة فيه كتب جابر بن حَيَّان . قال فى إرشاد القاصد : وأمثلة كتب الإسلاميين فى ذلك التذكرة لأبْن كونه ، ورُبَّة الحكيم للجريطى ، وشرح الفصول لعون بن المنذر . ومن النظم الرائق فيه نظم الشذورى .  
 الحادى عشر علم الفلاحة — من الكتب المختصرة فيه الفلاحة المصرية . ومن المبسوطة فيه الفلاحة النبطية ، ترجمة أبْن بكر بن وحشية .

الثانى عشر علم ضرب الرمل — من الكتب المصنفة فيه تجارب العرب ، وفى مثلثات أبْن محقق <sup>(١)</sup> حصر صورته .

تنبه — لارسطاطاليس ثمانية كتب فى الطبيعى يختص كل كُتاب منها بجزء جردها أبْن سينا فى مختصر ترجمه بالمقتضبات ، ولخصها أبو الوليد بن رشد تلخيصاً مفيداً ، والمتأخرون جمعوا فى غالب كتبهم بينه وبين الإلهى فى التصنيف كما فى الطوالع والمصباح للبيضاوى .

## الأصل الرابع

( علم الهندسة ، وفيه عشرة علوم )

الأول علم عقود الأبنية — من الكتب المصنفة فيه مصنف لأبْن الهيثم ، ومصنف لأكبرى .

(١) فى كشف الظنون محقق .

- الثانى علم المناظر — من الكتب المختصرة فيه كتاب اقليدس . ومن المتوسطة كتاب على بن عيسى الوزير . ومن المبسوطه كتاب ابن الهيثم .
- الثالث علم المرآيا المحرقة — من الكتب المصنفة فيه كتاب لابن الهيثم .
- الرابع علم مراكز الأثقال — من الكتب المعبرة فيه كتاب ابن الهيثم ، وفيه كتاب لأبى سهل الكوهى .
- الخامس علم المساحة — من الكتب المختصرة فيه كتاب ابن مجلى الموصلى . ومن المتوسطة كتاب ابن المختار . ومن المبسوطه ، كتاب ارشميدس .
- السادس علم إنباط المياه — للكرنجى فيه مختصر جليل ، وفى خلال الفلاحة النبطية لابن وحشية مهمات هذا العلم .
- السابع علم جرّ الأثقال — فيه كتاب لفيلن .
- الثامن علم البنكومات — فيه كتاب لارشميدس عمدة فى بابه .
- التاسع علم الآلات الحربية — فيه كتاب لبنى موسى بن شاكر .
- العاشر علم الآلات الروحانية — أشهر كتبه الكتاب المعروف بحيل بنى موسى ، وفيه كتاب مختصر لفيلن ، وكتاب مبسوط للبديع الجزرى .

### الأصل الخامس

( علم الهيئة ، وفيه خمسة علوم )

- الأول علم الزيجات — قال فى إرشاد القاصد : أقرب الزيجات عهدا بالرصد الزيج العلأى . قال وأهل مصر فى زماننا إنما يقيمون دقتر السنة من زيح لفقوه من عدة أزياج ولقبوه بالمصطلح ؛ وأتم الزيجات فى زماننا الذى نحن فيه زيح الشيخ علاء الدين بن الشاطر الدمشقي ، وهو عزيز الوجود لم ينتشر ولم تكثر نسخه بعد .

الثانى علم المواقيت — من الكتب المختصرة فيه نفائس اليواقيت فى علم المواقيت . ومن المبسوطه جامع المبادئ والغايات لأبى على المرأ كشى .  
 الثالث علم كيفية الأرصاد — من الكتب المعتره فيه كتاب الأرصاد لأبن الهيم ، وكتاب الآلات العجيبه للهارثى يشتمل عليه .  
 الرابع علم تسطيح الكرة — من الكتب القديمه فيه كتاب تسطيح الكرة لبطليموس . ومن الكتب المحدثه فيه الكامل للفرغانى ، والأستيعاب للبىرونى ، وآلات التقويم للزرا كشى .  
 الخامس علم الآلات الظليه — فيه عدّه مصنفات ، ولابراهيم بن سنان الحرّانى فيه كتاب مبرهن .

### الأصل السادس

( علم العدد المعروف بالارتماطيق ، وفيه خمسة علوم )  
 الأول علم الحساب المفتوح — من الكتب المختصرة فيه مختصر آبن مجلى الموصلى ومختصر آبن فلوس الماردىنى ، ومختصر السموئل بن يحيى المغربى . ومن المتوسطه الكافى للكرخى . ومن المبسوطه الكامل لأبى القاسم بن السمع .  
 الثانى علم حساب التخت والميل — من الكتب المصنفة فيه على طريق الهندى كتب معدّه ، ومن الكتب المصنفة فيه على طريق القبار كتاب الحصار ، وكتاب المدخل وغيرهما .  
 الثالث علم الجبر والمقابله — من الكتب المختصرة فيه نصاب الجبر لأبن فلوس الماردىنى ، والمفيد لأبن مجلى الموصلى . ومن المتوسطه فيه كتاب المظفر الطوسى . ومن المبسوطه جامع الأصول لأبن المجلى ، والكامل لأبى شجاع بن أسلم .  
 الرابع علم حساب الخطأين — وفيه من الكتب الجامعه كتاب لزين الدين المعزى الخامس علم حساب الدور والوصايا — من الكتب المصنفة فيه كتاب لأفضل الدين الحوىجى .

## الأصل السابع

( العلوم العملية، وفيه ثلاثة علوم )

الأول علم السياسة — ومن الكتب المصنفة فيه كتاب السياسة لارسطاطاليس الذى ألفه لاسكندر، وكتاب المدينة الفاضلة لأبى نصر الفارابى، وللشيخ تقي الدين ابن تيمية كتاب حسن فى السياسة الشرعية .

الثانى علم الأخلاق — ومن الكتب المختصرة فيه ، كتاب للشيخ أبى على ابن سينا . ومن المتوسطة كتاب الفوز لأبى على بن مسكويه . ومن المبسطة كتاب للامام نحر الدين الرازى .

الثالث علم تدبير المنزل — ويحصل الانتفاع فيها بالاطلاع على السير الفاضلة المحمودة للملوك وغيرهم ، ولا أنفع من السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . فإذا عرف الكاتب هذه العلوم والفنون وما صنف فيها من الكتب ، أمكنه التصرف فيها فى كتابه بذكر علم نبيل لمساواته أو التفضيل عليه ، وذكر كتاب مصنف فى ذلك حيث تدعو الحاجة إلى ذكره : كما وقع لى فى تقرير مولانا قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن ، أبى سيدنا شيخ الإسلام أبى حفص عمر البلقينى الكافى الشافعى ” إن تكلم فى الفقه فكأنما بلسان الشافعى ” تكلم ، والربيع عنه يروى ، والمنزى منه يتعلم ، أو خاض فى أصول الفقه قال الغزالى هذا هو الإمام باتفاق ، وقطع السيف الآمدى ” بأنه المقدم فى هذا الفن على الإطلاق ، أو جرى فى التفسير قال الواحدى ” هذا هو العالم الأوحى ، وأعطاه أبى عطية صفقة يده بأن مثله فى التفسير لا يوجد ، وأعترف له صاحب الكشف بالكشف عن الغوامض ، وقال الإمام نحر الدين هذه مفاتيح الغيب وأسرار التنزيل فارتفع الخلاف واندفع المعارض ، أو أخذ فى القراءات والرسم أزرى بأبى عمرو الدانى ، وعدا شأوا الشاطبى ”



في الرائية وتقدمه في حرز الأمانى ؛ أو تحدث في الحديث شهد له السفينان بعلق الرتبة في الرواية ، وأعترف له ابن معين في التبريز والتقدم في الدراية ؛ وهتف الخطيب البغدادي بذكره على المنابر ، وقال ابن الصلاح لمثل هذه الفوائد نتعين الرحلة ، وفي تحصيلها تنفد المحابر ؛ أو أبدى في أصول الدين نظرا تعلق منه أبو الحسن الأشعري بأوفي زمام ، وسد باب الكلام على المعتزلة حتى يقول عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء ليتنا لم نفتح بابا في الكلام ؛ أو دقق النظر في المنطق بهر الأبهري في مناظرته ، وكتب الكاشي وثيقة على نفسه بالعجز عن مقاومته ؛ أو ألم بالجدل رمي الأرموي نفسه بين يديه ، وجعل العميدى عمدته في آداب البحث عليه ؛ أو بسط في اللغة لسانه أعترف له ابن سيده بالسيادة ، وأقر بالعجز لديه الجوهرى وجلس ابن فارس بين يديه مجلس الاستفاده ، وأنحا إلى النحو والتصريف أربى فيه على سيبويه ، وصرف الكسائي له عزمه فسار من البعد إليه ، أو وضع أنموذجا في علوم البلاغة ، وقف عنده الجرجاني ، ولم يتعد حده ابن أبي الأصبع ولم يحاوز وضعه الرماني ؛ أو روى أشعار العرب ، أزرى بالأصمعي في حفظه ، وفاق أبا عبيدة في كثرة روايته وغزير لفظه ؛ أو تعرض للعروض والقوافي استحقهما على الخليل ، وقال الأخفش عنه أخذت المتدارك وأعترف الجوهرى بأنه ليس له في هذا الفن مثيل ؛ أو أصل في الطب أصلا ، قال ابن سينا هذا هو القانون المعبر في الأصول ، وأقسم الرازي بحجي الموتى إن بقرط لو سمعه لما صنف الفصول ؛ أو جنح إلى غيره من العلوم الطبيعية فكأنما طبع عليه ، أو جذبه بزمام فانقاد ذلك العلم إليه ، أو سلك في علوم الهندسة طريقا لقال اقليدس هذا هو الخط المستقيم ، وأعرض ابن الهيثم عن حل الشكوك ووثى وهو كظيم ، وحمد المؤتمن بن هود عدم إكمال

كتابه الاستكمال، وقال عرفت بذلك نفسى وفوق كل ذى علم عليم، أو عرّج على علوم الهيئة لأعترف أبو الريحان البيرونى أنه الأعجوبة النادرة، وقال ابن أفلح هذا العالم قطب هذه الدائرة؛ أو صرف إلى علم الحساب نظره لقال السموئل ابن يحيى، لقد أحيا هذا العزّ الدارس، وأنجلت عن هذا العلم غيابه حتى لم يبق عمه لعميه ولا عمّة على ممارس :

وقد وجدت مكان القول ذا سعة \* فإن وجدت لساناً قاتلاً فقل

وسوف أورد هذه الرسالة فى موضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى؛ وكذلك يجرى القول فيما يكتب به من إجازات أهل العلوم ونحوها فى كل علم، وقد تقدّم ذكر شىء مما يجرى هذا المجرى فى الكلام على النحو ونحوه .

### تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثانى، أوله "النوع الثامن عشر—المعرفة بالأحكام السلطانية"

## فهرست الجزء الأول من كتاب صبح الأعشى

صفحة

خطبة الكتاب	٥
المقدمة في المبادئ التي يجب تقديمها قبل الخوض في كتابة الإنشاء؛	
وفيه خمسة أبواب...	٣٥
الباب الأول - في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حماهم؛	
وفيه فصلان	٣٥
الفصل الأول - في فضل الكتابة	٣٥
الفصل الثاني - في مدح فضلاء الكتاب وذم حماهم...	٤٦
الباب الثاني - في ذكر مدلول الكتابة لغة وأصطلاحاً الخ؛	
وفيه ثلاثة فصول	٥٠
الفصل الأول - في ذكر مدلولها الخ	٥١
الفصل الثاني - في تفضيل كتابة الإنشاء على سائر أنواع الكتابة	٥٤
الفصل الثالث - في ترجيح النثر على الشعر	٥٨
الباب الثالث - في صفاتهم وآدابهم؛ وفيه فصلان	٦١
الفصل الأول - في صفاتهم؛ وهي على ضربين	٦١
الفصل الثاني - في آداب الكتاب؛ وهي على نوعين	٦٩
النوع الأول - حسن السيرة وشرف المذهب، ولذلك شروط ولوازم	٦٩
النوع الثاني - حسن العشرة التي هي من أفضل الخلائق الخ؛	
وهي على خمسة أضرب...	٧٣

صحيفة

الباب الرابع — في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء الخ؛ وفيه فصلان ٨٩

الفصل الأول — في التعريف بحقيقته ... .. ٨٩

الفصل الثاني — في أصل وضعه في الإسلام وتفرقه عند بعد ذلك

في المالك ... .. ٩١

الباب الخامس — في قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله وآداب

أهله؛ وفيه أربعة فصول ... .. ١٠١

الفصل الأول — في بيان رتبة صاحب هذا الديوان ورفعته قدره الخ ١٠١

الفصل الثاني — في صفة صاحب هذا الديوان وآدابه ... .. ١٠٤

الفصل الثالث — فيما يتصرف فيه صاحب هذا الديوان بتديره الخ؛

وفيه اثنا عشر أمرا ... .. ١١٠

الفصل الرابع — في ذكر وظائف ديوان الإنشاء بالديار المصرية الخ؛

وفيه ضربان ... .. ١٣٠

## المقالة الأولى

في بيان ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد؛ وفيه بابان ... .. ١٤٠

الباب الأول — فيما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلمية؛ وفيه

ثلاثة فصول ... .. ١٤٠

الفصل الأول — فيما يحتاج إليه الكاتب على سبيل الإجمال ... .. ١٤٠

الفصل الثاني — فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته من مواد الإنشاء؛

وفيه طرفان (صوابه ثلاثة أطراف) ... .. ١٤٨

الطرف الأول — فيما يحتاج إليه من الأدوات؛ ويشتمل العرض منه

على خمسة عشر نوعا (صوابه تسعة عشر نوعا) ... .. ١٤٨

صحيفة

- النوع الأول — المعرفة باللغة العربية ؛ وفيه أربعة مقاصد ... ١٤٨
- النوع الثاني — المعرفة باللغة العجمية الخ ؛ وفيه مقصدان ... ١٦٥
- النوع الثالث — المعرفة بالنحو ؛ وفيه مقصدان ... ١٦٧
- النوع الرابع — المعرفة بالتصريف ... ١٧٧
- النوع الخامس — المعرفة بعلوم المعاني والبيان والبديع ؛  
وفيه مقصدان ... ١٨٠
- النوع السادس — حفظ كتاب الله العزيز ؛ وفيه مقصدان ... ١٨٩
- النوع السابع — الاستكثار من حفظ الأحاديث النبوية ؛  
وفيه مقصدان ... ٢٠١
- النوع الثامن — الإكثار من حفظ خطب البلغاء ، والتفنن  
في أساليب الخطباء ؛ وفيه مقصدان ... ٢١٠
- النوع التاسع — مما يحتاج إليه الكاتب الخ ؛ وفيه ثلاثة مقاصد ... ٢٢٧
- النوع العاشر — الاستكثار من حفظ الأشعار الرائقة الخ ؛  
وفيه مقصدان ... ٢٧١
- النوع الحادي عشر — الإكثار من حفظ الأمثال ؛ وفيه مقصدان ... ٢٩٥
- النوع الثاني عشر — معرفة أنساب الأمم من العرب والعجم ... ٣٠٦
- النوع الثالث عشر — المعرفة بمفاحرات الأمم و؛ إفراتهم الخ ؛  
وفيه مقصدان ... ٣٧٢
- النوع الثالث عشر (مكرر) المعرفة بأيام الحروب الواقعة ؛ وفيه  
ثلاثة مقاصد ... ٣٩٠

صحيفة

النوع الرابع عشر — في أوابد العرب ... .. ٣٩٨

النوع الخامس عشر — في معرفة عادات العرب ؛ وهي صنفان ... ٤٠٩

النوع السادس عشر — النظر في كتب التاريخ والمعرفة بالأحوال ؛

وفيه مقصدان ... .. ٤١١

النوع السابع عشر — المعرفة بخزائن الكتب وأنواع العلوم الخ ؛

وفيه مقصدان ... .. ٤٦٦